شعراؤنا

ديوان أبي فراس الحمداني

شرح
الدكتور خليل الدويهي

الناشر
دار الكتاب العربي

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ ١٩٩٤م

دار الكتاب العربي

الطَابق الثَامِن - بنَاية بَنك بيبلوس - فردَان - تلفون: ٨٦١١٧٨/٨٠٠٨١١/٨٦٢٩٠٥
تلفاكس: ٤٧٨١٤٣١ (١٢١٢) تلكس: ٤٠١٣٩ LE كتاب برقيًا: الكتاب. ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت. لبنان

دِيوان
أبي فِراس الحمداني

. . . وأمّا أبو فراس بن حمدان ففارس هذا الميدان، إن شئت ضرباً وطعناً، وإن شئت لفظاً ومعنىً، ملك زماناً، وملك أماناً، وكان أشعر الناس في المملكة، وأشعرهم في ذلّ الملكة، وله الفخريّات التي لا تُعارض، والأسريّات التي لا تُناهَض.

ابن شرف القيروانيّ

ترجمة الشاعر وشعره

١ ـ نسبه وحياته:

هو أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمدانيّ، ابن عمّ ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان. وكنيته «أبو فراس» من أسماء الأسد.

ينتسب من جهة أبيه إلى العرب، ومن جهة أمّه إلى الروم، وهو يشير إلى ذلك بقوله:

إذا خفتُ مِنْ أخوالِيَ الرومِ خطّة ... تخوَّفتُ من أعمامي العُرْب أرْبعا

وقيل: بل أمّه عربيّة، لقوله:

لم تتفرّق بنا خُؤول في العزّ أخوالنا تميمُ

اتّصف جدّه حمدان بالشجاعة والكرم، واحتلّ عمّه عبد الله، والد سيف الدولة، بلاد الموصل.

وُلِد أبو فراس سنة ٩٣٣ م / ٣٢١ هـ في منبج، وهي بلدة سوريّة تقع شمالي حلب، وقيل: إنّه ولد في الموصل، وهي مدينة تقع في شمالي العراق.

تيتّم وهو في الثالثة من عمره، فنشأ في حضانة أمّه وعطف ابن عمّه سيف الدولة.

وما هو إلّا أن يقوى ساعده في الشعر حتى «يعجب سيف الدولة بمحاسنه، ويصطنعه لنفسه، ويستصحبه في غزواته، ويستخلفه على أعماله»، وحتى يجزيه خير جزاء. ويروى أنّ أبا فراس كان، يوماً، في مجلس سيف الدولة مع جماعة من الشعراء، فقال سيف الدولة بيتاً أجازه أبو فراس، فأعطاه ضيعةً في ضواحي منبج تغلّ ألفي دينار كلّ سنة، حتّى إذا بلغ السادسة عشرة من عمره قلّده منبجاً وحرّان وأعمالهما جميعاً.

وفي منبج سجل أبو فراس على الروم نصراً بعد نصر، وخرّت الحصون الواحد بعد الآخر. وكان حيناً، يقود فيالق العرب، فيحرق المدن ويسبي النساء، ويأسر الرجال، «ثمّ يعود إلى قصره، يوزّع وقته بين الصَّيد واللّهو، وقرض الشعر والمفاخرة، ويزور حلب فيشهد الليالي العامرة التي كان يحييها الأمير في «الحلبة» قصره الفخم، فينافس الشعراء، ويسابق الأدباء، وفيهم من لو تفرّق على العصور لكان واحدها: فيهم النامي، والببَّغاء، والوأواء، والمتنبِّي، وابن نباتة، وكشاجم، والصنوبريّ، والخالديّان، والفارابي، والخليع، والسَّريّ الرفّاء، وأبو الطيّب اللغويّ، وأبو علي الفارسيّ، والأصفهانيّ، والشّمشاطيّ، تجمّعوا على باب ابن عمّه، ينشدون أروع الكلم، وأطيب المقال، ويُثيرون الموضوعات المختلفة، فيشترك فيها أبو فراس ويحكم سيف الدولة بينهم فيما هم مختلفون».

وكان أبو فراس يذاكر الشعراء، وينافس الأدباء، وقيل إنّه كان يُظهر سرقات المتنبِّي الشِّعريَّة، فلا يجرؤ المتنبِّي على مباراته. وهكذا زجّى الشّابّ البطل حياته

بين الحرب والشعر، والهزل والجدّ، ناعماً رافهاً حتّى ناهز الثلاثين من سنيه.

وفي ذات يوم من أيّام شوال سنة ٣٥١ هـ كان أبو فراس عائداً من الصَّيد مع قلّة من أصحابه لا يتجاوزون السبعين رجلاً، فباغته الروم في ألف رجل تحت قيادة تيودور، فدافع الشاعر حتى أُثخن بالجراح، وأصابه سهم بقي نصله في فخذه، فوقع أسيراً، واقتيد إلى خرشنة، ثم إلى القسطنطينيّة، وقيل: إنّه أسِر مرَّتين، وقد اقتيد، في المرّة الأولى إلى خرشنة، وفي المرّة الثانية إلى القسطنطينيّة. وقيل إنَّ الروم أكبروا بطولة الشاعر، فأكرموه، وأنزلوه في قصر يقوم على خدمته فيه خادم، كما خلّوا ثيابه وسلاحه، وهو يقول في ذلك:

يمنّون أنْ خلّوا ثيابي وإنّما ... عليَّ ثيابٌ مِنْ دمائِهِم حُمْرُ

ولكن هذه المظاهر لم تستمل روحه المكبّلة الحزينة، فراسل ابن عمّه سيف الدولة سائلاً إيّاه افتداءه.

وماطل سيف الدولة بالفداء لسبب لا ندري حقيقته تماماً، فطال أسر أبي فراس، وكانت مرحلة الأسر المعين الذي منه استقى وجدان الشاعر، فمنه غرف الحزن بلا حساب، ومنه كان حنينه، ومنه كانت ثورته ونقمته وشكواه وفخره، وبكلمة مختصرة: لولا الأسر لما كانت الروميّات تلك الخوالد في الشّعر الوجدانيّ العربيّ.

«وفي اليوم الأول من شهر رجب سنة ٣٥٥ هـ. خرج «أبو فراس» بثلاثة آلاف أسير إلى خرشنة، ووصل إليها سيف الدولة بأسراه فدفع ستمائة ألف دينار رومية، وتمّ الفداء بعد أربع سنوات. . . .

وهذه مرحلة خامسة، هي آخر مراحل حياته، يعود فيها الشاعر إلى «حلب» ليلقى إخواناً وأهلاً، وتصافح عيناه بلده، فإذا الأسى قد أصابها، وحلت بساحتها الكروب، وشلتها الانكسارات، وأقعد المرض «سيف الدولة» فتحوّل نعيمها إلى بؤس. ولكن «سيف الدولة» يوليه «حمص»، وفيها تبلغه وفاة ابن عمه مالك حلب في العاشر من صفر ٣٥٦ هـ، فيخرس النعيُ لسانه، ويعي بيانه، فيتولّى عزّه، وينقضي مجده، ويموت شيطان شعره.

وتصبح الأمور بعد «سيف الدولة» إلى حاجبه الغلام التركي «قرغويه» وصياً على ابنه «أبي المعالي». وكيف يطيع «أبو فراس» حاجباً تركيّاً؟. . بل كيف يسكت

«قرغويه» عن أمير عربيّ! لذلك أوغر الحاجب صدر «أبي المعالي»، وأعلمه أنَّ خاله ساع إلى الملك، يستلبه منه؛ فوجه إليه جيشاً لإخضاعه، بقيادة «قرغويه». فجمع أبو فراس من حمص ومن بني كلاب، وسار إلى لقاء عدوه، ولكن أتباعه هالهم عدد العدو، فاستأمنوا إليه، وأسقط في يد أبي فراس، فلبث يقاتل عند قرية «صدد» قرب حمص، حتى جرح عند «جبل سنير» فاستأمن، ولكن «قرغويه» أُمر عبده «جوشن» بالتركية فضربه بحديدة مدببة، فسقط عن فرسه بعد العصر، وقطع رأسه، وتركت جثته في البرية إلى أن جاء أحد الأعراب فواراها التراب. وحمل رأس الأمير النبيل إلى ابن أخته «أبي المعالي» ليقرّ عيناً بوفاة البطولة، ومقتل الشاعرية، ودفن الوفاء، وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأول سنة ٣٥٧ هـ. (٤ نيسان ٩٦٨)».[1]

٢ ـ صفاته وأخلاقه

كان أبو فراس طويلاً يدلّنا على ذلك قوله:

متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى ... طويل نجادِ السَّيف رحب المقلد

وكان فارساً اشترك في المعارك إلى جانب سيف الدولة وله من العمر تسع عشرة سنة، شجاعاً، أبيّاً صفوحاً سموحاً يطلق الأسرى والأموال لتوسّل النساء إليه، صلباً أبيّاً عزيزاً حتى في أسره، ويروى أن الدمستق الروميّ أراد أن يغيظه يوماً، فقال له: «إنّما أنتم كتاب لا تعرفون الحرب»، وذلك ردّاً على بيت أبي فراس القائل:

وصناعتي ضرب السيوف وإنّني ... متعرِّض في الشِّعر للشُّعراء

فلم يسكت أبو فراس، وهو بين يديه أسير، بل أجابه قائلاً: «نحن نطأ أرضك منذ ستّين سنة بالسّيوف أم بالأقلام؟ ويروى، أيضاً أنَّ سيف الدولة عرض، يوماً، خيوله على بني أخيه ليختار كلّ منهم فرساً، فامتنع أبو فراس عن الأخذ مع إلحاح سيف الدولة عليه. ولما عاتبه سيف الدولة على موقفه، قال:

إنَّ الغنيَّ هو الغنيّ بنفسه ... ولو انّه عاري المناكب حافي

ما كثرةُ الخيلِ الجيادِ بزائدي ... شرفاً، ولا عدد السوام الضّافي

---

(١) عن توطئة ديوان أبي فراس (تحقيق سامي الدهان ص ١٤).

خيلي، وإنْ قَلَّتْ، كثيــر نَفْعُـهـا بيـن الـصــوارم والـقـنـا الــرعّــاف

٣ ـ ديوانه

لم يهتمّ أبو فراس الحمدانيّ بجمع شعره، ولا بتنقيحه، وإنّما كان يلقيه إلى أستاذه ابن خالويه «دون الناس، ويحظّر عليه نشره». ولا نعلم رواية لديوانه غير رواية ابن خالويه، وعنها نقـل العلماء العـرب ومنهم التنوخيّ، والثعـالبيّ، والحصريّ، والمكين، وابن خلّكان، وأبو الفداء، والذهبيّ، والصَّفديّ، والكتبيّ، وابن العماد، وياقوت الحمويّ، وغيرهم. ومخطوطات ديوانه متفرّقة في مكتبات العالم الكبرى في أوروبّة وأفريقيا وآسيا، ومنها[1] نسخة مكتبة بودليان في أكسفورد، ومكتبة وهبي أفندي في استانبول، ومكتبة العاصمة في برلين، (ثلاث نسخ)، ومكتبة المتحف البريطانيّ (نسختان)، ومكتبة المتحف الآسيويّ في بطرسبورغ (نسختان)، ومكتبة الجامعة في توبينكن (نسختان)، والمكتبة التيموريّة في القاهرة (نسختان)، والمكتبة الأحمديّة في حلب (نسختان)، والمكتبة المارونيّة في حلب، ودار الكتب المصريّة في القـاهرة (ست نسخ)، والمكتبة العامّة في الرباط، ومكتبة الجامعة في ستراسبورغ، وجامع القرويّين في فاس، ومكتبة پالاتين في فلورانس، وطوپ قاپو سراي في إستانبول، ومكتبة أسعد أفندي في استانبول، ومكتبة الجامعة في ليبزيغ، ومكتبة الجامع الأزهر في القـاهرة، والمكتبـات العامّـة في كمبريـدج، ومدريـد، وليدن، وبـطرسبورغ، وطهران، والنجف، والهند...

وأوّل من سعى إلى نشر ديوانه هم المستشرقون، معتمدين على بعض النسخ التي يملكونها في خزائنهم، أو التي اطلعوا عليها في بعض المكتبات الكبرى، لكنّ أعمالهم لم تُثمِر، فقد وعد كلٌّ من أهلورد، ولاندبرغ، وكرومر، وتوربكه، وكانار، ودفـورچاك، بـإصدار ديـوانه، لكنّ أعمـالهم ما زالت مخـطوطـة، وتحتفظ بعض المكتبات العامَّة بها.

وأوّل طبعة للديوان ظهرت في بيروت سنة ١٨٧٣ م في المطبعة السليميّة «بنفقة الخواجات سليم الزحيل وسليم نقولا المدور» في ١٥١ صفحة من القطْع المتوسِّط،

(١) راجع توطئة ديوان أبي فراس الحمداني (تحقيق سامي الدهان) ص ٢٩ ـ ٣٠.

وهي محشوّة بالأغاليط والأخطاء، وقد أخذ المستشرق «هاينريش توربكه» عام ١٨٨٩ نسخة من هذه الطبعة، فعارضها على نسختي أكسفورد، وتوبينكن، ويتيمة الدهر، وكتب بخطه على هوامش الطبعة صحيح الأبيات، وأضاف إليها ما ينقصها، وكتب كرّاساً في القصائد والشروح التي تنقص هذه الطبعة، لكنّ عمله لم يصدر بل ظلّ مخطوطاً(١).

وفي عام ١٩٠٠ ظهرت طبعة ثانية لديوان أبي فراس في بيروت بالمطبعة الأدبيّة في ١٥٩ صفحة من القطع الوسط كتب على غلافها «قد حلّ بعض ألفاظه، وشرح معنى بعض أبياته الفقير إليه تعالى نخلة قلفاط». وهذه الطبعة كسابقتها، كثيرة الأخطاء، وقد نقل قلفاط معظم شرحه عن عبد اللطيف البهائي أحد علماء القرن الحادي عشر، وكان قاضياً ببلغراد(٢).

وفي السنة ١٩١٠ م ظهرت طبعة ثانية لطبعة ١٩٠٠ م دون أيّ تغيير أو تبديل.

وفي السنة ١٩٤٤ م نهض الدكتور سامي الدهان فنشر ديوانه مستنداً إلى عشرات المخطوطات والكتب الأدبيّة التراثيّة، فجاءت طبعته محقّقة تحقيقاً علميّاً رصيناً يندر مثله(٣). لكنّ هذه الطبعة الفريدة في دقّتها وشموليّتها جاءت خالية من شروح المفردات الصعبة والأبيات التي يلتبس فهمها على القارىء العاديّ، أو على المثقّف ثقافة عربيّة غير متعمِّقة.

وبعدها توالت طبعات ديوان أبي فراس، وكانت كلّها عيالاً على طبعة الدكتور الدهّان، ومنها طبعة دار الكتب العلميّة ببيروت (شرح وتقديم عبّاس عبد الساتر)، وطبعة المستشارية الثقافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيَّة بدمشق (تحقيق وشرح الدكتور محمد التونجي)....

وقد اعتمدنا في طبعتنا هذه على ما نشره الدكتور سامي الدهان، مسقِطين كثرة الروايات المختلفة للبيت الواحد، وشارحين كلّ ما رأينا أنّه يلتبس على قرّاء العربيَّة غير المتخصِّص فيها.

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٣.
(٢) المرجع نفسه ص ٢٤ ـ ٢٥.
(٣) صدرت عن المعهد الفرنسيّ بدمشق للدراسات العربيّة بثلاثة مجلّدات.

٤ ـ شعره:

يحتوي ديوان أبي فراس الغزل، والفخر، والرِّثاء، والوصف، والحِكم، والعواطف المختلفة. أمّا غزله فغزل عاطفيّ فيه المشاعر الحارّة، والدموع على فراق الحبيب، كما فيه الغزل التقليدي من وقوف على الأطلال، وتشبيهات جاهليّة تقليديّة. وأمّا فخره، فقد رفده شرف أصله، وعزّة نفسه، وسموّ مكانته، فجاء فخراً بقومه وبنفسه، يقول:

نطقت بفضلي وامتدحتُ عشيرتي   فما أنا مدّاح ولا أنا شاعر

ورثاؤه قليل التفجّع، صادق العاطفة عموماً، يحاول التخفيف عن المصاب بحكم في الحياة والموت.

وأمّا روميّاته فهي القصائد التي نظمها وهو أسير في بلاد الروم، وقد ضمَّها خلجات نفسه وحزنه على ما كان له من حرِّيّة، وفخره بماضيه ومآتيه في سبيل سيف الدولة وقومه، وحنينه إلى أمّه العجوز، وعتبه على سيف الدولة الذي ماطل في افتدائه.

قافية الهمزة

- ١ -

قال:

[من الخفيف]

١ - عِمْ صَبَاحاً، وَإِنْ غَدَوْتَ خَلَاءَ ... مِنْ ظِبَاءٍ يَفْضَحْنَ فيكَ آلظِّبَاءَ![1]

٢ - أيُّها آلرَّبْعُ، كَمْ تَرَحَّلَ مِنْ مَغْـ ... ـنَاكَ مِنْ خُوطِ بَانَةٍ بَيْضَاءَ![2]

٣ - إنْ تَكُنْ كُنْتَ لِلسُّرُورِ فِنَاءً ... فَلَقَدْ صِرْتَ لِلْهُمُومِ فِنَاءَ

٤ - كُنْتُ أَسْتَصْعِبُ آلْجَفَاءَ، فَلَمَّا ... بَعُدُوا سَهَّلَ آلْبُعَادُ آلْجَفَاءَ

٥ - كُلَّمَا أَبْلَتِ آلدِّيَارَ آللَّيَالِي ... عَادَ ذَاكَ آلْبِلَى عَلَيَّ بَلَاءَ[3]

(١) عِمْ صباحاً: تحيَّة عربيَّة. غدوتَ: أصبحتَ. خلاءً: خالياً. ظباء: كناية عن الجميلات اللواتي جعلهنَّ أجمل من الظِّباء.

(٢) المغنى: المنزل. الخوط: الغُصنُ الناعم. البانة: واحدة البان، وهو نوع من الشجر اللَّيِّن، ورقه طويل أبيض الزهر. وقوله «خوط بانة» كناية عن الجميلة ذات القدّ الرشيق.

(٣) البلاء: المصيبة.

٦ - إنْ تَكُنْ زَادَتِ ٱلدِّيَارُ عَفَاءً فَلَقَدْ زَادَتِ ٱلْخُدُودُ عَفَاءَ(١)
٧ - وإذَا فَاضَتِ ٱلْمَدَامِعُ كَانَتْ لِرَسِيسِ ٱلْهَوَى دَوَاءً شِفَاءَ(٢)
٨ - أيُّهَا ٱلْعَاذِلَاتُ فِي ٱلْحُبِّ، إِنَّ ٱلْـ ـعَذْلَ فِي ٱلْحُبِّ يَنْتَهِي إِغْرَاءَ(٣)
٩ - وإذَا مَا هَجَرْتُ بِٱلْعَذْلِ حِبًّا كُنْتُ وَٱلْعَاذِلَاتِ فِيهِ سَوَاءَ(٤)
١٠ - كَمْ وِدَادٍ حَرَمْتُهُ «أُمَّ عَمْرٍو» وَوِدَادٍ مَنَحْتُهُ «أَسْمَاءَ»(٥)
١١ - أيُّهَا ٱلْمُبْتَغِي مَحَلَّ بَنِي حَمْـ ـدَانَ، مَهْلًا! أَتَبْلُغُ ٱلْجَوْزَاءَ؟!(٦)
١٢ - فَضَلُوا ٱلنَّاسَ، رِفْعَةً وسُمُوًّا، وَعَلَوْهُمْ تَكَرُّماً وَوَفَاءَ
١٣ - يَا مُجِيلَ ٱلأَفْكَارِ فِيهِمْ، إلَى كَمْ تُتْعِبُ ٱلنَّفْسَ، هَلْ تَنَالُ ٱلسَّمَاءَ؟
١٤ - أُسْرَتِي، لَا أَقُولُ فَخْراً، سَرَاةٌ حَسْبُهُمْ ذَاكَ، مَفْخَراً وسَنَاءَ(٧)

- ٢ -

وقال:

[من مجزوء الرمل]

١ - صَاحِبٌ لَمَّا أَسَاءَ أَتْبَعَ ٱلدَّلْوَ ٱلرِّشَاءَ(٨)
٢ - رُبَّ دَاءٍ لَا أَرَى مِنْـ ـهُ سِوَى ٱلصَّبْرِ شِفَاءَ
٣ - أَحْمَدُ ٱللَّهَ عَلَى مَا سَرَّ مِنْ أَمْرِي وَسَاءَ

---

(١) العفاء الأولى: الانمحاء. والعفاء الثانية: الدموع، وهي في الأصل، المطر. وفي البيت جناس تامّ.
(٢) الرسيس: الخبر الذي لم يصحّ.
(٣) العاذلات: اللائمات، وفي البيت حكمة. ومثله قول أبي نواس:

دَعْ عَنْكَ لومي فإنَّ اللَّومَ إغراءُ وداوني بالتي كانَتْ هي الدّاءُ

(٤) الحِبّ: الحبيب. والمعنى، إذا أطعتُ العاذلات، وهجرتُ حبيبي، كنتُ مثلهنّ.
(٥) الوداد: الحبّ.
(٦) الجوزاء: برج من بروج السماء.
(٧) السَّراة من كلّ شيء: أعلاه، يريد أنّهم أشراف من السّادة. السناء: العلوّ والرّفعة.
(٨) الرّشاء: الحبل، أو حبل الدلو. وقوله: «اتبعَ الدلوَ الرِّشاء» مثل عربيّ، ومعناه هنا أنّه أتمّ الإساءة.

- ٣ -

وقال:

[من مخلع البسيط]

١ - كَـانَ قَـضِـيـبـاً لَـهُ آنْـثِـنَـاءُ وكَـانَ بَـدْراً لَـهُ ضِـيَـاءُ(١)
٢ - وكَـانَ يَـحْكِـي آلْـهِـلَالَ وَجْـهـاً وَآلـنَّـاسُ فِـي حُـبِّـهِ سَـوَاءُ(٢)
٣ - فَـزَادَهُ رَبُّـهُ عِـذَاراً تَـمَّ بِـهِ آلْـحُـسْـنُ وَآلْـبَـهَـاءُ(٣)
٤ - كَـذَلِـكَ آلـلَّهُ كُـلَّ وَقْـتٍ يَـزِيـدُ فِـي آلْـخَـلْـقِ مَـا يَـشَـاءُ

- ٤ -

قال ابن خالويه: «وكانَ سَيْفُ آلدَّولةِ وعَدَ أبا فِراسٍ بإحْضَارِ «أبي عَبْدِ آللَّهِ بْنِ آلْمُنَجِّمِ» للاجْتِمَاعِ بهِ لَيْلَةً، فكَتَبَ إِلَيْهِ أَبو فِراسٍ: «قَدْ تَقَدَّمَ وَعْدُ سَيِّدِنَا سَيفِ آلدَّوْلَةِ بَإِحْضَارِ أبي عَبْدِ آللَّهِ بْنِ آلْمُنَجِّمِ والغِنَاء بِحُضُورِهِ، وأَنَا سَائِلٌ فِي ذَلِكَ، حَتَّى أَسْمَعَ حُسْنَ آلْعُودِ».

[من المتقارب]

١ - أَيَـا سَـيِّـداً عَـمَّـنِـي جُـودُهُ، بِـفَضْـلِكَ نِلْتُ آلسَّـنَا وآلـسَّـنَـاءَ(٤)
٢ - وَكَـمْ قَـدْ أَتَـيـتُـكَ مِـنْ لَـيْـلَةٍ! فَـنِلْتُ آلْـغِنَـى وَسَـمِـعْـتُ آلْـغِـنَـاءَ

فَإِنْ رَأَى سَيْفُ آلدَّوْلَةِ أَنْ يَتَطَوَّلَ بِإِنْجَازِ مَا وَعَدَ فَعَلَ، إِنْ شَاءَ آللَّهُ(٥).

---

(١) الانثناء: الانطواء؛ والمقصود أنَّ فتاته كانت ليِّنة ممشوقة.
(٢) يحكي: يماثل. وقوله: «والناس في حبّه سواء»، يعني أنَّ الناس جميعاً يحبّونه. ويروى صدر البيت أيضاً: «قد كان بدر السماء حسناً».
(٣) العذار: الحياء، أو الخدّ.
(٤) السَّنا: الضَّوء الشَّديد. السَّناء: الرفعة والعلوّ. وفي بعض الروايات يروى العجُز: «بفضلِك نلتُ الثَّرى والثَّراءَ».
(٥) وفي رواية أن سيف الدولة أجابه بكتاب، وطيّب خاطره، ووعده بأنّه سيفي ما وعده به، فأنشد أبو فراس:
مـحـلُّكَ الـجـوزاءُ بَـلْ أَرْفَـعُ وصَـدْرُكَ الـدَّهْـنَـاءُ بَـلْ أوسَـعُ

- ٥ -

قال ابن خالويه: «وَجدْتُ بِخَطِّ أبي فِراسٍ هذِهِ القَصِيدَةَ. وكَتَبَ بِهَا إلَى «أَبي ٱلْفَرَجِ الخَالِعِ» وَ«أبِي ٱلْعبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدٍ التَنُوخِي».

[من الكامل]

١ - أَقَنَاعَةً، مِنْ بَعْدِ طُولِ جَفَاءِ، ... بِدُنُوِّ طَيْفٍ مِنْ حَبِيبٍ نَاءِ![1]
٢ - بِأَبِي وَأُمِّي شَادِنٌ قُلْنَا لَهُ: ... «نَفْدِيكَ بِالأُمَّاتِ وَٱلآبَاءِ»[2]
٣ - رَشَأٌ إِذَا لَحَظَ ٱلْعَفِيفَ بِنَظْرَةٍ ... كَانَتْ لَهُ سَبَباً إِلَى ٱلْفَحْشَاءِ[3]
٤ - وَجَنَاتُهُ تَجْنِي عَلَى عُشَّاقِهِ ... بِبَدِيعِ مَا فِيهَا مِنَ ٱللألآءِ[4]
٥ - بِيضٌ عَلَتْهَا حُمْرَةٌ، فَتَوَرَّدَتْ ... مِثْلَ ٱلْمُدَامِ خَلَطْتَهَا بِالمَاءِ[5]
٦ - فَكَأَنَّمَا بَرَزَتْ لَنَا بِغِلَالَةٍ ... بَيْضَاءَ، تَحْتَ غِلَالَةٍ حَمْرَاءِ[6]
٧ - كَيْفَ ٱتِّقَاءُ لِحَاظِهِ؛ وَعُيُونُنَا ... طُرُقٌ لأَسْهُمِهَا إِلَى ٱلأَحْشَاءِ؟[7]
٨ - صَبَغَ ٱلْحَيَا خَدَّيْهِ، لَوْنَ مَدَامِعِي، ... فَكَأَنَّهُ يَبْكِي بِمِثْلِ بُكَائِي[8]
٩ - كَيْفَ ٱتِّقَاءُ جَآذِرٍ يَرْمِينَنَا ... بِظُبَى ٱلصَّوَارِمِ مِنْ عُيُونِ ظِبَاءِ؟!..[9]
١٠ - يَا رَبَّ تِلْكَ ٱلْمُقْلَةِ ٱلنَّجْلاءِ، ... حَاشَاكَ مِمَّا ضُمِّنَتْ أَحْشَائِي![10]

---

(١) الدنوّ: الاقتراب. الطَّيف: خيال الطائف. النائي: البعيد.
(٢) وفي بعض الروايات «قلتُ» مكان «قلنا» والشادن: ولد الظبية.
(٣) الرَّشأ: ولد الظبية الذي قوي ومشى مع أمّه. لحظ: رأى، رماه بنظره. الفحشاء: الفساد.
(٤) الوجنات: جمع الوجنة، وهي ما ارتفع من الخدّ. اللألاء: الأضواء.
(٥) البيض: الوجنات البيضاء. المُدام: الخمرة.
(٦) في رواية «لنا» مكان «له». الغلالة. لباس يُلبس تحت الثَّوب.
(٧) لحاظه: عيناه. والمعنى أنّه لا يمكن اتّقاء أسهم عينيه، فتصيب القلوب.
(٨) في رواية «فكأنّما» مكان «فكأنّه». الحيا: الخجل.
(٩) الجآذر: جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشيَّة، تشبَّه العيون الجميلة الواسعة بعينيه. الظبى: السيوف. الصوارم: القاطعة. الظباء: الغزلان.
(١٠) المقلة: العين. النجلاء: الواسعة.

١١ - جَازَيْتَنِي بُعْداً بِقُرْبِي فِي ٱلْهَوَى   وَمَنَحْتَنِي غَدْراً بِحُسْنِ وَفَائِي[١]
١٢ - جَادَتْ عِرَاصَكِ، يَا شَآمُ، سَحَابَةٌ   عَرَّاضَةٌ مِنْ أَصْدَقِ ٱلأَنْوَاءِ![٢]
١٣ - بَلَدُ ٱلْمَجَانَةِ وَٱلْخَلاعَةِ وَٱلصِّبَا   وَمَحَلُّ كُلِّ فُتُوَّةٍ وَفَتَاءِ[٣]
١٤ - أَنْوَاعُ زَهْرٍ وَٱلْتِفَافُ حَدَائِقٍ   وَصَفَاءُ مَاءٍ وَٱعْتِدَالُ هَوَاءِ
١٥ - وَخَرَائِدُ، مِثْلُ ٱلدُّمَى، يَسْقِينَنَا   كَأْسَيْنِ مِنْ لَحْظٍ وَمِنْ صَهْبَاءِ[٤]
١٦ - وَإِذَا أَدَرْنَ عَلَى ٱلنَدَامَى كَأْسَهَا   غَنَّيْنَنَا شِعْرَ «آبْنِ أَوْسِ ٱلطَّائِي»:[٥]
١٧ - «رَاحٌ إِذَا مَا ٱلرَّاحُ كُنَّ مَطِيَّهَا   كَانَتْ مَطَايَا ٱلشَّوْقِ فِي ٱلأَحْشَاءِ»
١٨ - فَارَقْتُ، حِينَ شَخَصْتُ عَنْهَا، لَذَّتِي   وَتَرَكْتُ أَحْوَالَ ٱلسُّرُورِ وَرَائِي[٦]
١٩ - وَنَزَلْتُ مِنْ بَلَدِ «ٱلْجَزِيرَةِ» مَنْزِلاً   خِلْواً مِنَ ٱلْخُلَطَاءِ وَٱلنُّدَمَاءِ[٧]
٢٠ - فَيُمِرُّ عِنْدِي كُلُّ طَعْمٍ طَيِّبٍ   مِنْ رِبْقِهَا؛ وَيَضِيقُ كُلُّ فَضَاءِ[٨]
٢١ - «اَلشَّامُ» لَا بَلَدُ «ٱلْجَزِيرَةِ» لَذَّتِي   وَ «قُوَيْق» لَا مَاءُ «ٱلْفُرَاتِ» مُنَائِي[٩]
٢٢ - وَأَبِيتُ مُرْتَهَنَ ٱلْفُؤَادِ «بِمَنْبِجَ» ٱلسَّـ   ـوْدَاءِ لَا «بِٱلرَّقَةِ» ٱلْبَيْضَاءِ[١٠]
٢٣ - مِنْ مُبْلِغُ ٱلنُّدَمَاءِ: أَنِّي بَعْدَهُمْ   أُمْسِي نَدِيمَ كَوَاكِبِ ٱلْجَوْزَاءِ؟[١١]

---

(١) جازيتني: كافأتني.

(٢) جادت: كرمت. العراص: جمع العرص، وهو البرق المضطرب.

(٣) المجانة: المزح والهزال وقلّة الحياء. الفتاء: الشّباب.

(٤) الخرائد: جمع الخريدة، وهي الفتاة العذراء الحسناء. الصَّهْباء: الخمرة. والبيت قريب من بيت أبي نواس:

تسقيكَ مِنْ عينها خَمْراً ومن يدها   خمراً فما لكَ من سكرينِ مِنْ بُدِّ

(٥) الندامى: المنادمون في شرب الخمر. ابن أوس الطائي هو أبو تمّام الشاعر العبّاسيّ المعروف، والبيت التالي لـه.

(٦) شخصت عنها: ابتعدت منها.

(٧) الخلطاء: الأصحاب.

(٨) الرِّبق: الحبل فيه عدّة عرى، والمقصود الأرض.

(٩) قُويق: اسم نهر في الشام. منائي: منيتي.

(١٠) أبيت: رفضت. منبج: اسم موطن الشاعر. والرَّقّة: اسم موقع في سوريا.

(١١) الجوزاء: برج من بروج السماء.

٢٤ ـوَلَقَـدْ رَعَيْتُ فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ رَعَى   مِنْكُمْ عَلَى بُعْدِ ٱلـدِّيَارِ إِخَائِي؟[1]
٢٥ ـفَحُمَ ٱلْغَبِيُّ وَقُلْتُ غَيْـرَ مُلَجْلَجٍ :   إِنِّي لَـمُشْتَـاقٌ إِلَى ٱلْعَلْيَـاءِ[2]
٢٦ ـوَصِنَـاعَتِي ضَـرْبُ ٱلسُّيُـوفِ وَإِنَّنِي   مُتَعَـرِّضٌ فِي ٱلشِّعْـرِ بِـٱلشُّعَـرَاءِ
٢٧ ـوَٱللَّهُ يَجْمَعُنَـا بِعِـزٍّ دَائِـمٍ   وَسَـلاَمَـةٍ مَـوْصُـولَـةٍ بِـبَقَـاءِ

- ٦ -

وقال:

[من مجزوء الرمل][*]:

١ ـ أَنَـا إِنْ عَـلَّلْتُ نَـفْـسِـي بِـطَبِـيـبٍ أو دواءِ
٢ ـ عَـالِـمٌ أَنْ لَـيسَ إِلَّا بِـيَـدِ ٱلـلَّهِ شِـفَـائـي

---

(١) رعيت الإخاء: حافظت عليه، ووفيت به.

(٢) فحم: عيي. ملجلج: مضطرب، متلعثم في الكلام.

(*) البيتان التاليان ليسا في رواية ابن خالويه، وهما مثبتان في ملحق ديوان أبي فراس (تحقيق سامي الدهّان) نقلاً عن مجلّة الغري، السنة الثانية، تاريخ ١٣ أيلول سنة ١٩٤١، وعن العاملي ص ٢٦.

قافية الألف

- ٧ -

وقال فِي آلزُّهْدِ وأَجَادَ:

[من المتقارب]

١ - أَمَا يَـرْدَعُ آلْـمَـوْتُ أَهْـلَ آلنُّهَى ... وَيَـمْنَـعُ عَـنْ غَيِّـهِ مَـنْ غَـوَى![1]
٢ - أَمَا عَـالِـمٌ، عَـارِفٌ بِـآلـزَّمَـانِ ... يَـرُوحُ ويَـغْـدُو قَـصِـيـرَ آلْـخُـطَا
٣ - فَيَـا لَاهِيـاً، آمِنـاً، وَآلْـحِـمَـامُ ... إِلَيْـهِ سَرِيـعٌ، قَـرِيبُ آلْمَـدَى[2]
٤ - يُسَـرُّ بَشِـيْءٍ كَـأَنْ قَـدْ مَضَـى ... وَيَـأْمَـنُ شَـيْئـاً كَـأَنْ قَـدْ أَتَـى

(١) في رواية «من» مكان «عن». النُّهى: العقل. الغيّ: الضلال والجهل.
(٢) في رواية «ويا ذاهباً» مكان «فيا لاهياً». الحِمام: الموت.

٥ - إِذَا مَا مَرَرْتَ بِأَهْلِ ٱلْقُبُورِ   تَيَقَّنْتَ أَنَّكَ مِنْهُمْ غَدَا[١]
٦ - وَأَنَّ ٱلْعَزِيزَ، بِهَا، وَٱلذَّلِيلَ   سَوَاءٌ، إِذَا أُسْلِمَا لِلْبِلَى[٢]
٧ - غَرِيبَيْنِ، مَا لَهُمَا مُؤْنِسٌ   وَحِيدَيْنِ، تَحْتَ طِبَاقِ ٱلثَّرَى[٣]
٨ - فَلَا أَمَلٌ غَيْرُ عَفْوِ ٱلإِلَهِ   وَلَا عَمَلٌ غَيْرُ مَا قَدْ مَضَى
٩ - فَإِنْ كَانَ خَيْراً فَخَيْراً يَنَالُ   وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرًّا يَرَى

- ٨ -

وقال فِي الثَّلجِ فِي «شَاذِ كُلَى»:

[من مجزوء الرجز]

١ - كَأَنَّمَا تَسَاقُطُ الثَّلْجِ   بِعَيْنَيْ مَنْ رَأَى
٢ - أَوْرَاقُ وَرْدٍ أَبْيَضٍ   وَٱلنَّاسُ فِي «شَاذِ كُلَى»

(١) في رواية «تيقّنُ» مكان «تيقّنت».
(٢) البِلى: الفناء.
(٣) في رواية «غريبان» مكان «غريبين»، و «وحيدان» مكان «وحيدين».

قافية الباء

- ٩ -

وقـال يَرْثِي أُخْتَهُ:

[من المتقارب]

١ - أَتَـزْعُـمُ أَنَّـكَ خِـدْنُ ٱلْـوَفَـاءِ وَقَدْ حَجَبَ ٱلتُّرْبُ مَنْ قَدْ حَجَبْ؟(١)
٢ - فَـإِنْ كُنْتَ تَـصْـدُقُ فِيـمَـا تَقُـولُ فَمُتْ قَبْـلَ مَـوْتِـكَ مَـعْ مَنْ تُحِبْ
٣ - وَإِلَّا فَـقَـدْ صَـدَقَ ٱلْـقَـائِـلُونَ: مَـا بَيْنَ حَـيٍّ وَمَـيْـتٍ نَـسَـبْ(٢)
٤ - عَـقِـيـلَتِـيَ آسْـتُلِبَـتْ مِنْ يَـدِي وَلَـمَّـا أُبِعْـهَـا وَلَـمَّـا أُهَـبْ(٣)
٥ - وَكُـنْـتُ أَقِيـكِ؛ إِلَى أَنْ رَمَـتْـكِ يَـدُ ٱلدَّهْـرِ؛ مِنْ حَيْثُ لَا أَحْتَسِبْ(٤)

---

(١) الخدن: الصديق، والحبيب للمذكّر والمؤنّث.

(٢) وفي رواية «سبب» مكان «نسب».

(٣) العقيلة: السيِّدة الكريمة، يعني أخته.

(٤) أقيك: أحميك. أحتسب: أتوقّع.

٦ـ فَـلاَ نَـفَـعَـتْـنِـي تُـقَـاتِـي عَـلَـيْـكِ وَلاَ صَـرفَتْ عَنْكِ صَرْفَ ٱلنُّوَبْ(١)
٧ـ فَـلاَ سَـلِمَتْ مُـقْـلَةٌ لَـمْ تَـسُـحَّ وَلاَ بَـقِـيَـتْ لِـمَّـةٌ لَـمْ تَـشِـبْ(٢)
٨ـ يُـعَـزُّونَ عَـنْـكِ وَأَيْـنَ ٱلْـعَـزَاءُ!؟ وَلَـكِـنَّـهَـا سُـنَّـةٌ تُـسْـتَـحَـبْ(٣)
٩ـ وَلَـوْ رُدَّ بِـٱلـرّزْءِ مَـا تَـسْـتَـحِـقُّ لَـمَـا كَـانَ لِي فِـي حَـيَـاةٍ أَرَبْ(٤)

ـ ١٠ ـ

قَالَ: «وَتَأَخَّرَتْ كُتُبُ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ عَنْ أَبِي فِرَاسٍ وَهُوَ فِي ٱلأَسْرِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ بَعْضَ ٱلأُسَرَاءِ قَالَ «إِنْ ثَقُلَ هَذَا ٱلْمَالُ عَلَى ٱلأَمِيرِ كَاتَبْنَا فِيهِ صَاحِبَ خُرَاسَانَ وغَيْرَهُ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَخَفَّفَ عَلَيْنَا ٱلأَسْرَ» وَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَرَّرُوا مَعَ ٱلرُّومِ إِطْلاَقَ أُسَرَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِمَا يَحْمِلُونَهُ. فَٱتَّهَمَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ أَبَا فِرَاسٍ بِهَذَا ٱلْقَوْلِ لِضَمَانِهِ ٱلْمَالَ لِلرُّومِ وَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ يَعْرِفُهُ أَهْلُ خُرَاسَانَ؟» فَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالى ـ هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ وأَنْفَذَهَا إِلَى سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

[من المتقارب]

١ـ أَسَيْفَ ٱلْعِـدَى، وَقَـرِيـعَ ٱلْعَـرَبْ عَـلاَمَ ٱلْجَفَاءُ! وَفِيمَ ٱلْـغَضَـبْ!؟(٥)
٢ـ وَمَـا بَـالُ كُـتْبِـكَ قَـدْ أَصْـبَحَـتْ تَـنَـكَّـبُنِـي مَعَ هذي ٱلـنُّـكَـبْ(٦)
٣ـ وَأَنْـتَ ٱلْكَـرِيـمُ، وأَنْتَ ٱلْـحَـلِيـمُ، وَأَنْتَ ٱلْعَـطُوفُ، وَأَنْتَ ٱلْحَـدِبْ(٧)
٤ـ وَمَـا زِلْـتَ تَسْبِقُنِي بِـٱلْجَمِيـلِ وَتُـنْـزِلُنِي بِـٱلْجَـنَـابِ ٱلْخَصِبْ(٨)

(١) تقاتي: وقايتي. صرف النُّوب: أحداث الزمان.
(٢) المقلة: العين. تسحّ هنا: تسفح الدموع. اللِّمّة: الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن.
(٣) السُّنّة: العادة المتّبعة.
(٤) في رواية «حياتي» مكان «حياةٍ». والرزء: المصيبة. الأدب: الهدف، والغاية.
(٥) قريع العرب: سيِّدهم.
(٦) ويروى «هذا النّكب» مكان «هذي النُّكب». تنكّبني: تتنكّبني، تبتعد منّي. النُّكب: المصائب.
(٧) الحدِب: الحنون.
(٨) ويروى «تسعفني» مكان «تسبقني»، و«المكان» مكان «الجناب»؛ و«الرَّحب» مكان «الخصب».
الجناب: الناحية.

٥ - وَتَـدْفَـعُ عَـنْ حَـوْزَتِيَّ ٱلْـخُـطُوبَ   وَتَكْشِفُ عَنْ نَـاظِـرَيَّ ٱلْـكُـرَبْ[(١)]
٦ - وَإِنَّـكَ لَـلْجَـبَـلُ ٱلْـمُـشْـمَـخِـ   ـرُّ لِي بَـلْ لِقَـوْمِـكَ بَـلْ لِلْعَـرَبْ[(٢)]
٧ - عُـلًى تُـسْـتَـفَـادُ، وعَـافٍ يُـفَـادُ،   وعِـزٌّ يُـشَـادُ، ونُـعْـمَـى تُـرَبْ[(٣)]
٨ - وَمَـا غَضَّ مِـنِّـي هَـذَا ٱلإِسَـارُ   وَلَكِنْ خَلَصْتُ خُـلُوصَ ٱلـذَّهَبْ[(٤)]
٩ - فَفِـيـمَ يُعَـرِّضُـنِي بِـٱلْـخُـمُـو   لِ مَـوْلًى بِـهِ نِلْتُ أَعْلَى ٱلـرُّتَبْ؟[(٥)]
١٠ - وَكَـانَ عَـتِـيـداً لَـدَيَّ ٱلْـجَـوَابُ   وَلَـكِـنْ لِـهَـيْـبَـتِـهِ لَـمْ أُجِـبْ[(٦)]
١١ - أَتُـنْـكِـرُ أَنِّـي شَـكَـوْتُ ٱلـزَّمَـانَ   وَأَنِّي عَـتَـبْـتُـكَ فِـيمَـنْ عَـتَـبْ!
١٢ - فَـهَـلَّا رَجَـعْـتَ فَـأَعْـتَـبْـتَـنِـي   وَصَيَّـرْتَ لِي وَلِـقَـوْمِي ٱلْـغَلَبْ![(٧)]
١٣ - فَـلَا تَـنْـسِـبَـنَّ إِلَـيَّ ٱلْـخُـمُـولَ   أَقَـمْـتُ عَـلَيْـكَ فَـلَمْ أَغْـتَـرِبْ
١٤ - وَأَصْبَحْـتُ مِنْـكَ فَـفَضْـلٌ يَـكُـونُ   وَإِنْ كَـانَ نَـقْصٌ فَـأَنْتَ ٱلسَّـبَـبْ
١٥ - وَمَـا شَـكَّـكَـتْـنِـيَ فِـيـكَ ٱلْـخُـطُوبُ   ولَا غَـيَّـرتْـنِـيَ فِـيـكَ ٱلـنُّـوَبْ[(٨)]
١٦ - وَأَسْـكُنُ مَـا كُـنْـتُ فِي ضَـجْـرَتِـي   وَأَحْلَمُ مَـا كُنْتُ عِـنْـدَ ٱلْـغَـضَـبْ
١٧ - وَإِنَّ «خُـرَاسَـانَ» إِنْ أَنْـكَـرَتْ   عُـلَايَ فَـقَـدْ عَـرَفَـتْـهَـا «حَـلَبْ»
١٨ - وَمِـنْ أَيْـنَ يُـنْـكِـرُنِـي ٱلأَبْـعَـدُونَ   أَمِنْ نَقْصِ جَـدٍّ أَمِـنْ نَقْصِ أَبْ؟!
١٩ - أَلَـسْـتُ وَإِيَّـاكَ مِـنْ أُسْـرَةٍ   وَبَيْنِي وَبَيْـنَـكَ قُـرْبُ ٱلنَّسَبْ![(٩)]
٢٠ - وَدَارٍ تَـنَـاسَـبُ فِـيـهَـا ٱلْـكِـرَامُ   وَتَـرْبِـيَـةٍ وَمَـحَـلٍّ أَشِـبْ![(١٠)]

---

(١) وفي رواية «عاتقي» مكان «حوزتي». الحوزة: الناحية، وحوْزة الإنسان: ما يملكه. الخطوب والكرب: المصائب.

(٢) وفي رواية «لقومي» مكان «لقومك». المُشْمَخِرّ: المتكبِّر.

(٣) العافي: الفقير. ترب: تُستَزاد.

(٤) غضَّ مني: عابني، نال منّي. الإسار: الأَسْر.

(٥) ويروى «يقرِّعني»، و «تسبقني» مكان «يُعرِّضني».

(٦) العتيد: الحاضر المُهيَّأ.

(٧) وفي رواية «فألا» مكان «فهلّا». أعتبتني: أزلتَ عتبي.

(٨) وفي رواية «عليك» مكان «فيك». الخطوب: المصائب، وكذلك النُّوَب.

(٩) ويروى «عرق» و «فوق» مكان «قرب».

(١٠) الأشب: الحصين.

٢١ ـوَنَـفْسٍ تَـكَـبَّـرُ إلاَّ عَـلَيْـكَ وَتَـرْغَـبُ إلاَّكَ عَـمَّـنْ رَغِبْ!
٢٢ ـفَـلاَ تَعْـدِلَـنَّ ـ فِـدَاكَ آبْنُ عَمِّـ ـكَ لاَ بَلْ غُلاَمُكَ ـ عَمَّا يَجِبْ[1]
٢٣ ـوَأَنْـصِـفْ فَـتَـاكَ فَـإِنْـصَـافُـهُ مِنَ آلْفَضْلِ وَآلشَّرَفِ آلْمُكْتَسَبْ[2]
٢٤ ـوَكُنْتُ آلْحَبِيبَ، وكُنْتُ آلْقَـرِيبَ لَيَالِيَ أَدْعُـوكَ مِنْ عَنْ كَثَبْ[3]
٢٥ ـفَلَمَّـا بَعُـدْتُ بَـدَتْ جَفْـوَةٌ وَلاَحَ مِنَ آلأَمْـرِ مَـا لاَ أُحِبّ
٢٦ ـفَلَوْ لَمْ أَكُـنْ بِـكَ ذَا خِبْـرَةٍ لَقُلْتُ: صَدِيقُـكَ مَنْ لَمْ يَغِبْ

ـ ١١ ـ

وقـال يَصِفُ نَاراً حَضَرَتْ:

[من مجزوء الكامل]

١ ـ لِـلَّهِ بَـرْدٌ مَـا أَشَـ ـدَّ وَمَنْـظَرٌ مَـا كَـانَ أَعْجَـبْ
٢ ـ جَـاءَ آلْـغُـلاَمُ بِـنَـارِهِ حَـمْـراءَ فِي جَـمْـرٍ تَـلَهَّـبْ[4]
٣ ـ فَـكَـأَنَّـمَـا جُـمِـعَ آلْـحُـلِـ ـيُّ فَمُحْـرَقٌ مِنْهَـا وَمُـذْهَبْ[5]
٤ ـ ثُـمَّ آنْـطَفَـتْ فَـكَـأَنَّـهـا مَـا بَيْـنَـنَـا نَـدٌّ مُـشَـعَّـبْ[6]

ـ ١٢ ـ

وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي آلْهَيْجَاءِ حرب بن سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ بِهَذِهِ آلأَبْيَاتِ:

[من المتقارب]

١ ـ تُقِـرُّ دُمُـوعِي بِشَـوْقِي إِلَـيْـكَ وَيَشْهَـدُ قَلْبِي بِطُولِ آلْكَـرَبْ[7]

(١) في قوله «لا بل غلامك» تذلّل لابن عمّه كي يفديه من الأسر.
(٢) وفي رواية «والنسب» مكان «والشَّرف».
(٣) كثب: قرب.
(٤) في رواية: «هو جاء في فحم».
(٥) مذهب: منطفىء.
(٦) ويروى الصدر: «وكأنْها لمّا خبتْ». النّدّ: العود يُتَبَخّر به. المشعَّب: المفرّق.
(٧) الكَرَب: المصيبة.

٢ - وإنّي لَمُجْتَهِدٌ في ٱلْجُمُودِ وَلَكِنَّ نَفْسِيَ تَأْبَى ٱلْكَذِبْ
٣ - وإنّي عَلَيْكَ لَجَارِي ٱلدُّمُوعِ وإنّي عَلَيْكَ لَصَبٌّ وَصِبْ(١)
٤ - وَمَا كُنْتُ أُبْقِي عَلَى مُهْجَتِي لَوَ آنّي ٱنْتَهَيْتُ إِلَى مَا يَجِبْ(٢)
٥ - وَلَكِنْ سَمَحْتُ لَهَا بِٱلْبَقَاءِ رَجَاءَ ٱللِّقَاءِ عَلَى مَا تُحِبْ
٦ - وَيُبْقِي ٱللَّبِيبُ لَهُ عُدَّةً لِوَقْتِ ٱلرِّضَا في أَوَانِ ٱلْغَضَبْ(٣)

- ١٣ -

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «قَالَ ٱلأَميرُ أَبُو فِراسٍ: خَرَجَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ في طَلَبِ بَنِي «كِلَابٍ» ومَنِ ٱنْضَافَ إِلَيْهَا. فَلَحِقَ حِلَّةَ «بَنِي نُمَيْرٍ»، ورئيسُها «مُمَاغِثٌ»؛ فَٱحْتَوَى عَلَيْهَا؛ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ ٱبْنَةُ «مُمَاغِثٍ»؛ مُسْفِرَةً، حَافِيَةً، كالشَّمْسِ ٱلطَّالِعَةِ وَٱنْكَبَّتْ عَلَى مَسَابِرِ ٱلأَمِيرِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ فَصَفَحَ لَهَا عَنِ ٱلْحِلَّةِ وَأَمَرَ بَرَدِّ مَا أُخَذَ» فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو فِراسٍ يُدَاعِبُهُ بِقَوْلِهِ:

[من المتقارب]

١ - وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يَوْمَ ٱلْمَغَارِ مُحَجَّبَةً لَفَظَتْهَا ٱلْحُجُبْ
٢ - دَعَاكَ ذَوُوهَا بِسُوءِ ٱلْجِوَارِ لِمَا لَا تُرِيدُ، وَمَا لَا تُحِبّ(٤)
٣ - فَوَافَتْكَ تَرْفُلُ في مِرْطِهَا وَقَدْ رَأَتِ ٱلْمَوْتَ مِنْ عَنْ كَثَبْ(٥)
٤ - وَقَدْ خَلَطَ ٱلْخَوْفُ لَمَّا طَلَعْـ ـتَ دَلَّ ٱلْجَمَالِ بِذُلِّ ٱلرُّعُبْ
٥ - تُسَارِعُ في ٱلْخَطْوِ لَا خِفَّةً وَتَهْتَزُّ في ٱلْمَشْيِ لا مِنْ طَرَبْ
٦ - فَلَمَّا بَدَتْ لَكَ فَوْقَ ٱلْبُيُوتِ بَدَا لَكَ مِنْهُنَّ جَيْشٌ لَجِبْ(٦)

---

(١) الصَّبّ: العاشق. الوصِب: العليل.
(٢) المهجة: الروح.
(٣) اللَّبيب: العاقِل، ذو المعرفة والحنكة.
(٤) في نسخة «الفِعال» مكان «الجوار».
(٥) ترفل: تتبختر. المرط: كساء من صوف ونحوه. كثب: قرب.
(٦) وفي رواية «دون» مكان «فوق». اللَّجِب: الكثير الضّوضاء والصّخب من كثرة الفرسان.

٧ - فَكُنْتَ أَخَاهُنَّ إِذْ لا أَخٌ   وَكُنْتَ أَبَاهُنَّ إِذْ لَيْسَ أَبْ
٨ - وَمَا زِلْتَ، مُذْ كُنْتَ، تُولي ٱلْجَمِيلَ،   وَتَحْمِي ٱلْحَرِيمَ، وتَرْعَى ٱلنَّسَبْ[1]
٩ - وتَغْضَبُ حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتَ   أَطَعْتَ ٱلرِّضَا؛ وَعَصَيْتَ ٱلْغَضَبْ
١٠ - فَوَلَّيْنَ عَنْكَ يُفَدِّينَهَا   وَيَرْفَعْنَ مِنْ ذَيْلِهَا مَا ٱنْسَحَبْ[2]
١١ - يُنَادِينَ بَيْنَ خِلَالِ ٱلْبُيُو   تِ: «لَا يَقْطَعِ ٱللَّهُ نَسْلَ ٱلْعَرَبْ!»
١٢ - أَمَرْتَ - وَأَنْتَ ٱلْمُطَاعُ ٱلْكَرِيمُ -   بِبَذْلِ ٱلْأَمَانِ وَرَدِّ ٱلسَّلَبْ[3]
١٣ - وَقَدْ رُحْنَ مِنْ مُهَجَاتِ ٱلْقُلُوبِ   بِأَوْفَرِ غُنمٍ وأَغْلَى نَشَبْ[4]
١٤ - فَإِنْ هُنَّ، يا بْنَ ٱلسَّرَاةِ ٱلْكِرَامِ،   رَدَدْنَ ٱلْقُلُوبَ رَدَدْنَا ٱلنَّهَبْ
١٥ - فَإِلَّا يَجُدْنَ بِردِّ القلوبِ   فَلَسْنَ نجودُ بِرَدِّ السَّلَبْ[5]

- ١٤ -

[من مجزوء الكامل]

١ - الشِّعْرُ ديوانُ العَرَبْ   أَبداً، وعُنْوَانُ النَّسَبْ
٢ - لَمْ أَعْدُ فيهِ مَفَاخِرِي   وَمَديحَ آبائي النُّجُبْ[6]
٣ - ومُقَطَّعَاتٍ رُبَّما   حَلَّيْتُ مِنْهُنَّ الكُتُبْ
٤ - لا في المديحِ ولا الهِجاءِ   ولا المُجونِ ولا اللَّعِبْ

(١) وفي رواية «تأتي» مكان «تولي».
(٢) ولَّينَ: ذهبن.
(٣) السَّلَب: المسلوب.
(٤) مهجات: جمع مهجة، وهي دم القلب. النشب: ما يملكه الإنسان من مال ومواشٍ ونحوها.
(٥) هذا البيت ورد في بعض نسخ الديوان.
(٦) النُّجب: جمع النجيب، وهو الكريم الأصل.

- ١٥ -

وقال مُخاطِباً «سَيْفَ آلدَّوْلَةِ»:

[من مجزوء الرمل]

١ - إنْ تَـقَـدَّمْـتُ، فَـحَـاجِـبْ أَوْ تَـأَخَّـرْتُ؛ فَـكَـاتِـبْ
٢ - أَوْ تَـيَـاسَـرْنَـا جَـمِـيـعـاً؛ فَـكِـلاَ آلْـحَـالَـيْـنِ وَاجِـبْ

- ١٦ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - لِـنْ لِـلزَّمَـانِ، وَإنْ صَـعُـبْ وَإِذَا تَـبَـاعَـدَ فَـآقْـتَـرِبْ
٢ - لاَ تَـكْـذِبَنْ، مَـنْ غَـالَـبَ آلْـ أَيَّـامَ كَـانَ لَـهَـا آلْـغَـلَـبْ

- ١٧ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - يـا أَيُّـهَـا آلْـمَـلِكُ، آلَّـذِي أَضْحَى لِذَيْلِ آلْمَجْدِ سَاحِبْ(١)
٢ - نُـتِـجَ آلـرَّبِـيـعُ مَـحَـاسِـنـاً أَلْقَحْنَهُ غُـرُّ آلـسَّـحَـائِـبْ(٢)
٣ - رَاعَ آلْـعُـيُـونَ بِـحُـسْـنِـهَـا تَـحْكِي لَنَا خَـدَّ آلْحَبَائِبْ
٤ - حَضَـرَ آلشَّـرَابُ، وَلَـمْ يَـطِبْ شُـرْبُ آلشَّرَابِ وَأَنْتَ غَـائِبْ

---

(١) وفي رواية: «أضحتْ له جلُّ المناقِبْ».

(٢) وفي رواية «نسج» مكان «نتج»، و «غرر» مكان «غرّ».

- ١٨ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - قُلْتُ إِذْ قَالَ لِي آلرَّسُولُ إِلَيْهِ: غَابَ وَآسْتَبْدَلَ الْحَبِيبُ حَبِيبَا
٢ - إِنْ يَكُنْ غَابَ لَيْلَةً، فَجَمِيلٌ! لَيْسَ بُدٌّ لِلْبَدْرِ مِنْ أَنْ يَغِيبَا!

- ١٩ -

وَقَالَ فِي «آلشَّيْظَمِيِّ» آلشَّاعِرِ:

[من الكامل]

١ - فِي «الشَّيْظَمِيِّ» غَثَاثَةٌ وَخَسَاسَةٌ فَإِذَا أُدِرْتَ آلْكَفَّ فِيهِ تَهَذَّبَا
٢ - كَالطَّبْلِ لَيْسَ بِمُطْرِبٍ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ آللِّطَامُ، بِجَانِبَيْهِ؛ أَطْرَبَا

- ٢٠ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - أَلَا إِنَّمَا آلدُّنْيَا مَطِيَّةُ رَاكِبٍ عَلَا رَاكِبُوهَا ظَهْرَ أَعْوَجَ أَحْدَبَا
٢ - شَمُوسٌ مَتَى أَعْطَتْكَ طَوْعاً زِمَامَهَا فَكُنْ لِلأَذَى مِنْ عَقِّهَا مُتَرَقِّبَا(١)

- ٢١ -

وَذَكَرَ سَيْفُ آلدَّوْلَةِ سَخَاءَ أَخِيهِ «نَاصِرِ آلدَّوْلَةِ»؛ قَالَ: «أَنْفَقَ أَخِي عَلَى المتّقي فِي مُدَّةِ عَشَرَةِ أَشْهُرٍ سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مِنْ ذَخَائِرِهِ»، فَقَالَ «أَبُو فِرَاسٍ» رَحِمَهُ آللَّهُ:

[من البسيط]

١ - مَنْ كَانَ أَنْفَقَ فِي نَصْرِ آلْهُدَى نَشَباً فَأَنْتَ أَنْفَقْتَ فِيهِ آلنَّفْسَ وَآلنَّشَبَا(٢)

(١) الشموس من الخيل: الذي لا يستقرّ ولا يمكّن أحداً من ركوبه. العقّ: العصيان.
(٢) النّشب: المال.

٢ - يُذْكِي أَخُوكَ شِهَابَ ٱلْحَرْبِ مُعْتَمِداً فَيَسْتَضِيءُ وَيَغْشَى جَدُّكَ ٱللَّهَبَا[(١)]

- ٢٢ -

أَحْفَظَ «أَبُو فِرَاسٍ» «الدُّمُسْتُقَ» فِي مُنَاظَرَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُمَا فَقَالَ لَهُ «ٱلدُّمُسْتُقُ»: «إِنَّمَا أَنْتُمْ كُتَّابُ أَصْحَابُ أَقْلَامٍ؛ وَلَسْتُم بِأَصْحَابِ سُيُوفٍ؛ وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُونَ ٱلْحُرُوبَ»؟ فَقَالَ لَهُ «أَبُو فِرَاسٍ»: «نَحْنُ نَطَأُ أَرْضَكَ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً بِٱلسُّيُوفِ أَمْ بِٱلأَقْلَامِ»؟ ثُمَّ قَالَ فِي ذَلِكَ ٱلْحَالِ مُجَاوِباً لَهُ بِهَذِهِ ٱلْمَقْطُوعَةِ:

[من الطويل]

١ - أَتَزْعُمُ؛ يَا ضَخْمَ ٱللَّغَادِيدِ، أَنَّنَا وَنَحْنُ أُسُودُ ٱلْحَرْبِ؛لَا نَعْرِفُ ٱلْحَرْبَا!؟[(٢)]

٢ - فَوَيْلَكَ؛ مَنْ لِلْحَرْبِ إِنْ لَمْ نَكُنْ لَهَا؟ وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُمْسِي وَيُضْحِي لَهَا تِرْبَا؟[(٣)]

٣ - وَمَنْ ذَا يَلُفُّ ٱلْجَيْشَ مِنْ جَنَبَاتِهِ؟ وَمَنْ ذَا يَقُودُ ٱلشُّمَّ أَوْ يَصْدِمُ ٱلْقَلْبَا؟[(٤)]

٤ - وَوَيْلَكَ؛ مَنْ أَرْدَى أَخَاكَ «بِمَرْعَشٍ» وَجَلَّلَ ضَرْباً وَجْهَ وَالِدِكَ ٱلْعَضْبَا؟[(٥)]

٥ - وَوَيْلَكَ مَنْ خَلَّى ٱبْنَ أُخْتِكَ مُوثَقاً؟ وَخَلَّاكَ «بِٱللَّقَانِ» تَبْتَدِرُ ٱلشِّعْبَا؟[(٦)]

٦ - أَتُوعِدُنَا بِٱلْحَرْبِ حَتَّى كَأَنَّنَا وَإِيَّاكَ لَمْ يُعْصَبْ بِهَا قَلْبُنَا عَصْبَا؟[(٧)]

٧ - لَقَدْ جَمَعَتْنَا ٱلْحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ فَكُنَّا بِهَا أُسْداً؛ وَكُنْتَ بِهَا كَلْبَا

٨ - فَسَلْ «بَرْدَساً» عَنَّا أَبَاكَ وَصِهْرَهُ وَسَلْ آلَ «بَرْدَالِيسَ» أَعْظَمَكُمْ خَطْبَا![(٨)]

٩ - وَسَلْ «قُرْقُواساً» وَٱلشَّمِيشَقَ» صِهْرَهُ وَسَلْ سِبْطَهُ «ٱلْبِطْرِيقَ» أَثْبَتَكُمْ قَلْبَا!

---

(١) يذكي: يُشعِل. شهاب الحرب: نارها. يغشى: يخوض.

(٢) اللغاديد: جمع لغدود، وهو لحمة في الحلق. وهو يعني أنَّه ضخم العنق.

(٣) التِّرب: من كان في نفس عمر غيره، والمقصود هنا الممارِس والخبير.

(٤) الشّمّ: ذوو العزّة والأنفة. القلب هنا: قلب الجيش.

(٥) أردى: صرع. مرعش: اسم موضع. جلَّل: غطَّى. العضب: السيف.

(٦) موثَق: مقيَّد. اللقان: بلد في بلاد الروم وراء خرشنة. تبتدر الشعب: تتَّخذ الطرق الملتوية، وهذا دليل على فراره وهزيمته.

(٧) يُعصب: يُربط.

(٨) بردس: اسم والد الدمستق قائد الروم. برداليس: قوم، أو اسم موضع. الخطب: المصيبة.

١٠ - وَسَلْ صِيدَكُمْ آلَ «آلْمَلاينِ» إِنَّنَا ... نَهَبْنَا بِبِيضِ آلْهِنْدِ عِزَّهُمُ نَهْبَا! (١)
١١ - وسَلْ آلَ «بَهْرَامٍ» وَآلَ «بَلَنْطَسٍ» ... وَسَلْ آلَ «مَنْوَالٍ» آلْجَحَاجِحَةَ آلْغُلْبَا! (٢)
١٢ - وَسَلْ «بِآلْبُرْطِسِيسِ» آلْعَسَاكِرَ كُلَّهَا ... وَسَلْ «بِآلْمُنَسْطَرِيَاطِسِ» آلرُّومَ وَآلْعُرْبَا! (٣)
١٣ - أَلَمْ تُفْنِهِمْ قَتْلاً وَأَسْراً سُيُوفُنَا؟ ... وَأُسْدَ آلشَّرَى آلْمَلأَى وَإِنْ جَمَدَتْ رُعْبَا؟
١٤ - بِأَقْلامِنَا أُجْحِرْتَ أَمْ بِسُيُوفِنَا؟ ... وَأُسْدَ آلشَّرَى قُدْنَا إِلَيْكَ أَمِ آلْكُتْبَا؟ (٤)
١٥ - تَرَكْنَاكَ فِي بَطْنِ آلْفَلاَةِ تَجُوبُهَا ... كَمَا آنْتَفَقَ آلْيَرْبُوعُ يَلْتَثِمُ آلتُّرْبَا (٥)
١٦ - تُفَاخِرُنَا بِآلطَّعْنِ وَآلضَّرْبِ فِي آلْوَغَى! ... لَقَدْ أَوْسَعَتْكَ آلنَّفْسُ، يَا بْنَ آسْتِهَا كِذْبَا! (٦)
١٧ - رَعَى آللَّهُ أَوْفَانَا إِذَا قَالَ ذِمَّةً ... وَأَنْفَذَنَا طَعْناً، وَأَثْبَتَنَا قَلْبَا
١٨ - وَجَدْتُ أَبَاكَ آلْعِلْجَ لَمَّا خَبَرْتُهُ ... أَقَلَّكُمُ خُبْراً، وَأَكْثَرَكُمْ عُجْبَا (٧)

- ٢٣ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - نُدِلُّ عَلَى مَوَالِينَا وَنَجْفُو ... وَنَعْتِبُهُمْ وَإِنَّ لَنَا آلذُّنُوبَا
٢ - بِأَقْوَالٍ يُجَانِبْنَ آلْمَعَانِي ... وَأَلْسِنَةٍ يُخَالِفْنَ آلْقُلُوبَا

- ٢٤ -

قال ابن خالويه: «كَثُرَتْ وَقَائِعُ «سَيْفِ آلدَّوْلَةِ أَبِي آلْحَسَن عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ آللَّهِ بْنِ

---

(١) الصِّيد: الأبطال. البيض: السيوف.
(٢) الجحاجحة: جمع الجحجاح، وهو السَّيِّد السَّمْح الكريم.
(٣) البرطسيس والمُنَسْطرياطس: موضعان في بلاد الروم.
(٤) أُجحرت: أقيمت في جحورها (بيوتها) خوفاً.
(٥) اليربوع: حيوان قاضم يشبه الفأر. يلتثم الترب: يُخفي وجهه في التراب.
(٦) الوغى: الحرب. الاست: السافلة. وقوله: يا بن استها، ذمّ شنيع.
(٧) العِلْج: الرجل الضخم من كفّار العجم، والكافر مطلقاً.
(٨) نُعتبهم: نزيل عتبهم.

حَمْدانَ بْنِ حَمْدونِ بْنِ الحَارِثِ ٱلْعَدْوِيّ، ٱلتَّغْلَبِيّ» فِي كُلِّ صُقعٍ. فَتَجَمّعتِ نِزَارِيُّها وَيمَانِيُّهَا؛ وَتَشَاكَتْ مَا لَحِقَها؛ وَتَرَاسَلَتْ؛ وَٱتَّفَقَتْ عَلَى الاجتِمَاعِ «بِسَلَمْيَة» لُمَقَاتَلَتِهِ، وَمُناجَزَتِهِ، وأَوْقَعَتْ بِعَامِلِهِ «بِقِنَّسرينَ» وَهُوَ «الصَّبَّاحُ عَبدُ عُمَارَةَ ٱلخَارِقِي» فَنَهَضَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» وَمَعَهُ ٱبْنُ عَمِّهِ «أَبُو فِرَاسٍ» حَتَّى أَوْقَعَ بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ «ٱلنَدِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ» و«مُحمَّدُ بنُ قُرَيْع» ٱلْعُقَيْلِيَّانِ مِنْ «آلِ المُهَنَّا» فَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَ وُجُوهَهُمْ، وَسَرَاتَهُمْ، واتَّبَعَ فَلَّهُمْ. وَقَدَّمَ «أَبَا فِرَاسٍ» فِي قِطْعَةٍ مِنَ ٱلْجَيْشِ فَلَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُهُمْ، يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ؛ حَتَّى أَلْحَقَهُمْ «بالغُوَيْرِ». فَلَمْ يَنْجُ إِلَّا مَنْ سَبَقَ بِهِ فَرَسُهُ؛ واتَّبَعَهُمْ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ حَتَّى لَحِقَهُم بَتَدْمُرَ فَقَتَلَهُمْ، وَأَهْلَكَهُم عَطَشاً وَقَتْلاً، «بِٱلسَّمَاوَةِ» وَأَرْضِهَا. ثُمَّ ٱنْكَفَأَ سَائِراً إِلَى بَنِي «نُمَيْر» وَهِيَ «بِالجَزِيرَةِ» فَوَجَدَهَا قَدْ أَخَذَتِ ٱلمَهْلَ؛ وَلَحِقَتْهُ خَاضِعَةً، ذَلِيلَةً، طَائِعَةً، تُعْطِي ٱلرِّضَا، وَتَنْزِلُ عَلَى ٱلحُكْمِ. فَصَفَحَ عَنْهُمْ، وأَحَلَّهُمْ «بالجَزِيرَةِ».

فَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ يَذْكُرُ ٱلْحَالَ، والمَنَازِلَ، وَيَصِفُ مَوَاقِفَهُ فِيهَا:

[من الوافر]

١ - أَبَتْ عَبَرَاتُهُ إِلَّا ٱنْسِكَابَا ... وَنَارُ ضُلُوعِهِ إِلَّا ٱلْتِهَابَا(١)
٢ - وَمِنْ حَقِّ ٱلطُّلُولِ عَلَيَّ أَلَّا ... أُغِبَّ مِنَ ٱلدُّمُوعِ لَهَا سَحَابَا(٢)
٣ - وَمَا قَصَّرْتُ فِي تَسْآلِ رَبْعٍ ... وَلَكِنِّي سَأَلْتُ فَمَا أَجَابَا(٣)
٤ - رَأَيْتُ ٱلشَّيْبَ لاحَ فَقُلْتُ: أَهْلاً! ... وَوَدَّعْتُ ٱلغَوَايَةَ وَٱلشَّبَابَا(٤)
٥ - وَمَا إِنْ شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ، وَلَكِنْ ... رَأَيْتُ مِنَ ٱلأَحِبَّةِ مَا أَشَابَا
٦ - بَعَثْنَ مِنَ ٱلْهُمُومِ إِلَيَّ رَكْباً ... وَصَيَّرْنَ ٱلصُّدُودَ لَهَا رِكَابَا(٥)
٧ - أَلَمْ تَرَنَا أَعَزَّ ٱلنَّاسِ جَاراً ... وَأَمْنَعَهُمْ؛ وَأَمْرَعَهُمْ؛ جَنَابَا؟!(٦)

---

(١) العبرات: الدموع. أغبّ: تأتي يوماً وتترك يوماً. والمقصود أنّ دموعه دائمة.

(٢) الطلول: جمع الطلل، وهو ما بقي من آثار الديار بعد نزوح أهلها عنها.

(٣) تَسْآل: كثرة السُّؤال. الربع: المنزل.

(٤) الغواية: الجهل والضلالة.

(٥) في رواية «الصّدود» مكان «الهموم».

(٦) أمرعهم: أخصبهم. الجناب: الفناء. في رواية «تريا» مكان «ترنا».

٨ - لَنَا ٱلْجَبَلُ ٱلْمُطِلُّ عَلَى «نِزارٍ» حَلَلْنَا ٱلنَّجْدَ مِنْهُ؛ وَٱلْهِضَابَا[(١)]
٩ - تُفَضِّلُنَا ٱلأَنَامُ وَلاَ نُحَاشَى وَنُوصَفُ بِٱلْجَمِيلِ؛ وَلاَ نُحَابِى[(٢)]
١٠ - وَقَدْ عَلِمَتْ «رَبِيعَةُ» بَلْ «نِزَارٌ» بِأَنَّا الرأْسُ والنَاسُ ٱلذُّنَابى[(٣)]
١١ - فَلَمَّا أَنْ طَغَتْ سُفَهَاءُ «كَعْبٍ» فَتَحْنَا، بَيْنَنَا، لِلْحَرْبِ بَابَا[(٤)]
١٢ - مَنَحْنَاهَا ٱلرَّغَائِبَ.غَيْرَ أَنَّا، إِذَا شِئْنَا، مَنَحْنَاهَا الحِرَابَا[(٥)]
١٣ - وَلَمَّا ثَارَ «سَيْفُ ٱلدِّينِ» ثُرْنَا، كَمَا هَيَّجْتَ آسَاداً غِضَابَا
١٤ - أَسِنَّتُهُ، إِذَا لاَقَى طِعَاناً صَوَارِمُهُ، إِذَا لاَقَى ضِرَابَا[(٦)]
١٥ - دَعَانَا - وَٱلأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ - فَكُنَّا، عِنْدَ دَعْوَتِهِ، ٱلْجَوَابَا[(٧)]
١٦ - صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا، فَفَاقَتْ، وغَرْسٌ طَابَ غَارِسُهُ، فَطَابَا
١٧ - وَكُنَّا كَالسِّهَامِ؛ إِذَا أَصَابَتْ مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا
١٨ - قَطَعْنَ إِلَى «ٱلْجِبَاةِ» بِنَا «مَعَاناً» وَنَكَّبْنَ «ٱلصُّبَيْرَةَ» وَ«ٱلْقِبَابَا»[(٨)]
١٩ - وَجَاوَزْنَ «ٱلْبَدِيَّةَ» صَادِيَاتٍ؛ يُلاَحِظْنَ ٱلسَّرَابَ؛ وَلاَ سَرَابَا[(٩)]
٢٠ - عَبَرْنَ «بِمَاسِحٍ» وَاللَّيْلُ طِفْلٌ وَجِئْنَ إِلَى «سَلَمْيَةَ» حِينَ شَابَا[(١٠)]

---

(١) النّجد: المكان المرتفع من الأرض.
(٢) لا نُحابي: لا نميل عن الحقّ.
(٣) في رواية «معدّ» مكان «نزار». وربيعة ونزار: قبيلتان عربيّتان.
(٤) طغت: ظلمت. سفهاء: جهّال. كعب: قبيلة عصت وثارت على سيف الدولة الحمدانيّ ابن عمّ الشاعر.
(٥) في رواية «الحرائب» مكان «الغرائب»، و«متى» مكان «إذا». والحرائب: جمع الحريبة، وهي ما يعاش به من المال. الحِراب: جمع الحربة، وهي الرمح أو النصل.
(٦) الأسنّة: الرماح. الصوارم: السيوف القاطعة. الضِّراب: القتال. والمعنى: نحنُ رماحه وسيوفه في الحرب.
(٧) مُشرعات: مُسَدَّدات.
(٨) «معان» و«الصُّبيرة» و«القباب» أسماء مواضع.
(٩) البديَّة: اسم موضع. صاديات: عطشى. السَّراب: ما يراه قاطع الصحراء عند اشتداد الحرّ كأنّه ماء.
(١٠) في رواية «ماسج» مكان «ماسح»، وهو اسم موضع. الليل طفل: أي في أوّل الليل. سلمية: اسم مكان. شابَ الليل: أصبح في آخره.

٢١ -فَـمَـا شَعَـرُوا بِـهَـا إلَّا ثَبَـاتـاً دُوَيْنَ ٱلشَّدِّ تَصْطَخِبُ ٱصْطِخَابَا(١)
٢٢ -تَـنَـاهَبْـنَ ٱلثَّـنَـاءَ، بَصَبْـرِ يَـوْمٍ بِـهِ ٱلأَرْوَاحُ تُـنْتَـهَـبُ ٱنْتِـهَـابَـا(٢)
٢٣ -تَـنَـادَوْا، فَـٱنْبَرَتْ، مِن كُـلِّ فَـجٍّ، سَـوَابِقُ يُنْتَجَبْنَ لَـنَـا ٱنْتِـجَـابَـا(٣)
٢٤ -وَقَـادَ «نَدِي بْنُ جَعْفَـرٍ» مِن «عُقَيْـلٍ» شُعُـوبـاً، قَـدْ أَسَلْنَ بِـهِ ٱلشِّعَـابَـا(٤)
٢٥ -فَـمَـا كَـانُـوا لَـنَـا إلَّا أَسَـارَى وَمَـا كَـانَـتْ لَـنَـا إلَّا نِـهَـابَـا(٥)
٢٦ -كَـأَنَّ «نَـدِي بْنَ جَعْفَـرٍ» قَـادَ مِنْهُمْ هَـدَايَـا لَمْ يُـرِغْ عَنْهَـا ثَـوَابَـا(٦)
٢٧ -وَشَـدُّوا رَأْيَـهُـمْ «بِبَنِـي قُـرَيْـعٍ» فَخَـابُـوا - لا أَبَـا لَهُمُ - وَخَـابَـا(٧)
٢٨ -وَلَـمَّـا ٱشْتَـدَّتِ ٱلْـهَـيْـجَـاءُ كُـنَّـا أَشَـدَّ مَخَـالِبـاً، وَأَحَـدَّ نَـابَـا(٨)
٢٩ -وَأَمْـنَـعَ جَـانِـبـاً؛ وَأَعَـزَّ جَـاراً؛ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً؛ وَأَقَـلَّ عَـابَـا(٩)
٣٠ -سَقَيْنَـا بِـٱلـرِّمَـاحِ بَنِي «قُشَيْـرٍ» بِبَـطْنِ «ٱلْغُنْثُرِ» ٱلسُّمَّ ٱلْمُذَابَـا(١٠)
٣١ -وسُقْنَـاهُمْ إلَى «ٱلْحِيَـرَانِ» سَـوْقـاً كَـمَـا نَسْتَـاقُ آبَـالاً صِعَـابَـا(١١)
٣٢ -وَنَـكَّـبْـنَـا «ٱلْـفُـرُقْـلُسَ» لَـمْ نَـرِدْهُ كَـأَنَّ بِنَـا عَنِ ٱلْمَـاءِ ٱجْتِنَـابَـا(١٢)
٣٣ -وَمِلْنَ عَنِ «ٱلْغُـوَيْـرِ» وسِـرْنَ حَتَّى وَرَدْنَ عُيُـونَ «تَدْمُـر» وَ«ٱلْجِبَابَـا»(١٣)

---

(١) تصطخب: تختلط أصواتها.
(٢) تناهبن الثناء: تقاسمنه.
(٣) تنادوا: نادى كلّ منهم الآخر. الفجّ: الصوب والناحية. ينتجبن: يخترن.
(٤) ندي بن جعفر: أحد قادة خصوم سيف الدولة. الشِّعاب: وهو الصدع، أو الشّقّ في الجبل، والمعنى المقصود زَحْف الفرسان الكثيف.
(٥) أساري: أسرى.
(٦) لم يرغ: لم يطلب.
(٧) في رواية «بديع» مكان «قريع»، وبنو قريع: قبيلة خرجت على سيف الدولة.
(٨) الهيجاء: الحرب وقوله «أشدّ مخالباً وأحدّ ناباً»، يعني أنّهم كانوا أقوى.
(٩) أقلّ عابا: أقلّ عيباً.
(١٠) في رواية «القشير» مكان «الغنثر»، وهو اسم مكان انتصر فيه سيف الدولة الحمدانيّ على القبائل التي خرجت عليه.
(١١) الحيران: اسم موضع. الآبال: جمع الإبل. الصِّعاب: التي يصعب ترويضها.
(١٢) نكّبنا: ملنا عنه. الفُرُقْلُس: اسم ماء قرب سلمية. لم نرده: لم نأتِ إليه للشّرب.
(١٣) في رواية «إلى» مكان «عن». و«الغوير»، و«تدمر»، و«الجباب» أسماء مواضع.

٣٤ ـ وَأَمْطَرْنَ «ٱلْجِبَاةَ» بِمُرْجَحِنٍّ   وَلَكِنْ؛ بِالطِّعَانِ ٱلْمُرِّ صَابَا[(١)]

٣٥ ـ وجُزْنَ «ٱلصَّحْصَحَانَ» يَخِدْنَ وَخْداً   وَيَجْتَبْنَ ٱلْفَلَاةَ بِنَا ٱجْتِيَابَا[(٢)]

٣٦ ـ قَرَيْنَا «بِالسَّمَاوَةِ» مِن «عُقَيْلٍ»   سِبَاعَ ٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرَ ٱلسِّغَابَا[(٣)]

٣٧ ـ وَ «بِٱلصَّبَّاحِ» وَ «ٱلصَّبَّاحُ» عَبْدٌ   قَتَلْنَا، مِنْ لُبَابِهِمُ ٱللُّبَابَا[(٤)]

٣٨ ـ تَرَكْنَا في بُيُوتِ بَنِي «ٱلْمُهَنَّا»   نَوادِبَ يَنْتَحِبْنَ بِهَا ٱنْتِحَابَا[(٥)]

٣٩ ـ شَفَتْ فيهَا «بنُو بَكرٍ» حُقُوداً   وغَادَرتِ «ٱلضِّبَابَ» بِهَا ضَبَابَا[(٦)]

٤٠ ـ وَأَبْعَدْنَا لِسُوءِ ٱلْفِعْلِ «كَعْباً»   وَأَدْنَيْنَا لِطَاعَتِهَا «كِلَابَا»[(٧)]

٤١ ـ وَشَرَّدْنَا إِلَى «ٱلْجَوْلَانِ» «طَيْئاً»   وَجَنَّبْنَا «سَمَاوَتَهَا» جِنَابَا[(٨)]

٤٢ ـ سَحَابٌ مَا أَنَاخَ عَلى «عُقَيلٍ»   وَجَرَّ على جَوارِهِمُ ذُنَابَا[(٩)]

٤٣ ـ وَمِلْنَا بِٱلْخُيُولِ إِلَى «نُمَيْرٍ»   تُجَاذِبُنَا أَعِنَّتَهَا جِذَابَا[(١٠)]

٤٤ ـ أَمَامَ مُشَيَّعٍ، سَمْحٍ بِنَفْسٍ   يَعِزُّ عَلَى ٱلْعَشِيرَةِ أَنْ يُصَابَا[(١١)]

٤٥ ـ وَمَا ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ وَلَكِنْ   يُهَابُ مِنَ ٱلْحَمِيَّةِ، أَنْ يُهَابَا

---

(١) في رواية «الجبال» مكان «الجباة».

(٢) في رواية «وتجتذب» مكان «ويجتبن». جزن: اجتزن. والضمير فيه يعود على الإبل. الصحصحان: اسم موضع. الوخْد: نوع من سير الإبل السريع.

(٣) قرينا: أطعمنا. السماوة: اسم موضع. عقيل: قبيلة عقيل. السِّغاب: الجياع. والمعنى: جعلنا لحوم الأعداء طعاماً للطيور الجائعة.

(٤) الصَّبَّاح: عبد عمارة المحاري دعِيّ زيد بن جشم، كان عامل سيف الدولة بقنسرين، فلما قتله كعب ونزار أوقع بهما ما فصّله في هذه القصيدة. اللباب: الخالص من كلّ شيء.

(٥) بنو المهنّا: من أعداء سيف الدولة الحمدانيّ. النوادب: اللواتي يندبن الموتى. والمعنى أنّهم قتلوا من بني المهنّا خَلْقاً كثيراً.

(٦) ويروى «تشفّتْ من أبي بكر حقوداً. وأبرزتِ الضِّباب به ضبابا. الضِّباب: اسم موضع. الضَّباب: الحقد.

(٧) في رواية «لشقّ النعل» مكان «لسوء الفعل». كعب وكلاب: قبيلتان عربيّتان.

(٨) الجولان: اسم موضع في جنوب سوريا. طيّء: قبيلة عربيّة. جنّبنا: أبعدنا.

(٩) في رواية «قد» مكان «ما». الذُّناب: أيّام الشّرّ الطّوال.

(١٠) في رواية «وسرنا» مكان «وملنا»، و «لدى» مكان «إلى». ونمير: اسم قبيلة عربيّة انتصر عليها سيف الدولة. أعنّتها: جمع العنان، وهو اللجام.

(١١) في رواية «بكل» مكان «أمام».

٤٦ - وَيَـأْمُـرْنَـا فَـنَـكْـفِـيـهِ ٱلأَعَـادِي هُمَـامٌ لَـو يَشَـاءُ، كَفَى وَنَـابَـا[١]
٤٧ - فَـلَـمَّـا أَيْـقَـنُـوا أَنْ لَا غِـيَـاثٌ دَعَـوْهُ لِلْمَغُـوثَـةِ فَـٱسْتَجَـابَـا[٢]
٤٨ - وَعَـادَ إِلَـى ٱلْجَمِيلِ لَهُمْ؛ فَعَـادُوا وَقَـدْ مَـدُّوا لِصَـارِمِهِ ٱلـرِّقَـابَـا[٣]
٤٩ - أَمَـرَّ عَـلَيْـهِـمُ خَـوْفـاً وَأَمْـنـاً أَذاقَـهُـمُ بِـهِ أَرْيـاً؛ وَصَـابَـا[٤]
٥٠ - أَحَلَّهُمُ ٱلْـجَـزِيـرَةَ، بَعْـدَ يَـأْسٍ، أَخُـو حِلْمٍ، إِذَا مَلَكَ ٱلْعِقَـابَـا[٥]
٥١ - دِيَـارُهُـمُ ٱنْتَـزَعْـنَـاهَـا ٱقْتِسَـاراً وَأَرْضُهُمُ ٱغْتَصَبْنَـاهَـا ٱغْتِصَـابَـا[٦]
٥٢ - وَلَـوْ شِئْـنَـا حَمَيْـنَـاهَـا ٱلْبَـوَادِي كَمَـا تَحْمِي أُسودُ ٱلْغَـابِ غَـابَـا
٥٣ - إِذَا مَـا أَنْـفَـذَ ٱلأُمَـرَاءُ جَـيْـشـاً إِلَى ٱلأَعْـدَادِ أَنْفَـذْنَـا كِـتَـابَـا[٧]
٥٤ - أَنَـا ٱبْنُ ٱلضَّـارِبِينَ ٱلْهَـامَ قِـدْمـاً إِذَا كَـرِهَ ٱلْمُحَـامُـونَ ٱلضِّـرَابَـا[٨]
٥٥ - أَلَـمْ تَعْـلَـمْ؟ وَمِـثْـلُكَ قَـالَ حَـقَّـا: بِـأَنِّي كُنْتُ أَثْـقَـبَـهَا شِـهَـابَـا![٩]

- ٢٥ -

وَقَالَ، وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْ بَعْضِ ٱلْمُلُوكِ أَنَّهُ قَالَ: مَا أَعْظَمَ مُلْكَ بَنِي «حَمْدَانَ»، وَأَكْبَرَ شَأْنَهُمْ:

[من الوافر]

١ - أَتَعْجَبُ أَنْ مَلَكْـنَـا ٱلأَرْضَ قَسْـراً، وَأَنْ تُمْسِي وَسَائِـدَنَـا ٱلـرِّقَـابُ؟[١٠]

---

(١) الهمام: السَّيِّد الشجاع. والمعنى أنَّه لو أراد لقضى على الأعداء بمفرده.
(٢) الغياث: النجدة والمعونة.
(٣) الصارم: السَّيف القاطع. مدّوا الرقاب: كناية عن خضوعهم له.
(٤) الأري: العسل. الصّاب: نبات مرّ، والمعنى سقاهم العسل عندما سالموه. والمرّ عندما حاربوه.
(٥) أحَلَّهم: أقامهم. أخو حِلْم: صاحب تسامح وفضل.
(٦) في رواية «انتزاعاً» مكان «اقتساراً»، والاقتسار: القَسْر والغصب.
(٧) أنفذ: أرسل. والمعنى المقصود أنَّ كتاباً من بني حمدان يوازي جيشاً.
(٨) الهام: جمع الهامة، وهي أعلى الرأس. الضّراب: القتال.
(٩) في رواية «أبعثها» مكان «أثقبَها». الشِّهاب: الضَّوء، والنجم المضيء.
(١٠) قسراً: قهراً.

٢ - وَتُـرْبَطُ فِي مَجَـالِسنَـا آلْمَـذَاكِي   وَتَبْـرُكُ بَيْنَ أَرْجُلِنَـا آلـرِّكَـابُ؟[١]
٣ - فَهَـذَا آلْعِـزُّ أَثْبَتَـهُ آلْـعَـوَالِي   وَهَـذَا آلْمُلْكُ مَكَّنَـهُ آلـضِّـرَابُ[٢]
٤ - وَأَمْثَـالُ آلْقِسِيِّ مِنَ آلْمَـطَايَـا   يَجُبُّ غِـرَاسَهَـا خَيْـلٌ عِـرَابُ[٣]
٥ - فَـأَقْـصِـرْ إِنَّ حَـالاً مَـلَّكَـتْـنَـا   لَـحَـالٌ لاَ تُـذَمُّ وَلاَ تُـعَـابُ[٤]

- ٢٦ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - اِحْـذَرْ مُـقَـارَبَـةَ آللِّئَـامِ! فَـإِنَّـهُ   يُنْبِيكَ، عَنْهُمْ فِي آلأُمُورِ، مُجَرِّبُ[٥]
٢ - قَـوْمٌ، إِذَا أَيْسَرْتَ، كَـانُوا إِخْـوَةً   وَإِذَا تَـرِبْتَ، تَفَـرَّقُـوا وَتَجَنَّبُـوا[٦]
٣ - اِصْبِـرْ عَلَى رَيْبِ آلـزَّمَـانِ فَـإِنَّـهُ   بِآلصَّبْرِ تُـدْرِكُ كُلَّ مَـا تَـتَطَلَّبُ[٧]

- ٢٧ -

وَكَتَبَ إِلَى «مَنْصُور» وَ«فَاتِكٍ» غُلاَمَيْهِ، مِنَ آلأَسْرِ:

[من الطويل]

١ - قَنَـاتِي؛ عَلَى مَـا تَعْلَمَـانِ؛ شَـدِيـدَةٌ   وَعُودِي، عَلَى مَا تَعْلَمانِ، صَلِيبُ[٨]
٢ - صَبُـورٌ عَلَى طَيِّ آلـزَّمَـانِ وَنَشْـرِهِ،   وَإِنْ ظَهَـرَتْ لِلدَّهْـرِ فِيَّ نُـدُوبُ[٩]

---

(١) المذاكي: الخيول الأصيلة.
(٢) العوالي: الرماح. الضِّراب: القتال.
(٣) وفي رواية «الخيل العراب» مكان «خيل عراب»، وهي الخيل العربيّة الأصيلة. يخبّ: يقطع.
(٤) وفي رواية «فقصْرُك» مكان «فأقْصِرْ»، و«لا تدوم» مكان «لا تُذَمُّ».
(٥) ينبيك: يخبرك.
(٦) أيْسَرْتَ: أثريتَ. تربْتَ: افتقرتَ.
(٧) ريب الزمان: مصائبه.
(٨) في رواية «تعهدان» مكان «تعلمان»، و«صليبة» مكان «شديدة». صليب: صُلْب.
(٩) في رواية «ذنوب» مكان «ندوب». والندوب: آثار الجراح.

٣ - وَإِنَّ فَتًى لَمْ يَكْسِرِ ٱلْأَسْرُ قَلْبَهُ ... وَخَوْضُ ٱلْمَنَايَا جِدُّهُ لَنَجِيبُ(١)

- ٢٨ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - أُقِرُّ لَهُ بِٱلذَّنْبِ؛ وَٱلذَّنْبُ ذَنْبُهُ، ... وَيَزْعُمُ أَنِّي ظَالِمٌ؛ فَأَتُوبُ
٢ - وَيَقْصِدُنِي بِٱلْهَجْرِ عِلْماً بِأَنَّهُ ... إِلَيَّ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، حَبِيبُ
٣ - وَمِنْ كُلِّ دَمْعٍ فِي جُفُونِي سَحَابَةٌ، ... وَمِنْ كُلِّ وَجْدٍ فِي حَشَايَ لَهِيبُ(٢)

- ٢٩ -

وَقَالَ

[من الطويل]

١ - أَسَاءَ، فَزَادَتْهُ ٱلْإِسَاءَةُ حُظْوَةً، ... حَبِيبٌ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، حَبِيبُ
٢ - يَعُدُّ عَلَيَّ ٱلْعَاذِلُونَ ذُنُوبَهُ ... وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ ٱلْمَلِيحِ ذُنُوبُ؟(٣)
٣ - فيا أَيُّهَا ٱلْجَانِي، وَنَسْأَلُهُ ٱلرِّضَا ... وَيَا أَيُّهَا ٱلْخَاطِي وَنَحْنُ نَتُوبُ(٤)!
٤ - لَحَا ٱللَّهُ مَن يَرْعَاكَ فِي ٱلْقُرْبِ وَحْدَهُ ... وَمَنْ لَا يَرُدُّ ٱلْغَيْبَ حِينَ تَغِيبُ(٥)

- ٣٠ -

وَقَالَ وَقَدْ كَتَبَ بِهَا إِلَى أَخِيهِ «أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ حَرْبِ بْنِ سَعِيدٍ» يَعْذُلُهُ عَلَى عَظِيمِ مَا لَحِقَهُ عِنْدَ أَسْرِهِ مِنَ ٱلْجَزَعِ ؛ وَيَذْكُرُ قَوْماً عجَّزُوا رَأْيَهُ فِي ٱلثَّبَاتِ يَوْمَ أَسْرِهِ:

[من الطويل]

---

(١) جدّة: سعيه. نجيب: كريم الأصل، عظيم.
(٢) الوجد: الحبّ.
(٣) العاذلون: اللآئمون.
(٤) ويروى «الجافي» مكان «الجاني»، و «الجاني» مكان «الخاطي». الجاني: المذنب.
(٥) لحا الله: لعن الله.

١ - أَبِيتُ كَــأَنِّـي لِلصَّبَـابَـةِ صَـاحِبُ وَلِلنَّوْمِ ، مُذْ بَانَ ٱلْخَلِيطُ، مُجَانِبُ(١)

٢ - وَمَــا أَدَّعِي أَنَّ ٱلْخُـطُوبَ فَجَـأْنَنِـي لَقَـدْ خَبَّـرَتْنِي بِـٱلْفِـرَاقِ ٱلنَّــوَاعِبُ(٢)

٣ - وَلَـكِنَّـنِـي مَـا زِلْـتُ أَرْجُـو وَأَتَّـقِـي وَجَدَّ وَشِيـكُ ٱلْبَيْنِ، وَٱلْقَلْب لَاعِبُ(٣)

٤ - وَمَــا هَــذِهِ فِـي ٱلْـحُـبِّ أَوَّلَ مَــرَّةٍ أَسَـاءَتْ إِلَى قَلْبِي ٱلظُّنُـونُ ٱلْكَوَاذِبُ

٥ - عَلَيَّ لِـرَبْـعِ «ٱلْعَـامِـرِيَّـة» وَقْفَـةٌ تُمِلُّ عَلَيَّ ٱلشَّوْقَ، وَٱلدَّمْعُ كَـاتِبُ(٤)

٦ - فَـلَا، وَأَبِي ٱلْعُشَّاقِ، مَـا أَنَـا عَـاشِقٌ إِذَا هِيَ لَـمْ تَلْعَبْ بِصَبْرِي ٱلْمَلَاعِبُ(٥)

٧ - وَمِنْ مَـذْهَبِي حُبُّ ٱلـدِّيَـارِ لِأَهْلِهَـا وَلِلنَّـاسِ فِيمَـا يَعْشَقُـونَ مَـذَاهِبُ

٨ - عَتَـادِي لِـدَفْـعِ ٱلْهَمِّ نَفْسٌ أَبِيَّـةٌ وَقَلْبٌ عَلَى مَا شِئْتُ مِنْهُ مُصَـاحِبُ

٩ - وَجُرْدٌ كَـأَمْثَـالِ ٱلسَّعَـالَى سَـلَاهِبٌ وَخُـوصٌ كَـأَمْثَـالِ ٱلْقِسِيِّ نَجَـائِبُ(٦)

١٠ - تَكَــاثَـرَ لُــوَّامِي عَلَى مَــا أَصَـابَنِي كَـأَنْ لَمْ تَنُبْ إِلَّا بِأَسْـرِي ٱلنَّوَائِبُ(٧)

١١ - يَقُـولُـونَ: «لَمْ يَـنْـظُرْ عَـوَاقِبَ أَمْـرِهِ» وَمِثْلِيَ مَنْ تَجْـرِي عَلَيْـهِ ٱلْعَـوَاقِبُ

١٢ - أَلَمْ يَعْلَمِ ٱلـذُّلَّانُ أَنَّ بَنِـي ٱلْـوَغَى كَـذَاكَ سَلِيبٌ بِـٱلـرِّمَـاحِ وَسَـالِبُ(٨)

١٣ - أَرَى مِـلْءَ عَيْنَيَّ ٱلـرَّدَى فَـأَخُـوضُـهُ إِذِ ٱلْمَوْتُ قُدَّامِي وَخَلْفِي ٱلْمَعَايِبُ(٩)

١٤ - وَإِنَّ وَرَاءَ ٱلْـحَـزْمِ فِيـهَـا وَدُونَـهَـا مَـوَاقِفَ تُنْسَى دُونَهُنَّ ٱلـتَّجَارِبُ(١٠)

١٥ - رِجَـالٌ يُـذِيعُـونَ ٱلْعُيُـوبَ، وَعِنْـدَنَـا أُمُـورٌ لَـهُمْ مَـخْـزُونَـةٌ وَمَـعَـايِبُ

---

(١) في رواية: «أبثُّكَ إنِّي للصَّبابة صاحب». والصَّبابة: الحبّ والشَّوق. بان الخليط: ابتعد العشير.

(٢) الخطوب: المصائب. النّواعب: المنذِرات بالشّؤم والفراق.

(٣) البين: الفراق.

(٤) العامريّة: امرأة من بني عامر. تُمِلّ عليّ الشَّوق: تمليه عليّ.

(٥) ويروى «بقلبي» مكان «بصبري».

(٦) الجرد: جمع الأجرد، وهو من الخيل القصير الشَّعر. السعالى: جمع السعلاة، وهي أنثى الغول، وهو حيوان وهميّ. السلاهب: الطوال. الخوص: جمع الأخوص، وهو الغائر العينين. النجائب: جمع النجيبة، وهي الكريمة من الخيل والإبل وغيرها.

(٧) النوائب: المصائب.

(٨) الذلّان: الذليل. الوغى: الحرب.

(٩) وفي رواية «الملاعب» مكان «المعايب». الرَّدى: الموت.

(١٠) وفي رواية «عندهنّ» مكان «دونهنّ».

١٦ ـ وَأَعْلَمُ قَوْماً لَوْ تَتَعْتَعْتُ دُونَهَا ... لأَجْهَضَنِي بِٱلذَّمِّ مِنْهُمْ عَصَائِبُ[١]
١٧ ـ وَمُضْطَغِنٍ لَمْ يَحْمِلِ ٱلسِّرَّ قَلْبُهُ ... تَلَفَّتَ ثُمَّ ٱغْتَابَنِي، وَهوَ هَائِبُ[٢]
١٨ ـ تَرَدَّى رِدَاءَ ٱلذُّلِّ لَمَّا لَقِيتُهُ ... كَمَا تَتَرَدَّى بِٱلْغُبَارِ ٱلْعَنَاكِبُ[٣]
١٩ ـ وَمِنْ شَرَفِي أَنْ لَا يَزَال يَعِيبُنِي ... حَسُودٌ عَلَى ٱلأَمْرِ ٱلَّذِي هُوَ عَائِبُ
٢٠ ـ رَمَتْنِي عُيُونُ ٱلنَّاسِ حَتَّى أَظُنُّهَا ... سَتَحْسُدُنِي، فِي ٱلْحَاسِدِينَ، ٱلْكَوَاكِبُ
٢١ ـ فَلَسْتُ أَرَى إِلَّا عَدُوًّا مُحَارِباً ... وَآخَرَ خَيْرٌ مِنْهُ عِنْدِي ٱلْمُحَارِبُ
٢٢ ـ وَيَرْجُونَ إِحْرَازَ ٱلْعُلَا بِنُفُوسِهِمْ ... وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱلْمَعَالِي مَوَاهِبُ
٢٣ ـ فَكَمْ يُطْفِئُونَ ٱلْمَجْدَ وَٱللَّهُ مُوقِدٌ ... وَكَمْ يَنْقُصُونَ ٱلْفَضْلَ وَٱللَّهُ وَاهِبُ![٤]
٢٤ ـ وَهَلْ يَدْفَعُ ٱلإِنْسَانُ مَا هُوَ وَاقِعٌ ... وَهَلْ يَعْلَمُ ٱلإِنْسَانُ مَا هُوَ كَاسِبُ؟
٢٥ ـ وَهَلْ لِقَضَاءِ ٱللَّهِ فِي ٱلْخَلْقِ غَالِبٌ ... وَهَلْ لِقَضَاءِ ٱللَّهِ فِي ٱلْخَلْقِ هَارِبُ؟
٢٦ ـ عَلَيَّ طِلَابُ ٱلْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ ... وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ حَارَبَتْنِي ٱلْمَطَالِبُ
٢٧ ـ وَهَلْ يُرْتَجَى لِلأَمْرِ إِلَّا رِجَالُهُ ... وَيَأْتِي بِصَوْبِ ٱلْمُزْنِ إِلَّا ٱلسَّحَائِبُ!؟[٥]
٢٨ ـ وَعِنْدِيَ صِدْقُ ٱلضَّرْبِ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ ... وَلَيْسَ عَلَيَّ إِنْ نَبَوْنَ ٱلْمَضَارِب[٦]
٢٩ ـ إِذَا كَانَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْمَلْكُ كَافِلِي ... فَلَا ٱلْحَزْمُ مَغْلُوبٌ وَلَا ٱلْخَصْمُ غَالِبُ
٣٠ ـ إِذَا ٱللَّهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ ... فَلَا ٱلدِّرْعُ مَنَّاعٌ وَلَا ٱلسَّيْفُ قَاضِبُ[٧]
٣١ ـ وَلَا سَابِقٌ مِمَّا تَخَيَّلْتَ سَابِقٌ ... وَلَا صَاحِبٌ مِمَّا تَخَيَّرْتَ صَاحِبُ
٣٢ ـ عَلَيَّ «لِسَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْمُلْكِ أَنْعُمٌ ... أَوَانِسُ لَا يَنْفِرْنَ عَنِّي رَبَائِبُ[٨]

---

(١) تتعتعت: تقلقلت. عصائب: جماعات.

(٢) ويروى «غائب» مكان «هائب». المضطغن: الحاقد. اغتابني: نال منّي في غيابي. الهائب: الخائف.

(٣) تردّى: لبس. العناكب: جمع العنكبوت.

(٤) في رواية «وهم» مكان «فكم».

(٥) المزن: جمع المزنة، وهي السَّحابة ذات الماء. وصَوْب المزن: المطر.

(٦) نبون: لم يقطعن. المضارب: السيوف.

(٧) قاضب: قاطع.

(٨) وفي رواية «القرم» مكان «الملك». والقرم: السَّيِّد العظيم.

٣٣ ـأأجْحَدُهُ إحْسَانَهُ بِيَ إنَّنِي ... لَكَافِرُ نُعْمَى، إنْ فَعَلْتُ، مُوارِبُ(١)
٣٤ ـلَعَلَّ ٱلْقَوافِي عُقْنَ عَمَّا أُرِيدُهُ ... فَلاَ ٱلْقَوْلُ مَرْدُودٌ وَلاَ ٱلْعُذْرُ نَاضِبُ(٢)
٣٥ ـوَلاَ شَكَّ قَلْبِي سَاعَةً فِي ٱعْتِقَادِهِ ... وَلاَ شَابَ ظَنِّي فِيهِ قَطُّ ٱلشَّوائِبُ
٣٦ ـيُؤَرِّقُنِي ذِكْرِي لَهُ وَصَبَابَةٌ ... وَتَجْذُبُنِي شَوْقاً إلَيْهِ ٱلْجَوَاذِبُ(٣)
٣٧ ـوَلِي أَدْمُعٌ طَوْعِي إذَا مَا أَمَرْتُهَا ... وَهُنَّ عَوَاصٍ فِي هَوَاهُ، غَوَالِبُ(٤)
٣٨ ـفَلاَ تَخْشَ «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْقَرْمَ أنَّنِي ... سِوَاكَ إلَى خَلْقٍ مِنَ ٱلنَّاسِ رَاغِبُ(٥)
٣٩ ـفَلاَ تُلْبَسُ ٱلنُّعْمَى، وَغَيْرُكَ مُلْبِسٌ، ... وَلاَ تُقْبَلُ ٱلدُّنْيَا، وَغَيْرُكَ وَاهِبُ
٤٠ ـوَلاَ أنَا، مِنْ كُلِّ ٱلْمَطَاعِمِ، طَاعِمٌ ... وَلاَ أنَا، مِنْ كُلِّ ٱلْمَشَارِبِ، شَارِبُ
٤١ ـوَلاَ أنَا رَاضٍ أنْ كَثُرْنَ مَكَاسِبِي ... إذَا لَمْ تَكُنْ بِٱلْعِزِّ تِلْكَ ٱلْمَكَاسِبُ
٤٢ ـوَلاَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْقَمْقَامُ عِنْدِي بِسَيِّدٍ ... إذَا ٱسْتَنْزَلَتْهُ عَنْ عُلاَهُ ٱلرَّغَائِبُ(٦)
٤٣ ـأيَعْلَمُ مَا نَلْقَى؟ نَعَمْ يَعْلَمُونَهُ ... عَلَى ٱلنَّأْيِ أَحْبَابٌ لَنَا وَحَبَائِبُ(٧)
٤٤ ـأأبْقَى أخِي دَمْعاً، أذَاقَ أخِي كَرًى؟ ... أآبَ أخِي بَعْدِي، مِنَ ٱلصَّبْرِ آئِبُ؟(٨)
٤٥ ـسَقَى ٱللَّهُ أرْضَ «ٱلْمَوْصِلِ» ٱلْمُزْنَ إنَّهَا ... لِمَنْ حَلَّهَا فَرْضٌ لَهُ ٱلْحُبُّ وَاجِبُ
٤٦ ـبِنَفْسِي وَإنْ لَمْ أرْضَ نَفْسِيَ رَاكِبٌ ... يُسَائِلُ عَنِّي كُلَّمَا لاَحَ رَاكِبُ
٤٧ ـفَمَا ذَاقَ بَعْدِي لَذَّةَ ٱلْعَيْشِ سَاعَةً ... وَلاَ نَابَ جَفْنَيْهِ مِنَ ٱلنَّومِ نَائِبُ
٤٨ ـقَرِيحُ مَجَارِي ٱلدَّمْعِ مُسْتَلَبُ ٱلْكَرَى ... يُقَلْقِلُهُ هَمٌّ مِنَ ٱلشَّوْقِ نَاصِبُ(٩)
٤٩ ـأخِي لاَ يُذِقْنِي ٱللَّهُ فِقْدَانَ مِثْلِهِ! ... وَأيْنَ لَهُ مِثْلٌ، وَأيْنَ ٱلْمُقَارِبُ؟
٥٠ ـتَجَاوَزَتِ ٱلْقُرْبَى ٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَنَا ... فَأصْبَحَ أدْنَى مَا يُعَدُّ ٱلْمُنَاسِبُ

---

(١) أجحد: أنكر. موارب: خادع.
(٢) عُقْن: كنَّ عائقاً. ناضب: ناقد.
(٣) يؤرقني: يسهِّرني.
(٤) غوالب: أي أنَّ دمعه يتغلّب عليه.
(٥) القرم: السِّيد العظيم.
(٦) القمقام: الكثير العطاء.
(٧) النأي: البعد.
(٨) الكرى: النوم. آب: عاد، رجع.
(٩) مستَلَب الكرى: لا أنام. يقلقه: يزعجه. ناصب: مُتْعِب.

٥١ ـ أَلَا لَيْتَنِي حُمِّلْتُ هَمِّي وَهَمَّهُ وَأَنَّ أَخِي نَاءٍ عَنِ ٱلْهَمِّ عَازِبُ[١]

٥٢ ـ فَمَنْ لَمْ يَجُدْ بِٱلنَّفْسِ دُونَ حَبِيبِهِ فَمَا هُوَ إِلَّا مَاذِقُ ٱلْوُدِّ كَاذِبُ[٢]

٥٣ ـ أَتَانِي، مَعَ ٱلرُّكْبَانِ، أَنَّكَ جَازِعٌ وَغَيْرُكَ يَخْفَى عَنْهُ لِلَّهِ وَاجِبُ[٣]

٥٤ ـ وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يُسْخِطُ ٱللَّهَ فِعْلُهُ وَإِنْ أَخَذَتْ مِنْكَ ٱلْخُطُوبُ ٱلسَّوَالِبُ[٤]

٥٥ ـ وَإِنِّي لَمِجْزَاعٌ خَلَا أَنَّ عَزْمَةً تُدَافِعُ عَنِّي حَسْرَةً وَتُغَالِبُ[٥]

٥٦ ـ وَرِقْبَةَ حُسَّادٍ صَبَرْتُ لِوَقْعِهَا لَهَا جَانِبٌ مِنِّي وَلِلْحَرْبِ جَانِبُ

٥٧ ـ فَكَمْ مِنْ حَزِينٍ مِثْلَ حُزْنِي وَوَالِهٍ وَلَكِنَّنِي وَحْدِي ٱلْحَزِينُ ٱلْمُرَاقَبُ[٦]

٥٨ ـ رَمَتْنِي ٱللَّيَالِي بِٱلْفِرَاقِ حَسَادَةً وَهُنَّ ٱللَّيَالِي رَامِيَاتٌ صَوَائِبُ

٥٩ ـ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَرَى ٱلدَّهْرَ حَاسِدِي كَأَنَّ لَيَالِيهِ لَدَيَّ ٱلْأَقَارِبُ

٦٠ ـ وَلَكِنَّنِي فِي ذَا ٱلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ غَرِيبٌ وَأَفْعَالِي لَدَيْهِ غَرَائِبُ

٦١ ـ وَلَسْتُ مَلُوماً إِنْ بَكَيْتُكَ مِنْ دَمِي إِذَا قَعَدَتْ عَنِّي ٱلدُّمُوعُ ٱلسَّوَاكِبُ

٦٢ ـ وَأَنْتَ أَخٌ تَصْفُو وَنَصْفُو وَإِنَّمَا ٱلْـ أَقَارِبُ فِي هَذَا ٱلزَّمَانِ عَقَارِبُ[٧]

٦٣ ـ لَعَلَّ ٱللَّيَالِي إِنْ يَعُدْنَ فَرُبَّمَا تَجَلَّيْنَ إِجْلَاءَ ٱلْغُيُومِ ٱلْمَصَائِبُ

٦٤ ـ فَمَا أَنَا إِلَّا فِي دُنُوِّكَ جَاهِدٌ وَمَا أَنَا إِلَّا فِي لِقَائِكَ رَاغِبُ

٦٥ ـ أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً تَنَاقَلُ بِي فِيهَا إِلَيْكَ ٱلرَّكَائِبُ[٨]؟

٦٦ ـ فَتَعْتَذِرَ ٱلْأَيَّامُ مِنْ طُولِ ذَنْبِهَا إِلَيَّ وَيَأْتِي ٱلدَّهْرُ وَٱلدَّهْرُ تَائِبُ

---

(١) ناءٍ: بعيد. عازب: مائل، بعيد.

(٢) ماذق الودّ: عديم الإخلاص ناكره.

(٣) جازع: خائف.

(٤) يُسخط الله: يُغضبه. الخطوب: المصائب.

(٥) مجزاع: عديم الصَّبر.

(٦) الواله: الشَّديد الحبّ.

(٧) في هذا البيت مثل مولّد، وهو «الأقارب عقارب».

(٨) تناقل: تتناقل. الركائب: جمع الركوبة، وهي ما يُركب من المطايا.

- ٣١ -

وقال:

[من الطويل]

١ - أَرَانِي وَقَـوْمِي فَـرَّقَـتْنَـا مَـذَاهِـبُ ... وَإِنْ جَمعَتْنَـا فِي ٱلْأُصُولِ ٱلْمَنَـاسِبُ
٢ - فَـأَقْصَـاهُمُ أَقْصَـاهُمُ مِنْ مَسَـاءَتِي ... وَأَقْـرَبُهُمْ مِمَّـا كَـرِهْتُ ٱلْأَقَـارِبُ(١)
٣ - غَـرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُ مَا كَـرَّ نَـاظِـرِي ... وَحِيدٌ وَحَوْلِي مِنْ رِجَـالِي عَصَائِبُ(٢)
٤ - نَسِيبُـكَ مَنْ نَـاسَبْتَ بِـٱلْـوُدِّ قَلْبَـهُ ... وَجَـارُكَ مَنْ صَافَيْتَـهُ لَا ٱلْمُصَـاقِبُ(٣)
٥ - وَأَعْـظَمُ أَعْـدَاءِ ٱلـرِّجَـالِ ثِقَـاتُهَـا ... وَأَهْـوَنُ مَنْ عَـادَيْتَـهُ مَنْ تُحَـارِبُ(٤)
٦ - وَشَـرُّ عَـدُوَّيْـكَ ٱلَّـذِي لَا تُحَـارِبُ ... وَخَيْـرُ خَلِيلَيْـكَ ٱلَّـذِي لا تُنَـاسِبُ
٧ - لَقَـدْ زِدْتُ بِـٱلْأَيَّـامِ وَٱلنَّـاسِ خِبْـرَةً ... وَجَـرَّبْتُ حَتَّى هَـذَّبَتْنِي ٱلـتَّجَـارِبُ
٨ - وَمَـا ٱلذَّنْبُ إِلَّا ٱلْعَجْـزُ يَرْكَبُـهُ ٱلْفَتَى ... وَمَـا ذَنْبُـهُ إِنْ طَـارَدَتْـهُ ٱلمَـطَالِبُ(٥)؟
٩ - وَمَنْ كَـانَ غَيْـرَ ٱلسَّيْفِ كَـافِلُ رِزْقِـهِ ... فَـلِلذُّلِّ مِنْـهُ لَا مَـحَـالَـةَ جَـانِبُ
١٠ - وَمَـا أُنْسُ دَارٍ لَـيْسَ فِيـهَـا مُـؤَانِسٌ ... وَمَا قُرْبُ قَوْمٍ لَيْسَ فيهِمْ مُقَارِبُ!؟(٦)
١١ - أَرَى ٱلنَّاسَ مُهْتَمِّينَ في جَلْبِ حَاجَـةٍ ... تُقَيِّلُهُمْ فِي ٱلدَّهْرِ، وَٱلدَّهْرُ كَـاذِبُ(٧)
١٢ - وَإِنِّيَ لَمْ أَنْـظُرْ خَـلِيـلاً وَصَـاحِبـاً ... وَفِيّـاً إِذَا نَـابَتْـه فِيهَـا ٱلنَّـوائِبُ(٨)
١٣ - وَإِنَّ ٱلْبَقَـا لِـلَّهِ فـي كُـلِّ مَـطْلَبٍ ... وَإِنَّ ٱلْفَنَـا لِلْخَلْقِ، وَٱلْخَلْقُ ذَاهِبُ(٩)

---

(١) أقصاهم: أبعدهم.
(٢) في رواية «كان» مكان «كَرَّ». العصائب: جمع العصبة، وهي الجماعة.
(٣) المصاقب: المقارب والمواجه.
(٤) في رواية «لا المحارب» مكان «من تحارب».
(٥) في رواية «حاربته» مكان «طاردته».
(٦) أي: ما قيمة الدِّيار إنْ خلتّ من قاطنيها.
(٧) تقيِّلهم: تسقيهم في القائلة، وهي منتصف النهار عند اشتداد الحرّ. والمعنى المقصود هنا ترفعهم وتمكّنهم من حاجتهم.
(٨) نابته: أصابته. النّوائب: المصائب.
(٩) الفنا: الفناء.

١٤ ـ وَأَسْأَلُهُ حُسْنَ ٱلْخِتَامِ فَإِنَّنِي ... لِرَحْمَتِهِ فِي ٱلْبَدْءِ وَٱلْخَتْمِ طَالِبُ

- ٣٢ -

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «ٱمْتَنَعَ ٱلأَمِيرُ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ مِنْ إِخْرَاجِ ٱبْنِ أُخْتِ ٱلمَلِكِ إِلَّا بِفِدَاءِ عَامٍ وحُمِلَ ٱلأَمِيرُ أَبُو فِرَاسٍ إِلَى ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَبَلَغَهُ بِهَا بَلَاغُهُ فَقَالَ وَهُوَ فِي ٱلأَسْرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى»:

[من الطويل]

١ ـ أَمَا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنَّ ثَوَابُ ... وَلَا لِمُسِيءٍ عِنْدَكُنَّ مَتَابُ؟(١)

٢ ـ لَقَدْ ضَلَّ مَنْ تَحْوِي هَوَاهُ خَرِيدَةٌ ... وَقَدْ ذَلَّ مَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ كَعَابُ(٢)

٣ ـ وَلَكِنَّنِي ـ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ـ حَازِمٌ ... أَعِزُّ إِذَا ذَلَّتْ لَهُنَّ رِقَابُ

٤ ـ وَلَا تَمْلِكُ ٱلْحَسْنَاءُ قَلْبِي كُلَّهُ ... وَإِنْ شَمِلَتْهَا رِقَّةٌ وَشَبَابُ

٥ ـ وَأَجْرِي وَلَا أُعْطِي ٱلْهَوَى فَضْلَ مِقْوَدِي ... وَأَهْفُو وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ صَوَابُ(٣)

٦ ـ إِذَا ٱلْخِلُّ لَمْ يَهْجُرْكَ إِلَّا مَلَالَةً ... فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا ٱلْفِرَاقَ عِتَابُ(٤)

٧ ـ إِذَا لَمْ أَجِدْ مِنْ بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ ... فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ

٨ ـ وَلَيْسَ فِرَاقٌ مَا ٱسْتَطَعْتُ فَإِنْ يَكُنْ ... فِرَاقٌ عَلَى حَالٍ فَلَيْسَ إِيَابُ(٥)

٩ ـ صَبُورٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ ... قَؤُولٌ وَلَوْ أَنَّ ٱلسُّيُوفَ جَوَابُ

١٠ ـ وَقُورٌ وَأَحْدَاثُ ٱلزَّمَانِ تَنُوشُنِي ... وَلِلْمَوْتِ حَوْلِي جَيْئَةٌ وَذَهَابُ(٦)

١١ ـ وَأَلْحَظُ أَحْوَالَ ٱلزَّمَانِ بِمُقْلَةٍ ... بِهَا ٱلصِّدْقُ صِدْقٌ وَٱلْكِذَابُ كِذَابُ(٧)

١٢ ـ بِمَنْ يَثِقُ ٱلإِنْسَانُ فِيمَا يَنُوبُهُ ... وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ ٱلْكَرِيمِ صِحَابُ؟(٨)

---

(١) المتاب: التوبة، والرجوع عن الخطيئة.

(٢) الخريدة: الفتاة العذراء. الكعاب: المرأة التي نهد ثديها.

(٣) في رواية «وأهوي» مكان «وأهفو». أهفو: أُخطِىء.

(٤) الخِلّ: الصديق المُحبّ. الملالة: الضّجر والسّأم.

(٥) إياب: عودة.

(٦) وفي رواية «وأهوال» مكان «وأحداث». أحداث الزمان: مصائبه. تنوشني: تنال منّي.

(٧) المقلة: العين.

(٨) ينوبه: يصيبه.

١٣ - وَقَـدْ صَارَ هَـذَا ٱلنَّـاسُ إِلاَّ أَقَلَّهُمْ ... ذِئَـابـاً عَـلَى أَجْسَـادِهِـنَّ ثِـيَـابُ
١٤ - تَغَـابَيْتُ عَنْ قَـوْمِي فَـظَنُّـوا غَبَـاوَةً ... بِمَفْـرِقِ أَغْبَـانَـا حَصًى وَتُـرابُ[١]
١٥ - وَلَـوْ عَـرَفُـونِي، حَقَّ مَعْـرَفَتِي بِهِمْ، ... إِذًا عَلِمُـوا أَنِّي شَهِـدْتُ وَغَـابُـوا[٢]
١٦ - وَمَـا كُـلُّ فَـعَّـالٍ يُجَـازَى بِـفِعْـلِهِ ... وَلَا كُـلُّ قَـوَّالٍ لَـدَيَّ يُـجَـابُ
١٧ - وَرُبَّ كَـلَامٍ مَـرَّ فَـوْقَ مَسَـامِعِي ... كَمَا طَنَّ فِي لُـوحِ ٱلْهَجِيرِ ذُبَـابُ[٣]
١٨ - إِلَـى ٱللَّهِ أَشْكُـو أَنَّـنَـا بِـمَنَـازِلٍ ... تَـحَكَّـمُ فِـي آسَـادِهِـنَّ كِـلَابُ[٤]
١٩ - تَمُـرُّ ٱللَّيَـالِي لَيْسَ لِلنَّفْـعِ مَـوْضِـعٌ ... لَـدَيَّ، وَلَا لِـلْمُعْـتَفِينَ جَـنَـابُ[٥]
٢٠ - وَلَا شُـدَّ لِي سَرْجٌ عَلَى ظَهْـرِ سَابِحٍ ... وَلَا ضُـرِبَتْ لِي بِـٱلْعَـرَاءِ قِبَـابُ[٦]
٢١ - وَلَا بَـرِقَتْ لِي فِي ٱللِّقَـاءِ قَـوَاطِـعٌ ... وَلَا لَمَعَتْ لِي فِي ٱلْحُرُوبِ حِرَابُ[٧]
٢٢ - سَتَـذْكُـرُ أَيَّـامِي «نُمَيْـرٌ» وَ«عَـامِـرٌ» ... وَ«كَعْبٌ» عَلَى عِـلَّاتِهَا وَ«كِـلَابُ»[٨]
٢٣ - أَنَـا ٱلْجَـارُ لَا زَادِي بَـطِيءٌ عَلَيْهِمُ ... وَلَا دُونَ مَـالِي لِـلْحَوَادِثِ بَـابُ[٩]
٢٤ - وَلَا أَطْلُبُ ٱلْعَـوْرَاءَ مِنْهُـمْ أُصِيبُهَـا ... وَلَا عَـوْرَتِي لِلطَّالِبِيـنَ تُـصَابُ[١٠]
٢٥ - وَأَسْطُو وَحُبِّي ثَـابِتٌ فِي صُـدُورِهِمْ ... وَأَحْلُمُ عَنْ جُـهَّـالِـهِـمْ وَأُهَابُ[١١]
٢٦ - بَنِي عَمِّنا مَا يَصْنَعُ ٱلسَّيْفُ فِي ٱلْوَغَى ... إِذَا فُـلَّ مِنْـهُ مَضْـرِبٌ وَذُبَابُ؟[١٢]
٢٧ - بَنِي عَمِّنَـا لَا تُـنكِـرُوا ٱلْـوُدَّ إِنَّـنَـا ... شِـدَادٌ عَلَى غَيْـرِ ٱلْهَـوَانِ صِلَابُ[١٣]

---

(١) تغابيت: ادَّعيتُ الغباوة.

(٢) وفي رواية «بعض» مكان «حقَّ».

(٣) اللُّوح: الهواء بين السماء والأرض. الهجير: شدَّة الحرّ.

(٤) الأساد: الأسود.

(٥) المعتفون: طالبو المعروف. جناب: ناحية.

(٦) السابح: السريع من الخيل. العراء: المكان الخالي.

(٧) القواطع: السيوف القاطعة.

(٨) في رواية «نمير بن عامر» مكان «نمير وعار». ونمير وعامر وكعب وكلاب أسماء قبائل.

(٩) يفتخر بأنّه كريم.

(١٠) العوراء: ما يُسْتَحْيا به.

(١١) وفي رواية «كامن» مكان «ثابت».

(١٢) الوغى: الحرب. فُلَّ: انكسر من حدّه. المضرب: ما يَضرب به كالسّيف ونحوه. الذباب الحدّ.

(١٣) ويروى الصدر أيضاً «بني عمِّنا لا تُكثِروا الحربَ بيننا». الهوان: الذلّ والضّعف. صلاب: أشدّاء.

٢٨ -بَنِي عَمِّنَا نَحْنُ ٱلسَّواعِدُ وَٱلظُّبَا ... وَيُوشِكُ يَوماً أَنْ يَكُونَ ضِرابُ(١)
٢٩ -وَإِنَّ رجَالاً مَا ٱبْنُهُمْ كَٱبْنِ أُخْتِهِمْ ... حَرِيُّونَ أَنْ يُقْضَى لَهُمْ وَيُهَابُوا(٢)
٣٠ -فَعَنْ أَيِّ عُذْرٍ إِنْ دُعُوا وَدُعِيتُمُ ... أَبَيْتُمْ، بَنِي أَعْمَامِنَا، وَأَجَابُوا؟
٣١ -وَمَا أَدَّعِي مَا يَعْلَمُ ٱللَّهُ غَيْرَهُ ... رِحَابُ «عَلِيٍّ» لِلْعُفَاةِ رِحَابُ(٣)
٣٢ -وَأَفْعَالُهُ لِلرَّاغِبِينَ كَرِيمَةٌ ... وَأَمْوَالُهُ لِلطَّالِبِينَ نِهَابُ(٤)
٣٣ -وَلَكِنْ نَبَا مِنْهُ بِكَفِّيَ صَارِمٌ ... وَأَظْلَمَ فِي عَيْنَيَّ مِنْهُ شِهَابُ(٥)
٣٤ -وَأَبْطَأَ عَنِّي وَٱلْمَنَايَا سَرِيعَةٌ ... وَلِلْمَوْتِ ظُفْرٌ قَدْ أَطَلَّ وَنَابُ(٦)
٣٥ -فَإِلَّا يَكُنْ وُدٌّ قَدِيمٌ عَهِدتُهُ ... وَلَا نَسَبٌ بَيْنَ ٱلرِّجَالِ قُرَابُ(٧)
٣٦ -فَأَحْوَطُ لِلإِسْلامِ أَنْ لَا يُضِيعَنِي ... وَلِي عَنْهُ فِيهِ حَوْطَةٌ وَمَنَابُ(٨)
٣٧ -وَلَكِنَّنِي رَاضٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... لِيُعْلَمَ أَيُّ ٱلْحَالَتَيْنِ سَرَابُ(٩)
٣٨ -وَمَا زِلْتُ أَرْضَى بِٱلْقَلِيلِ مَحَبَّةً ... لَدَيْهِ وَمَا دُونَ ٱلْكَثِيرِ حِجَابُ(١٠)
٣٩ -وَأَطْلُبُ إِبْقَاءً عَلَى ٱلْوُدِّ أَرْضَهُ ... وَذِكْرِي مُنًى في غَيْرِهَا وطِلَابُ
٤٠ -كَذَاكَ الوِدَادُ ٱلْمَحْضُ لا يُرْتَجَى لَهُ ... ثَوابٌ وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عِقَابُ(١١)
٤١ -وَمَا أَنَا بِالبَاغِي عَلَى ٱلْحُبِّ رِشْوَةً ... ضَعِيفُ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ

---

(١) الظُّبا: جمع ظبة، وهو حدّ السّيف ونحوه. ضراب: قتال. يذكّره بأنّه ربّما سيضطر إلى قتال قوم، فهو، عندئذ، السّاعد والسّيف.

(٢) حريُّون: جديرون.

(٣) وفي رواية «لا يدّعي» مكان «لا أدّعي». والرحاب، الأولى بمعنى الساحات، والثانية بمعنى الواسعة.

(٤) وفي رواية «في الراغبين» مكان «للرّاغبين». يصفه بالكرم وبأنّه لا يبخل على طالب.

(٥) نبا: أخطأ، ولم يصب. الصارم: السيف القاطع. شهاب: ضوء.

(٦) المنايا: جمع المنيّة، وهي الموت.

(٧) وفي رواية «قريب» مكان «قديم»، و «نعدّه» مكان «عهدته».

(٨) وفي رواية «منه» مكان «عنه»، ويروى أيضاً «عنكَ». الحوطة: الاحتياط. المناب: مصدر ناب بمعنى قام مقامه.

(٩) وفي رواية «الخِلّتين» مكان «الحالتين». والحالتان هما الإضاعة وعدمها. السَّراب: ما يراه المرء في الصَّحْراء أثناء شدّة الحرارة كأنّه ماء.

(١٠) الحجاب: الحاجز والسّتر.

(١١) الوداد المحض: الوفاء الخالص.

٤٢ ـ وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى ٱلْهَجْرَ، وَٱلشَّمْلُ جامِعٌ، وَفي كُلِّ يَوْمٍ لُقْيَةٌ وخِطَابُ[١]
٤٣ ـ فَكَيْفَ وَفِيمَا بَيْنَنَا مُلْكُ قَيْصَرٍ وَلِلْبَحْرِ حَوْلِي زَخْرَةٌ وعُبَابُ؟[٢]
٤٤ ـ أَمِنْ بَعْدِ بَذْلِ ٱلنَّفْسِ فِيمَا تُرِيدُهُ أُثَابُ بِمُرِّ ٱلْعَتْبِ حِينَ أُثَابُ؟[٣]
٤٥ ـ فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَٱلْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضَابُ[٤]
٤٦ ـ وَلَيْتَ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْعَالَمِينَ خَرَابُ
٤٧ ـ إذَا نِلْتُ مِنْكَ ٱلْوُدَّ فَٱلْكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُّ ٱلَّذِي فَوْقَ ٱلتُّرَابِ تُرَابُ[٥]
٤٨ ـ فَيَا لَيْتَ شُرْبِي مِنْ وِدَادِكَ صَافِياً وَشُرْبِيَ مِنْ مَاءِ ٱلْفُرَاتِ سَرَابُ

ـ ٣٣ ـ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلأَسرِ:

[من مجزوء الرمل]

١ ـ إنَّ فِي ٱلأَسرِ لَصَبًّا دَمْعُهُ فِي ٱلْخَدِّ صَبُّ[٦]
٢ ـ هُوَ فِي ٱلرُّومِ مُقِيمٌ وَلَهُ فِي ٱلشَّامِ قَلْبُ
٣ ـ مُسْتَجِدٌّ لَمْ يُصَادِفْ عِوَضاً عَمَّنْ يُحِبُّ[٧]

ـ ٣٤ ـ

وَقَالَ، وَقَدْ أَرْسَلَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ يُعَاتِبُهُ إِلَى ٱلرُّومِ:

[من الوافر]

١ ـ زَمَانِي كُلُّهُ غَضَبٌ وَعَتْبُ وَأَنْتَ عَلَيَّ وَٱلأَيَّامُ إِلْبُ[٨]

(١) ويروى «أرضى» مكان «أخشى»، و «لفتة» مكان «لقية».
(٢) زخرة: صخب واضطراب. العباب: ارتفاع الموج واضطرابه.
(٣) وفي رواية «أُجاب» مكان «أثاب». وأُثاب: أُكافأ.
(٤) الأنام: الناس.
(٥) ويروى الصدر «إذا صحَّ منكَ الودّ فالمالُ هيِّنٌ». وفي العجز إشارة إلى نهاية الإنسان، وهي إشارة موفَّقة هنا.
(٦) الصَّبّ: العاشق المشتاق. صَبٌّ: مصبوب.
(٧) مستجدّ: صار جديداً.
(٨) الإلب: الجمع. يقول: إنّك اجتمعت عليَّ مع حوادث الزمان.

٢ - وَعَيْشُ آلْعَالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلٌ   وَعَيْشِي وَحْدَهُ بِفِنَاكَ صَعْبُ[(١)]
٣ - وَأَنْتَ - وَأَنْتَ دَافِعُ كُلِّ خَطْبٍ -   مَعَ آلْخَطْبِ آلْمُلِمِّ عَلَيَّ خَطْبُ[(٢)]
٤ - إِلَى كَمْ ذَا آلْعِتَابُ وَلَيْسَ جُرْمٌ   وَكَمْ ذَا آلاعْتِذَارُ وَلَيْسَ ذَنْبُ؟
٥ - فَلَا بِآلشَّامِ لَذَّ بِفِيَّ شُرْبٌ   وَلَا فِي آلأَسْرِ رَقَّ عَلَيَّ قَلْبُ
٦ - فَلَا تَحْمِلْ عَلَى قَلْبٍ جَرِيحٍ   بِهِ لِحَوَادِثِ آلأَيَّامِ نَدْبُ[(٣)]
٧ - أَمِثْلِي تُقْبَلُ آلأَقْوَالُ فِيهِ؟   وَمِثْلُكَ يَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ كِذْبُ؟
٨ - جَنَانِي مَا عَلِمْتَ، وَلِي لِسَانٌ   يَقُدُّ آلدِّرْعَ وَآلإِنْسَانَ، عَضْبُ[(٤)]
٩ - وَزَنْدِي، وَهُوَ زَنْدُكَ، لَيْسَ يَكْبُو   وَنَارِي، وَهْيَ نَارُكَ، لَيْسَ تَخْبُو[(٥)]
١٠ - وَفَرْعِي فَرْعُكَ آلزَّاكِي آلْمُعَلَّى   وَأَصْلِي أَصْلُكَ آلسَّامِي وَحَسْبُ[(٦)]
١١ - «لإِسْمَعِيلَ» بِي وَبَنِيهِ فَخْرٌ   وَفِي «إِسْحَقَ» بِي وَبَنِيهِ عُجْبُ
١٢ - وَأَعْمَامِي «رَبِيعَةُ» وَهْيَ صِيدٌ   وَأَخْوَالِي «بَلَصْفَرُ» وَهْيَ غُلْبُ[(٧)]
١٣ - وَفَضْلِي تَعْجِزُ آلْفُضَلَاءُ عَنْهُ   لأَنَّكَ أَصْلُهُ وَآلْمَجْدُ تِرْبُ[(٨)]
١٤ - فَدَتْ نَفْسِي آلأَمِيرَ، كَأَنَّ حَظِّي   وَقُرْبِي عِنْدَهُ، مَا دَامَ قُرْبُ
١٥ - فَلَمَّا حَالَتِ آلأَعْدَاءُ دُونِي   وَأَصْبَحَ بَيْنَنَا بَحْرٌ وَ «دَرْبُ»[(٩)]
١٦ - ظَلِلْتَ تُبَدِّلُ آلأَقْوَالَ بَعْدِي   وَيَبْلُغُنِي آغْتِيَابُكَ مَا يُغِبُّ[(١٠)]

---

(١) وفي رواية «وعين» مكان «وعيش». بفناك: ببيتك.
(٢) وفي رواية «فكيف وأنت» مكان «وأنت وأنت». الخَطب: المصيبة.
(٣) الندب: أثر الجرح الباقي بعد اندماله.
(٤) جناني: قلبي. يقدّ: يقطع. العضب: السَّيف القاطع. واللسان العضب: الذليق.
(٥) كبا الزند: لم يشتعل، والزند: العود الأعلى الذي تُقدَح به النار. تخبو: تنطفىء.
(٦) وفي رواية «ودرعي درعك» مكان «وفرعي فرعك». فرعي: أصلي. الزاكي: الشريف. المعلّى: السامي. وحسبُ: أي يكفيني ذلك.
(٧) غُلب: غلّابون للأعداء.
(٨) ترب الإنسان: من كان في نفس عمره.
(٩) حالت الأعداء دوني: أصبحت حاجزاً بيني وبينك.
(١٠) اغتيابك: قولك فيّ أثناء غيابي ما لا يحسن. يغبّ: يجيء يوماً بعد آخر.

١٧ ـ فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ فَلِي لِسَانٌ ... مَلِيءٌ بِٱلثَّنَاءِ عَلَيْكَ رَطْبُ[١]
١٨ ـ وَعَامِلْنِي بِإِنْصَافٍ وَظُلْمٍ ... تَجِدْنِي في ٱلْجَمِيعِ كَمَا تُحِبُّ

ـ ٣٥ ـ

وَلَمَّا حصَل «آبْنُ رَائِقٍ» «بِٱلْمَوْصِلِ»، دَبَّرَ عَلَى «نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ»، لِيَقْتُلَهُ، فَسَبَقَهُ «نَاصِرُ ٱلدَّوْلَةِ» بِٱلْفَتْكَةِ، وَقَدْ كَانَ «آبْنُ رَائِقٍ» قَتَلَ «عُمَارَةَ ٱلْعُقَيْلِي» وَجَمَاعَةً مِنْ «نُمَيْرٍ». فَقَالَ وَهُوَ صَبِيٌّ:

[من الطويل]

١ ـ لَقَدْ عَلِمَتْ «قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ» أَنَّنَا ... بِنَا يُدْرَكُ ٱلثَّأْرُ ٱلَّذِي قَلَّ طَالِبُهْ[٢]
٢ ـ وَأَنَّا نَزَعْنَا ٱلْمُلْكَ مِنْ عُقْرِ دَارِهِ ... وَنَنْتَهِكُ ٱلْقَرْمَ ٱلْمُمَنَّعَ جَانِبُهْ
٣ ـ وَأَنَّا فَتَكْنَا بِٱلأَغَرِّ «آبْنِ رَائِقٍ» ... عَشِيَّةَ دَبَّتْ بِٱلْفَسَادِ عَقَارِبُهْ[٣]
٤ ـ أَخَذْنَا لَكُمْ بِٱلثَّارِ ثَارِ «عُمَارَةٍ» ... وَقَدْ نَامَ لَمْ يَنْهَدْ إِلَى ٱلثَّأْرِ صَاحِبُهْ[٤]

ـ ٣٦ ـ

وَقَالَ يَصِفُ ٱلسَّحَابَ:

[من الرجز]

١ ـ وَزَائِرٍ حَبَّبَهُ إِغْبَابُهُ ... طَالَ عَلَى رَغْمِ ٱلسُّرَى آجْتِنَابُهُ[٥]
٢ ـ وَافَاهُ دَهْرٌ عُصُلٌ أَنْيَابُهُ ... وَآجْتَابَ بُطْنَانَ ٱلْعَجَاجِ جَابُهُ[٦]

---

(١) الثَّناء: المديح.
(٢) القرم: السَّيِّد العظيم. الممنَّع جانبه: الحصين الذي يمتنع على الأعداء.
(٣) ابن رائق: أحد قادة أعداء الحمدانيّين.
(٤) عمارة: هو عمارة العقيليّ، قتله ابن رائق. ينهد: يتطلّع ويقصد.
(٥) الإغباب: أن تأتي قوماً، يوماً، وتتركهم يوماً. السُّرى: السَّير ليلاً.
(٦) العصل: المعوجّة في صلابة. اجتاب: قطع. بطنان: جمع بطن، وهو، من الشيء جوفه. العجاج: الغبار.

٣ - يَـدْأَبُ مَـا رَدَّ آلـزَّمَـان دَابُـهُ ... وَأَرْفَـدَتْ خَـيْـرَاتُـهُ وَرَابُـهُ(١)
٤ - وَافَـى أَمَـامَ هَـطْلِهِ رَبَـابُـهُ ... بَـاكٍ حَـزِينٌ، رَعْـدُهُ آنْتِحَـابُـهُ(٢)
٥ - جَـاءَتْ بِـهِ، مُسَيْـلَةً أَهْـدَابُـهُ، ... رَائِـحَـةً هُـبُـوبُـهَـا هِـبَـابُـهُ(٣)
٦ - ذَيَّـالَـةً ذَلَّـتْ لَـهَـا صِـعَـابُـهُ ... رَكْبُ حَيَـا كَـانَ آلصَّبَـا رِكَـابُـهُ(٤)
٧ - حَـتَّى إِذَا مَـا آتَّصَـلَتْ أَسْـبَابُـهُ ... وَضُـرِبَتْ عَلَى آلـثَّـرَى عُقَـابُـهُ(٥)
٨ - وَضُـرِبَـتْ عَـلَى آلـرُّبَـا قِـبَـابُـهُ ... وَآمْـتَـدَّ فِي أَرْجَـائِـهِ أَطْـنَـابُـهُ(٦)
٩ - وَتَـبِـعَ آنْسِجَـامَـهُ آنْسِـكَـابُـهُ ... وَرَدَفَ آصْـطِـفَـاقَـهُ آضْـطِرَابُـهُ(٧)
١٠ -كَـأَنَّـمَـا قَـدْ حُـمِّـلَتْ سَحَـابُـهُ ... رُكْنَ شَـرَوْرَى وَآصْطَفَتْ هِضَـابُـهُ
١١ -جَـلَّى عَلَى وَجْـهِ آلـثَّـرَى كِتَـابُـهُ ... وَشَـرِقَـتْ بِـمَـائِـهَـا شِـعَـابُـهُ(٨)
١٢ -وَحَـلِيَـتْ بِـنَـوْرِهَـا رِحَـابُـهُ ... كَـأَنَّـهُ لَمَّـا آنْجَلَى مُنْجَـابُـهُ(٩)
١٣ -وَلَـمْ يُـؤَمِّـنْ فَـقْـدَهُ إِيَـابُـهُ ... شَـيْـخٌ كَـبِـيـرٌ عَـادَهُ شَبَابُـهُ(١٠)

- ٣٧ -

وَقَالَ فِي أَسْرِهِ وَقَدْ عُوفِيَ مِنْ عِلَّةٍ، بَعْدَ أَنْ أَقَامَ سَنَتَيْنِ وَنِصْفاً فِي بَدَنِهِ نَصْلُ سَهْمٍ؛ وَشُقَّ عَلَيْهِ مَرَّاتٍ حَتَّى خَرَجَ:

[من الطويل]

١ - وَلَا تَصِفَنَّ آلْحَـرْبَ عِنْدِي فَـإِنَّهَـا ... طَعَـامِيَ مُذْ بِعْتُ آلصِّبَـا وَشَـرَابِي

(١) يدأب: يجدّ. دابه: دأبه. أرفدت: أعانت: رابه: قدره.
(٢) الرباب: السحاب.
(٣) الهباب: النشاط.
(٤) الذيالة: السحابة تجرّ ذيلها. الصَّبا: ريح خفيفة تهبّ من الشرق.
(٥) الأسباب: جمع السبب، وهو الحبل. الثّرى: التراب. العقاب: الراية هنا.
(٦) الرُّبا: جمع الرابية، وهي المرتفع من الأرض. الأطناب: جمع الطنب، وهو حبل تُشدّ به الخيمة إلى الوتد.
(٧) الاصطفاق: الاهتزاز والاضطراب.
(٨) الشِّعاب: جمع الشِّعب، وهو الطريق في الجبل، والانفراج بين الجبلين.
(٩) الرحاب: الأماكن الواسعة. انجلى. انكشف. منجابه: ما انكشف وظهر.
(١٠) إيابه: عودته.

٢ - وَقَدْ عَرَفَتْ وَقْعَ ٱلْمَسَامِيرِ مُهْجَتِي　　وَشُقِّقَ عَنْ زُرْقِ ٱلنُّصُولِ إهَابِي(١)
٣ - وَلَجَّجْتُ فِي حُلْوِ ٱلزَّمَانِ وَمُرِّهِ　　وَأَنْفَقْتُ مِنْ عُمْرِي بِغَيْرِ حِسَابِ(٢)

- ٣٨ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - مَنْ لِي بِكِتْمَانِ هَوَى شَادِنٍ　　عَيْنِي لَهُ عَوْنٌ عَلَى قَلْبِي؟
٢ - عَرَّضْتُ صَبْرِي وَسُلُوِّي لَهُ　　فَٱسْتَشْهَدَا فِي طَاعَةِ ٱلْحُبِّ

- ٣٩ -

وَقَالَ يَذْكُرُ وِصَالاً مَعَ أَحْبَابِهِ:

[من الطويل]

١ - لَبِسْنَا رِدَاءَ ٱللَّيْلِ، وَٱللَّيْلُ رَاضِعٌ،　　إِلَى أَنْ تَرَدَّى رَأْسُهُ بِمَشِيبِ(٣)
٢ - وَبِتْنَا كَغُصْنَيْ بَانَةٍ عَابَثَتْهُمَا　　إِلَى ٱلصُّبْحِ رِيحَا شَمْأَلٍ وَجَنُوبِ(٤)
٣ - بِحَالٍ تَرُدُّ ٱلْحَاسِدِينَ بِغَيْظِهِمْ　　وَتَطْرِفُ عَنَّا عَيْنَ كُلِّ رَقِيبِ(٥)
٤ - إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ　　مَبَادِي نُصُولٍ فِي عِذَارِ خَضِيبِ(٦)

---

(١) في رواية «زرْق المسابير» مكان «وقع المسامير»، و«النّصال» مكان «النصول». والمسابير: جمع المسبار، وهي آلة جارحة للأطبّاء. الزرق: الشديدة الصفاء. النصول والنصال: جمع النصل، وهو شفرة السيف ونحوه.

(٢) في رواية «وجمعت» مكان «ولججت». لجَّج: دخل وجرَّب.

(٣) الشّادن: ولد الغزال، شبَّه حبيبته به لجمالها.

(٤) ويروى «مددنا عليه اللَّيل» مكان «لبسنا رداء اللَّيل». تردَّى: لبس، واتَّصف.

(٥) البانة: واحدة البان، وهو شجر ليِّن. عابتهما: عصفت بهما.
في رواية «طرف» مكان «عين».

(٦) النصول: جمع النصل، وهو شفرة السيف ونحوه. العذار: الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية، وهنا يعني شفرتي النصل.

٥ - فَيَا لَيْلُ قَدْ فَارَقْتَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ وَيَا صُبْحُ قَدْ أَقْبَلْتَ غَيْرَ حَبِيبِ(١)

- ٤٠ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الوافر]

١ - وَلَمَّا أَنْ جَعَلْتُ آللَّـ ـهَ لِي سِتْراً مِنَ آلنُّوبِ(٢)
٢ - رَمَتْنِي كُلُّ حَادِثَةٍ فَأَخْطَتْنِي وَلَمْ تُصِبِ(٣)

- ٤١ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - مُسِيءٌ مُحْسِنٌ طَوْراً وَطَوْراً فَمَا أَدْرِي عَدُوِّيَ أَمْ حَبِيبِي
٢ - يُقَلِّبُ مُقْلَةً، وَيُدِيرُ طَرْفاً، بِهِ عُرِفَ آلْبَرِيءُ مِنَ آلْمُرِيبِ(٤)
٣ - وَبَعْضُ آلظَّالِمِينَ، وَإِنْ تَنَاهَى شَهِيُّ آلظُّلْمِ، مُغْتَفَرُ آلذُّنُوبِ(٥)

- ٤٢ -

وَكَتَبَ إِلَيْهِ «أَبُو آلحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ آلأَسْمَرِ» يُوصِيهِ بِآلصَّبْرِ وَآلتَّجَلُّدِ فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ آلأَبْيَاتِ:

[من الطويل]

١ - نَدَبْتَ لِحُسْنِ آلصَّبْرِ قَلْبَ نَجِيبِ وَنَادَيْتَ لِلتَّسْلِيمِ خَيْرَ مُجِيبِ(٦)

---

(١) مذمّم: مذموم.
(٢) ويروى: «كنتُ إذا جعلتُ الله . . .». النُّوب: المصائب.
(٣) ويروى «وطارقه» مكان «فأخطتني». وأخطتني: أخطأتني.
(٤) المقلة: العين. الطرف: النظر. المريب: الذي فيه ريب.
(٥) تناهى: بالغ.
(٦) في رواية «غير» مكان «خير». ندبت: كلّفت.

٢ - وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ قَلْبٍ مُشَيَّعٍ وَعُودٍ عَلَى نَابِ ٱلزَّمَانِ صَلِيبِ(١)
٣ - وَقَدْ عَلِمَتْ أُمِّي بِأَنَّ مَنِيَّتِي بِحَدِّ سِنَانٍ أَوْ بِحَدِّ قَضِيبِ(٢)
٤ - كَمَا عَلِمَتْ؛ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَغْرَقَ ٱبْنُهَا، بِمَهْلَكِهِ فِي ٱلْمَاءِ؛ «أُمُّ شَبِيبِ»(٣)
٥ - لَقِيتُ مِنَ ٱلأَيَّامِ كُلَّ عَجِيبَةٍ وَقَابَلَنِي دَهْرِي بِوَجْهِ قَطُوبِ(٤)
٦ - وَلَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّي تَشَعُّبُ حَادِثٍ وَلاَ كَرِهَتْ نَفْسِي لِقَاءَ شَعُوبِ(٥)
٧ - تَحَمَّلْتُ، خَوْفَ ٱلْعَارِ، أَعْظَمَ خُطَّةٍ وَأَمَّلْتُ نَصْراً كَانَ غَيْرَ قَرِيبِ(٦)
٨ - وَلِلْعَارِ خَلَّى رَبُّ «غَسَّانَ» مُلْكَهُ وَفَارَقَ دِينَ ٱللَّهِ غَيْرَ مُصِيبِ(٧)
٩ - وَلَمْ يَرْتَغِبْ فِي ٱلْعَيْشِ «عِيسَى بْنُ مُصْعَبٍ» وَلاَ خَفَّ خَوْفَ ٱلْحَرْبِ قَلْبُ حَبِيبِ(٨)
١٠ - رَضِيتُ لِنَفْسِي: «كَانَ غَيْرَ مُوَفَّقٍ» وَلَمْ تَرْضَ نَفْسِي: «كَانَ غَيْرَ نَجِيبِ»(٩)

- ٤٣ -

وَقَالَ وَقَدْ جَاءَ ٱلْعِيدُ وَهُوَ فِي الأَسْرِ:

[من السريع]

١ - يَا عِيدُ! مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبِ عَلَى مُعَنًّى ٱلْقَلْبِ، مَكْرُوبِ(١٠)
٢ - يَا عِيدُ! قَدْ عُدْتَ عَلَى نَاظِرٍ، عَنْ كُلِّ حُسْنٍ فِيكَ، مَحْجُوبِ

(١) في رواية «شيء» مكان «منّي».
(٢) المنيَّة: الموت. القضيب: السَّيف القاطع.
(٣) شبيب هو شبيب بن شبة فارس الخوارج، غرق في نهر.
(٤) قطوب: عابس.
(٥) شعوب: المنيَّة، الموت.
(٦) في رواية «تحمَّلت» مكان «تجشَّمت» وهما بمعنى.
(٧) يقصد جبلة بن الأيهم الذي أبى أمر عمر، فتنصَّر، ورحل، ثمَّ ندم على تنصّره.
(٨) روى ابن خالويه أنَّ عيسى بن مصعب كان مع أبيه في حرب عبد الملك بن مروان، فلمّا أحسَّ مصعب بالموت، قال له: انجُ بنفسك. فقال عيسى له: والله ما كنت لأفارقك، وتقدَّم، فقاتل حتّى قُتِل.
(٩) يروى «رضيت برأي» مكان «رضيتُ بنفسي». والمعنى أنَّه يفضّل عدم التوفيق من اتّهامه بعدم النجابة (كرامة الأصل).
(١٠) المعنَّى: المعذَّب. مكروب: أصابه الكرب، وهو المصيبة.

٣ - يَا وَحْشَةَ ٱلدَّارِ ٱلتِي رَبُّهَا أَصْبَحَ فِي أَثْوَابِ مَرْبُوبِ[1]
٤ - قَدْ طَلَعَ ٱلْعِيدُ عَلَى أَهْلِهِ بِوَجْهِهِ لَا حُسْنٍ وَلَا طِيبِ[2]
٥ - مَا لِي وَلِلدَّهْرِ وَأَحْدَاثِهِ لَقَدْ رَمَانِي بِٱلْأَعَاجِيبِ

- ٤٤ -

قَالَ «ٱبْنُ خَالَوْيهِ»: أَسَرَتْ «بَنُو كِلابٍ» «عِيسَى بْنَ عَبَّادِ بْنِ حَمِيدِ بْنِ رَافِعِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ ٱلْحَكَمِ ؛ راعي ٱلإِبْلِ «سَيدَ بَنِي قَطَنٍ» فَخَرَجَ «أَبُو فِراس» إِلَيْهِمْ حَتَّى ٱنْتَزَعَهُ مِنْهُمْ قَسْراً. فَقَالَ:

[من الوافر]

١ - رَدَدْتُ عَلَى بَنِي «قَطَنٍ» بِسَيْفِي أَسِيراً، غَيْرَ مَرْجُوِّ ٱلإِيَابِ[3]
٢ - سَرَرْتُ بِفَكِّهِ حَيَّيْ «نُمَيْرٍ» وَسُؤْتُ بَنِي «رَبِيعَةَ» وَ «ٱلضِّبَابِ»[4]
٣ - وَمَا أَبْغِي سِوَى شُكْرِي ثَوَاباً وَإِنَّ ٱلشُّكْرَ مِنْ خَيْرِ ٱلثَّوابِ[5]
٤ - فَهَلْ مُثْنٍ عَلَيَّ فَتَى «نُمَيْرٍ» بِحَلِّي عَنْهُ قِدَّ بَنِي «كِلَابِ»[6] ؟

- ٤٥ -

وَكَتَبَ إِلَى سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ مِنَ ٱلأَسْرِ وَقَدْ خُبِّرَ عِلَّةً وَجَدَها:

[من البسيط]

١ - وَعِلَّةٍ لَمْ تَدَعْ قَلْباً بِلَا أَلَمٍ سَرَتْ إِلَى طَلَبِ ٱلْعَلْيَا وغَارِبِهَا[7]

---

(١) المربوب: المستعبد، المملوك.
(٢) وفي رواية «الدهر» مكان «العيد»، و «أهلها» مكان «أهله».
(٣) في رواية «بنفسي» مكان «بسيفي»، و «مرجوع» مكان «مرجوّ»، وفي رواية أخرى «موجود».
(٤) نمير وربيعة والضّباب: قبائل عربيّة.
(٥) أبغي: أريد. الثّواب: المكافأة.
(٦) القِدّ: السّير من الجلد يُقيّد به الأسير.
(٧) سرَتْ: جرت. الغارب هنا: أعلى كلّ شيء. ويروى العجز أيضاً: «سَمَتْ إلى ذروةِ الدُّنيا وغاربِها».

٢ ـ هَـلْ تُقْبَلُ ٱلنَّفْسُ عَنْ نَفْسٍ فَـأَفْدِيَـهُ   آلـلَّهُ يَعْـلَمُ مَـا تَغْـلُو عَلَيَّ بِـهَـا(١)
٣ ـ لَئِنْ وَهَبْتُـكَ نَفْسـاً لاَ نَـظِيـرَ لَهَـا   فَـمَا سَمَـحْتُ بِـهَـا إلَّا لِـوَاهِبهَـا(٢)

- ٤٦ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ ـ فَعَـلَ ٱلْجَمِيـلَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَصْـدِهِ   فَـقَـبِـلْتُـهُ وَقَـرَنْـتُـهُ بِـذُنُـوبِـهِ
٢ ـ وَلَـرُبَّ فِعْـلٍ جَـاءَنِي مِنْ فَـاعِـلٍ   أَحْمَـدْتُـهُ وَذَمَمْتُ مَنْ يَـأْتِي بِـهِ(٣)

- ٤٧ -

وَقَالَ:

[من المتقارب]

١ ـ فَـدَيْتُـكَ، مَـا ٱلْغَـدْرُ مِنْ شِيمَتِـي   قَـدِيماً؛ وَلاَ ٱلْعَجْزُ مِنْ مَـذْهَبِي!(٤)
٢ ـ وَهَبْنِي؛ كَمَـا تَـدَّعِي؛ مُـذْنِبـاً!   أَمَـا تَـقْبَـلُ ٱلْـعُـذْرَ مِنْ مُـذْنِـبِ؟
٣ ـ وَأَوْلَـى آلـرِّجَـالِ، بِعَـتْـبٍ، أَخٌ   يَـكُـرُّ ٱلْعِـتَـابَ عَلَى مُعْـتِـبِ(٥)

- ٤٨ -

وَقَالَ، يُعَاتِبُ «مَنْصُوراً» عِنْدَمَا هَجَرَهُ:

[من السريع]

١ ـ أَلْـزَمَـنِـي ذَنْـبـاً بِـلاَ ذَنْـبِ   وَلَـجَّ فِي ٱلْهِـجْـرَانِ وَٱلْـعَـتْـبِ(٦)

(١) في رواية «فأفديها» مكان «فأفديه».
(٢) في رواية «إنّي» مكان «لَئِنْ».
(٣) أحمدته: وجدته حسناً، وشكرت فاعله.
(٤) شيمتي: طبعي، أخلاقي.
(٥) يكرّ: يواصل.
(٦) لجّ: بالغ.

٢ - أُحَاوِلُ ٱلصَّبْرَ عَلَى هَجْرِهِ وَٱلصَّبْرُ مَحْظُورٌ عَلَى ٱلصَّبِّ(١)
٣ - وَأَكْتُمُ ٱلْوَجْدَ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ عَيْنَايَ عَيْنَيْنِ عَلَى ٱلْقَلْبِ(٢)
٤ - قَدْ كُنْتُ ذَا صَبْرٍ وَذَا سَلْوَةٍ فَٱسْتُشْهِدَا فِي طَاعَةِ ٱلْحُبِّ
٥ - لَا جَعَلَ ٱللَّهُ رَسِيسَ ٱلْهَوَى أَشَدَّ سُلْطَاناً عَلَى ٱلْقَلْبِ!(٣)

- ٤٩ -

وَقَالَ، وَهُوَ فِي أَسْرِ ٱلرُّومِ، وَذَلِكَ مِنْ أَرَقِّ شِعْرِهِ وَأَبْدَعِهِ:

[من السريع]

١ - يَا لَيْلُ؛ مَا أَغْفَلَ، عَمَّا بِي، حَبَائِبِي فِيكَ وَأَحْبَابِي
٢ - يَا لَيْلُ، نَامَ ٱلنَّاسُ عَنْ مُوضَعٍ نَاءٍ، عَلَى مَضْجَعِهِ نَابِي(٤)
٣ - هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ شَآمِيَّةٌ مَتَّتْ إِلَى ٱلْقَلْبِ بِأَسْبَابِ(٥)
٤ - أَدَّتْ رِسَالَاتِ حَبِيبٍ لَنَا فَهِمْتُهَا مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي(٦)

- ٥٠ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - وَعَارَضَنِي ٱلسَّحَابُ فَقُلْتُ: مَهْلاً فَإِنِّي مِنْ دُمُوعِي فِي سَحَابِ
٢ - وَأَنْتَ إِذَا سَكَبْتَ؛ سَكَبْتَ وَقْتاً وَدَمْعِي كُلَّ وَقْتٍ فِي ٱنْسِكَابِ

---

(١) الصَّبّ: العاشق.
(٢) وفي رواية «عيناي عينيه» مكان «عيناي عينين».
(٣) رسيس الهوى: أثره.
(٤) ناءٍ: بعيد. النابي: غير المطمئنّ.
(٥) وفي رواية «لنا» مكان «له».متَّت: اتَّصلتْ.
(٦) وفي رواية «بها» مكان «لنا»، و «عرفتها» مكان «فهمتها».

٣ - فَهَبْكَ صَدَقْتَ: دَمْعُكَ مِثْلُ دَمْعِي، فَهَلْ بِكَ فِي ٱلْجَوَانِحِ مِثْلُ مَا بِي؟(١)

- ٥١ -

وَقَالَ أَيْضاً:

[من الطويل]

١ - لَقَدْ نَزَحَتْ بِٱلْغِيدِ خُوصُ ٱلرَّكَائِبِ، وَقَدْ غَادَرَتْنِي فُرْصَةً لِلنَّوَائِبِ(٢)
٢ - وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا جِنَايَةُ بَيْنِهِمْ عَلَى ٱلْقَلْبِ حَتَّى جَدَّ سَيْرُ ٱلرَّكَائِبِ
٣ - وَلَوْ كَانَ قَلْبِي مِنْ حَدِيدٍ أَذَابَهُ زَفِيرُ ٱلأَسَى بَيْنَ ٱلْحَشَى وَٱلتَّرَائِبِ(٣)
٤ - فَكَيْفَ بِقَلْبٍ إِنَّمَا هُوَ مُضْغَةٌ؛ وَلَوْعَتُهُ جُزْءُ ٱلْهَوَى وَٱلْمَصَائِبِ
٥ - وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلصَّبْرِ فِي ٱلْحُبِّ عَاصِياً إِذَا مَا أَطَاعَ ٱلْحُبُّ نَعْبَ ٱلنَّوَاعِبِ(٤)
٦ - وَمَا بَرِحَتْ فِي ٱلْقَلْبِ، يَوْمَ سُوَيْقَةٍ، مَلاَعِبُ شَوْقٍ، بَيْنَ تِلْكَ ٱلْمَلاَعِبِ
٧ - فَمَا لِلْغَوَانِي، إِذْ عَلاَ ٱلشَّيْبُ مَفْرِقِي، يُعَلِّلْنَ قَلْبِي بِٱلأَمَانِي ٱلْكَوَاذِبِ؟
٣ - أَرَاهُنَّ يُبْدِينَ ٱلصُّدُودَ عَنِ ٱلْفَتَى إِذَا مَا بَدَا ٱلشَّيْبُ ٱلَّذِي فِي ٱلذَّوَائِبِ(٥)
٩ - فَمَا لِيَ إِلاَّ ٱلْبِيضُ؛ وَٱلْبِيضُ، وَٱلْقَنَا، وَجُرْدٌ كِرَامٌ، مُحْصَرَاتُ ٱلْجَوَانِبِ(٢)
١٠ - وَمَا جَزِعَتْ نَفْسِي لِإِيرَادِ مَوْرِدٍ وَلاَ لِذِيَادٍ عَنْ لَذِيذِ ٱلْمَشَارِبِ
١١ - وَلاَ أَنَّنِي لَمَّا حَلَلْتُ مَحَلَّةً فَفَارَقْتُهَا سُدَّتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
١٢ - وَلاَ أَنَا وَانٍ، عِنْدَ مُخْتَلَفِ ٱلْقَنَا وَلاَ بِجَبَانٍ؛ عِنْدَ زَحْفِ ٱلْكَتَائِبِ
١٣ - وَقَدْ أَلْبَسَتْنِي كُلُّ حَالٍ لِبَاسَهَا وَأَحْكَمَنِي طُولُ ٱلسُّرَى بِٱلتَّجَارِبِ(٦)

---

(١) الجوانح: الضلوع.
(٢) نزحت: بعدت. الخوص: جمع الخوصاء، وهي المرتفعة. النوائب: المصائب.
(٣) الأسى: الحزن. الترائب: أعلى الصَّدْر.
(٤) النَّعب: النذير بالفراق.
(٥) الصدود: الجفاء. الذوائب: جمع الذُّؤابة، وهي خصلة الشَّعر.
(٦) البيض: السيوف. القنا: الرماح.
(٧) السُّرى: السَّير ليلاً.

١٤ ـوَعَرَّفَنِي عُرْفَ ٱلْخُطُوبِ وَنُكْرَهَا تَصَرُّفُ أَيَّامٍ أَتَتْ بِـٱلْعَجَائِبِ(١)
١٥ ـوَلَوْ رَضِيَتْ نَفْسِي ٱلْمَقَامَ لَقَصَّرَتْ وَلَكِنَّهَا مَعْقُودَةٌ بِـٱلْكَوَاكِبِ
١٦ ـوَلَوْ أَنَّهَا لَانَتْ لِخَفْضِ مَعِيشَةٍ أَطَاعَتْ مَقَالَاتِ ٱلْغَوَانِي ٱلْكَوَاعِبِ(٢)
١٧ ـوَلَكِنَّ نَفْسِي لَا تُحِبُّ لِيَ ٱلرِّضَا بِغَيْرِ ٱلرِّضَا مِنْ عَالِيَاتِ ٱلْمَنَاصِبِ
١٨ ـوَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أُصُولُهُمْ بَهَالِيلَ، أَبْطَالٍ، كِرَامِ ٱلْمَنَاسِبِ(٣)
١٩ ـوَلَوْلَا «رَسُولُ ٱللَّهِ» كَانَ ٱعْتِزَاؤُنَا لَأَشْرَفِ بَيْتٍ مِنْ «لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ»(٤)

ـ ٥٢ ـ

وَبَلَغَنِي أَنَّ «أَبَا فِرَاسٍ» أَصْبَحَ يَوْمَ مَقْتَلِهِ، حَزِيناً، كَئِيباً؛ وَكَانَ قَدْ قَلِقَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ، قَلَقاً عَظِيماً؛ فَرَأَتْهُ ٱبْنَتُهُ ٱمْرَأَةُ «أَبِي ٱلْعَشَائِرِ»، كَذَلِكَ؛ فَأَحْزَنَهَا حُزْناً كَئِيباً؛ ثُمَّ بَكَتْ؛ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ، وَرِجْلُهُ فِي ٱلرِّكَابِ، وَٱلْخَادِمُ يَضْبُطُ ٱلسَّيْرَ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ كَالَّذِي يَنْعِى نَفْسَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ فَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ ـ أُبُنَيَّتِي، لَا تَحْزَنِي! كُلُّ ٱلْأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ(٥)
٢ ـ أُبُنَيَّتِي، صَبْراً جَمِيـ ـلًا لِلْجَلِيلِ مِنَ ٱلْمُصَابِ!(٦)
٣ ـ نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ! مِنْ خَلْفِ سِتْرِكِ وَٱلْحِجَابِ!(٧)
٤ ـ قُولِي إِذَا نَادَيْتِنِي، وَعَيِيتُ عَنْ رَدِّ ٱلْجَوَابِ:(٨)
٥ ـ زَيْنُ ٱلشَّبَابِ، «أَبُو فِرَا سٍ»، لَمْ يُمَتَّعْ بِـٱلشَّبَابِ!

---

(١) الخطوب: المصائب.
(٢) الغواني: جمع الغانية، وهي الفتاة الحسناء. الكواعب: جمع الكاعب، وهي التي نهد ثديها وأشرف.
(٣) البهاليل: جمع البهلول، وهو السَّيِّد الجامع لصفات الخير.
(٤) لؤي بن غالب: جدّ جاهليّ من قريش.
(٥) الأنام: الناس.
(٦) الجليل: العظيم.
(٧) ويروى البيت: ابكي أباكِ واندبيه وراء سترِكِ والحجاب
(٨) عييتِ: عجزت.

ثُمَّ سَارَ إِلَى مُلَاقَاةِ «قَرْغَوَيْه»؛ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ؛ وَهَذَا آخِرُ مَا قَالَهُ مِنَ ٱلشِّعْرِ؛ فِيمَا بَلَغَنِي؛ فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَحُولُ، وَلَا يَزُولُ، وَهُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ.

- ٥٣ -

وكَتَبَ إِلَى «أَبِي زُهَيْرٍ ٱلْمُهَلْهِلِ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَمْدَانَ» جَواباً عَنْ قَصِيدَة كَتَبَهَا إِلَيْهِ ٱبْتِدَاءً أَوَّلُهَا:

[بَانَ صَبْرِي بِبَيْنِ ظَبْيٍ رَبِيبِ...] قَالَ:

[من الخفيف]

١ - وَقَفَتْنِي عَلَى ٱلْأَسَى وَٱلنَّحِيبِ ... مُقْلَتَا ذَلِكَ ٱلْغَزَالِ ٱلرَّبِيبِ(١)

٢ - كُلَّمَا عَادَنِي ٱلسُّلُوُّ؛ رَمَانِي ... غُنُجُ ٱلْحَاظِهِ بِسَهْمٍ مُصِيبِ(٢)

٣ - فَاتِرَاتٌ، قَوَاتِلٌ، فَاتِنَاتٌ، ... فَاتِكَاتٌ سِهَامُهَا فِي ٱلْقُلُوبِ

٤ - هَلْ لِصَبٍّ مُتَيَّمٍ مِنْ مُعِينٍ؟ ... وَلِدَاءٍ مُخَامِرٍ مِنْ طَبِيبِ؟(٣)

٥ - أَيُّهَا ٱلْمُذْنِبُ ٱلْمُعَاتِبُ حَتَّى ... خِلْتُ أَنَّ ٱلذُّنُوبَ كَانَتْ ذُنُوبِي

٦ - كُنْ كَمَا شِئْتَ مِنْ وِصَالٍ وَهَجْرٍ ... غَيْرُ قَلْبِي عَلَيْكَ غَيْرُ كَئِيبِ

٧ - لَكَ جِسْمُ ٱلْهَوَى، وَثَغْرُ ٱلْأَقَاحِي، ... وَنَسِيمُ ٱلصَّبَا، وَقَدُّ ٱلْقَضِيبِ(٤)

٨ - قَدْ جَحَدْتَ ٱلْهَوَى، وَلَكِنْ أَقَرَّتْ ... سِيمِيَاءُ ٱلْهَوَى، وَلَحْظُ ٱلْمُرِيبِ(٥)

٩ - أَنَا فِي حَالَتَيْ وِصَالٍ وَهَجْرٍ ... مِنْ جَوَى ٱلْحُبِّ فِي عَذَابٍ مُذِيبِ(٦)

١٠ - بَيْنَ قُرْبٍ مُنَغَّصٍ بِصُدُودٍ ... وَوِصَالٍ مُنَغَّصٍ بِرَقِيبِ

---

(١) المقلتان: العينان. الربيب: المربَّى.

(٢) الحاظة: عيناه.

(٣) الصَّبّ: العاشق. معين: مساعد. مخامر: مخالط الجوف.

(٤) الأقاحي: جمع الأقحوان. وهو نبت زهره أبيض. الصَّبا: ريح خفيفة تهبّ من الشرق.

(٥) سيمياء: علامة. المريب: الذي يوقع الشّكّ والريبة.

(٦) وفي رواية «أذى» مكان «جوى». الوِصال: مبادلة الحبّ.

١١ ـ يَا خَلِيلَيَّ، خَلِّيَانِي وَدَمْعِي إِنَّ فِي ٱلدَّمْعِ رَاحَةَ ٱلْمَكْرُوبِ[١]
١٢ ـ مَا تَقُولاَنِ فِي جِهَادِ مُحِبّ وَقَفَ ٱلْقَلْبَ فِي سَبِيلِ ٱلْحَبِيبِ؟
١٣ ـ هَلْ مِنَ ٱلظَّاعِنِينَ مُهْدٍ سَلاَمِي لِلْفَتَى ٱلْمَاجِدِ ٱلْحَصِيفِ ٱلأَدِيبِ؟[٢]
١٤ ـ ٱبْنُ عَمِّي ٱلدَّانِي، عَلَى شَحْطِ دَارٍ؛ وَٱلْبَعِيدُ ٱلْقَرِيبُ غَيْرُ ٱلْقَرِيبِ[٣]
١٥ ـ خَالِصُ ٱلْوِدِّ، صَادِقُ ٱلْوَعْدِ، أُنْسِي فِي حُضُورِي، مُحَافِظِي فِي مَغِيبِي
١٦ ـ كُلَّ يَوْمٍ يَهْدِي إِلَيَّ رِيَاضاً جَادَهَا فِكْرُهُ بِغَيْثٍ سَكُوبِ[٤]
١٧ ـ وَارِدَاتٍ بِكُلِّ أُنْسٍ وَبِرٍّ وَافِدَاتٍ بِكُلِّ حُسْنٍ وَطِيبِ
١٨ ـ «يَاٱبْنَ نَصْرٍ» وُقِيتَ بُؤْسَ ٱللَّيَالِي وَصُرُوفَ ٱلرَّدَى، وَكَرْبَ ٱلْخُطُوبِ[٥]
١٩ ـ بَانَ صَبْرِي لَمَّا تَأَمَّلَ طَرْفِي: «بَانَ صَبْرِي بِبَيْنِ ظَبْيٍ رَبِيبِ»[٦]

ـ ٥٤ ـ

وَلَمَّا أَوْقَعَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» «بِبَنِي عُقَيْلٍ»، وَ«نُمَيْرٍ»، وَ«كِلاَبٍ»، حِينَ عَاثُوا فِي أَعْمَالِهِ وَٱشْتَدُّوا، أَنْفَذَ «أَبَا فِرَاسٍ»، فِي بَعْضِ ٱلسَّرَايَا؛ فَظَفِرَ وَٱنْتَصَرَ، فَكَتَبَ إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» بِهَذِهِ ٱلأَبْيَاتِ:

[من البسيط]

١ ـ يَا ضَارِبَ ٱلْجَيْشِ بِي فِي وَسْطِ مَفْرِقِهِ لَقَدْ ضَرَبْتَ بِنَفْسِ ٱلصَّارِمِ ٱلْغَضِبِ[٧]
٢ ـ لاَ تَحْرُزُ ٱلدِّرْعُ عَنِّي نَفْسَ صَاحِبِهَا وَلاَ أُجِيرُ ذِمَامَ ٱلْبِيضِ وَٱلْيَلَبِ[٨]

---

(١) المكروب: المحزون، المُصاب.
(٢) الظاعن: المرتحل. الأريب: الماهر. الماجد: ذو المجد. الحصيف: الجيِّد الرأي.
(٣) وفي رواية «والقريب المحلّ غير قريب». شَحْط: بعْد.
(٤) وفي رواية «مصيب» مكان «سكوب». الغيث: المطر.
(٥) وفي رواية «صرف» مكان «بؤس»، و«كرّ» مكان «كرب». صروف الرَّدى: أحداث الموت. كرب الخطوب: المصائب.
(٦) الربيب: المربَّى. وعجز هذا البيت هو صدر القصيدة التي يجيب عليها.
(٧) الصارم العضب: السيف القاطع.
(٨) البيض: السيوف. اليلب: الدروع من الجلود.

٣ - وَلَا أَعُـودُ بِـرُمْحِي غَيْـرَ مُنْحَـطِمٍ   وَلَا أَرُوحُ بِسَيْفِي غَيْـرَ مُخْـتَضِـبِ(١)
٤ - حَتَّى تَقُـولَ لَـكَ ٱلْأَعْـدَاءُ رَاغِمَـةً:   «أَضْحَى ٱبْنُ عَمِّكَ هَذَا فَارِسَ ٱلْعَرَبِ»(٢)
٥ - هَيْهَـاتَ لَا أَجْحَـدُ ٱلنَّعْمَـاءَ مُنْعِمَهَـا   خَلَفْتَ «يَاٱبْنَ أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ» فِيَّ أَبِي؟
٦ - يَـا مَنْ يُـحَـاذِرُ أَنْ تَمْضِي عَلَيَّ يَـدٌ   مَا لِي أَرَاكَ لِبِيضِ ٱلْهِنْدِ تَسْمَحُ بِي؟(٤)
٧ - وَأَنْتَ بِي مِنْ أَضَنِّ ٱلنَّـاسِ كُلِّهِـمِ   فَكَيْفَ تَبْـذُلُنِي لِلسُّمْـرِ وَٱلْقُضُبِ؟(٥)
٨ - مَـا زِلْتُ أُنْكِرُهُ فَضْـلًا؛ وَأَجْحَـدُهُ   نُعْمَى، وَأُوْسِعُ مِنْ عُجْبٍ وَمِن عَجَبِ(٦)
٩ - حَتَّى رَأَيْتُـكَ بَيْنَ ٱلنَّـاسِ مُجْتَنِبـاً   تُثْنِـي عَلَيَّ بِـوَجْـهٍ غَيْـرِ مُتَّئِبِ(٧)
١٠ - فَعِنْـدَهَـا، وَعُيُـونُ ٱلنَّـاسِ تَـرْمُقُنِي،   عَلِمْتُ أَنَّـكَ لَمْ تُخْـطِئْ وَلَمْ أُصِبِ

---

(١) وفي رواية «محتطم» مكان «منحطم». مختضب: ملوّن بدماء الأعداء.
(٢) راغمةً: مجْبَرَةً.
(٣) أي: خلفت أبي في الإنعام والفروسيّة.
(٤) بيض الهند: السيوف الهنديّة.
(٥) أضَنّ: أحرص. السّمر والقضب: الرماح والسيوف.
(٦) في رواية «أجهله» مكان «أنكره»، «وأنكره» مكان «وأجحده».
(٧) مجتنباً: مبتعداً. متّئب: مستَحْيٍ.

قافية التاء

- ٥٥ -

[من الكامل]

١ - وَأَخٍ تَـطَبَّـعَ بـالـمَـوَدَّةِ، لَـيْـتَـنـي مِنْ قَبْـلِ ذَاكَ عَـدِمْتُهـا وَعَـدِمْتُـهُ
٢ - أَسْـدَى إلـيَّ يـداً تكـلَّفَ فِـعْـلَهـا لا عَنْ رِضـاً فشكـرتُهـا وَذَمَـمْتُـهُ

- ٥٦ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - أَخَـذْتَ فِـي تَـطَلُّبِ آلْـعِـلاَّتِ حِينَ لَمَّـا رَأَتْ مَشِيبَ شَـوَاتِـي[1]

(*) البيتان ليسا في رواية ابن خالويه، وقد نقلهما سامي الدّهّان عن مخطوطة عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي، الورقة ٨٠ و (بالأحمديّة).

(١) الشَّواة: جلدة الرأس، والمقصود هنا الشَّعر.

٢ - يَـا لَشَيْبِ ٱلْعِـذَارِ وَٱلـرَّأْسِ ؛ مَـا يَفْـ ـعَـلُ فِي ٱلْعَـاشِقِينَ وَٱلْعَـاشِقَـاتِ(١)
٣ - ظَـهَــرَتْ فِي مَـفَــارِقِي ؛ شَـعَــرَاتٌ هُنَّ بُغْضِي إِلَى هَـوَى ٱلْغَـانِيَــاتِ(٢)
٤ - عَجَّــلَ ٱلشَّيْبُ فِي عِـذَارِي ؛ وَهَــذَا شَـاهِـدِي عِنْــدَهَـا بِشَيْبِ لِـدَاتِي(٣)
٥ - إِنَّ «سَلْمَى» ؛ لَا يُبْعِدِ ٱللَّهُ «سَلْمَى» ؛ تَــرَكَـتْ مُقْلَتِي بِـغَـيْــرِ سُبَــاتِ(٤)
٦ - لَـحَــظَتْنِي فَــأَسْقَـمَـتْنِـي، وَمَــا زَا لَ سَقَــامُ ٱلْمُحِبِّ فِي ٱللَّحَــظَاتِ(٥)
٧ - أَيُّـهَــا ٱلْفَـاضِــلُ ٱلأَنَـامَ بِـعِـلْـمٍ، وَكَـمَــالٍ، وَفِــطْـنَــةٍ، وَثَـبَــاتِ!(٦)
٨ - قِـيــلَ لِي إِنَّــكَ ٱعْـتَلَلْتَ، فَــأَبْـلَيْـ ـتُ جَـدِيدَ ٱلْخَـدَّيْنِ، بِـٱلْعَبَـرَاتِ(٧)
٩ - وَأَرَدْتُ ٱلْـمَـصِـيــرَ نَـحْــوَكَ لَــكِـنْ شَـغَلَـتْـنِي طَــوَارِقُ ٱلْـحَــادِثَــاتِ(٨)
١٠ - كُــلَّـمَــا رُمْـتُ أَنْ أَجِــيءَ بِــوَصْـفٍ قَصَّــرَتْ عَنْ مَـدَى عُــلَاكَ صِفَـاتِي
١١ - أَنْـتَ مُــرْوِي ٱلْقَـنَــا ؛ وَمُــوتِـمُ أَوْلَا دِ ٱلأَعَــادِي ؛ وَمُثْكِــلُ ٱلأُمَّـهَــاتِ(٩)
١٢ - جِئْتُ أَسْعَى إِلَى «ٱلْـفُـرَاتِ» وَلَــوْلَا قُــرْبُـهُ مِنْــكَ لَمْ أَجُـزْ «بِــٱلْفُـرَاتِ»

- ٥٧ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - أُكْفُفْ لِحَـاظَكَ عَنْ مَحَـاسِنِ وَجْهِـهِ لَا تَجْرَحَنَّ بِلَحْـظِهَــا وَجَنَـاتِــهِ!(١٠)

---

(١) العِذار: الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية.
(٢) الغانيات: الحسناوات.
(٣) اللّدات: جمع اللّدة، وهو من ولد معك.
(٤) مقلتي: عيني. سُبات: نوم.
(٥) لحظتني: رمتني بلحاظها (عينيها). أسقمتني: أمرضتني.
(٦) الأنام: الناس.
(٧) العبرات: الدموع.
(٨) طوارق الحادثات: المصائب التي تأتي ليلاً.
(٩) موتم الأولاد: قاتِل آبائهم. مثكل الأمهات: قاتِل أولادهنّ.
(١٠) أكفف: أبعدْ هنا. اللحظ: النَّظَر هنا. الوجنات: جمع الوجنة، وهي ما ارتفع من الخدَّين.

٢ ـ أوَمَا تَرَاهُ، كَأَنَّهُ بَدْرُ ٱلدُّجَى؟ عَوِّذْ مَحَاسِنَ وَجْهِهِ بِحَيَاتِهِ(١)

ـ ٥٨ ـ

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ ـ وَمُعَوَّدٍ لِلْكَرِّ؛ فِي حَمْسِ ٱلْوَغَى، غَادَرْتُهُ؛ وَٱلْفَرُّ مِنْ عَادَاتِهِ(٢)
٢ ـ حَمَلَ ٱلْقَنَاةَ عَلَى أغَرَّ، سَمَيْذَعٍ، دَخَّالِ مَا بَيْنَ ٱلْفَتَى وَقَنَاتِهِ(٣)
٣ ـ لَا أَطْلُبُ ٱلرِّزْقَ ٱلذَّلِيلَ مَنَالُهُ فَوْتُ ٱلْهَوَانِ، أَجَلُّ مِنْ مَقْنَاتِهِ(٤)
٤ ـ عَلِقَتْ بَنَاتُ ٱلدَّهْرِ، تَطْرُقُ سَاحَتِي لَمَا فَضَلْتُ بَنِيهِ فِي حَالَاتِهِ(٥)
٥ ـ فَٱلْحَرْبُ تَرْمِينِي بِبِيضِ رِجَالِهَا وَٱلدَّهْرُ يَطْرُقُنِي بِسُودِ بَنَاتِهِ

---

(١) الدُّجى: اللَّيل. عَوِّذْ: دَعْ له بالحفظ.
(٢) حَمْس الوغى: اشتداد الحرب.
(٣) الأغرّ: الكريم الأفعال. السميذع: الشريف الشجاع.
(٤) ويروى «أذلّ» مكان «أجلّ»، و «الدنيّ» مكان «الذليل»، و «فوق» مكان «فوت».
(٥) وفي رواية «تطلب» مكان «تطرق». وبنات الدهر: مصائبه.

قافية الثاء

- ٥٩ -

وَقَالَ أَيْضاً؛ مُعَرِّضاً «بِسَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»:

[من الطويل]

١ - وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَرَتْ بِفِرَاقِنَا   يَدُ ٱلدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ: مَنْ هُوَ حَارِثُ؟
٢ - يُذَكِّرُنَا بُعْدُ ٱلْفِرَاقِ، عُهُودَهُ   وَتِلْكَ عُهُودٌ قَدْ بَلِينَ رَثَائِثُ(١)

- ٦٠ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - أَلَا لَيْتَ قَوْمِي، وَٱلْأَمَانِي كَثِيرَةٌ،   شُهُودِي؛ وَٱلْأَرْوَاحُ غَيْرُ لَوَابِثِ(٢)

(١) الرثائث: البالية. والرَّثيث، أيضاً، الجريح الذي فيه بقيَّة حياة.
(٢) غير لوابث: فانية، إلى زوال.

٢ - غَـدَاةَ تُنَـادِينِي آلْفَـوَارِسُ؛ وَآلْقَنَـا   تَـرُدُّ إِلَى حَدِّ آلـظُّبَا كُـلَّ نَـاكِثِ:[١]
٣ - «أَحَارِثُ»؛ إِنْ لَمْ تُصْدِرِ آلرُّمْحَ قَـانِياً   وَلَمْ تَدْفَعِ آلْجُلَّى فَلَسْتَ «بِحَارِثِ»![٢]

- ٦١ -

[من مجزوء الكامل]

١ - أَيْـقَـنْـتُ أَنِّـي مَـا حَـيِـيْـ   ـتُ، رَهِـيـنُ شُـكْـرِ آلـحَـارِثِ
٢ - فَـإِذا الـمَـنِـيَّـةُ أَشْـرَفَـتْ   أَوْصَـيْـتُ ذَلِـكَ وارِثـي
٣ - مِـنْ سَـيِّـدٍ بـالأَمْـرِ وَدْ   دَكَ، لَـيْسَ ذاكَ لـثـالـثِ
٤ - قَـسَـمـاً عـلى صِـدْقِ آلـضَّـمِـيـ   ـرِ، ولَـسْـتُ فِـيـهِ بـحـانِـثِ[٣]

---

(١) الناكث: ناقض العهد.
(٢) أحـارِث: يا حارث. القاني: المصبوغ بدم الأعداء.
(٣) الأبيات ليست في ديوانه (تحقيق سامي الدّهّان)، وهي في نسخة الأحمديّة ص ٢٦ - ٢٧.

قافية الجيم

- ٦٢ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرجز]

١ - قَـامَـتْ إِلَـى جَـارَتِـهَـا تَـشْـكُـو، بِـذُلٍّ وَشَـجَـا
٢ - أَمَـا تَـرِيـنَ، ذا ٱلْـفَـتَـى؟ مَـرَّ بِـنَـا مَـا عَـرَّجَـا
٣ - إِنْ كَـانَ مَـا ذَاقَ ٱلْـهَـوَى، فَـلَا نَـجَـوْتُ، إِنْ نَـجَـا

- ٦٣ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - قَـدْكَ يَـا أَيُّهَـا ٱلْمُـلِحُّ ٱللَّجُـوجُ، لَيْسَ مِنْ حُكْمِهَـا، عَلَيَّ، خُـرُوجُ[1]

(١) في رواية «كم أيّها» مكان «يا أيّها».

٢ - غَـادَةٌ تَـنـثَـنِـي، فَـتُـبْـلَغُ آمَـا ... لُ، إذَا مَـا ٱنْثَنَتْ، وتُـدْرَكُ حُـوجُ(١)
٣ - أَزْعَـجَتْ عِـيسَـهَـا بِـبُـرْقَـةِ خَـوٍّ، ... فَفُـؤَادِي صَبٌّ بِـهَـا مَلْهُـوجُ(٢)
٤ - ثُمَّ عَـادُوا، مُعَـرِّجِينَ، لِيَقْـضُـوا ... وَطَـراً، بِئْسَ ذَلِـكَ ٱلتَّعْـرِيـجُ(٣)
٥ - سَتَـرَتْ حُسْنَهَـا ٱلْحِجَـالُ، وَلَـكِنْ ... سَتَـرَتْهَـا مَعَ ٱلْحُجُـولِ ٱلْحُـدُوجُ(٤)
٦ - وَكَـذَا ٱلـشَّمْسُ إنْ تَـبَـدَّتْ نَـهَـاراً ... سَتَـرَتْهَـا مَـعَ ٱلأُفُـولِ ٱلْبُـرُوجُ
٧ - عَلِّلِينَـا، بِـطِيبِ رِيقِـكِ، يَـا مَـنْ ... بِجَنَى ٱلنَّحْـلِ، رِيقُـهَـا مَمْـزُوجُ
٨ - لَمْ يَـزِدْكِ ٱلْخَلْخَـالُ حُسْنـاً، وَلَكِنْ ... بِـكِ زِينَ ٱلْخَلْخَـالُ وَٱلـدُّمْلُوجُ(٥)
٩ - وَكَـأَنَّ ٱلْـحَسْنَـاءَ، لَمَّـا تَـثَـنَّـتْ، ... بَيْنَ أَتْـرَابِهَـا ٱلْمَـهَـا، عُسْلُوجُ(٦)
١٠ - أَيُّهَـا ٱلرَّاكِبُ، ٱلَّـذِي هَمُّـهُ، ٱلْـوَخْـ ... ـدُ، وَحَثُّ ٱلْمَـطِيِّ، وَٱلتَّعْمِيـجُ(٧)
١١ - عُـجْ «بِـوَادِي ٱلأَرَاكِ» نَبْـكِ رُسُـومـاً ... دَارِسَاتٍ، وَنَادِ بِـٱلـرَّكْبِ: عُـوجُـوا!(٨)
١٢ - يَـا بَنِي ٱلْعَمِّ، قَـدْ أَتَـانَـا ٱبْنُ عَمٍّ ... فِي طِلَابِ ٱلْعُلَا، صَعُـودٌ، لَجُوجُ
١٣ - فَـاضِـلٌ، كَـامِـلٌ؛ أَدِيـبٌ، أَرِيبٌ ... قَـائِلٌ، فَـاعِـلٌ، جَمِيـلٌ، بَهِيـجُ
١٤ - حَـازِمٌ، عَـازِمٌ؛ حَـرُوبٌ، سَلُوبٌ ... ضَـارِبٌ، طَـاعِنٌ، خَـرُوجٌ، وَلُـوجُ
١٥ - مِحْـرَبٌ، هَمُّـهُ حُسَـامٌ صَقِيـلٌ، ... وَجَـوَادٌ مُـطَهَّـمٌ، عُـنْـجُـوجُ(٩)

---

(١) الحوج: الحاجات.
(٢) العيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها شقرة أو سواد خفيف. برقة خَوّ: أرض لديار أبي بكر بن كلاب. صبٌّ بها: مغرَم بها. ملهوج: كثير الشّغف.
(٣) وفي رواية «وطر النفس» مكان «وطراً بئّس».
(٤) الحِجال: جمع الحجلة، وهي موضع للعروس يُزَيَّن بالسُّتور. الحدوج: جمع الحِدْج، وهو مركب من مراكب النساء كالهودج والمِحَفّة.
(٥) الدّملوج: حلي يُلبَس في المعصم.
(٦) العسلوج: الغصن الناعم.
(٧) الوَخْد: السَّير السريع. المطيّ: المطايا. التعميج: الإسراع، والالتواء في السَّير.
(٨) عُجْ: مِلْ. الرسوم: ما بقي من آثار الديار بعد نزوح أهلها عنها. دارسات: مُمْحاة.
(٩) مِحْرَب: شديد الحرب، كثير الخوض في المعارك. الحسام الصَّقيل: السَّيف المصقول. مُطَهَّم: ضَخْم (وفي رواية «مضمَّر»). عنجوج: أصيل، جيِّد.

١٦ - وَخُيُولٌ، وَغِلْمَةٌ، وَدُرُوعٌ، وَسُيُوفٌ، وَضُمَّرٌ، وَوَشِيجُ(١)
١٧ - لَكَ بَحْرٌ مِنَ ٱلنَّدَى كُلُّ بَحْرٍ مِنْ بِحَارِ ٱلنَّدَى، لَدَيْهِ خَلِيجُ(٢)
١٨ - أَنْتَ لَجَّجْتَ فِي ٱلْمَكَارِمِ؛ ما كُلُّ كَرِيمٍ، مِنْهَا، لَهُ تَلْجِيجُ(٣)
١٩ - فَكَفَاكَ ٱلْمَحْذُورَ، جَمْعاً، وَوَقَّاكَ ٱلَّذِي، بَيْتَهُ يَؤُمُّ ٱلْحَجِيجُ

- ٦٤ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - شَعَرَاتٌ، فِي ٱلرَّأْسِ، بِيضٌ وَغُنْجٌ، حَلَّ رَأْسِي، جَيْشَانِ: رُومٌ وَزِنْجُ(٤)
٢ - أَيُّهَا ٱلشَّيْبُ، لِمْ حَلَلْتَ بِرَأْسِي؟ إِنَّمَا، لِي، عَشْرٌ، وَعَشْرٌ، وَبَنْجُ!...

- ٦٥ -

وَقَالَ:

[من المنسرح]

١ - أَحْسَنُ مِنْ قَهْوَةٍ مُعَتَّقَةٍ بِكَفِّ ظَبْيٍ، مُقَرْطَقٍ، غَنِجِ(٥)
٢ - صَوْتُ قِرَاعٍ، فِي وَسْطِ مَعْمَعَةٍ قَدْ صَبَغَ ٱلْأَرْضَ مِنْ دَمِ ٱلْمُهَجِ(٦)

---

(١) غلمة: غلمان. وضمَّر: خيول مضمَّرة. الوشيج: الرماح.
(٢) لندى: العطاء.
(٣) لجَّجْتَ: ركبتَ اللُّجَّة، والمعنى أكثرتَ من المكارم.
(٤) شبَّه الشَّعر البيض بالرّوم، والشّعر الغنج (الأسود) بالزّنج، والبنج هو العدد خمسة في الهندية.
(٥) مقرطق: يلبس القُرْطَق، وهو القَباء، أي الثّوب الذي يُلبَس فوق القميص.
(٦) قراع: قراع السُّيوف. المعمعة: الحرب والقتال. المُهَج: النفوس.

- ٦٦ -

وَقَالَ أَيْضاً:

[من الوافر]

١ - «أَيَــا مَنْــصُـورُ» خَــانَتْنِي ثِقَــاتِـي   فَمَهِّدْ لِي عَلَى ٱلْعَدَوِيِّ سَـرْجِي!(١)

٢ - «بَنُــو حَمْـدَانَ» حُسَّــادِي، جَمِيعـاً،   فَمَــا لِي لَا أَزُورُ «بَنِيَّ طُـغْـجِ»؟!

٣ - أُحُـجُّ إِلَـيْـهِـمُ حَـجَّ ٱعْـتِـضَــادٍ،   بِعَقْــوَةِ عُمْــرِهِمْ، فَـيَبَــرَّ حَـجِّي(٢)

- ٦٧ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - جَــارِيَــةٌ، كَـحْــلَاءُ، مَـمْـشُـوقَـةٌ   فِي صَــدْرِهَـا: حُقَّــانِ مِنْ عَــاجِ(٣)

٢ - شَجَــا فُــؤَادِي طَـرْفُهَــا ٱلسَّــاجِي   وَكُــلُّ سَــاجٍ طَــرْفُــهُ شَــاجِ(٤)

---

(١) العدويّ: الفرس الشّديد العَدْو.

(٢) اعتضاد: استعانة. العَقْوَة: ما حول الدار.

(٣) الحَقّ: وعاء صغير يوضع فيه الطِّيب خصوصاً.

(٤) شجا فؤادي: هيَّج شوقه. طرفها: نظرها. السَّاجي: الساكن. الشاجي: المُشَوِّق.

قافية الحاء

- ٦٨ -

وَقالَ، وَقَدْ أغارَ «صَباحُ بْنُ جَعْفَرٍ ٱلْكِلابِيُّ» وَبَنُو «كِلابٍ» عَلَى وِلَايَتِهِ، فَرَكِبَ، حَتَّى لَحِقَهُم بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ «بِخُسَاف»، فَقَتَلَ صَباحاً، وَهَزَمَهُمْ.

[من الوافر]

١ - أَلَا أَبْلِغْ سَرَاةَ «بَنِي كِلَابٍ» ... إِذَا نَدَبَتْ نَوَادِبُهُمْ صَبَاحَا[1]

٢ - جَزَيْتُ سَفِيهَهُمْ سُوءاً بِسُوءٍ ... فَلَا حَرَجاً أَتَيْتُ وَلَا جُنَاحاً[2]

٣ - قَتَلْتُ فَتَى بَنِي «عَمْرِو بْنِ عَبْدٍ» ... وَأَوْسَعَهُمْ عَلَى ٱلضِّيفَانِ سَاحَا[3]

٤ - قَتَلْتُ مُعَوَّداً عَلَلَ ٱلْعَشَايَا ... تَخَيَّرَتِ ٱلْعَبِيدُ لَهُ ٱللِّقَاحَا[4]

---

(١) السراة: الأشراف والسّادة.

(٢) الحَرَج: الذّنب والإثم. وكذلك الجُناح.

(٣) وفي رواية «معد» مكان «عبد».

(٤) اللّقاح: الناقة الحلوب.

٥ - وَلَسْتُ أَرَى فَسَاداً فِي فَسَادٍ   يَجُرُّ عَلَى فَرِيقَيْهِ صَلَاحَا

- ٦٩ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - إِرْتَاحَ، لَمَّا جَازَ، إِرْتَاحَا،   وَلَاحَ مِنْ «جَوْشَرَ» مَا لَاحَا

٢ - لَمَّا رَأَى مَسْحَبَ أَذْيَالِهِ،   بَاحَ مِنَ ٱلْحُبِّ بِمَا بَاحَا

٣ - مَلْعَبُ لَهْوٍ، كُلَّمَا جِئْتُهُ،   وَجَدْتُ فِيهِ ٱلرَّوحَ وَٱلرَّاحَا(١)

٤ - وَشَادِنٍ يُعْطِيكَ، مِنْ رِيقِهِ   وَخَدِّهِ، وَرْداً وَتُفَّاحَا(٢)

٥ - اذَا رَأَى، فِي مَجْلِسٍ فَتْرَةً،   أَرْدَفَ بِٱلْأَقْدَاحِ أَقْدَاحَا(٣)

- ٧٠ -

وَقَالَ:

[من الهزج]

١ - أَيَا مَنْ دُونَهُ ٱلْمَدْحُ،   وَفِي أَفْعَالِهِ قُبْحُ!

٢ - إِذَا جَازَيْتَ بِٱلصَّدِّ   فَأَيْنَ ٱلْعَفْوُ وَٱلصَّفْحُ؟

- ٧١ -

وَقَالَ، لَمَّا أَتَى «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» بَنِي «كِلَابٍ»:

[من الوافر]

١ - عَجِبْتُ، وَقَدْ لَقِيتَ بَنِي «كِلَابٍ»،   وَأَرْوَاحُ ٱلْفَوَارِسِ تُسْتَبَاحُ(٤)

---

(١) الرَّوح: السُّرور. الرَّاح: الخمر.

(٢) الشادن: ولد الغزال.

(٣) أردف: أعقب.

(٤) تُسْتَبَاح: تذهب رخيصةً مباحةً للعدوّ.

٢ - وَكَيْفَ رَدَدْتَ غَـرْبَ ٱلْجَيْشِ عَنْهُمْ   وَقَدْ أَخَـذَتْ مَآخِذَهَـا ٱلـرِّمَـاحُ[١]

- ٧٢ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - يَـا قَلِيلَ ٱلْـوَفَـاءِ، هَـذَا قَبِيـحٌ!   أَنْتَ خِلْوٌ، مِنَ ٱلْهَـوَى، مُسْتَرِيـحُ!
٢ - أَنْتَ، لَوْ كَانَ لِلْهَـوَى فِيكَ حَظٌّ،   لَمْ يَبِتْ مِنْكَ، مِثْلُ قَلْبِي، جَرِيحُ
٣ - إِنَّمَـا يَحْسُنُ ٱلتَّهَـاجُـرُ يَـوْمـاً   فَـإِذَا كَـانَ دَائِمـاً، فَقَـبِيـحُ[٢]
٤ - كُـلُّ هَجْـرٍ، يَـدُومُ يَوْمـاً إِلَى ٱللَّيْـ   ـلِ وَيَفْنَى، فَـذَاكَ هَجْـرٌ مَلِيـحُ

- ٧٣ -

وَقَالَ يَرْثِي «أَبَا ٱلْعَشَائِرِ ٱلْحُسَيْنَ بْنَ عَلِي بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ»؛ وَقَدْ مَاتَ أَسِيراً بِالرُّومِ:

[من الكامل]

١ - أَ«أَبَـا ٱلْعَشَـائِـرِ»، لاَ مَحَلُّكَ دَارِسٌ   بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ، وَلاَ مَكَـانُكَ نَـازِحُ[٣]
٢ - إِنِّـي لأَعْـلَمُ بَـعْـدَ مَـوْتِـكَ أَنَّـهُ   مَـا مَرَّ لِـلأُسَـرَاءِ يَـوْمٌ صَالِـحُ[٤]

- ٧٤ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - وَقَـدْ أَرُوحُ، قَـرِيـرَ ٱلْعَيْنِ، مُغْتَبِطاً   بِصَاحِبٍ، مِثْلِ نَصْلِ ٱلسَّيْفِ، وَضَّاحِ

(١) غرب الجيش: أوّله.
(٢) التهاجر: أن يهجر كلٌّ من الحبيبين الآخر.
(٣) دارس: ممحيّ، زالَ أثره.
(٤) الأُسراء: جمع الأسير. وفي رواية «الأمراء» مكان «الأسراء».

٢ ـ عَـذْبِ ٱلْخلائِقِ، مَحْمُـودٍ طَـرَائِقُـهُ، عَفِّ ٱلْمَسَامِعِ ، حَتَّى يَرْغَمَ ٱللاَّحِي[(١)]
٣ ـ لَمَـا رَأَى لَحَظَاتِي فِي عَـوَارِضِـهِ، فِيمَا أَشَاءُ، مِنَ ٱلـرَّيْحَانِ وَٱلـرَّاحِ[(٢)]
٤ ـ لاَثَ ٱلـلِّثَـامَ عَـلَى وَجْـهٍ أَسِـرَّتُـهُ كَـأَنَّـهَا قَمَـرٌ أَوْ ضَوْءُ مِـصْبَـاحِ[(٣)]

ـ ٧٥ ـ

وَقَالَ :

[من الوافر]

١ ـ عَـدَتْنِي عَـنْ زِيَـارَتِـكُـمْ عَـوَادٍ أَقَـلُّ مَخُـوفِهَـا سُمْـرُ ٱلـرِّمَـاحِ[(٤)]
٢ ـ وَإِن لِـقَـاءَهَـا لَـيَـهُـونُ عِـنْـدِي إِذَا كَـانَ ٱلْـوُصُـولُ إِلَـى نَـجَـاحِ
٣ ـ وَلَـكِـنْ بَـيْـنَـنَـا بَـيْـنٌ وَهَـجْـرٌ أَأَرْجُـو بَعْـدَ ذَلِـكَ مِنْ صَلاَحِ ؟[(٥)]
٤ ـ أَقَمْتُ، وَلَـوْ أَطَعْتُ رَسِيسَ شَـوْقِي، رَكِبْـتُ إِلَـيْـكَ أَعْـنَـاقَ ٱلـرِّيَـاحِ

ـ ٧٦ ـ

وَقَالَ :

[من الوافر]

١ ـ تَـبَـسَّـمَ، إِذْ تَـبَـسَّـمَ، عَـنْ أَقَـاحٍ وَأَسْفَـرَ، حِينَ أَسْفَرَ، عَنْ صَبَاحِ[(٦)]
٢ ـ وَأَتْـحَـفَـنِي بِـكَـأْسٍ مِنْ رُضَـابٍ وَكَـأْسٍ مِنْ جَنَـى خَـدٍّ وَرَاحِ[(٧)]

---

(١) اللاّحي : اللاّئم.
(٢) وفي رواية «أحبّ» مكان «أشاء».
(٣) لاث اللّثام : طواه ولفّه.
(٤) وفي رواية «وخز» مكان «سُمر». وعدَتني : شغلتني ، ومنعتني. عوادٍ: مصائب.
(٥) البَيْن : البعد والفراق. رسيس الشّوق : أوّله.
(٦) الأقاح : أزهار الأقحوان البيضاء شبّه أسنان الحبيب بها. أسْفَر: كشف عن وجهه.
(٧) ويروى «ورد» مكان «خدّ». الراح: الخمر.

٣ - فَمِنْ لألاءِ غُرَّتِهِ صَبَاحِي ... وَمِنْ صَهْبَاءِ رِيقَتِهِ آصْطِبَاحِي[1]
٤ - بِأَيَّةِ حَالَةٍ وَجَبَ آطِّرَاحِي ... وَمَا لِي عَنْ وِدَادِي مِنْ بَرَاحِ؟[2]
٥ - فَإِنْ يُمْكِنْكَ، يَا مَوْلَايَ، وَصْلِي ... فَلَا تَبْخَلْ بِشَيْءٍ مِنْ صَلَاحِي[3]
٦ - وَلَا تَعْجَلْ إِلَى تَسْرِيحِ رُوحِي ... فَمَوْتِي فِيكَ أَيْسَرُ مِنْ سَرَاحِي

- ٧٧ -

وَقَالَ

[من الوافر]

١ - أَغَصُّ بِذِكْرِهِ، أَبَداً، بِرِيقِي ... وَأَشْرَقُ مِنْهُ بِآلْمَاءِ آلْقَرَاحِ[4]
٢ - وَتَمْنَعُنِي مُرَاقَبَةُ آلأَعَادِي ... غُدُوِّي لِلزِّيَارَةِ أَوْ رَوَاحِي[5]
٣ - وَلَوْ أَنِّي أُمَلَّكُ فِيهِ أَمْرِي ... رَكِبْتُ إِلَيْهِ أَعْنَاقَ آلرِّيَاحِ

- ٧٨ -

وَقَالَ، وَكَتَبَ بِهِ إِلَى صَدِيق، وَأَحْسَنَ:

[من الخفيف]

١ - لَمْ أُوَاخِذْكَ بِآلْجَفَاءِ، لأَنِّي، ... وَاثِقٌ مِنْكَ بِآلْوَفَاءِ آلصَّحِيحِ[6]
٢ - فَجَمِيلُ آلْعَدُوِّ غَيْرُ جَمِيلٍ، ... وَقَبِيحُ آلصَّدِيقِ غَيْرُ قَبِيحِ

---

(١) لألاء: ضوء، وتوهُّج. الصَّهْباء: الخمر.
(٢) البراح: الفكاك، والتحرّر.
(٣) وفي رواية «وقد» مكان «وإنْ».
(٤) الماء القراح: الخالص من أيَّة كُدْرة.
(٥) غدوّي: سيري في الغداة، وهي أوّل النهار. رواحي: سيري في الرّواح، وهو العشيَّة.
(٦) ويروى «بالإخاء» و «بالوداد» مكان «بالوفاء».

- ٧٩ -

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «قَالَ أَبُو فِرَاسٍ: وَافَى رَسُولُ مَلِكِ ٱلرُّومِ يَطْلُبُ ٱلْهُدْنَةَ؛ فَأَمَرَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» بِٱلرُّكُوبِ بِٱلسِّلَاحِ فَرَكِبَ، مِنْ دَارِهِ، أَلْفُ غُلَامٍ مَمْلُوكٍ، بِأَلْفِ جَوْشَنٍ مُذَهَّبٍ، عَلَى أَلْفِ فَرَسٍ عَتِيقٍ، بِأَلْفِ تِجْفَافٍ، [وَهُوَ بِٱلْكَسْرِ آلَةٌ لِلْحَرْبِ يَلْبَسُهُ ٱلْفَرَسُ وَٱلإِنْسَانُ لِيَقِيَهُ فِي ٱلْحَرْبِ] وَرَكِبَ ٱلنَّاسُ وَٱلْقُوَّادُ عَلَى تَعْبِيَتِهِمْ وَرَايَاتِهِمْ وَسِلَاحِهِم، حَتَّى طَبَّقَ ٱلْجَيْشُ جَبَلَ «جَوْشَنَ» وَمَا حَوْلَهُ؛ فَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ فِي ذَلِكَ»:

[من الوافر]

١ - عَلَوْنَا «جَوْشَناً» بِأَشَدَّ مِنْهُ، وَأَثْبَتَ، عِنْدَ مُشْتَجَرِ ٱلرِّمَاحِ (١)
٢ - بِجَيْشٍ جَاشَ، بِٱلْفُرْسَانِ، حَتَّى ظَنَنْتَ، ٱلْبَرَّ بَحْراً مِنْ سِلَاحِ (٢)
٣ - وَأَلْسِنَةٍ مِنَ ٱلْعَذَبَاتِ حُمْرٍ تُخَاطِبُنَا بِأَفْوَاهِ ٱلرِّمَاحِ
٤ - فَجَادَتْ، لَيْلَهَا، سَحّاً، وَهَطْلاً، وَتَسْكَاباً، كَأَفْوَاهِ ٱلْجِرَاحِ (٣)
٥ - وَأَرْوَعَ، جَيْشُهُ لَيْلٌ بَهِيمٌ، وَغُرَّتُهُ عَمُودٌ مِنْ صَبَاحِ (٤)
٦ - صَفُوحٌ عِنْدَ قُدْرَتِهِ كَرِيمٌ قَلِيلُ ٱلصَّفْحِ مَا بَيْنَ ٱلصِّفَاحِ (٥)
٧ - فَكَانَ ثَبَاتُهُ لِلْقَلْبِ قَلْباً وَهَيْبَتُهُ جَنَاحاً لِلْجَنَاحِ

- ٨٠ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرمل]

١ - أَقْبَلَتْ كَٱلْبَدْرِ تَسْعَى، غَلَساً، نَحْوِي، بِرَاحِ (٦)

(١) مشْتَجَر الرِّماح: اشتباكها في القتال.
(٢) في رواية «عليه» مكان البرّ».
(٣) السَّحّ والهَطْل والتَّسْكاب: شدّة هطول المطر.
(٤) ويروى العَجز: «وغرَّته عمود مِنْ صباح».
(٥) الصِّفاح: السيوف.
(٦) الغَلَس: ظلمة آخر اللَّيل إذا امتزجت بضوء أوَّل الصَّباح. الراح: الخمر.

٢ - قُـلْتُ: أَهْـلاً بِـفَـتَـاةٍ، حَـمَـلَتْ نُـورَ آلـصَّـبَاحِ
٣ - عَـلِّلِي بِـآلْـكَـأْسِ مَـنْ أَصْـ بَـحَ مِـنْـهَـا غَـيْـرَ صَـاحِ! (١)

- ٨١ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - أَيَـلْحَـانِي، عَـلَى آلْعَـبَـرَاتِ، لاَحٍ وَقَدْ يَئِسَ آلْعَوَاذِلُ مِنْ صَلاَحِي؟! (٢)
٢ - تَمَلَّكَنِي آلْـهَـوَى، بَعْـدَ آلـتَّـأَبِّي، وَرَاضَنِي آلْـهَـوَى، بَعْـدَ آلْجِمَاحِ (٣)
٣ - أَسْكَـرَى آلْقَـدِّ، طَيِّبَـةَ آلثَّـنَـايَـا، أَفْتَـرَى آللَّحْظِ، جَائِلَةَ آلْـوِشَـاحِ! (٤)
٤ - رَمَـتْنِـي، نَحْـوَ دَارِكِ، كُـلُّ عِيسٍ وَصَلْتُ بِهَـا غُـدُوِّيَ بِـالـرَّوَاحِ (٥)
٥ - تَـطَاوَلَ فَـضْـلُ نِسْـعَتِـهَـا، وَقَـلَّتْ فُضُـولُ زِمَـامِهَـا، عِنْدَ آلـرَّوَاحِ (٦)
٦ - حَمَلْنَ، إِلَيْـكِ، صَبًّـا ذَا آرْتِيَـاحٍ، بِقُـرْبِـكِ، أَوْ مُسَـاعِـدَ ذِي آرْتِيَـاحِ
٧ - أَخَـا عِشْـرِينَ، شَـيَّبَ عَـارِضَيْـهِ مَرِيضُ آللَّحْظِ فِي آلْحَدَقِ آلصِّحَاحِ
٨ - نَـزَحْنَ، مِنَ «آلـرُّصَـافَـةِ»، عَـامِـدَاتٍ بِأَرْضِ آلْحَيِّ، حَيِّ «بَنِي فَلاَحِ» (٨)
٩ - إِذَا مَـا عَنَّ، لِي، أَرَبٌ، بِـأَرْضٍ، رَكِبْتُ لَـهُ، ضَمِينَـاتِ آلنَّجَـاحِ (٩)

---

(١) علِّلي: اسقي مرَّةً بعد أخرى.
(٢) أيلحاني: أيلومني. العواذل: جمع العاذل، وهو اللاّئم.
(٣) التأبِّي: الرَّفض. راضني: روَّضني، وذلَّلني. الجماح: التمرُّد والعصيان.
(٤) الثّنايا: أسنان مقدّمة الفم. فترى اللّحظ: ساكنة اللّحظ، متكسِّرة الجفون، كناية عن السِّحْر والرِّقَّة. جائلة الوشاح: كناية عن لين الخصر.
(٥) العيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها شقرة أو سواد خفيف. الغدوّ: السَّير في الغداة، وهي أوَّل النهار. الرَّواح: العشيَّة.
(٦) النسعة: السَّير أو الحبل. الزمام: العِنان.
(٧) العارض: صفحة الخدّ. مريض اللّحظ: منكسره، كناية عن الرِّقَّة. الحَدَق: الأعين.
(٨) وفي رواية «برحْنَ» مكان «نزحْنَ». الرُّصافة: رصافة هشام بن عبد الملك في شمالي سوريا.
(٩) عَنَّ لي: خطر لي. الأرب: الغاية.

١٠ - وَلِي عِنْـدَ ٱلْعُدَاةِ، بِكُـلِّ أَرْضٍ، دُيُـونٌ فِـي كَـفَـالَاتِ ٱلـرِّمَـاحِ
١١ - إِذَا ٱلْـتَـفَّـتْ عَـلَيَّ سَـرَاةُ قَـومِـي وَلَاقَيْنَـا ٱلْفَـوَارِسَ فِي ٱلصَّبَـاحِ (١)
١٢ - أَقُـودُ بِهِمْ إِلـى ٱلْغَمَـرَاتِ، سَعْيـاً، بَنَـاتِ ٱلسَّبْقِ تَحْتَ بَنِي ٱلْكِفَـاحِ (٢)
١٣ - تَـكَـدَّرَ نَـقْـعُـهُ، وَٱلْـجَـوُّ صَـافٍ وَأَظْـلَمَ وَقْـتُـهُ، وَٱلْـيَـوْمُ صَـاحِ (٣)
١٤ - وَكُـلُّ مُـعَـذَّلٍ فِـي ٱلْـحَـيِّ آبٍ عَلَى ٱلْعُـذَّالِ؛ عَصَّـاءُ ٱللَّوَاحِي (٤)

- ٨٢ -

قَالَ؛ وَكَتَبَ بها إِلَى «أَبِي أَحْمَدَ عَبْـدِ ٱللَّهِ بْنِ وَرْقَـاءَ ٱلشَّيْبَـانِي»، إِلَى ٱلْعِرَاقِ، مُجِيباً لَهُ:

[من الوافر]

١ - قُـلُوبٌ، فِيـكِ، دَامِيَـةُ ٱلْـجِـرَاحِ وَأَكْبَـادٌ مُـكَـلَّـمَـةُ ٱلـنَّـواحِـي (٥)
٢ - وَحُـزْنٌ، لَا نَـفَـادَ لَـهُ؛ وَدَمْـعٌ يُـلَاحِي، فِي ٱلصَّبَابَةِ، كُـلَّ لَاحِ (٦)
٣ - أَتَـدْرِي مَـا أَرُوحُ بِـهِ وَأَغْـدُو، فَـتَـاةُ ٱلْحَـيِّ حَيِّ «بَـنِي رَبَـاحِ»؟
٤ - أَلَا يَـا هَـذِهِ، هَـلْ مِنْ مَقِـيـلٍ لِضِيفَـانِ ٱلصَّبَـابَـةِ، أَوْ مَـرَاحِ؟ (٧)
٥ - فَـلَوْلَا أَنْـتِ، مَـا قَـلِقَـتْ رِكَـابِـي وَلَا هَبَّتْ إِلَى «نَجْـدٍ»، رِيَـاحِي!
٦ - وَمِـنْ جَـرَّاكِ، أُوطِـنْـتُ ٱلْـفَـيَـافِـي وَفِيـكِ، غَـذِيتُ أَلْبَـانَ ٱللِّقَـاحِ (٨)

---

(١) سراة القوم: أشرافهم.
(٢) الغمرات: الشّدائد والمكاره.
(٣) النَّقْع: الماء المجتمع.
(٤) المُعَذَّل: الملوم. آبٍ: عاصٍ. العذّال: اللاّئمون. عصّاء اللّواحي: شديد العصيان لِلاّئمين.
(٥) مكلّمة: مجروحة.
(٦) يلاحي: يبادل العتب واللّوم.
(٧) المقيل: النوم، أو الاستراحة في وقت الظهيرة. الصَّبابة: الشوق والهوى.
(٨) من جرَّاكِ: بسببك. الفيافي: الصّحارى. اللّقاح: الإبل التي حملت.

٧- رَمَتْكِ مِنَ ٱلشَّآمِ، بِنَا مَطَايَا ... قِصَارُ ٱلْخَطْوِ، دَامِيَةُ ٱلصِّفَاحِ [١]
٨- تَجُولُ نُسُوعُهَا، وَتَبِيتُ تَسْرِي ... إِلَى غَرَّاءَ، جَائِلَةِ ٱلْوِشَاحِ [٢]
٩- إِذَا لَمْ تُشْفَ، بِٱلْغَدَوَاتِ، نَفْسِي ... وَصَلْتُ، لَهَا غُدُوِّي بِٱلرَّوَاحِ [٣]
١٠- يَقُولُ صَحَابَتِي وَٱللَّيْلُ دَاجٍ ... وَقَدْ هَبَّتْ لَنَا رِيحُ ٱلصَّبَاحِ: [٤]
١١- لَقَدْ أَخَذَ ٱلسُّرَى وَٱللَّيْلُ، مِنَّا، ... فَهَلْ لَكَ أَنْ تُرِيحَ بِجَوٍّ رَاحِ؟ [٥]
١٢- فَقُلْتُ لَهُمْ عَلَى كُرْهٍ: أَرِيحُوا! ... فَفِي ٱلذَّمَلَانِ، رَوْحِي وَٱرْتِيَاحِي [٦]
١٣- إِرَادَةَ أَنْ يُقَالَ «أَبُو فِرَاسٍ»، ... عَلَى ٱلْأَصْحَابِ، مَأْمُونُ ٱلْجِمَاحِ [٧]
١٤- وَكَمْ أَمْرٍ أُغَالِبُ فِيهِ نَفْسِي ... رَكِبْتُ، مَكَانَ أَدْنَى لِلنَّجَاحِ
١٥- أُصَاحِبُ كُلَّ خِلٍّ، بِالتَّجَافِي، ... وَآسُو، كُلَّ دَاءٍ، بِٱلسَّمَاحِ [٨]
١٦- وَإِنَّا غَيْرُ بُخَّالٍ، لِنَحْمِي ... جِمَامَ ٱلْمَاءِ، وَٱلْمَرْعَى ٱلْمُبَاحِ [٩]
١٧- وَإِنَّا غَيْرُ أَثَّامٍ، لِنَحْوِي ... مَنِيعَ ٱلدَّارِ، وَٱلْمَالَ ٱلْمُرَاحِ [١٠]
١٨- لِأَمْلَاكِ ٱلْبِلَادِ، عَلَيَّ، طَعْنٌ ... يُحِلُّ عَزِيمَةَ ٱلدِّرْعِ ٱلْوَقَاحِ [١١]
١٩- وَيَوْمٍ، لِلْكُمَاةِ بِهِ ٱعْتِنَاقٌ، ... وَلَكِنَّ ٱلتَّصَافُحَ بِٱلصِّفَاحِ
٢٠- وَمَا لِلْمَالِ يَرْوِي عَنْ ذَوِيهِ ... وَيُصْبِحُ فِي ٱلرَّعَادِيدِ ٱلشِّحَاحِ [١٣]

---

(١) الصِّفاح: الجوانب.
(٢) النسوع: جمع النسع، وهو الحبل أو السَّير تُشَدُّ به الرِّحال. الغرّاء: البيضاء.
(٣) الغَدَوات: جمع الغداة، وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس. الغدوّ: السَّير في الغداة. الرّواح: العشيّ.
(٤) دجا الليل: أظلم.
(٥) السُّرى: السَّير ليلاً.
(٦) الذَّملان: ضرب من السَّير والهَرْولة. الرَّوح: السّرور.
(٧) في رواية «أرادتْ» مكان «إرادة» والجماح: التمّرد، وركوب الهوى.
(٨) آسُو: أداوي.
(٩) جمام الماء: معظمه.
(١٠) وفي رواية «القُراحِ» مكان «المراحِ». والمال المراح: الذي يذهب مرحاً وتباهياً.
(١١) وفي رواية «ضَرْب» مكان «طعن». الوقاع: الصلبة.
(١٢) الكماة: الفرسان. الصِّفاح: السيوف ونحوها.
(١٣) الرعاديد: جمع الرعديد، وهو الجبان. الشِّحاح: البخلاء.

٢١ - لَنَا مِنْهُ؛ وَإِنْ لُوِيَتْ قَلِيلاً، دُيُونُ فِي كَفَالاتِ ٱلرِّمَاحِ
٢٢ - «لِسَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْقِدْحُ ٱلْمُعَلَّى، إِذَا ٱسْتَبَقَ ٱلْمُلُوكُ إِلَى ٱلْقِدَاحِ (١)
٢٣ - لأَوْسَعُهُمْ نَدىً، إِنْ عَبَّ رَادٌ، وَأَغْزَرُهُمْ تَدَافُعَ سَيْبِ رَاحِ (٢)
٢٤ - تَرَاهُ، إِذَا ٱلْكُمَاةُ ٱلْغُلْبُ شَدُّوا أَشَدَّ ٱلْفَارِسِينَ إِلَى ٱلْكِفَاحِ
٢٥ - أَتَانِي مِنْ «بَنِي وَرْقَاءَ»، قَوْلٌ أَلَذُّ جَنًى مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ (٣)
٢٦ - وَأَطْيَبُ مِنْ نَسِيمِ ٱلرَّوْضِ حَفَّتْ بِهِ ٱللَّذَّاتُ مِنْ رَوْحٍ وَرَاحِ (٤)
٢٧ - وَتَبْكِي فِي نَوَاحِيهِ ٱلْغَوَادِي بِأَدْمُعِهَا، وَتَبْسِمُ عَنْ أَقَاحِ (٥)
٢٨ - عِتَابُكَ يَا ٱبْنَ عَمِّ بِغَيْرِ جُرْمٍ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ وَخْزِ ٱلرِّمَاحِ (٦)
٢٩ - وَمَا أَرْضَى ٱنْتِصَافاً مِنْ سِوَاكُمْ وَأُغْضِي مِنْكَ عَنْ ظُلْمٍ صُرَاحِ (٧)
٣٠ - أَظَنّاً؟ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ! وَمَزْحاً؟ رُبَّ جِدٍّ فِي مُزَاحِ! (٨)
٣١ - إِذَا لَمْ يَثْنِ غَرْبَ ٱلظَّنِّ ظَنٌّ بَسَطْتُ ٱلْعُذْرَ فِي ٱلْهَجْرِ ٱلْمُبَاحِ (٩)
٣٢ - أَأَتْرُكُ فِي رِضَاكَ مَدِيحَ قَوْمِي وَتَحْبِيرَ ٱلْمُحَبَّرَةِ ٱلْفِصَاحِ؟ (١٠)
٣٣ - وَهُمْ أَصْلٌ لِهَذَا ٱلْفَرْعِ طَابَتْ أُرُومَتُهُ، وَصُنْعٌ لِلسَّمَاحِ (١١)
٣٤ - بَقَاءُ ٱلْبِيضِ عُمْرُ ٱلشَّمْلِ فِيهِمْ؛ وَحَطُّ ٱلسَّيْفِ أَعْمَارُ ٱللِّقَاحِ
٣٥ - أَعَزُّ ٱلْعَالَمِينَ حِمًى وَجَاراً، وَأَكْرَمُ مُسْتَعَانٍ مُسْتَمَاحِ

---

(١) القِدْح: سهم القمار. والقدح المعلّى: سابع سهام القمار، وهو كناية عن السؤدد والشرف.
(٢) لندى: الكرم، والعطاء. عبَّ الماء: شربه بلا تنفُّس. الرّاد: لعلّه مخفّف الرُّوْد، وهو الشاب الحسن الخلق. أو جمع رائد، وهو الذي يتقدّم القوم بحثاً عن مكان فيه ماء.
(٣) بنو ورقاء: أهل عبد الله الشيباني. الماء القراح: الماء الخالص لا تشوبه شائبة.
(٤) الراح: الخمر.
(٥) وفي رواية «الأقاحي» مكان «عَنْ أقاحِ». والأقاحي: أزهار الأقحوان البيضاء.
(٦) وفي رواية «الجراح» مكان «الرماح».
(٧) صراح: صريح واضح.
(٨) قوله تعالى: ﴿إنَّ بعض الظَّنّ إثْمٌ﴾ آية قرآنيَّة كريمة [الحجرات: ١٢].
(٩) الغَرْب: الحدّ.
(١٠) تحبير المحبَّرة: وضع الشِّعر أو الكلام، كتابته، وقوله.
(١١) أُرومته: أصله. السَّماح: العطاء.

٣٦ ـ أَرَيْتَكَ يَابْنَ عَمّ بِأَيِّ عُذْرٍ؟ عَدَوْتَ عَنِ ٱلصَّوَابِ؛ وَأَنْتَ لَاحِ!(١)
٣٧ ـ أَأَجْعَلُ فِي ٱلأَوَائِلِ مِنْ «نِزَارٍ» كَفِعْلِكَ؛ أَمْ بِأُسْرَتِنَا ٱفْتِتَاحِي؟(٢)
٣٨ ـ وَهَلْ فِي نَظْمِ شِعْرِي مِنْ طَرِيفٍ لِمَغْدًى فِي مَكَانِكَ؛ أَوْ مَرَاحِ؟(٣)
٣٩ ـ أَمِنْ «كَعْبٍ» نَشَا بَحْرُ ٱلْعَطَايَا وَأَكْرَمُ مُسْتَغَاثٍ مُسْتَرَاحِ؟(٤)
٤٠ ـ وَصَاحِبُ كُلِّ خِلٍّ مُسْتَبِيحٍ أَعَادِيَهُ وَمَالٍ مُسْتَبَاحِ
٤١ ـ وَهَذَا ٱلسَّيْلُ مِنْ تِلْكَ ٱلْغَوَادِي وَهَذِي ٱلسُّحْبُ مِنْ تِلْكَ ٱلرِّيَاحِ
٤٢ ـ «أَسَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْحَكَمَ ٱلْمُرَجَّى! أَفِي مَدْحِي لِقَوْمِي مِنْ جُنَاحِ؟(٥)
٤٣ ـ وَلَوْ شِئْتُ ٱلْجَوَابَ أَجَبْتُ لَكِنْ وَمَنْ أَضْحَى ٱمْتِدَاحُهُم ٱمْتِدَاحِي؟(٦)
٤٥ ـ وَلَسْتُ، وَإِنْ صَبَرْتُ عَلَى ٱلرَّزَايَا أُلَاحِي أُسْرَتِي، وَبِهِمْ أُلَاحِي(٧)
٤٦ ـ وَلَوْ أَنِّي ٱقْتَرَحْتُ عَلَى زَمَانِي لَكُنْتُمْ، يَا «بَنِي وَرْقَا»، ٱقْتِرَاحِي

---

(١) أريتَكَ: اسم فعل بمعنى: «أَخْبِرْني».
(٢) نزار: قبيلة نزار العربيّة.
(٣) المغْدَى: مكان السَّير في الغداة، وهي أوَّل النّهار. المراح: مكان السَّير في الرواح، وهو العشيّ.
(٤) نشا: نشأ. المستَغاث: طالب النجدة.
(٥) جُناح: ذنب.
(٦) وفي رواية «عُدَّ» مكان «أَضْحَى».
(٧) الرَّزايا: المصائب. ألاحي: أشاتم.

قافية الدال

وَبَلَغَهُ عَنْ قَوْمٍ، مِنْ أَهْلِهِ، كَراهِيَّةُ خَلاَصِهِ مِن ٱلأَسْرِ؛ فَقَالَ:

[من الطويل]

١ ـ تَمَنَّيْتُمُ أَنْ تَفْقِدُونِي، وَإِنَّمَا ... تَمَنَّيْتُمُ أَنْ تُفْقِدُوا ٱلْعِزَّ أَصْيَدَا(١)

٢ ـ أَمَا أَنَا أَعْلَى مَنْ تَعُدُّونَ هِمَّةً؟ ... وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مَنْ تَعُدُّونَ مَوْلِدَا

٣ ـ إِلَى ٱللَّهِ، أَشْكُو عُصْبَةً مِنْ عَشِيرَتِي ... يُسِيئُونَ لِي فِي ٱلْقَوْلِ، غَيْباً وَمَشْهَدا(٢)

٤ ـ وَإِنْ حَارَبُوا كُنْتُ ٱلْمِجَنَّ أَمَامَهُمْ ... وَإِنْ ضَارَبُوا كُنْتُ ٱلْمُهَنَّدَ وَٱلْيَدَا(٣)

٥ ـ وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ، أَوْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ، ... جَعَلْتُ لَهُمْ نَفْسِي، وَمَا مَلَكَتْ فِدَا(٤)

٦ ـ يَوَدُّونَ أَنْ لاَ يُبْصِرُونِي، سَفَاهَةً، ... وَلَوْ غِبْتُ عَنْ أَمْرٍ تَرَكْتُهُمُ سُدَى(٥)

(١) وفي رواية «أغيدا» مكان «أصيدا». والأصيد: المتخايل المتكبِّر.

(٢) العصبة: الجماعة. غيباً ومشهداً: في غيابي وحضوري.

(٣) المجنّ: الترس الذي يقيهم الضربات. المهنَّد: السَّيف الهنديّ.

(٤) ناب خطب: حلَّت مصيبة، وكذلك معنى «ألمَّت مُلِمَّة». وفي رواية «كفِّي» مكان «نفسي».

(٥) السَّفاهة: الجهل والطَّيش. وقوله: «تركتهم سدى»، يعني تركتهم غير نافعين لشيء.

٧ - فَعَالِي لَهُمْ، لَوْ أَنْصَفُوا فِي جَمَالِهَا وَحَظٌّ لِنَفْسِي، ٱلْيَوْمَ، وَهْوَ لَهُمْ، غَدَا
٨ - فَلَا تَعِدُونِي نِعْمَةً، فَمَتَى غَدَتْ فَأَهْلِي بِهَا أَوْلَى؛ وَإِنْ أَصْبَحُوا عِدَا[1]
٩ - وَإِنِّي بِخَيْرٍ، أَنْ لَقِيتُ بِهِمْ فَتًى، كَرِيماً، مُطَاعاً، فِي ٱلْعَشِيرَةِ، سَيِّدا

- ٨٣ -

وَلَهُ وَقَدْ كَتَبَ بِهَا إِلَى ٱلْقَاضِي «أَبِي ٱلْحُصَيْنِ» لَمَّا عَزَمَ عَلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَى «ٱلرَّقَّةِ»:

[من البسيط]

١ - يَا طُولَ شَوْقِيَ إِنْ قَالُوا: ٱلرَّحِيلُ غَدا لَا فَرَّقَ ٱللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا[2]
٢ - يَا مَنْ أُصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدٍ وَمَنْ أُخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا[3]
٣ - رَاعَ ٱلْفِرَاقُ فُؤَاداً كُنْتَ تُؤْنِسُهُ وَذَرَّ بَيْنَ ٱلْجُفُونِ ٱلدَّمْعَ وَٱلسَّهَدَا[4]
٤ - لَا يُبْعِدِ ٱللَّهُ شَخْصاً؛ لَا أَرَى أَنَساً وَلَا تَطِيبُ لِيَ ٱلدُّنْيَا؛ إِذَا بَعُدَا[5]
٥ - أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ أَعُدُّهُ وَالِداً إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا
٦ - مَا زَالَ يَنْظِمُ فِيَّ ٱلشِّعْرَ مُجْتَهِداً فَضْلاً وَأَنْظِمُ فِيهِ ٱلشِّعْرَ مُجْتَهِدا
٧ - حَتَّى ٱعْتَرَفْتُ وَعَزَّتْنِي فَضَائِلُهُ وَفَاتَ سَبْقاً وَحَازَ ٱلْفَضْلَ مُنْفَرِدَا
٨ - إِنْ قَصَّرَ ٱلْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعْذَرُ ٱلنَّاسِ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
٩ - أَبْقَى لَنَا ٱللَّهُ مَوْلَانَا؛ وَلَا بَرِحَتْ أَيَّامُنَا، أَبَداً، فِي ظِلِّهِ جُدُدَا[6]
١٠ - لَا يَطْرُقِ ٱلنَّازِلُ ٱلْمَحْذُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدَّ إِلَيْهِ ٱلْحَادِثَاتُ يَدَا[7]

---

(١) عِدا: أعداء.
(٢) وفي رواية «إنْ كان» مكان «إنْ قالوا».
(٣) أصافيه: أخالطه. شهد: حضر.
(٤) راع: أخاف. ذَرَّ: ألقى. السهد: الأرق.
(٥) وفي رواية «له» مكان «ليَ».
(٦) جُدُد: جمع جديد.
(٧) النازل المحذور: كلُّ ما يُحذَر من مصائب الدهر وغيرها. الحادثات: النكبات.

١١ - آلْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً دَائِماً أَبَدا أَعْطَانِيَ آلدَّهْرُ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدَا

- ٨٤ -

وَقَالَ، وَقَدْ أَمَرَ كَلْبُ آلرُّومِ أَنْ يَتَزَاوَرَ آلأَسْرَى فِي كُلِّ سَبْتٍ:

[من الخفيف]

١ - جَعَلُوا آلالْتِقَاءِ فِي كُلِّ سَبْتٍ فَجَعَلْنَاهُ لِلزِّيَارَةِ عِيدَا
٢ - وَشَرِكْنَا آلْيَهُودَ فِيهِ فَكِدْنَا رَغْبَةً فِيهِ أَنْ نَعُودَ يَهُودَا[١]
٣ - يَرْقُبُونَ «آلْمَسِيحَ» فِيهِ وَمَا نَرْ قُبُ إِلَّا أَخاً وَخِلّاً وَدُودَا
٤ - لَوْ قَدَرْنَا - وَعَلَّ ذَاكَ قَرِيبٌ - مَا عَدِمْنَا بِآلْقُرْبِ عِيداً جَدِيدَا[٢]

- ٨٥ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - سَقْيًا وَرَعْياً لأَيَّامٍ مَضَيْنَ لَنَا غُرًّا، وَلَسْنَا نَخَافُ آلْبَيْنَ وَآلْبُعُدَا[٣]
٢ - إِنْ كَانَ مَا قِيلَ مِنْ سَيْرِ آلرِّكَابِ غَدَا حَقًّا، فَإِنِّي أَرَى وَشْكَ آلْحِمَامِ غَدَا[٤]
٣ - مَنْ غَابَ عَنْهُ قَرِينٌ كَانَ يَأْلَفُهُ وَعَاشَ، عَاشَ كَئِيباً وَالِهاً كَمِدَا[٥]
٤ - يَرْعَى آلنُّجُومَ وَمَا يَنْفَكُّ فِي فِكَرٍ تَنْفِي آلرُّقَادَ وَتُدْنِي آلْهَمَّ وَآلسَّهَدَا[٦]

---

(١) في البيت إشارة إلى تقديس اليهود ليوم السَّبت، وانقطاعهم عن العمل فيه.
(٢) عدمنا: افتقرنا.
(٣) غرّ: مشهورات. البَين: الفراق.
(٤) الحِمام: الموت.
(٥) القرين: المقارن من صديق أو حبيب. والهاً: ذا شوق. كمد: حزين.
(٦) يرعى النجوم: كناية عن أرقة. تنفي الرُّقاد: تُبعد النوم. تُدني: تقرّب. السُّهد: الأرق، وقلّة النوم.

- ٨٦ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - فَـدَيْـتُ مَـنْ أَصْـبَـحَ أَحْـبَـابُـهُ　　تَـخَـافُ مِنْـهُ مَـا يَـخَـافُ ٱلْعِـدَا
٢ - سُبْـحَـانَ مَـنْ حَبَّـبَ أَلْـحَـاظَـهُ　　إِلَـى مُـحِـبِّـيـهِ وَفِـيـهَـا ٱلـرَّدَى(١)
٣ - يَـكَـادُ أَنْ يَـسْـحَـرَنِـي قَـدُّهُ　　حُـسْـنـاً إِذَا لَاثَ عَـلَـيْـهِ ٱلـرِّدَا(٢)

- ٨٧ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - أَهْـدَى إِلَـيَّ صَـبَـابَـةً وَكَـآبَـةً　　فَـأَعَادَنِي كَلِفَ ٱلْـفُـؤَادِ، عَمِيـدَا(٣)
٢ - إِنَّ ٱلْـغَـزَالَـةَ وَٱلْغَـزَالَـةَ أَهْـدَتَـا　　وَجْهـاً إِلَيْكَ، إِذَا طَلَعْتَ، وَجِيـدَا(٤)

- ٨٨ -

وَقَالَ يَصِفُ ٱلصَّفْحَ عَنْ «بَنِي كِلَابٍ» وَ«نُمَيْرٍ» مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَيُحَذِّرُهُمْ بِهَذِهِ:

[من الطويل]

١ - إِلَى ٱللَّهِ، أَشْكُـو مَا أَرَى مِنْ عَشَائِرٍ　　إِذَا مَـا دَنَـوْنَـا زَادَ جَـاهِلُهُمْ بُعْـدَا(٥)

---

(١) ألحاظه: عيناه. الرَّدى: الموت.
(٢) لاثَ: لَفَّ. الرِّدا: الثوب.
(٣) الصَّبابة: الهوى والشَّوق. كَلِف الفُؤاد: متيَّم، محبّ. العميد: المعذَّب من الحبّ.
(٤) الغزالة، الأولى، هي الحيوان المعروف، والثانية هي الشَّمس. الجيد: العنق. يقول إنَّ جيد حبيبته كجيد الغزال، في طوله، ووجهها كالشمس إضاءةً. وفي البيت جناس تامّ بين «الغزالة» و«الغزالة».
(٥) في رواية «عشيرةٍ» مكان «عشائر»، و«جالهم» مكان «جاهلهم».

٢ - وَإِنَّــا لَتَثْنِينَــا عَــوَاطِفُ حِــلْمِنَــا عَلَيْهِمْ وَإِنْ سَــاءَتْ طَرَائِقُهُمْ جِــدًّا
٣ - وَيَمْنَعُنَــا ظُلْمَ ٱلْعَشِيــرَةِ أَنَّنَــا إِلَى ضُرِّهَا، لَوْ نَبْتَغِي ضَرَّهَــا، أَهْدَى
٤ - وَإِنَّــا إِذَا شِئْنَــا بُــعَــادَ قَــبِــيــلَةٍ جَعَلْنَا عِجَالاً دُونَ أَهْلِهِمُ نَجْــدَا[1]
٥ - وَلَــوْ عَرَفَتْ هَــذِي ٱلْعَشَائِرُ رُشْــدَهَــا إِذاً جَعَلَتْنَــا دُونَ أَعْدَائِهَــا سَــدًّا[2]
٦ - وَلَكِنْ أَرَاهَــا ـ أَصْلَحَ ٱللَّهُ حَــالَــهَــا وَأَخْلَفَهَا بِٱلــرُّشْدِ ـ قَــدْ عَدِمَتْ رُشْــدَا
٧ - إِلَى كَمْ نَــرُدُّ ٱلْبِيضَ عَنْهُمْ صَــوَادِيــاً وَنَثْنِي صُدُورَ ٱلْخَيْلِ قَدْ مُلِئَتْ حِقْدَا؟[3]
٨ - وَنَــغْلِبُ بِــٱلْــحِلْمِ ٱلْــحَــمِيَّــةَ فِيــهِمُ وَنَرْعَى رِجَالاً لَيْسَ نَرْعَى لَهُمْ عَهْدَا؟[4]
٩ - أَخَــافُ عَلَى نَفْسِي، وَلِلْحَرْبِ سَــوْرَةٌ بَــوَادِرَ أَمْــرٍ لاَ نُــطِــيقُ لَــهَــا رَدًّا[5]
١٠ -وَجَــوْلَــةَ حَــرْبٍ يَهْلِكُ ٱلْحِلْمُ دُونَهَــا وَصَــولَةَ بَــأْسٍ تَجْمَعُ ٱلْحُــرَّ وَٱلْعَبْــدَا
١١ -وَإِنَّــا لَنَــرْمِي ٱلْجَهْــلَ بِــٱلْجَهْــلِ مَــرَّةً إِذَا لَمْ نَجِــدْ مِنْهُ عَلَى حَــالَــةٍ بُــدَّا

- ٨٩ -

وَلَهُ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ ٱلْمُنَجِّمُ فِي سَفَرٍ أَلَّا يَخْرُجَ يَوْمَهُ ذَلِكَ:

[من الكامل]

١ - يَــا مُــعْــجَــبــاً بِــنُــجُــومِــهِ لاَ ٱلــنَّــحْسُ مِــنْــكَ وَلاَ ٱلــسَّــعَــادَهْ
٢ - ٱلــلَّــهُ يَــنْــقُــصُ مَــا يُــرِيــدُ وَفِــي يَــدِ ٱلــلَّــهِ ٱلــزِّيَــادَهْ
٣ - دَعْ مَــا أُرِيــدُ وَمَــا تُــرِيــدُ فَــإِنَّ لِــلَّــهِ ٱلإِرَادَهْ

(١) النجد: الأرض المرتفعة.
(٢) وفي رواية «لما» مكان «إذاً»، و«ردّا» مكان «سدّا». ويعني بالعشائر بني نمير وبني كلاب.
(٣) الصوادي: العطاش.
(٤) الحلم: التسامح، ورزانة العقل.
(٥) في رواية «وللحبّ» مكان «وللحرب». ومعنى عجز البيت أنَّ نفسي في البطش لا يمكن ردّها.

- ٩٠ -

وَقَالَ ٱفْتِخَاراً:

[من الكامل]

١ - أَمَّـا ٱلْخَلِيطُ، فَـمُتْـهِمٌ أَوْ مُـنْجِـدُ؛ فَٱذْرِفْ، فَمَا لَكَ، غَيْر دَمْعِكَ، مُنْجِدُ(١)
٢ - عَـرِّجْ عَلَى رَبْـعٍ «بِمُنْعَـرَجِ ٱللِّوَى» وَٱسْـأَلْهُ مَـا فَعَلَ ٱلـظِّبَـاءُ ٱلْخُـرَّدُ!(٢)
٣ - أَيَّـامَ، يَـدْعُـونِي ٱلْهَـوَى فَـأُجِيبُـهُ وَمُغَـازِلِي فِيهَـا ٱلْغَـزَالُ ٱلأَغْيَـدُ(٣)
٤ - فَـٱلْيَـوْمَ، لاَ دُنْيَـا تُـدَانِي فِي ٱلْهَـوَى صَبًّا، وَلاَ «سُعْدَى» بِوَصْلٍ تُسْعِـدُ(٤)
٥ - وَلَقَـدْ جَزِعْتُ مِنَ ٱلصَّبَـابَةِ وَٱلأَسَى؛ مُذْ وَدَّعَتْ «هِنْدٌ»، وَبَـانَتْ «مَهْدَدُ»(٥)
٦ - رَحَلُوا؛ فَـأَخْلَقَ رَبْعُهُمْ، وَصَبَـابَتِي، أَبَـداً، لإِخْـلاَقِ ٱلـرُّبُـوعِ تُجَـدَّدُ(٦)
٧ - مِنْ كُلِّ شَمْسٍ فِي ٱلْخُدُورِ إِذَا بَدَتْ كَادَتْ لَهَا ٱلشَّمْسُ ٱلْمُنِيـرَةُ تَسْجُدُ(٧)
٨ - وَتَحَـالَفَـا؛ فِي يَـوْمِ زُمَّتْ عِيسُهُمْ: دَمْـعٌ يَـفِيضُ، وَحَـسْـرَةٌ تَـتَـرَدَّدُ(٨)
٩ - يَـا عَـاذِلِي، كُفَّ ٱلْمَـلاَمَ، فَـإِنَّـهُ لاَ يُسْتَـطَاعُ عَلَى ٱلْفِـرَاقِ تَـجَلُّدُ(٩)
١٠ - إِنْ كَانَ أَطْفَأَ نَـارَ شَوْقِـكَ فِي ٱلْهَوَى مَـاءٌ فَنَـارُ صَبَـابَتِي تَـتَـوَقَّـدُ
١١ - أَوَلَـمْ يَكُنْ لَـكَ مِنْ دُمُـوعِي وَازِعٌ؛ لَمَّـا غَـدَوْتَ عَلَى ٱلْبُكَاءِ تُفَنِّدُ؟(١٠)

---

(١) الخليط: المُخالط، أو الزوج، أو الصديق. مُتْهم: ذاهب إلى تهامة، وهو ما استوى وانخفض من الأرض. منجد: ذاهب إلى نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. مُنجد: مساعد. وفي البيت جناس تامّ.

(٢) عَرِّج: مِلْ. الخُرَّد: جمع الخريدة، وهي الفتاة العذراء.

(٣) الأَغْيد: الناعم، المنثني، اللين الجانب.

(٤) الصَّبّ: العاشق.

(٥) بانت: ابتعدت، وفارقت.

(٦) أخلق ربعهم: بلي منزلهم. الصَّبابة: الهوى والعشق.

(٧) الخُدور: جمع الخِدْر، وهو ستر يُمدّ للمرأة في ناحية البيت.

(٨) زُمَّتْ: جُعِلَ لها زِمام (لجام). العيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها شقرة أو سواد.

(٩) العاذل: اللائم. تَجلُّد: صبر.

(١٠) وازع: رادع. تفنِّد: تخطِّىء، تلوم.

١٢ ـأَوَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ صَبْرِيَ عَزَّنِي لَمَّا جَفَانِي ٱلنَّاعِمَاتُ ٱلنُّهَّدُ؟[١]
١٣ ـأَفَهَلْ عَلَى فَيْضِ ٱلْمَدَامِعِ مُنْجِدٌ؟ أَمْ هَلْ عَلَى بُعْدِ ٱلْأَحِبَّةِ مُسْعِدُ؟
١٤ ـوَإِذَا ٱلْهُمُومُ تَكَاثَرَتْ، لَمْ يُغْنِهَا إِلَّا ٱلْعُذَافِرَةُ، ٱلْأَمُونُ، ٱلْجَلْعَدُ[٢]
١٥ ـوَأَخُو مُلِمَّاتٍ، تُسَدِّدُ فِعْلَهُ هِمَمٌ مُثَقَّفَةٌ، وَعَزْمٌ مُحْصَدُ[٣]
١٦ ـخِرْقٌ، إِذَا ٱقْتَحَمَ ٱلْغُبَارَ رَأَيْتَهُ كَٱلسَّيْفِ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُغْمَدُ[٤]
١٧ ـوَأَنَا ٱبْنُ مَنْ شَادَ ٱلْمَكَارِمَ؛ وَٱبْتَنَى خُطَطَ ٱلْمَعَالِي؛ حَيْثُ حَلَّ ٱلْفَرْقَدُ[٥]
١٨ ـوَأَنَا ٱلَّذِي، عَلِمَ ٱلْأَنَامُ، بِأَنَّهُ لَمْ يَنْمِهِ إِلَّا كَرِيمٌ سَيِّدُ[٦]
١٩ ـ«حَمْدَانُ» جَدِّي؛ خَيْرُ مَنْ وَطِىءَ ٱلثَّرَى وَأَبِي «سَعِيدٌ» فِي ٱلْمَكَارِمِ أَوْحَدُ
٢٠ ـأَعْلَى لَنَا «لُقْمَانُ» أَبْيَاتَ ٱلْعُلَا، وَأَنَافَ «حَمْدَانُ» وَشَيَّدَ «أَحْمَدُ»
٢١ ـيُعْطِي إِذَا ضَنَّ ٱلسَّحَابُ؛ تَكَرُّماً؛ وَيُجِيرُ إِنْ جَارَ ٱلزَّمَانُ ٱلْأَنْكَدُ[٧]
٢٢ ـوَٱلْمَجْدُ يُوجَدُ عِنْدَنَا بِأُرُومِهِ، وَٱلْعَارُ وَٱلْفَحْشَاءُ مَا لَا يُوجَدُ[٨]
٢٣ ـوَٱلْفَخْرُ يُقْسِمُ: أَنَّنَا أَرْبَابُهُ دُونَ ٱلْبَرِيَّةِ؛ وَٱلْمَكَارِمُ تَشْهَدُ
٢٤ ـهَذِي مُحَبَّرَةٌ؛ يُشَاكِلُ نَظْمُهَا عِقْدًا، عَلَيْهِ لُؤْلُؤٌ وَزَبَرْجَدُ[٩]
٢٥ ـلَوْ كَانَ شَاهَدَهَا «حَبِيبٌ» لَمْ يَقُلْ: «رَدَّتْ إِلَيْهِ ٱلْجَاهِلِيَّةَ مَهْدَدُ»[١٠]

---

(١) عزّني: امتنع عليّ. النُّهَّد: جمع الناهدة، وهي التي نهد ثديها.

(٢) ويروى الصدر «وإذا الهموم تناصرتْ لم يَنْفِها». العُذافرة: الشّديد من الإبل. الأمون: المأمونة العثار. الجلعد: الشّديدة.

(٣) الملمّات: المصائب. مُحْصَد: محكَم، قويّ.

(٤) الخِرْق: الكريم. يُغْمَد: يُدخل في الغِمد، وغمد السَّيف: بيته.

(٥) الفرقد: النجم. الخطط: المقامات.

(٦) الأنام: الناس. لم ينمه: لم يربّه.

(٧) ضَنَّ: بخل. جار: ظلم. (وفي رواية «عاثَ» مكان «جار»). الأنكد: القليل الخير.

(٨) أرومه: أصله. الفَحْشاء: العمل القبيح.

(٩) المحَبَّرة: المكتوبة بالحبر، ويعني القصيدة.

(١٠) حبيب هو حبيب بن أوس، المعروف بأبي تمّام. وعجز هذا البيت لأبي تمّام. مهدد: اسم امرأة.

- ٩١ -

وَقَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ، وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْهُ نُزُولُ ٱلْعَدُوِّ عَلَى «ٱلْحَدَثِ»، فَسَارَ مُسْرِعاً حَتَّى سَبَقَهُ إِلَيْهَا؛ وَقَدْ كَانَ بَعِيداً عَنْهَا مُوغِلاً فِي بِلَادِ ٱلرُّومِ.

[من الطويل]

١ - دَعَوْنَاكَ، وَٱلْهِجْرَانُ دُونَكَ؛ دَعْوَةً ... أَتَاكَ بِهَا يَقْظَانَ فِكْرُكَ لَا ٱلْبُرْدُ؟(١)
٢ - فَأَصْبَحْتَ مَا بَيْنَ ٱلْعَدُوِّ وَبَيْنَنَا ... تجَارَى بِكَ ٱلْخَيْلُ ٱلْمُسَوَّمَةُ ٱلْجُرْدُ(٢)
٣ - أَتَيْنَاكَ؛ أَدْنَى مَا نُجِيبُكَ؛ جُهْدُنَا ... فَأَهْوَنُ سَيْرِ ٱلْخَيْلِ مِنْ تَحْتِنَا ٱلشَّدُّ
٤ - بِكُلِّ، نِزَارِيٍّ أَتَتْكَ بِشَخْصِهِ ... عَوَائِدُ مِنْ حَالَيْكَ لَيْسَ لَهَا رَدُّ
٥ - نُبَاعِدُهُمْ وَقْتاً كَمَا يُبْعَدُ ٱلْعِدَا ... وَنُكْرِمُهُمْ وَقْتاً كَمَا يُكْرَمُ ٱلْوَفْدُ
٦ - وَنَدْنُو دُنُوًّا لَا يُوَلِّدُ جُرْأَةً ... وَنَجْفُو جَفَاءً لَا يُوَلِّدُهُ زُهْدُ
٧ - أَفَضْتَ عَلَيْهِ ٱلْجُودَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ ... وَأَفْضَلُ مِنْهُ مَا يُؤَمِّلُهُ بَعْدُ
٨ - وَحُمْرِ سُيُوفٍ لَا تَجِفُّ لَهَا ظُبًى ... بِأَيْدِي رِجَالٍ لَا يُحَطُّ لَهَا لِبْدُ(٣)
٩ - وَزُرْقٍ تَشُقُّ ٱلْبُرْدَ عَنْ مُهَجِ ٱلْعِدَا ... وَتَسْكُنُ مِنْهُمْ أَيْنَمَا سَكَنَ ٱلْحِقْدُ(٤)
١٠ - وَمُصْطَحَبَاتٍ قَارَبَ ٱلرَّكْضُ بَيْنَهَا ... وَلَكِنْ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَبَداً بُعْدُ
١١ - نُشَرِّدُهُمْ ضَرْباً كَمَا شُرِّدَ ٱلْقَطَا ... وَنَنْظِمُهُمْ طَعْناً كَمَا نُظِمَ ٱلْعِقْدُ(٥)
١٢ - لَئِنْ خَانَكَ ٱلْمَقْدُورُ فِيمَا نَوَيْتَهُ ... فَمَا خَانَكَ ٱلرَّكْضُ ٱلْمُوَاصَلُ وَٱلْجُهْدُ
١٣ - تُعَادُ كَمَا عُوِّدْتَ وَٱلْهَامُ صَخْرُهَا ... وَيُبْنَى بِهَا ٱلْمَجْدُ ٱلْمُؤَثَّلُ وَٱلْحَمْدُ(٦)

---

(١) البُرد: البريد.

(٢) المُسَوَّمة: المعلَّمة بسِمة. الجُرْد: جمع الأجرد، وهو القصير الشَّعر، والأجرد صفة مستحبّة في الخيول.

(٣) الظُّبى: جمع الظُّبة، وهي حدّ السَّيف. اللبد: ما يوضَع على ظهر الفرس تحت السَّرج.

(٤) الزرق: كناية عن السُّيوف والرماح. البُرْد: كساء مخطَّط يُلتحف به. المُهَج: جمع المهجة، وهي الروح ودم القلب.

(٥) القطا: طيور صحراويّة بحجم الحمام.

(٦) ويروى «لها» مكان «بها». والهام: جمع الهامة، وهي أعلى الرأس. المؤثَّل: الأصيل. وفي هذا البيت يشير أبو فراس إلى قلعة الحدث الحمراء التي استعادها الأمير الحمدانيّ من الروم بعد معارك طاحنة.

١٤ ـ فَفِي كَفِّكَ ٱلدُّنْيَا وَشِيمَتُكَ ٱلْعُلَا وَطَائِرُكَ ٱلأَعْلَى وَكَوْكَبُكَ ٱلسَّعْدُ

- ٩٢ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ ـ إِلَى كَمْ ذَا ٱلتَّجَنُّبُ وَٱلصُّدُودُ، أَيَلْتَمِسُ ٱلْمَزِيدَ وَلَا مَزِيدُ؟[١]

٢ ـ وَذَنْبِي أَنَّنِي أَهْوَى هَوَاهُ، وَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

٣ ـ رَضِيتُ بِحُكْمِهِ فِي كُلِّ حَالٍ، هُوَ ٱلْمَوْلَى وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُ

- ٩٣ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ ـ لَا بَادَ أَعْدَاؤُكَ بَلْ خُلِّدُوا حَتَّى يَرَوْا فِيكَ ٱلَّذِي يُكْمِدُ[٢]

٢ ـ وَلَا خَلَوْتَ ٱلدَّهْرَ مِنْ حَاسِدٍ فَإِنَّمَا ٱلسَّيِّدُ مَنْ يُحْسَدُ[٣]

- ٩٤ -

وَكَتَبَ إِلَى سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ:

[من الطويل]

١ ـ أَيَا عَاتِباً، لَا أَحْمِلُ، ٱلدَّهْرَ، عَتْبَهُ عَلَيَّ وَلَا عِنْدِي لأَنْعُمِهِ جحْدُ[٤]

---

(١) الصُّدود: الجفاء والهجران.

(٢) باد: فني. يُكمِد: يُحزن.

(٣) في هذا البيت حكمة.

(٤) الجحد: النكران.

٢ - سَأَسْكُتُ إِجْلَالاً لِعِلْمِكَ أَنَّنِي إِذَا لَمْ تَكُنْ خَصْمِي لِيَ ٱلْحُجَجُ ٱللُّدُّ[(١)]

- ٩٥ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرمل]

١ - نَبْوَةُ ٱلإِذْلَالِ لَيْسَتْ، عِنْدَنَا، ذَنْباً يُعَدُّ[(٢)]
٢ - قُلْ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ عَهْـ ـدٌ؛ لَنَا عَهْدٌ وَعَقْدُ
٣ - جُمْلَةٌ تُغْنِي عَنِ ٱلتَّفْـ ـصِيلِ: «مَا لِي عَنْكَ بُدُّ»
٤ - إِنْ تَغَيَّرْتَ فَمَا غَيَّـ ـرَ مِنَّا لَكَ عَهْدُ

- ٩٦ -

وَقَالَ فِي غَرَضٍ قَصَدَهُ:

[من الطويل]

١ - عَطَفْتُ عَلَى «عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ»، بَعْدَمَا تَعَرَّضَ مِنِّي جَانِبٌ لَهُمُ صَلْدُ[(٣)]
٢ - وَلَا خَيْرَ فِي هَجْرِ ٱلْعَشِيرَةِ لامْرِئٍ يَرُوحُ عَلَى ذَمِّ ٱلْعَشِيرَةِ؛ أَوْ يَغْدُو[(٤)]
٣ - وَلَكِنْ؛ دُنُوٌّ لَا يُوَلِّدُ هِجْرَةً؛ وَهَجْرٌ رَفِيقٌ لَا يُصَاحِبُهُ زُهْدُ
٤ - نُبَاعِدُهُمْ طَوْراً؛ كَمَا يُبْعَدُ ٱلْعِدَا؛ وَنُكْرِمُهُمْ، طَوْراً، كَمَا يُكْرَمُ ٱلْوَفْدُ

---

(١) اللّدّ: الشّديدة.
(٢) وفي رواية «وبعدُ» مكان «يُعدُّ».
(٣) صَلْد: صُلْب.
(٤) يروح: يذهب في الرّواح، وهو العشيّة. يغدو: يذهب في الغداة، وهي أوّل النهار.

- ٩٧ -

وَقَالَ وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ مِنَ «ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ»:

[من الطويل]

١ - لَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو ٱلْبُعْدَ مِنْكَ وَبَيْنَنَا ... بِلَادٌ، إِذَا مَا شِئْتُ، قَرَّبَهَا ٱلْوَخْدُ(١)

٢ - فَكَيْفَ وفِيمَا بَيْنَنَا مُلْكُ «قَيْصَرٍ» ... وَلَا أَمَلٌ يُحيِي ٱلنُّفُوسَ وَلَا وَعْدُ!؟

- ٩٨ -

قَالَ «ٱبْنُ خَالَوَيْهِ»: وَكَتَبَ «أَبُو فِرَاسٍ» إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» وَقَدْ شَخَصَ مِنْ حَضْرَتِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ «بِمَنْبِجَ»: «هَذَا كِتَابِي أَطَالَ ٱللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا ٱلأَمِيرِ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» مِنْ مَنْزِلِي وَقَدْ وَرَدْتُهُ وُرُودَ ٱلسَّالِمِ ٱلْغَانِمِ، مُثْقَلَ ٱلْبَطْنِ وَٱلظَّهْرِ، وَقْراً وَشُكْراً». فَٱسْتَحْسَنَ ٱلأَمِيرُ بَلَاغَتَهُ، وَوَصَفَ بَرَاعَتَهُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ «أَبُو فِرَاسٍ» لَمَّا ٱتَّصَلَ بِهِ ذَلِكَ. وَقَالَ هَذِهِ ٱلأَبْيَاتَ عِنْدَ قُدُومِ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» إِلَى «مَنْبِجَ»؛ فَحَمَلَ إِلَيْهِ هَدَايَا وَأَلْطَافاً وَوَدَّعَهُ إِلَى وِلَايَتِهِ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْمَنْزِلِ بِهَذِهِ ٱلأَبْيَاتِ:

[من مجزوء الكامل]

١ - هَلْ لِلْفَصَاحَةِ، وَٱلسَّمَا ... حَةِ وَٱلْعُلَى، عَنِّي مَحِيدُ؟

٢ - إِذْ أَنْتَ سَيِّدِيَ ٱلَّذِي ... رَبَّيْتَنِي وَأَبِي سَعِيدُ(٢)

٣ - فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْتَفِيـ ... ـدُ مِنَ ٱلْعَلَاءِ، وَأَسْتَزِيدُ

٤ - وَيَزِيدُ فِيَّ إِذَا رَأَيْـ ... ـتُكَ فِي ٱلنَّدَى خُلُقٌ جَدِيدُ(٣)

- ٩٩ -

وَلَمَّا خَرَجَ «بُودُرُسُ ٱلأَسْطَرَاطِيغُوسُ ٱبْنُ مَرْدِيسَ ٱلْبِطْرِيقِ» - وَهُوَ ٱبْنُ أُخْتِ

---

(١) الوخد: العدو السّريع.

(٢) في رواية «إذا كنتَ» مكان «إذ أنْتَ».

(٣) النّدى: الكرم والعطاء.

مَلِكِ ٱلرُّومِ - فِي أَلْفِ فَارِسٍ مِنَ ٱلرُّومِ؛ إِلَى نَوَاحِي «مَنْبِجَ» صَادَفَ ٱلْأَمِيرَ «أَبَا فِرَاسٍ»، يَتَصَيَّدُ فِي سَبْعِينَ فَارِساً؛ فَأَرَادَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى ٱلْهَزِيمَةِ. فَأَبَى وَثَبَتَ؛ حَتَّى أُثْخِنَ بِٱلْجِرَاحِ وَأُسِرَ. وَكَانَ فِي مَجْلِسِ ٱلْأَمِيرِ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»، أَخُو «بُودْرُسَ ٱلْأَسْطِرَاطِيغُوسَ ٱبْنُ مَرْدِيسَ ٱلْبِطْرِيقِ»؛ وَكَانَ أُسِرَ، هُوَ وَأَبُوهُ، يَوْمَ هُزِمَ جَدُّهُ «ٱلدُّمُسْتُقُ» «بِٱلْحَدَثِ». فَلَمَا وَقَعَ «أَبُو فِرَاسٍ»؛ فِي يَدِ «بُودْرُسَ»، ٱبْنِ أُخْتِ ٱلْمَلِكِ؛ سَامَهُ إِخْرَاجَ أَخِيهِ، أَوْ دَفْعَ فِدَائِهِ. فَكَتَبَ «أَبُو فِرَاسٍ» - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى - إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»، بِهَذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ، أَوَّلَ مَا أُسِرَ؛ يَسْأَلُهُ ٱلْمُفَادَاةَ بِهِ:

[من الطويل]

١ - دَعَوْتُكَ لِلْجَفْنِ ٱلْقَرِيحِ ٱلْمُسَهَّدِ ... لَدَيَّ، وَلِلنَّوْمِ ٱلْقَلِيلِ ٱلْمُشَرَّدِ(١)
٢ - وَمَا ذَاكَ بُخْلاً بِٱلْحَيَاةِ؛ وَإِنَّهَا ... لَأَوَّلُ مَبْذُولٍ لِأَوَّلِ مُجْتَدِ(٢)
٣ - وَمَا ٱلْأَسْرُ مِمَّا ضِقْتُ ذَرْعاً بِحَمْلِهِ؛ ... وَمَا ٱلْخَطْبُ مِمَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ: قَدِ(٣)
٤ - وَمَا زَلَّ عَنِّي أَنَّ شَخْصاً، مُعَرَّضاً ... لِنَبْلِ ٱلْعِدَى؛ إِنْ لَمْ يُصَبْ؛ فَكَأَنْ قَدِ(٤)
٥ - وَلَسْتُ أُبَالِي إِنْ ظَفِرْتُ بِمَطْلَبٍ، ... يَكُونُ رَخِيصاً، أَوْ بِوَسْمٍ مُزَوَّدِ
٦ - وَلَكِنَّنِي أَخْتَارُ مَوْتَ بَنِي أَبِي ... عَلَى صَهَوَاتِ ٱلْخَيْلِ، غَيْرَ مُوَسَّدِ
٧ - وَتَأْبَى وَآبَى أَنْ أَمُوتَ، مُوَسَّداً ... بِأَيْدِي ٱلنَّصَارَى، مَوْتَ أَكْمَد، أَكْبَدِ(٥)
٨ - نَضَوْتُ عَلَى ٱلْأَيَّامِ ثَوْبَ جَلَادَتِي؛ ... وَلَكِنَّنِي لَمْ أَنْضُ ثَوْبَ ٱلتَّجَلُّدِ(٦)
٩ - وَمَا أَنَا إِلَّا بَيْنَ أَمْرٍ، وَضِدِّهِ ... يُجَدِّدُ لِي، فِي كُلِّ يَوْمٍ مجَدِّدِ
١٠ - فَمِنْ حُسْنِ صَبْرٍ، بِٱلسَّلَامَةِ، وَاعِدِي ... وَمِنْ رَيْبِ دَهْرٍ بِٱلرَّدَى، مُتَوَعِّدِي(٧)

---

(١) القريح: الجريح. المسَهَّد: المؤرَّق، الذي لا يستطيع النوم.
(٢) المجتدي: الطالب.
(٣) الخطب: المصيبة. قَدِ: يكفي، حسبُ.
(٤) قوله: «فكَأنْ قدِ» يعني: كأنّه قد أصيب.
(٥) في رواية «وإنّي قمين» مكان «وتأبى وآبى» تأبي: ترفض. الأكمد: المحزون. الأكبد: المصاب في كبده.
(٦) نضوت: خلعت؛ ألقيت. الجلادة: الشّدَّة والصبر.
(٧) في رواية «متهدِّدِ» مكان «متوعِّدي». الرَّدى: الموت.

١١ ـ أُقَلِّبُ طَـرْفِي بَيْنَ خِـلٍّ مُكَبَّـلٍ وَبَيْنَ صَفِيٍّ بِـالْحَدِيـدِ مُصَفَّـدِ[١]
١٢ ـ دَعَـوْتُـكَ، وَالأَبْـوَابُ تُـرْتَـجُ دُونَنَـا؛ فَكُنْ خَيْـرَ مَـدْعُـوٍّ؛ وَأَكْـرَمُ مُنْجِـدِ[٢]
١٣ ـ فَمِثْلُكَ مَنْ يُـدْعى لِكُـلِّ عَـظِيمَـةٍ وَمِـثْلِي مَـنْ يُفْـدَى بِكُـلِّ مُسَـوَّدِ
١٤ ـ أُنَـادِيـكَ لَا أَنِّي أَخَـافُ مِنَ الـرَّدَى وَلَا أَرْتَجِي تَـأْخِيـرَ يَـوْمٍ إِلَى غَـدِ
١٥ ـ وَقَـدْ حُطِّمَ الْخَطِّيُّ وَاخْتَـرَمَ الْعِدَى وَفُلِّلَ حَـدُّ الْمَشْـرَفِيِّ الْمُهَنَّـدِ[٣]
١٦ ـ وَلَكِنْ أَنِفْـتُ الْمَوْتَ فِي دَارِ غُرْبَـةٍ، بِأَيْدِي النَّصَارَى الْغُلْفِ مِيتَةَ أَكْمَدِ[٤]
١٧ ـ فَـلَا تَتْرُكِ الأَعْـدَاءَ حَـوْلِي لِيَفْـرَحُـوا وَلَا تَقْـطَعِ التَّسْـآلَ عَنِّي، وَتَقْعُـدِ
١٨ ـ وَلَا تَقْعُـدَنْ عَنِّي ـ وَقَدْ سِيمَ فِـدْيَتِي ـ فَلَسْتَ، عَنِ الْفِعْلِ الْكَرِيمِ، بِمُقْعَدِ[٥]
١٩ ـ فَكَمْ لَـكَ عِنْـدِي مِنْ أَيَـادٍ وَأَنْعُمٍ؟ رَفَعْتَ بِهَـا قَـدْرِي وَأَكْثَـرْتَ حُسَّـدِي
٢٠ ـ تَشَبَّثْ بِهَـا أُكْـرُومَـةً، قَبْـلَ فَـوْتِهَـا، وَقُمْ فِي خَلَاصِي، صَادِقَ الْعَزْمِ، وَاقْعُدِ[٦]
٢١ ـ فَإِنْ مُتُّ ـ بَعْدَ الْيَوْمِ ـ عَابَكَ مَهْلَكِي، مَعَـابَ الـزُّرَارِيِّينَ، مَهْلَكَ مَعْبَـدِ[٧]
٢٢ ـ هُمُ عَضَلُوا عَنْـهُ الْفِـدَاءَ؛ فَـأَصْبَحُـوا يَهُدُّونَ أَطْرَافَ الْقَـرِيضِ الْمُقَصَّدِ[٨]
٢٣ ـ وَلَمْ يَـكُ بِـدْعـاً هُلْكُـهُ؛ غَيْـرَ أَنَّهُمْ يُعَـابُونَ، إِذْ سِيمَ الْفِـدَاءُ، وَمَا فُـدِي
٢٤ ـ فَـلَا كَـانَ كَلْبُ الـرُّومِ أَرْأَفَ مِنْكُمُ وَأَرْغَبَ فِي كَسْبِ الـثَّنَـاءِ الْـمُخَـلَّدِ
٢٥ ـ وَلَا يَبْلُغِ الأَعْـدَاءُ أَنْ يَتَنَـاهَـضُـوا وَتَقْعُـدَ عَنْ هَـذَا الْعَـلَاءِ الْمُشَيَّـدِ
٢٦ ـ أَأَضْحَوا، عَلَى أَسْرَاهُمُ، بِيَ عُـوَّدًا، وَأَنْتُمْ عَلَى أَسْـرَاكُمُ غَيْـرُ عُـوَّدِ؟![٩]

---

(١) المكبَّل: المقيَّد، وكذلك المُصَفَّد.
(٢) تُرتَج: تُقفَل.
(٣) الخطِّيّ: السيف، أو الرمح المنسوب إلى الخطّ، وهو رجل أو اسم مكان مشهور بصناعة السيوف. اخترم: أصاب. المشرفيّ المهنَّد: السَّيف الهنديّ.
(٤) وفي رواية «وآنف موتَ الذّلّ» مكان «ولكن أنفتُ الموت». الأكمد: الحزين.
(٥) وفي رواية «بقُعْدد» مكان «بمقْعَد». والقُعدد: الجبان الخامل.
(٦) وفي رواية «الوعد» مكان «العزم».
(٧) وفي رواية «النِّزاريِّين»، مكان «الزراريِّين»، وهم بنو زرارة، وقد أعيوا لكونهم لم يفتدوا معبداً، فمات في الأسر، فشرعوا يرثونه.
(٨) وفي رواية «القصيد» مكان «القريض». وهما بمعنى. وعضلوا: منعوا.
(٩) عوَّد: زائرون.

٢٧ -مَتَى تُخْلِفُ ٱلأَيَّامُ، مِثْلِي، لَكُمْ فَتًى طَويلَ نِجادِ ٱلسَّيْفِ، رَحْبَ ٱلْمُقَلَّدِ؟[1]
٢٨ -مَتَى تَلِدُ ٱلأَيَّامُ، مِثْلِي، لَكُمْ فَتًى شَدِيداً عَلَى ٱلْبَأْسَاءِ، غَيْرَ مُلَهَّدِ؟[2]
٢٩ -فَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا شَرَفَ ٱلْعُلاَ، وَأَسْرَعَ عَوَّادٍ إِلَيْهَا، مُعَوَّدِ
٣٠ -وَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا لِعُلاَكُمُ فَتًى غَيْرَ مَرْدُودِ ٱللِّسَانِ أَو ٱلْيَدِ
٣١ -يُطَاعِنُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ؛ بِلِسَانِهِ وَيَضْرِبُ عَنْكُمْ، بِٱلْحُسَامِ ٱلْمهنَّدِ[3]
٣٢ -وَمَا كُلُّ وَقَّافٍ، لَهُ مِثْلُ مَوْقِفِي، وَلاَ كُلُّ وَرَّادٍ لَهُ مِثْلُ مَوْرِدِي
٣٣ -فَمَا كُلُّ مَنْ شَاءَ ٱلْمَعَالِي يَنَالُهَا وَلاَ كُلُّ سَيَّارٍ إِلَى ٱلْمَجْدِ يَهْتَدِي
٣٤ -أَقِلْنِي! أَقِلْنِي! عَثْرَةَ ٱلدَّهْرِ إِنَّهُ رَمَانِي بِسَهْمٍ، صَائِبِ ٱلنَّصْلِ، مُقْصِدِ[4]
٣٥ -وَلَوْ لَمْ تَنَلْ نَفْسِي وَلاَءَكَ، لَمْ أَكُنْ لأَورِدَهَا، فِي نَصْرِهِ كُلَّ مَوْرِدِ
٣٦ -وَلاَ كُنْتُ أَلْقَى ٱلأَلْفَ، زُرْقاً عُيُونُهَا، بِسَبْعِينَ، فِيهِم كُلُّ أَشْأَمَ أَنْكَدِ[5]
٣٧ -فَلاَ، وَأَبِي، مَا سَاعِدَانِ كَسَاعِدٍ، وَلاَ، وَأَبِي، مَا سَيِّدَانِ كَسَيِّدِ
٣٨ -وَلاَ، وَأَبِي، مَا يَفْتُقُ ٱلدَّهْرُ جَانِباً فَيَرْتُقُهُ، إِلاَّ بِأَمْرٍ مُسَدَّدِ
٣٩ -وَإِنَّكَ لَلْمَوْلَى، ٱلَّذِي بِكَ أَقْتَدِي، وَإِنَّكَ لَلنَّجْمُ ٱلَّذِي بِكَ أَهْتَدِي
٤٠ -وَأَنْتَ ٱلَّذِي عَرَّفْتَنِي طُرُقَ ٱلْعُلاَ؛ وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَهْدَيْتَنِي كُلَّ مَقْصِدِ
٤١ -وَأَنْتَ ٱلَّذِي بَلَّغْتَنِي كُلَّ رُتْبَةٍ، مَشَيْتُ إِلَيْهَا، فَوْقَ أَعْنَاقِ حُسَّدِي
٤٢ -فَيَا مُلْبِسِي ٱلنُّعْمَى ٱلَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا، لَقَدْ أَخْلَقَتْ تِلْكَ ٱلثِّيَابُ، فَجَدِّدِ[6]
٤٣ -أَلَمْ تَرَ أَنِّي، فِيكَ صَافَحْتُ حَدَّهَا، وَفِيكَ شَرِبْتُ ٱلْمَوْتَ، غَيْرَ مُصَرَّدِ؟[7]
٤٤ -يَقُولُونَ: «جَنِّبْ»! عَادَةٌ مَا عَرَفْتُهَا؟ شَدِيدٌ عَلَى ٱلإِنْسَانِ مَا لَمْ يُعَوَّدِ[8]

---

(١) نجاد السَّيف: حمائله. رحب المُقلَّد: كناية عن ضخامة كتفيه وما بينهما.

(٢) البأساء: المصيبة. الملهَّد: الذّليل.

(٣) وفي رواية «أحسابكم» مكان «أعراضكم» وهما بمعنى. الحُسام المهَنَّد: السَّيف الهنديّ.

(٤) أقِلْني عثرة الدَّهر. ارفعني منها. مقصد: صائب.

(٥) قوله «زرقاً عيونها» كناية عن الروم المعروفين بزرقة العيون. وفي البيت يقول إنَّه كانه يهاجم بسبعين مقاتل جيشاً من الروم من ألف مقاتل. الأشأم: الكثير الشُّؤم. الأنكد: القليل الخير.

(٦) النُّعمى: رَغَد العيش. جَلَّ: عظم. أخلقَتْ: بليتْ.

(٧) المصرَّد: من سقي الماء قليلاً، دون الرِّيّ.

(٨) في هذا البيت حكمة.

٤٥ ـ فَقُلْتُ: أَمَـا وَٱللَّهِ لَا قَـالَ قَـائِـلٌ: شَهِدْتُ لَهُ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلْأَمَ مَشْهَدِ(١)
٤٦ ـ وَلَكِنْ سَـأَلْقَـاهَـا، فَـإِمَّـا مَنِيَّـةٌ هِيَ ٱلـظَّنُّ، أَوْ بُنْيَـانُ عِـزٍّ مُـوَطَّـدِ(٢)
٤٧ ـ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ ٱلـدَّهْرَ فِي عَـدَدِ ٱلْعِـدَا؛ وَأَنَّ ٱلْمَنَـايَا ٱلسُّـودَ يَرْمِينَ عَنْ يَـدِ(٣)
٤٨ ـ بَقِيتَ «ٱبْنَ عَبْدِٱللَّهِ» تُحْمَى مِنَ ٱلرَّدَى، وَيَفْـدِيـكَ مِنَّـا سَيِّـدٌ بَعْـدَ سَيِّـدِ(٤)
٤٩ ـ بَقِيتَ «ٱبْنَ عَبْـدِ ٱللَّهِ» مَـا ذَرَّ شَـارِقٌ تَـرُوحُ إِلَى ٱلْعِزِّ ٱلْمُبِينِ، وَتَغْتَـدِي(٥)
٥٠ ـ بِعِيشَـةِ مَسْعُـودٍ؛ وَأَيَّـامِ سَـالِمٍ وَنِعْمَـةِ مَغْبُوطٍ؛ وَحَـالِ مُحَسَّـدِ ـ
٥١ ـ فَـلَا يَحْـرِمَنِّي ٱللَّهُ رُؤْيَـاكَ! ـ إِنَّهَـا نِهَـايَـةُ آمَـالِي ؛ وَغَـايَـةُ مَقْصِـدِي
٥٢ ـ وَلَا يَحْـرِمَنِّي ٱللَّهُ قُـرْبَـكَ! ـ إِنَّـهُ مُرَادِي مِنَ ٱلدُّنْيَا؛ وَحَظِّي ؛ وَسُؤْدَدِي(٦)

ـ ١٠٠ ـ

وَقَالَ، أَيْضاً، يَصِفُ أَسْرَهُ، وَيَذْكُرُ حُسَّادَهُ، وَيُعَرِّضُ بِبَعْضِ أَهْلِهِ:

[من الطويل]

١ ـ لِمَنْ جَاهَدَ ٱلْحُسَّـادَ أَجْرُ ٱلْمُجَـاهِدِ؛ وَأَعْجَـزُ مَا حَـاوَلْتُ، إِرْضَـاءُ حَـاسِـدِ
٢ ـ وَلَمْ أَرَ مِثْلِي ٱلْيَـوْمَ أَكْثَـرَ حَـاسِـداً؛ كَأَنَّ قُلُوبَ ٱلنَّاسِ ، لِي ، قَلْبُ وَاحِدِ(٧)
٣ ـ أَلَمْ يَرَ هَذَا ٱلدَّهْرُ، غَيْرِي، فَاضِـلاً؟ وَلَمْ يَظْفَرِ ٱلْحُسَّادُ، قَبْلِي ؛ بِمَاجِدِ؟!(٨)
٤ ـ أَرَى ٱلْغِلَّ مِنْ تَحْتِ ٱلنِّفَاقِ، وَأَجْتَنِي مِنَ ٱلْعَسَلِ ٱلْمَاذِيِّ سُمَّ ٱلْأَسَاوِدِ(٩)

---

(١) في رواية «في الخيل» مكان «في الحرب».
(٢) وفي رواية «مشيَّد» مكان «موطد». والموطد: الراسخ، الثابت.
(٣) قوله: «يرمين عن يد» يعني أنّها تصيب، ولا تُخطىء.
(٤) ويروى صدر البيت: «بقيت على الأيّام تحمي بنا الرّدى».
(٥) ذَرَّ: طلع. الشارق: الشمس. تروح: تذهب في الرواح، وهو العشيّة. تغتدي: تذهب في الغداة، وهي أوّل النهار.
(٦) سؤددي: عزّي ومجدي.
(٧) الواجد: المحِبّ.
(٨) وفي رواية: أَلَمْ يَرَ هذا الناس غيري فاضلاً، و«مثلي» مكان «قبلي». الماجد: ذو المجد.
(٩) الغلّ: الحقد. الماذيّ: الأبيض. الأساود: الأفاعي.

٥ - وَأَصْبِرُ، مَا لَمْ يُحْسَبِ ٱلصَّبْرُ ذِلَّةً، ... وَأَلْبَسُ، لِلْمَذْمُومِ، حُلَّةَ حَامِدِ[1]

٦ - قَلِيلُ ٱعْتِذَارٍ، مَنْ يَبِيتُ ذُنُوبُهُ ... طِلَابُ ٱلْمَعَالِي، وَٱكْتِسَابُ ٱلْمَحَامِدِ

٧ - وَأَعْلَمُ إِنْ فَارَقْتُ خِلًّا عَرَفْتُهُ، ... وَحَاوَلْتُ خِلًّا أَنَّنِي غَيْرُ وَاجِدِ

٨ - وَهَلْ غَضَّ مِنِّي ٱلْأَسْرُ إِذْ خَفَّ نَاصِرِي ... وَقَلَّ عَلَى تِلْكَ ٱلْأُمُورِ مُسَاعِدِي؟

٩ - أَلَا لَا يُسَرَّ ٱلشَّامِتُونَ؛ فَإِنَّهَا ... مَوَارِدُ آبَائِي ٱلْأُولَى، وَمَوَارِدِي

١٠ - وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ، حِينَ جَانَبْتُ زَاهِداً ... إِلَى غَيْرِهِ؛ عَاوَدْتُهُ غَيْرَ زَاهِدِ!

١١ - وَمَا كُلُّ أَنْصَارِي، مِنَ ٱلنَّاسِ، نَاصِرِي ... وَلَا كُلُّ أَعْضَادِي، مِنَ ٱلنَّاسِ، عَاضِدِي[2]

١٢ - وَهَلْ نَافِعِي إِنْ عَضَّنِي ٱلدَّهْرُ مُفْرَداً ... إِذَا كَانَ لِي قَوْمٌ طِوَالُ ٱلسَّوَاعِدِ؟

١٣ - وَهَلْ أَنَا مَسْرُورٌ بِقُرْبِ أَقَارِبِي ... إِذَا كَانَ لِي مِنْهُمْ قُلُوبُ ٱلْأَبَاعِدِ؟

١٤ - أَيَا جَاهِداً، فِي نَيْلِ مَا نِلْتُ مِنْ عُلاً، ... رُوَيْدَكَ! إِنِّي نِلْتُهَا غَيْرَ جَاهِدِ!

١٥ - لَعَمْرُكَ، مَا طُرْقُ ٱلْمَعَالِي خَفِيَّةٌ، ... وَلَكِنَّ بَعْضَ ٱلسَّيْرِ لَيْسَ بِقَاصِدِ

١٦ - وَيَا سَاهِدَ ٱلْعَيْنَيْنِ فِيمَا يَرِيبُنِي، ... أَلَا إِنَّ طَرْفِي فِي ٱلْأَذَى، غَيْرُ سَاهِدِ

١٧ - غَفَلْتُ عَنِ ٱلْحُسَّادِ، مِنْ غَيْرِ غَفْلَةٍ، ... وَبِتُّ طَوِيلَ ٱلنَّوْمِ عَنْ غَيْرِ رَاقِدِ[3]

١٨ - خَلِيلَيَّ، مَا أَعْدَدْتُمَا لِمُتَيَّمٍ ... أَسِيرٍ لَدَى ٱلْأَعْدَاءِ جَافِي ٱلْمَرَاقِدِ؟[4]

١٩ - فَرِيدٍ عَنِ ٱلْأَحْبَابِ صَبٍّ، دُمُوعُهُ ... مَثَانٍ، عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ، غَيْرُ فَرَائِدِ[5]

٢٠ - إِذَا شِئْتُ جَاهَرْتُ ٱلْعَدُوَّ، وَلَمْ أَبِتْ ... أُقَلِّبُ فِكْرِي فِي وُجُوهِ ٱلْمَكَائِدِ[6]

٢١ - صَبَرْتُ عَلَى ٱللَّأْوَاءِ، صَبْرَ ٱبْنِ حُرَّةٍ، ... كَثِيرِ ٱلْعِدَا فِيهَا، قَلِيلِ ٱلْمُسَاعِدِ[7]

٢٢ - فَطَارَدْتُ، حَتَّى أَبْهَرَ ٱلْجَرْيُ أَشْقَرِي، ... وَضَارَبْتُ حَتَّى أَوْهَنَ ٱلضَّرْبُ سَاعِدِي[8]

---

(١) وفي رواية «يجلب» مكان «يُحسَب».

(٢) عاضدي: مساعدي، معيني.

(٣) راقد: نائم.

(٤) المراقد: جمع المرقَد، وهو مكان النوم. وقوله «جافي المراقِد» كناية عن سهره وأرقه.

(٥) فرائد: مفردة، وقوله: «مثانٍ على الخدَّين غير فرائِدِ» كناية عن غزارة دموعه.

(٦) المكائد: جمع المكيدة، وهي الخديعة.

(٧) اللأواء: الشِّدَّة والمصيبة.

(٨) وفي رواية «الجيش» مكان «الجري». أبهره: أتعبه. أشقري: فرسي الأشقر. أوهنَ: أضعف.

٢٣ -وَكُنَّا نَرَى أَنْ لَمْ يُصِبْ، مَنْ تَصَرَّمَتْ مَوَاقِفُهُ، عَنْ مِثْلِ هَذِي ٱلشَّدَائِدِ(١)
٢٤ -دَهَابِي مَنْ يَشْرِي خَلَاصِي بِنَفْسِهِ وَيَعْزُبُ عَنِّي ٱلذَّنْبُ، مِنْ غَيْرِ حَامِدِ(٢)
٢٥ -جَمَعْتُ سُيُوفَ ٱلْهِنْدِ، مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ، وَأَعْدَدْتُ لِلْهَيْجَاءِ كُلَّ مُجَالِدِ(٣)
٢٦ -وَأَكْثَرْتُ لِلْغَارَاتِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بَنَاتِ ٱلْبُكَيْرِيَّاتِ حَوْلَ ٱلْمَزَاوِدِ(٤)
٢٧ -إِذَا كَانَ غَيْرُ ٱللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً، أَتَتْهُ ٱلرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ ٱلْفَوَائِدِ(٥)
٢٨ -فَقَدْ جَرَّتِ «ٱلْحَنْفَاءُ» حَتْفَ «حُذَيْفَةٍ»، وَكَانَ يَرَاهَا عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ(٦)
٢٩ -وَجَرَّتْ مَنَايَا «مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةٍ» عَقِيلَتُهُ ٱلْحَسْنَاءُ؛ أَيَّامَ «خَالِدِ»(٧)
٣٠ -وَأَرْدَى «ذُؤَاباً» فِي بُيُوتِ «عُتَيْبَةٍ»، أَبُوهُ وأَهْلُوهُ؛ بِشَدْوِ ٱلْقَصَائِدِ
٣١ -عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ لِي عَوَائِدَ مِنْ نُعْمَاهُ، غَيْرَ بَوَائِدِ(٨)
٣٢ -فَكَمْ شَالَنِي مِنْ قَعْرِ ظَلْمَاءَ لَمْ يَكُنْ لِيُنْقِذَنِي مِنْ قَعْرِهَا، حَشْدُ حَاشِدِ؟(٩)
٣٣ -فَإِنْ عُدْتُ يَوْماً؛ عَادَ لِلْحَرْبِ وَٱلْعُلَا، وَبَذْلِ ٱلنَّدَى، وَٱلْجُودِ؛ أَكْرَمُ عَائِدِ(١٠)
٣٤ -مَرِيرٌ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ؛ لَكِنَّ جَارَهُ إِلَى خِصْبِ ٱلْأَكْنَافِ عَذْبِ ٱلْمَوَارِدِ،(١١)
٣٥ -مُشَهًّى بِأَطْرَافِ ٱلنَّهَارِ؛ وَبَيْنَهَا لَهُ مَا تَشَهَّى، مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ(١٢)

---

(١) تصرَّمت: انقضتْ، ومضتْ. الشَّدائد: المصائب.
(٢) دهاني: أصابني.
(٣) الهيجاء: الحرب. المجالِد: الصَّبور.
(٤) البكيريّات: المراد الخيول، ولعلّه نسبها إلى رجل أو مكان معيّن. المزاود: جمع المزود، وهو ما يوضع فيه الزّاد.
(٥) الرّزايا: المصائب.
(٦) وفي رواية «قتل» مكان «حتف»، وهما بمعنى. والحنفاء: فرس حذيفة بن بدر، وهو رجل جاهليّ كان يضرب به المثل في سرعة السَّير. عاصر الملك المنذر بن ماء السَّماء.
(٧) مالك بن نويرة: فارس وشاعر إسلاميّ. وخالد هو خالد بن الوليد.
(٨) بوائد: بائدة، زائلة.
(٩) وفي رواية «شال بي» مكان «شالني». وقوله «قعر ظلماء» كناية عن المصيبة الشّديدة.
(١٠) النّدى: الكرم والعطاء.
(١١) الأكناف: النواحي.
(١٢) الطريف: المال المُسْتَحدَث. التالد: المال القديم.

٣٦ ـفَقَـدْ خلَّصَ ٱللَّهُ «ٱلْمُهلَّب» جَهْـرَةً، وَلَمْ يَكُنِ «ٱلْحَجَّـاجُ» عَنْـهُ بِـرَاقِـدِ[١]
٣٧ ـوَأفْلَتَ بَعْدَ ٱلأَسْرِ مِنْ كَفِّ «حَـارِثٍ» «عَـدِيٌّ» وَلَمْ يَصْفَحْ لَـهُ صَفْحَ عَـامِدِ
٣٨ ـوَفُـكَّ مِنَ ٱلأَسْـرِ «آبْنُ عَمِّيَ تَغْلِبُ» وَعَادَ إِلَى «سَيْفِ ٱلْهُدَى» خَيْـرَ عَائِـدِ
٣٩ ـوَقَدْ مَاتَ مَحْبُـوساً «زَبَـانُ بْنُ مُنْذِرٍ» يُبَـاعُ بِـأَعْلَى «مَكَّـةٍ» بَيْـعَ كَـاسِـدِ
٤٠ ـوَعَبْـدُ «يَغُـوثٍ»، بَعْـدَ طُـولِ ثَـوَابِـهِ قَضَى، رَاشِدَ ٱلأَفْعَالِ، أَوْ غَيْرَ رَاشِدِ
٤١ ـوَمِنْ بَعْدِ طُولِ ٱلأَسْرِ مَاتَ «آبْنُ حَشْرَمٍ» فَكَـانَ فَتًى عَنْ يَـوْمِـهِ غَيْـرَ حَـائِـدِ
٤٢ ـسَـأَصْبِـرُ إِمَّـا وَاجِـداً مَـا أُرِيـدُهُ، بِفَضْلِ «آبْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ» أَوْ غَيْـرَ وَاجِدِ
٤٣ ـوَإِنْ تَكُنِ ٱلأُخْـرَى فَلَسْتُ بِخَـالِـدٍ وَلاَ ٱلشَّـامِتُ ٱلْمَغْـرُورُ أَيْضاً بِخَالِـدِ
٤٤ ـفَكَمْ قَـدْ جَـلاَ عَنِّي غُـبَـارَ مُلِمَّـةٍ تَطَاوَلَ مِنْهَا حَاسِدِي وَحَـوَاسِدِي؟[٢]
٤٥ ـمَنَعْتُ حِمَى قَوْمِي، وَسُدْتُ عَشِيرَتِي، وَقَلَّدْتُ أَهْلِي غُـرَّ هَـذِي ٱلْقَـلاَئِـدِ
٤٦ ـخَـلاَئِقُ لاَ يُوجَـدْنَ فِي كُـلِّ مَـاجِـدِ وَلَكِنَّهَـا فِي ٱلْمَاجِـدِ آبْنِ ٱلأَمَاجِـدِ[٣]

ـ ١٠١ ـ

وَقَالَ:

[من الهزج]

١ ـ سَـلاَمٌ رَائِـحٌ، غَـادِ، عَـلَى سَـاكِـنَـةِ ٱلْـوَادِي[٤]
٢ ـ عَـلَى مَـنْ حُـبُّـهَـا ٱلْـهَـادِي، إِذَا مَـا زُرْتُ، وَٱلْـحَـادِي[٥]
٣ ـ أُحِـبُّ ٱلْـبَـدْوَ؛ مِـنْ أَجْـلِ غَـزَالٍ، فِـيـهُـمُ بَـادِ
٤ ـ أَلاَ يَـا رَبَّـةَ ٱلْـحَـلْيِ، عَـلَى ٱلْـعَـاتِـقِ وَٱلْـهَـادِي[٦]

---

(١) المهلَّب هو المهلَّب بن أبي صفرة أحد القادة العرب المشهورين. والحجّاج هو الحجّاج بن يوسف الثقفيّ والي العراق على عهد عبد الملك بن مروان. راقد: نائم، غافل.
(٢) المُلِمَّة: المُصيبة.
(٣) الماجد: ذو المجد.
(٤) رائح: ذاهب في الرواح، وهي العشيّ. غادٍ: ذاهب في الغداة، وهي أوّل النهار.
(٥) الهادي: المتقدِّم في السَّير. الحادي: المتأخِّر.
(٦) العاتق: المنكب. الهادي: العنق.

٥ - لَقَدْ أَبْهَجْتِ أَعْدَائِي وَقَدْ أَشْمَتِّ حُسَّادِي
٦ - بِسُقْمٍ مَا لَهُ شَافٍ وَأَسْرٍ مَا لَهُ فَادِ(١)
٧ - فَإِخْوَانِيَ نُدْمَانِي وَعُذَّالِيَ، عُوَّادِي(٢)
٨ - فَمَا أَنْفَكُّ عَنْ ذِكْرَاكِ فِي نَوْمٍ وَتَسْهَادِ(٣)
٩ - بِشَوْقٍ مِنْكِ مُعْتَادِ وَطَيْفٍ غَيْرِ مُعْتَادِ(٤)
١٠ - أَلَا يَا زَائِرَ ٱلْمَوْصِلِ حَيِّ ذَلِكَ ٱلنَّادِي
١١ - فَبِٱلْمَوْصِلِ إِخْوَانِي وَبِٱلْمَوْصِلِ أَعْضَادِي(٥)
١٢ - فَقُلْ لِلْقَوْمِ يَأْتُونِي مِنْ مَثْنَى وَأَفْرَادِ
١٣ - فَعِنْدِي خِصْبُ زُوَّارٍ وَعِنْدِي رِيُّ وُرَّادِ(٦)
١٤ - وَعِنْدِي ٱلظِّلُّ مَمْدُودٌ عَلَى ٱلْحَاضِرِ وَٱلْبَادِي
١٥ - أَلَا لَا يَقْعُدِ ٱلْعَجْزُ بِكُمْ عَنْ مَنْهَلِ ٱلصَّادِي(٧)
١٦ - فَإِنَّ ٱلْحَجَّ مَفْرُوضٌ مَعَ ٱلنَّاقَةِ وَٱلزَّادِ(٨)
١٧ - كَفَانِي سَطْوَةَ ٱلدَّهْرِ جَوَادٌ نَسْلُ أَجْوَادِ
١٨ - نَمَاهُ خَيْرُ آبَاءٍ نَمَتْهُمْ خَيْرُ أَجْدَادِ(٩)
١٩ - فَمَا يَصْبُو إِلَى أَرْضٍ سِوَى أَرْضِي وَرُوَّادِي(١٠)

---

(١) السُّقْم: المرض. وفي رواية «راق» مكان «شافٍ».

(٢) الندمان: المنادمون على الشراب. العذّال: اللائمون. العُوّاد: الزائرون في أثناء المرض.

(٣) التسهاد: الأرق.

(٤) ويروى:

لشوقٍ منكِ منقادِ وطيفٍ منكِ مُعْتادِ

(٥) أعضادي: أعواني.

(٦) في رواية «روّادِ» مكان «ورّادِ».

(٧) المنهل: النبع. الصّادي: العطشان.

(٨) ويروى العجز: «على العاكف والبادي».

(٩) نماه: ربّاه.

(١٠) يصْبُو: يحنّ، ويشتاق.

٢٠ - وَقَاهُ آللَّهُ، فِيمَا عَاشَ، شَرَّ آلزَّمَنِ آلْعَادِي(١)

- ١٠٢ -

وَلَهُ فِي عِذَارٍ:

[من الخفيف]

١ - أَيُّهَا آلْمَانِعِي لَذِيذَ آلْهُجُودِ، جُدْ بِإِنْجَازِ ذَلِكَ آلْمَوْعُودِ!(٢)

٢ - لَكَ خَدٌّ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَالَتِ آلْعَيْنُ لِلْمَدَامِعِ : جُودِي(٣)

٣ - كَتَبَ آلشَّعْرُ فَوْقَهُ: أَنَا مِمَّنْ طَرَّزَ آللَّهُ فِي جِنَانِ آلْخُلُودِ

- ١٠٣ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - بِأَبِي آلْغَزَالُ آلْمُكْتَسِي ثَوْبَ آلْجَمَالِ آلْمُرْتَدِي(٤)

٢ - مَاءُ آلشَّبَابِ بِوَجْنَتَيْـ ـهِ كَأَنَّهُ آلْوَرْدُ آلنَّدِي(٥)

٣ - يَا فَاضِحَ آلْغُصْنِ آلرَّطِيـ ـبِ بِقَدِّهِ آلْمُتَأَوِّدِ(٦)

٤ - أَزَعَمْتَ أَنِّي مُعْتَدٍ؟ نَفْسِي فِدَاءُ آلْمُعْتَدِي!

- ١٠٤ -

قَالَ آبْنُ خَالَوَيْهِ: قَالَ أَبُو فِرَاسٍ : قَصَدَ «آبْنُ بُوَيْه آلدَّيْلَمِيُّ» آلأَمِيرَ «نَاصِر

(١) ويروى الصدر: «وقال الله بي ما . . ». العادي : الظالم.
(٢) الهجود: النوم.
(٣) جودي : كوني كريمة، أي انهمري بغزارة.
(٤) المكتسي، والمرتدي : اللابس.
(٥) الوجنة: ما ارتفع من الخدّ.
(٦) المُتَأَوِّد: المنثني، المتمايل في دلال، كناية عن رشاقته.

ٱلدَّوْلَةِ» فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلاَثِينَ وَثَلاَثِمِائَةٍ فَٱنْصَرَفَ إِلَى «نَصِيبِينَ»؛ وَكَاتَبَ ٱلأَمِيرَ «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ» فِي ٱلانْحِدَارِ لِلاجْتِمَاعِ عَلَى ٱلتَّدْبِيرِ فِيهِ. فَأَقَامَ أَيَّاماً حَتَّى ٱسْتَعَدَّ؛ وَأَخَذَ ٱلأُهْبَةَ وَسَارَ إِلَى ٱلرَّقَةِ؛ وَقَدْ أَصْلَحَ ٱلأَمِيرُ «نَاصِرُ ٱلدَّوْلَةِ» بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُلْطَانِهِ. وَوَجَدَ مِنْ تَأْخِيرِ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْمَسِيرَ فِي تِلْكَ ٱلأَيَّامِ؛ وَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلأَعْمَالِ ٱلَّتِي لَهُ «بِدِيَارِ بَكْرٍ» وَبَسَطَ أَيْدِي ٱلرِّجَالِ فِيهَا. وَأَشْرَفَتِ ٱلْحَرْبُ عَلَى ٱلشُّرُوقِ فَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ فِي ذَلِكَ:

[من الطويل]

١ - أَيَا قَوْمَنَا لاَ تُنْشِبُوا ٱلْحَرْبَ بَيْنَنَا ... أَيَا قَوْمَنَا لاَ تَقْطَعُوا ٱلْيَدَ بِٱلْيَدِ
٢ - فَيَا لَيْتَ دَانِي ٱلرَّحْمِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... إِذَا لَمْ يُقَرِّبْ بَيْنَنَا لَمْ يُبَعِّدِ[1]
٣ - «عَدَاوَةُ ذِي ٱلْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى ٱلْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ»[2]

- ١٠٥ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - وَزِيَارَةٍ مِنْ غَيْرِ وَعْدِ ... فِي لَيْلَةٍ طُرِقَتْ بِسَعْدِ
٢ - بَاتَ ٱلْحَبِيبُ إِلَى ٱلصَّبَا ... حِ مُعَانِقِي خَدًّا لِخَدِّ[3]
٣ - يَمْتَارُ فِيَّ وَنَاظِرِي ... مَا شِئْتَ مِنْ خَمْرٍ وَوَرْدِ[4]
٤ - قَدْ كَانَ مَوْلاَيَ ٱلأَجَـ ... ـلَّ فَصَيَّرَتْهُ ٱلرَّاحُ عَبْدِي[5]
٥ - لَيْسَتْ بِأَوَّلِ مِنَّةٍ ... مَشْكُورَةٍ لِلرَّاحِ عِنْدِي

---

(١) ويروى «منّا ومنكم» مكان «بيني وبينكم». وداني الرحم: كناية عن صلة القربى.

(٢) البيت لطرفة بن العبد في معلّقته، والرواية المشهورة فيه «وظلم ذوي القربى...». المضاضة: الإيلام. الحسام المهنّد: السّيف الهنديّ. يقول إنّ ظلم الأقرباء شديد على النفس كوقع السّيف.

(٣) في رواية «الصباحُ» مكان «الحبيب».

(٤) يمتار: يجمع الطعام والمؤونة.

(٥) ويروى «مازال» مكان «قد كان». والراح: الخمر.

- ١٠٦ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - لَيْسَ جُوداً عَطِيَّةٌ بِسُؤَالٍ قَدْ يَهُزُّ ٱلسُّؤَالُ غَيْرَ ٱلْجَوَادِ(١)
٢ - إِنَّمَا ٱلْجُودُ مَا أَتَاكَ ٱبْتِدَاءً لَمْ تَذُقْ فِيهِ ذِلَّةَ ٱلتَّرْدَادِ(٢)

- ١٠٧ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - وَلَمَّا تَخَيَّرْتُ ٱلأَخِلَّاءَ لَمْ أَجِدْ صَبُورًا عَلَى حِفْظِ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْعَهْدِ
٢ - سَلِيماً عَلَى طَيِّ ٱلزَّمَانِ وَنَشْرِهِ أَمِيناً عَلَى ٱلنَّجْوَى صَحِيحاً عَلَى ٱلْبُعْدِ(٣)
٣ - وَلَمَّا أَسَاءَ ٱلظَّنَّ بِي مَنْ جَعَلْتُهُ وَإِيَّايَ مِثْلَ ٱلْكَفِّ نِيطَتْ إِلَى ٱلزَّنْدِ(٤)
٤ - حَمَلْتُ إِلَى ضَنِّي بِهِ؛ سُوءَ ظَنِّهِ وَأَيْقَنْتُ أَنِّي بِٱلْوَفَا أُمَّةٌ وَحْدِي(٥)
٥ - وَأَنِّي عَلَى ٱلْحَالَيْنِ فِي ٱلْعَتْبِ وَٱلرِّضَى مُقِيمٌ عَلَى مَا كَانَ يَعْرِفُ مِنْ وِدِّي(٦)

---

(١) ويروى «قد نلته» مكان «عطيّة». الجود: الكرم. يهزّ: يثير ويدفع إلى الكرم. الجواد: الكريم.
(٢) يقول: الجود هو الذي تناله من الكريم دون أن تسأله، وتكرِّر سؤالك.
(٣) النجوى: السّرّ.
(٤) نيطت: أسنِدتْ. يقول: إنّه ملتحم مع ابن عمته سيف الدولة كالكفّ المتّصلة بالزند، أي كاليد الواحدة.
(٥) ويروى:
حملتُ على ظنِّي بِهِ سوءَ ظنّه وأيقنْتُ أنّي في الإخاءِ به وحدي
(٦) ويروى العجز: «مقيم على ما يعرف الناس من ودِّي».

-١٠٨-

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - حَسَدُ ٱلْغُصُونِ لِحُسْنِ قَدِّه ... حَسَدُ ٱلرِّيَاضِ لِوَرْدِ خَدِّهْ
٢ - سَلَبَ ٱلْفُؤَادَ فَلَيْتَ شِعْـ ... ـرِي هَلْ يُسَامِحُنِي بِرَدِّهْ؟[1]
٣ - لَمْ يَرْضَنِي عَبْداً لَهُ ... فَجَعَلْتُ نَفْسِي عَبْدَ عَبْدِهْ

-١٠٩-

وَقَالَ:

[من المتقارب]

١ - تَبَدَّى بِوَجْهٍ كَبَدْرِ ٱلسَّمَاءِ ... إِذَا مَا تَكَامَلَ فِي سَعْدِهِ[2]
٢ - وَقَدْ سَلَّ مِنْ طَرْفِهِ مُرْهَفاً ... وَنَثْرُ ٱلْوُرُودِ عَلَى خَدِّهِ[3]

-١١٠-

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - وَإِذَا يَئِسْتُ مِنَ ٱلدُّنْـ ... ـوّ رَغِبْتُ فِى فَرْطِ ٱلْبِعَادِ
٢ - أَرْجُو ٱلشَّهَادَةَ فِي هَوَا ... كَ لِأَنَّ قَلْبِي فِي جِهَادِ[4]

---

(١) سلب: سرق.

(٢) تبدَّى: ظهر.

(٣) سَلَّ: شَهَرَ. طرفه: عينه. المرهَف: السَّيف القاطع.

(٤) في رواية «سواك» مكان «هواك»، و«روحي» مكان «قلبي».

- ١١١ -

وَقَالَ مُفْتَخِراً:

[من الوافر]

١ - لَئِنْ خُلِقَ ٱلأَنَامُ لِحَسْوِ كَأْسٍ ... وَمُسْمِعَةٍ، وَطُنْبُورٍ، وَعُودِ(١)

٢ - فَلَمْ يُخْلَقْ «بَنُو حَمْدَانَ» إِلَّا ... لِمَجْدٍ، أَوْ لِحَمْدٍ، أَوْ لِجُودِ(٢)

- ١١٢ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - يَا جَاحِداً فَرْطَ غَرَامِي بِهِ، ... وَلَسْتُ بِٱلنَّاسِي وَلَا ٱلْجَاحِدِ(٣)

٢ - أَقْرَرْتُ فِي ٱلْحُبِّ بِمَا تَدَّعِي ... فَلَسْتُ مُحْتَاجاً إِلَى شَاهِدِ(٤)

- ١١٣ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - بِتْنَا نُعَلَّلُ مِنْ سَاقٍ أَغَنَّ لَنَا ... بِخَمْرَتَيْنِ مِنَ ٱلصَّهْبَاءِ وَٱلْخَدِّ(٥)

٢ - كَأَنَّهُ حِينَ أَذْكَى نَارَ وَجْنَتِهِ ... سُكْراً وَأَسْبَلَ فَضْلَ ٱلْفَاحِمِ ٱلْجَعْدِ(٦)

(١) وفي رواية «ومزمارٍ» مكان «ومُسمِعَة». الأنام: الناس. المُسمِعة: المُغنِّية. الطُّنبور: آلة موسيقيّة.

(٢) وفي رواية «لبأسٍ» مكان «لحمدٍ».

(٣) الجاحد: الناكر.

(٤) وفي رواية «بالحبّ» مكان «في الحبّ».

(٥) نُعلَّل: نُسقَى مرَّةً بعد أخرى. الأَغَنّ: ذو الغُنَّة، وهي صوت يخرج من اللَّهاة والأنف. الصَّهباء: الخمر.

(٦) وفي رواية «فوق» مكان «فضل». الوجنة: ما ارتفع من الخَدَّين. أَسْبَل: أرخى. فَضْل الفاحِم الجعدِ: الشَّعر الأسود المجعَّد الطويل.

٣ - يـعُــدُّ مَــاءَ عَـنَــاقِـيــدٍ بِـطُـرَّتِـهِ   بِـمَـاءِ مَا حَـمَلَتْ خَـدَّاهُ مِنْ وَرْدِ(١)

- ١١٤ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - قَـمَـرٌ حَـلَّ فِـي سَـوَادِ ٱلْـفُـؤَادِ   سَلَبَ ٱلْجَفْنَ طِيبَ طَعْمِ ٱلـرُّقَـادِ(٢)

٢ - نَـأَتِ ٱلـرُّوحُ مُـذْ نَـأَيْـتَ وَهَـذَا   عَـجَـبٌ كُـنْـتُـمَـا عَـلَى مِـيـعَـادِ(٣)

- ١١٥ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - أَلَا حَبَّـذَا ٱلْـوَجْـهُ ٱلْمُعَـذَّرُ رَائِعِي   بِـهِ زَهَرُ ٱلنِّسْرِينِ فِي وَرَقِ ٱلْخَـدِّ(٤)

٢ - وَلَيْسَ ٱلَّـذِي فِي خَـدِّهِ نَبْت خَـدِّهِ   وَلَكِنَّهُ مِنْ ذَوْبِ فَـاحِمِـهِ ٱلْجَعْـدِ(٥)

٣ - يُـعَـلِّلُنِـي مِـنْ رِيـقِـهِ وعِـذَارِهِ   بِخَمْرٍ عَلَى دُرٍّ؛ وَمِسْكٍ عَلَى وَرْدِ(٦)

- ١١٦ -

وَكَتَبَ «أَبُو فِرَاسٍ» إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى «دِيَارِ بَكْرٍ» وَتَخَلُّفِهِ عَنْهُ «بالشَّامِ»:

[من الكامل]

١ - إِنِّـي مُـنِـعْـتُ مِـنَ ٱلْمَسِـيـرِ إِلَـيْـكُـمْ   وَلَـوِ ٱسْـتَـطَعْـتُ لَـكُـنْـتُ أَوَّلَ وَارِدِ

---

(١) الطرّة: الناصية.

(٢) سواد الفؤاد: حبّته. الرُّقاد: النوم.

(٣) نأت: بعدت.

(٤) في رواية «العشرين» مكان «النّسرين». المُعَذّر: الذي تدلّى على جانبيه الشعر.

(٥) يشير إلى خالٍ على صفحة خدّ الموصوف.

(٦) يعلّلني: يسقيني مرّةً بعد أخرى. العذار: الخدّ.

٢ - أَشْكُو، وَهَلْ أَشْكُو جِنَايَةَ مُنْعِمٍ غَيْظُ ٱلْعَدُوِّ بِهِ وَكَبْتُ ٱلْحَاسِدِ؟
٣ - قَدْ كُنْتَ عُدَّتِيَ ٱلَّتِي أَسْطُو بِهَا وَيَدِي إِذَا ٱشْتَدَّ ٱلزَّمَانُ، وَسَاعِدِي
٤ - فَرُمِيتُ مِنْكَ بِغَيْرِ مَا أَمَّلْتُهُ وَٱلْمَرْءُ يَشْرَقُ بِٱلزُّلَالِ ٱلْبَارِدِ(١)
٥ - لَكِنْ أَتَتْ دُونَ ٱلسُّرُورِ مَسَاءَةٌ وُصِلَتْ لَهَا كَفُّ ٱلْقُبُولِ بِسَاعِدِ
٦ - فَصَبَرْتُ كَٱلْوَلَدِ ٱلتَّقِيِّ؛ لِبِرِّهِ أَغْضَى عَلَى أَلَمٍ لِضَرْبِ ٱلْوَالِدِ(٢)
٧ - وَنَقَضْتُ عَهْداً كَيْفَ لِي بِوَفَائِهِ! وَسُقِيتُ دُونَكَ كَأْسَ هَمٍّ صَارِدِ(٣)

- ١١٧ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - وَدَاعٍ دَعَانِي، وَٱلأَسِنَّةُ دُونَهُ، صَبَبْتُ عَلَيْهِ بِٱلْجَوَابِ جَوَادِي(٤)
٢ - جَنَبْتُ إِلَى مُهْرِي ٱلْمَنِيعِيِّ مُهْرَهُ وَجَلَّلْتُ مِنْهُ بِٱلنَّجِيعِ نِجَادِي(٥)

- ١١٨ -

وَقَالَ أَيْضاً يُعَزِّي «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ»:

[من السريع]

١ - قُولَا لِهَذَا ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَاجِدِ قَوْلَ حَزِينٍ، مِثْلِهِ، فَاقِدِ:(٦)
٢ - هَيْهَاتَ! مَا فِي ٱلنَّاسِ مِنْ خَالِدِ لَا بُدَّ مِنْ فَقْدٍ وَمِنْ فَاقِدِ
٣ - كُنِ ٱلْمُعَزِّي، لَا ٱلْمُعَزَّى بِهِ، إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْوَاحِدِ

---

(١) في رواية «بضدّ» مكان «بغير». يشرق: يغصّ. الزّلال: الماء الصافي العذب.
(٢) في رواية «كضَرْب» مكان «لضَرْب».
(٣) ويروى العجز: «ومن المُحالِ صلاحُ قلبٍ فاسِدِ». الصادر: النافذ.
(٤) وفي رواية «فصبَّ» مكان «صببتُ». والأسِنَّة: الرماح.
(٥) النجيع: الدم المصبوب. النِّجاد: حمائل السَّيف.
(٦) في رواية «واجدِ» مكان «فاقِدِ». الماجد: ذو المجد.

- ١١٩ -

وَقَالَ، أَيْضاً، وَقَدْ كَتَبَ بِهَا إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» مِنَ ٱلأَسْرِ يُعَزِّيهِ بِأُخْتِهِ:

[من البسيط]

١ - أُوصِيكَ بِٱلْحُزْنِ، لاَ أُوصِيكَ بِٱلْجَلَدِ، جَلَّ ٱلْمُصَابُ عَنِ ٱلتَّعْنِيفِ وَٱلْفَنَدِ(١)
٢ - إِنِّي أُجِلُّكَ أَنْ تُكْفَى بِتَعْزِيَةٍ عَنْ خَيْرِ مُفْتَقَدٍ، يَا خَيْرَ مُفْتَقِدِ(٢)
٣ - هِيَ ٱلرَّزِيَّةُ إِنْ ضَنَّتْ بِمَا مَلَكَتْ مِنْهَا ٱلْجُفُونُ فَمَا تَسْخُو عَلَى أَحَدِ(٣)
٤ - بِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ جَزَعٍ وَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى صَبْرٍ، فَلَمْ أَجِدِ(٤)
٥ - لَمْ يَنْتَقِصْنِيَ بُعْدِي عَنْكَ مِنْ حُزُنٍ هِيَ ٱلْمُوَاسَاةُ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدِ
٦ - لأَشْرَكَنَّكَ فِي ٱللأْوَاءِ إِنْ طَرَقَتْ، كَمَا شَرِكْتُكَ فِي ٱلنَّعْمَاءِ وَٱلرَّغَدِ(٥)
٧ - أَبْكِي بِدَمْعٍ، لَهُ مِنْ حَسْرَتِي مَدَدٌ، وَأَسْتَرِيحُ إِلَى صَبْرٍ بِلاَ مَدَدِ
٨ - وَلاَ أُسَوِّغُ نَفْسِي فَرْحَةً أَبَداً وَقَدْ عَرَفْتُ ٱلَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ كَمَدِ(٦)
٩ - وَأَمْنَعُ ٱلنَّومَ عَيْنِي أَنْ يُلِمَّ بِهَا عِلْماً بِأَنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلَى ٱلسُّهُدِ(٧)
١٠ - يَا مُفْرَداً، بَاتَ يَبْكِي، لاَ مُعِينَ لَهُ، أَعَانَكَ ٱللَّهُ بِٱلتَّسْلِيمِ وَٱلْجَلَدِ
١١ - هَذَا ٱلأَسِيرُ ٱلْمُبَقَّى، لاَ فِدَاءَ لَهُ، يَفْدِيكَ بِٱلنَّفْسِ، وَٱلأَهْلِيْنَ، وَٱلْوَلَدِ(٨)

---

(١) الجلد: الصَّبر. التعنيف: اللّوم بشدّة وعنف. الفَنَد: الخطأ في الرأي.
(٢) وفي رواية «تُلْقى» مكان «تُكْفى».
(٣) الرَّزِيّة: المصيبة. ضنَّت: بخلت.
(٤) في رواية «بعض» مكان «مثل».
(٥) اللأْواء: الشِّدّة. النعماء والرَّغد: نعيم العيش.
(٦) الكمد: شدّة الحزن.
(٧) السهد: الأرق.
(٨) في هذا البيت إشارة إلى حال الشاعر، لكي يفتديه ابن عمّه، وقد وفِّق الشاعر فيها.

- ١٢٠ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ ـ وَلَقَدْ عَلِمْتُ، وَمَا عَلِمْـ ـتُ، وَإِنْ أَقَمْتُ عَلَى صُدُودِهْ[١]

٢ ـ أَنَّ ٱلْغَزَالَةَ وَٱلْغَزَا لَ، لَفِي ثَنَايَاهُ وَجِيدِهْ[٢]

(١) الصُّدود: الجفوة والامتناع.

(٢) الغزالة: الشمس. وقد شبَّه الشاعر ثنايا الموصوف بالشَّمس في تلألئها، والعنق بعنق الغزال في الطول.

قافية الراء

- ١٢١ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - أَدِرِ ٱلْكُؤُوسَ وَسَقِّنَا، فَٱلدَّهْرُ بِٱلأَعْمَارِ دَائِرْ
٢ - وَٱشْرَبْ عَلَى زَهْرِ ٱلرَّبِيعِ، وَحُسْنِ نَغْمَاتِ ٱلْمَزَاهِرْ
٣ - بَيْنَ ٱلسَّنَابِكِ، وَٱلْجَدَاوِلِ، وَٱلْمَعَاصِرِ، وَٱلدَّسَاكِرْ(١)
٤ - كَأْساً، كَأَنَّ بِصَحْنِهَا، مِنْ كَفِّ سَاقِيهَا، جَوَاهِرْ(٢)
٥ - تَذَرُ ٱلْفَتَى وَفُؤَادَهُ خِلْواً مِنَ ٱلأَحْزَانِ، طَائِرْ(٣)

---

(١) وفي رواية «السّوائل» مكان «السّنابك». والسّنابك: جمع السُّنبك، وهو طرف الحافر. الدَّساكر: جمع الدَّسكرة، وهي القرية.
(٢) وفي رواية «شاربها» مكان «ساقيها».
(٣) تذر: تترك، والفعل الماضي من «تذر» غير مستعمل.

٦ - بَـاكِـرْ صَـبُـوحَـكَ، بُـكْـرَةً، مَـا لِلصَّبُـوحِ سِـوَى ٱلْبَـوَاكِـرْ(١)
٧ - فِـي فِـتْـيَـةٍ أَلْـفَـيْـتُـهُـمْ زُعْفَ ٱلسَّـوَابِـغِ وَٱلْمَفَـاخِـرْ(٢)
٨ - وَحُـصُـونُـهُـمْ مِـنْ بَـأْسِـهِـمْ زُرْقُ ٱلأَسِـنَّـةِ وَٱلْـبَـوَاتِـرْ(٣)
٩ - أُسْـدٌ قَـسَـاوِرُ فِـي ٱلْـحُـرُوبِ تَـخَـافُـهَـا ٱلأُسْـدُ ٱلْـقَـسَـاوِرْ(٤)
١٠ -مَـنْ ضَـرَّهُ كَـيْـدُ ٱلـزَّمَـانِ فَـإِنَّـهُ لِـي غَـيْـرُ ضَـائِـرْ
١١ -نَـصَـرَ ٱلـزَّمَـانُ نَـدَى فَـتًـى مَـا زَالَ لِـلْـمَـظْلُومِ نَـاصِـرْ
١٢ -فَـإِذَا ٱسْـتُـمِـيـحَ أَمَـاحَ مِـنْ كَـفٍّ تَـدُورُ عَـلَى ٱلـدَّوَائِـرْ(٥)
١٣ -وَإِذَا رَأَتْـهُ عُـدَاتُـهُ بَـلَغَـتْ قُـلُوبُـهُـمُ ٱلْـحَـنَـاجِـرْ(٦)
١٤ -بَـحْـرُ ٱلسَّـمَـاحَـةِ، وَٱلْبَـلاَغَـةِ، وَٱلْـمَـكَـارِمِ، وَٱلْـبَـصَـائِـرْ
١٥ -بَـيْـنَ ٱلسَّـوَابِـغِ، وَٱلسَّـوَابِـقِ، وَٱلْـمُـهَـنَّـدَةِ ٱلْـبَـوَاتِـرْ(٧)
١٦ -مَـا بَـالُ هَـجْـرِكَ ظَـاهِـراً مِنْ بَعْـدِ وَصْـلٍ مِنْـكَ ظَـاهِـرْ؟
١٧ -إِنْ كَـانَ آزَرَكَ ٱلـنَّـوَى فَـٱلْـحُـزْنُ بَـعْـدَكَ لِـي مُـؤَازِرْ(٨)
١٨ -مَـا إِنْ ذَكَـرْتُـكَ إِنَّـمَـا ٱلـذِّكْـرَى لِـمَـنْ وَاصَـلْـتَ ذَاكِـرْ

(١) الصبوح: شراب الصَّباح. وباكرْ صبوحكَ: اشربْها باكراً.
(٢) وفي رواية «المغافر» مكان «المفاخر». زعْف: جمع الزُّعُف، وهو الدرع الواسعة الطويلة. السوابغ: جمع السابغة، وهي الطويلة. والمغافرة، كما في بعض الروايات، هي الزرد يُلبس على الرأس تحت الخوذة.
(٣) البواتر: السيوف الباترة، القاطعة.
(٤) القساور: جمع القَسْور، وهو الشَّديد.
(٥) وفي رواية «أباح» مكان «استماح». استميح: سُئِل عطاءً. أماح المرءُ صاحبه: سقى له اغترافاً باليد.
(٦) قوله: «بلغت قلوبهم الخناجر» كناية عن خوفهم الشَّديد.
(٧) السَّوابغ: جمع السابغة، وهي الطويلة من الرماح. المهنَّدة: السيوف الهنديَّة. البواتر: القاطعة.
(٨) آزرَك: ساعدك. النَّوى: البعد.

- ١٢٢ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرمل]

١ ـ لاَ، وَحُبَّيكَ آلَّذِي أَوْ رَثَنِي طُولَ آلسَّهَرْ
٢ ـ مَا أُبَالِي، بَعْدَ يَوْمِي، طَالَ لَيْلِي، أَمْ قَصُرْ!

- ١٢٣ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ ـ لاَ تَطْلُبَنَّ دُنُوَّ دَا رِ مِنْ حَبِيبٍ، أَوْ مُعَاشِرْ
٢ ـ أَبْقَى لأَسْبَابِ آلْمَوَدَّ ةِ أَنْ تَزُورَ وَلاَ تُجَاوِرْ

- ١٢٤ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ ـ الآنَ، حِينَ عَرَفْتُ رُشْـ ـدِي، فَآغْتَدَيْتُ عَلَى حَذَرْ،
٢ ـ وَنَهَيْتُ نَفْسِي فَآنْتَهَتْ، وَزَجَرْتُ قَلْبِي فَآنْزَجَرْ
٣ ـ وَلَقَدْ أَقَامَ، عَلَى آلضَّلاَ لَةِ، ثُمَّ أَذْعَنَ، وَآسْتَمَرْ[1]
٤ ـ الْحُبُّ فِيهِ مَذَلَّةٌ إِلاَّ عَلَى آلرَّجُلِ آلذَّكَرْ
٥ ـ هَيْهَاتَ، لَسْتُ «أَبَا فِرَا سٍ»، إِنْ وَفَيْتُ لِمَنْ غَدَرْ!

---

(١) أذعَن: رضَخ، وأطاع.

- ١٢٥ -

وَقَالَ، يَذْكُرُ غَزَوَاتِهِ «بِخَرْشَنَةَ»، وَقَدْ مرَّ بِهَا أَسِيراً:

[من مجزوء الكامل]

١ - إنْ زُرْتُ «خَرْشَنَةَ» أَسِيرَا فَلَكَمْ أَحَطْتُ بِهَا مُغِيرَا؟[1]

٢ - وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلنَّارَ تَنْـ ـتَهِبُ ٱلْمَنَازِلَ وَٱلْقُصُورَا[2]

٣ - وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلسَّبْيَ يُجْـ ـلَبُ نَحْوَنَا حُوًّا، وَحُورَا

٤ - نَخْتَارُ مِنْهُ ٱلْغَادَةَ ٱلْـ ـحَسْنَاءَ، وَٱلظَّبْيَ ٱلْغَرِيرَا[3]

٥ - إنْ طَالَ لَيْلِي فِي ذُرَا كِ فَقَدْ نَعِمْتُ بِهِ قَصِيرَا[4]

٦ - وَلَئِنْ لَقِيتُ ٱلْحُزْنَ فِيـ ـكِ فَقَدْ لَقِيتُ بِكِ ٱلسُّرُورَا

٧ - وَلَئِنْ رُمِيتُ بِحَادِثٍ فَلأُلْفَيَنَّ لَهُ صَبُورَا[5]

٨ - صَبْراً لَعَلَّ ٱللَّهَ يَفْـ ـتَحُ بَعْدَهُ فَتْحاً يَسِيرَا

٩ - مَنْ كَانَ مِثْلِي لَمْ يَبِتْ إلاَّ أَسِيراً أَوْ أَمِيرَا

١٠ - لَيْسَتْ تَحُلُّ سَرَاتُنَا إلاَّ ٱلصُّدُورَ أَو ٱلْقُبُورَا[6]

---

(١) وفي رواية «فَلَقَدْ» مكان «فلكَمْ»، و«حططتُ» مكان «أحطتُ». وفي رواية ثالثة «حللتُ» مكان «أحطتُ».

(٢) وفي رواية «تحترق» مكان «تنتهب». يقول إنَّه كان يحرق المدينة لمّا كان يأتيها مغيراً. الحُوّ: جمع الحوّاء، وهي التي في شفتها سمرة. والحُور: جمع الحوراء، وهي التي في عينيها حَوَر، وهو اشتداد سواد سوادِ العين، واشتداد بياض بياضها.

(٣) وفي رواية «الرَّشأ» مكان «الظبي» وهما بمعنى. والغرير: الحَسَن الخَلْق. وقوله «الظبي الغرير» كناية عن الفتاة الحسناء.

(٤) المعنى: إن كنتُ تعيساً فيكِ الآن لأنّني مأسور، فلكم كنتُ مسروراً عندما كنتُ أغزوكِ.

(٥) لأُلْفينَّ: سأكون.

(٦) هذا يشبه قوله في قصيدة أخرى:

ونحن أناسٌ لا تَوَسُّطَ بَيْنَنَا لنا الصَّدْرُ دونَ العالمينَ أوِ القَبْرُ

- ١٢٦ -

وقَالَ، يَذْكُرُ أَيَّامَ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»:

[من الطويل]

١ - إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى أُسُوداً قَسَاوِراً، لِنُعْمَاهُمُ ٱلصَّفْوُ ٱلَّذِي لَنْ يُكَدَّرَا(١)
٢ - يُلَاقِيكَ، مِنَّا، كُلُّ قَرْمٍ، سَمَيْذَعٍ، يُطَاعِنُ حَتَّى يُحْسَبَ ٱلْجَوْنُ أَشْقَرَا(٢)
٣ - بِدَوْلَةِ «سَيْفِ ٱللَّهِ» طُلْنَا عَلَى ٱلْوَرَى، وَفِي عِزِّهِ صُلْنَا عَلَى مَنْ تَجَبَّرَا(٣)
٤ - قَصَدْنَا عَلَى ٱلأَعْدَاءِ، وَسْطَ دِيَارِهِمْ بِضَرْبٍ يُرَى، مِنْ وَقْعِهِ، ٱلْجَوُّ أَغْبَرَا(٤)
٥ - فَسَائِلْ «كِلَاباً» يَوْمَ «غَزْوَةِ بَالِسٍ» أَلَمْ يَتْرُكُوا ٱلنِّسْوَانَ فِي ٱلْقَاعِ حُسَّرَا؟(٥)
٦ - وَسَائِلْ «نُمَيْراً» يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِمُ، أَلَمْ يُوقِنُوا بِٱلْمَوْتِ، لَمَّا تَنَمَّرَا؟(٦)
٧ - وَسَائِلْ «عُقَيْلاً» حِينَ لَاذَتْ «بِتَدْمُرٍ» أَلَمْ نُقْرِهَا ضَرْباً يَقُدُّ ٱلسَّنَوَّرَا؟(٧)
٨ - وَسَائِلْ «قُشَيْراً»، حِينَ جَفَّتْ حُلُوقُهَا، أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْساً، مِنَ ٱلْمَوْتِ، أَحْمَرَا؟
٩ - وَفِي «طَيِّىءٍ»، لَمَّا أَثَارَتْ سُيُوفُهُ كُمَاتَهُمُ، مَرْأَى لِمَنْ كَانَ مُبْصِرَا(٨)
١٠ - وَ «كَلْبٌ» غَدَاةَ ٱسْتَعْصَمُوا بِجِبَالِهِمْ، رَمَاهُمْ بِهَا، شُعْثاً، شَوَازِبَ، ضُمَّرَا(٩)
١١ - فَأَشْبَعَ مِنْ أَبْطَالِهِمْ كُلَّ طَائِرٍ، وَذِئْبٍ، غَدَا يَطْوِي ٱلْبَسِيطَةَ، أَعْفَرَا(١٠)

---

(١) القساور: جمع القَسْور، وهو القويّ.

(٢) القَرْم، والسَّميذع: الكريم، الشجاع، الشريف. الجون: الأسود، والأبيض، فهو من الأضداد.

(٣) طُلْنا: أشرفنا. الورى: الناس. صُلْنا: سطونا.

(٤) وفي رواية «بسطنا» مكان «قصدنا»، و «ديارها» مكان «ديارهم»، و «نقعه» مكان «وقعه». والنَّقْع: الغبار المنتشر في الجوّ. الأغبر الذي في لونه غُبْرَة.

(٥) حُسَّرا: حاسرات عن وجوههنّ، كناية عن هزيمة قومهم.

(٦) وفي رواية «حين» مكان «يوم». تنمَّر: أصبح كالنمر بطشاً وسطوة.

(٧) وفي رواية «يقطّ» مكان «يقدّ»، وكلاهما بمعنى يقطع. لاذت: التجأت. السَّنَّور: السلاح، أو ثياب الحرب كالدروع.

(٨) كماتُهم: أبطالهم، ومقاتلوهم.

(٩) وفي رواية «به» مكان «بها»، و «طوايح» مكان «شوازب». استعصموا: تمسَّكوا. الشُّعث: المُغْبَرَّة الشَّعر. ضُمَّر: مُضمَّرة.

(١٠) البسيطة: الأرض. الأعفر: الذي بلون التراب.

- ١٢٧ -

وَكَتَبَ إِلَى غُلَامِهِ «مَنْصُورٍ»، وَهُوَ فِي ٱلأَسْرِ:

[من السريع]

١ - إِرْثِ لِصَبٍّ فِيكَ قَدْ زِدْتَهُ، عَلَى بَلَايَا أَسْرِهِ، أَسْرَا(١)

٢ - قَدْ عَدِمَ ٱلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا؛ لَكِنَّهُ مَا عَدِمَ ٱلصَّبْرَا(٢)

٣ - فَهُوَ أَسِيرُ ٱلْجِسْمِ فِي بَلْدَةٍ، وَهُوَ أَسِيرُ ٱلْقَلْبِ فِي أُخْرَى!

- ١٢٨ -

وَقَالَ أَيْضاً:

[من البسيط]

١ - وشادِنٍ مِنْ بَني كِسْرى شُغِفْتُ بِهِ لَوْ كانَ أَنْصَفَني في الحُبِّ ما جَارا(٣)

٢ - إنْ زارَ قَصَّرَ لَيْلي في زيارتِهِ وَإنْ جفاني أُطالَ ٱللَّيْلَ أعْمارا(٤)

٣ - كأَنَّما ٱلشَّمْسُ بي، في القوسِ نازِلَةٌ إنْ لَمْ يَزُرْني، وفي الجَوْزَاءِ إنْ زارا(٥)

- ١٢٩ -

وَقَالَ:

[من المنسرح]

١ - لَمَّا رَأَتْ مُقْلَتِي مَحَاسِنَهُ رُدَّتْ، فَلَمْ تَشْفِ غُلَّتِي ٱلْحَرَّى(٦)

(١) وفي رواية «أمس» مكان «فيك»، و «بقايا» مكان «بلايا». والصَّبّ: العاشق. البلايا: المصائب.

(٢) عَدِمَ: افتقر، فَقَد.

(٣) ويروى «شاء» مكان «كان»، و «أوْ» مكان «ما». الشّادن: ولد الغزال، والمقصود فتاة جميلة كالغزال. جار: ظلم.

(٤) معنى عجز البيت أنّه إذا جفاه أصبح لا يستطيع النوم.

(٥) ويروى: «كأنَّ الشَّمسَ برجَ القوسِ نازِلَةٌ». الجَوْزاء: برج من بروج السَّماء.

(٦) المُقْلَة: العين. الغُلَّة: شدّة العطش وكذلك الحَرَّى.

٢ ـ وَكَيْفَ لَا تُسْحَرُ ٱلْعُيُونُ بِهَا، وَحُلَّتَاهَا ٱلشَّمْسُ وَٱلشِّعْرَى؟![1]
٣ ـ بَيْضَاءُ مِنْ تَحْتِهَا مُوَرَّدَةٌ تَشِفُّ إِحْدَاهُمَا عَنِ ٱلْأُخْرَى

ـ ١٣٠ ـ

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ ـ وَكُنْتُ، إِذَا مَا سَاءَنِي، أَوْ أَسَاءَنِي لَطَفْتُ بِقَلْبِي أَوْ يُقِيمِ لَهُ عُذْرَا[2]
٢ ـ وَأَكْرَهُ إِعْلَامَ ٱلْوُشَاةِ بِهَجْرِهِ فَأُعْتِبُهُ سِرًّا، وَأَشْكُرُهُ جَهْرَا،
٣ ـ وَهَبْتُ لِنَفْسِي سُوءَ ظَنِّي؛ وَلَمْ أَدَعْ، عَلَى حَالِهِ، قَلْبِي يُسِرُّ لَهُ شَرًّا[3]

ـ ١٣١ ـ

وَقَالَ، وَقَدْ خَرَجَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِي ٱلْمَسِيرِ مَعَهُ:

[من الوافر]

١ ـ دَعِ ٱلْعَبَرَاتِ تَنْهَمِرُ ٱنْهِمَارَا، وَنَارَ ٱلْوَجْدِ تَسْتَعِرُ ٱسْتِعَارَا[4]
٢ ـ أَتُطْفَأُ حَسْرَتِي، وَتَقَرُّ عَيْنِي، وَلَمْ أُوقِدْ، مَعَ ٱلْغَازِينَ، نَارَا؟...
٣ ـ رَأَيْتُ ٱلصَّبْرَ أَبْعَدَ مَا يُرَجَّى، إِذَا مَا ٱلْجَيْشُ بِٱلْغَازِينَ سَارَا[5]
٤ ـ وَأَعْدَدْتُ ٱلْكَتَائِبَ، مُعْلَمَاتٍ، تُنَادِي، كُلَّ آنٍ، بِي: سُعَارَا![6]

---

(١) الشِّعْرَى: كوكب نيِّر يظهر في شدّة الحَرّ.
(٢) وفي رواية «بإساءَةٍ» مكان «أساءني». و«أُقيم» مكان «يقيم». أُعتبه: ألومه.
(٣) وفي رواية «لظنّي»، مكان «لنفسي»، و«هَجْرا»، مكان «شرّا». يُسِرّ له: يُضمِر له.
(٤) وفي رواية «الشّوق» مكان «الوجد». العبرات: الدموع. الوجد: الحبّ. تستعر: تتأجّج، تشتعل.
(٥) وفي رواية «أظنّ» مكان «رأيت»، و«السارين» مكان «الغازين». وفي هذا البيت إشارة إلى عدم ذهابه مع سيف الدولة في هذه الغارة.
(٦) أعددت: هيَّأت. الكتائب: جمع الكتيبة، وهي القسم من الجيش. السُّعار: حرّ الحرب ونارها.

٥ ـ وَقَدْ ثَقَّفْتُ لِلْهَيْجَاءِ رُمْحِي، وَأَضْمَرْتُ ٱلْمَهَارِي وَٱلْمِهَارَا[١]
٦ ـ وَكَانَ إِذَا دَعَانَا ٱلْأَمْرُ حَفَّتْ بِنَا ٱلْفِتْيَانُ، تَبْتَدِرُ ٱبْتِدَارَا، [٢]
٧ ـ بِخَيْلٍ لَا تُعَانِدُ مَنْ عَلَيْهَا، وَقَوْمٍ لَا يَرَوْنَ ٱلْمَوْتَ عَارَا
٨ ـ وَرَاءَ ٱلْقَافِلِينَ بِكُلِّ أَرْضٍ، وَأَوَّلُ مَنْ يُغِيرُ، إِذَا أَغَارَا،
٩ ـ سَتَذْكُرُنِي، إِذَا طَرَدَتْ، رِجَالٌ، دَفَقْتُ ٱلرُّمْحَ بَيْنَهُمُ مِرَارَا[٣]
١٠ ـ وَأَرْضٌ، كُنْتُ أَمْلَؤُهَا خُيُولاً، وَجَوٌّ، كُنْتُ أُرْهِقُهُ غُبَارَا[٤]
١١ ـ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُعْقِبُنِي صَلَاحاً، قَوِيماً، أَوْ يُقَيِّلُنِي ٱلْعِثَارَا[٥]
١٢ ـ فَأَشْفِي مِنْ طِعَانِ ٱلْخَيْلِ صَدْراً، وَأُدْرِكُ مِنْ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ ثَارَا[٦]
١٣ ـ أَقَمْتُ عَلَى «ٱلْأَمِيرِ»، وَكُنْتُ مِمَّنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ فُرْقَتُهُ، ٱخْتِيَارَا
١٤ ـ إِذَا سَارَ «ٱلْأَمِيرُ»، فَلَا هُدُوًّا لِنَفْسِي أَوْ يَؤُوبَ، وَلَا قَرَارَا
١٥ ـ أُكَابِدُ بَعْدَهُ هَمًّا، وَغَمًّا، وَنَوْماً، لَا أَلَذُّ بِهِ غِرَارَا[٧]
١٦ ـ وَكُنْتُ بِهِ، أَشَدَّ ذَوِيَّ بَطْشاً، وَأَبْعَدَهُمْ، إِذَا رَكِبُوا، مَغَارَا
١٧ ـ أَشُقُّ، وَرَاءَهُ، ٱلْجَيْشَ ٱلْمُعَبَّا، وَأَخْرُقُ، بَعْدَهُ، ٱلرَّهَجَ ٱلْمُثَارَا[٨]
١٨ ـ إِذَا بَقِيَ «ٱلْأَمِيرُ» قَرِيرَ عَيْنٍ فَدَيْنَاهُ، ٱخْتِيَاراً، لَا ٱضْطِرَارَا[٩]
١٩ ـ أَبٌ بَرٌّ، وَمَوْلًى، وَٱبْنُ عَمٍّ، وَمُسْتَنَدٌ، إِذَا مَا ٱلْخَطْبُ جَارَا، [١٠]
٢٠ ـ يَمُدُّ عَلَى أَكَابِرِنَا جَنَاحاً، وَيَكْفُلُ، فِي مَوَاطِنِنَا، ٱلصِّغَارَا

---

(١) ثقَّفت: قوَّمت، وأعددت. الهيجاء: الحرب. أضْمَرْت: روَّضت وهيَّأت. المهار: جمع المُهر، وهو ولد الفرس.
(٢) وفي رواية «دعا بالأمر» مكان «دعانا الأمر». حفَّت: أحاطت. تبتدر: تلبِّي النِّداء بسرعة.
(٣) ويروى «وقفتُ» و «دققت» مكان «دفقت».
(٤) وفي رواية «أُرْهجه» مكان «أُرْهقه».
(٥) يقيِّلني: يبعد عنِّي. العثار: السقوط، والتهلكة.
(٦) صروف الدهر: مصائبه.
(٧) أكابد: أعاني. الغِرار: القليل من النَّوم. المغار: الإغارة.
(٨) الرَّهج: ما أُثير من الغبار.
(٩) قرير العين: مطمئنًا.
(١٠) برّ: وفيّ. الخَطْب: المصيبة. جار: ظلم.

٢١ ـ أَرَانِي آللَّهُ طَلْعَتَهُ، سَرِيعاً، وَأَصْحَبَهُ آلسَّلَامَةَ، حَيْثُ سَارَا
٢٢ ـ وَبَلَّغَهُ أَمَانِيَهُ، جَمِيعاً، وَكَانَ لَهُ مِنَ آلْحَدَثَانِ جَارَا[١]

- ١٣٢ -

قُتِلَ «آلصَّبَّاحُ» مَوْلَى «عُمَارَةَ آلْمُخَارِقِيّ» وَكَانَ «سَيْفُ آلدَّوْلَةِ» قَلَّدَهُ «قِنَّسْرِينَ»؛ فَقَصَدَ قَاتِلِيهِ، مُطَالِباً بِدَمِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ كَفَّ عَنْهُمْ، عَنْ قُدْرَة، وَأَقَرَّهُمْ «بِآلْجَزِيرَةِ»؛ بِتَوَسُّطِ «أَبِي فِرَاسٍ»؛ وَفِيهِمْ يَقُولُ «أَبُو فِرَاسٍ»، وَقَدْ بَلَغَهُ تَقْصِيرُهُمْ فِي شُكْرِهِ:

[من الطويل]

١ ـ وَمَا نِعْمَةٌ مَشْكُورَةٌ، قَدْ صَنَعْتُهَا إِلَى غَيْرِ ذِي شُكْرٍ، بِمَانِعَتِي أُخْرَى[٢]
٢ ـ سَآتِي جَمِيلاً، مَا حَيِيتُ، فَإِنَّنِي إِذَا لَمْ أُفِدْ شُكْراً، أَفَدْتُ بِهِ أَجْرا[٣]

- ١٣٣ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرمل]

١ ـ قَالَ لِي مَوْلَايَ، لَمَّا أَنْ طَغَى آلْوَجْدُ وَجَارَا،[٤]
٢ ـ وَتَشَكَّيْتُ عَلَيْهِ؛ أَنَّ فِي آلْأَحْشَاءِ نَارَا:
٣ ـ «لَا تُطِلْ! لَسْتَ تَرَانِي أَوْ تَرَى آللَّهَ، جِهَارَا»[٥]

---

(١) الحَدَثان: الدَّهر، أو مصائبه.
(٢) أي إذا لم يشكرني من أنعمتُ عليه، فهذا لا يمنعني من تكرير إنعامي عليه وعلى غيره.
(٣) وفي رواية «ما استطعت» مكان «ما حييت».
(٤) طغى: جاوز الحد.. الوجد: الحبّ والشوق. جار: ظلم.
(٥) جهارا: جَهْراً، وعلناً.

- ١٣٤ -

وَقَالَ: (*)

[من الطويل]

١ - وَبِيض بِـأَلْحَاظِ آلْعُيـونِ، كَـأَنَّما هَـزَزْنَ سُيوفـاً، وَآستَلَلْنَ خَناجِـرا[١]

٢ - تَصَـدَّيْنَ لي يـومـاً بِمُنْعَـرجِ اللِّوى فـغـادَرْنَ قَلْبِي بـالتَّصَبُّـر غـادِرا

٣ - سَفَـرْنَ بُـدوراً، وانـتـقَـبْـنَ أَهِـلَّةً وَمِسْنَ غُصوناً، والتَـفَتنَ جَـآذِرا[٢]

- ١٣٥ -

وَوَجَدَ «سَيْفُ آلدَّوْلَةِ» عَلَى بَعْضِ بَنِي عَمِّهِ فَآسْتَعْطَفَهُ «أَبُو فِراسٍ» بِقَوْلِهِ:

[من مجزوء الكامل]

١ - إنْ لَـمْ تُـجَـافِ عَـنِ آلـذُّنُـو بِ، وَجَـدْتَـهَـا فِـيـنَـا كَـثِـيـرَهْ

٢ - لَـكِـنَّ عَـادَتَـكَ آلْـجَـمِـيـلَةَ أَنْ تَـغُضَّ عَـلَى بَـصِـيـرَهْ[٣]

- ١٣٦ -

وَلَحِقَتْ «بِأَبِي فِرَاس» عِلَّةٌ، تَخَلَّفَ بِهَا عَنْ «سَيْفِ آلدَّوْلَةِ»، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

[الهزج]

١ - لَـقَـدْ نَـافَـسَـنِـي آلـدَّهْـرُ بِـتَـأْخِـيـرٍ عَـنِ آلْـحَـضْـرَهْ

(*) هذه الأبيات ليست في رواية ابن خالوية، وهي في المستطرف للأبشيهي ج ٢٢ ص ٢٢٠ والبيت الأخير روي في يتيمة الدهر (للثعالبي) للزاهي ص ١٩٨.

(١) أي كأنَّ سيوفاً في ألحاظ العيون.

(٢) يشبههنّ بالبدور إذا أسْفَرْنَ (كشَفْنَ وجوههنّ)، وبالأهلّة إذا وضَعْنَ النِّقاب على وجوههنّ، وبالغصون إذا تمايَلْنَ، وبالجآذر (جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشيَّة) إذا التفتْنَ (كناية عن وساعة وجمال أعينهنّ).

(٣) البصيرة: الفطنة، وقوّة الإدراك.

٢ - فَمَا أَلْقَى مِنَ ٱلْعِلَّـةِ مَا أَلْقَى مِنَ ٱلْحَسْرَهْ

- ١٣٧ -

وَلَهُ، يُعَزِّي ٱمْرَأَةً، مِنْ أَهْلِهِ، بِمَصَائِبَ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهَا:

[من المتقارب]

١ - أَلَا فَٱصْبِرِي لِخُطُوبِ ٱلزَّمَانِ! . وَكُونِي، عَلَى خَطْبِهِ، صَابِرَهْ[1]
٢ - فَنُقْصَانُ حَظِّكِ، فِي هَذِهِ، بِرُجْحَانِ حَظِّكِ، فِي ٱلآخِرَهْ،
٣ - فَمَا أَنْتِ، فِي ذَاكَ، مَغْبُونَةٌ، وَإِنْ سَاءَتِ ٱلْمِحَنُ ٱلْحَاضِرَهْ[2]
٤ - فَصَفْقَةُ مَنْ بَاعَ دَارَ ٱلْبَقَاءِ بِدَارِ ٱلْفَنَاءِ، هِيَ ٱلْخَاسِرَهْ[3]

- ١٣٨ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرجز]

١ - وَجُلَّنَارٍ مُشْرِقٍ، عَلَى أَعَالِي شَجَرَهْ،[4]
٢ - كَأَنَّ فِي رُؤُوسِهِ، أَصْفَرَهُ، وَأَحْمَرَهْ
٣ - قُرَاضَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي خِرَقٍ مُعَصْفَرَهْ[5]

- ١٣٩ -

قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ بْنُ خَالَوَيْهِ: «ظَفِرَ ٱلأَمِيرُ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ «بِبَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ»

---

(١) خطوب الزمان: مصائبه.
(٢) المِحَن: المصائب.
(٣) دار البقاء: الجنّة. دار الفناء: الأرض.
(٤) وفي رواية «مشرف» مكان «مشرق». والجُلَّنار: زهر الرّمّان.
(٥) القراضة: ما سقط بالقَرْض، أي القطع. مُعَصْفَرَة: مصبوغة بالعُصْفُر، وهو صبغ أصفر يُستَخرج من نبات.

وَمَنِ ٱجْتَمَعَ مِنْهُمْ، مِنْ «طيِّىء»، «وكُلَيْب»، عَلَى مُخَالَفَتِهِ، فَبَلَغَ «أَبَا أَحْمَدَ عَبْدَ ٱللَّهِ بْنَ وَرْقَاءَ ٱلشَّيْبَانِيَّ» خَبَرُ ذَلِكَ، فَقَالَ قَصِيدَةً يُهَنِّىءُ بها «ٱلأَمِيرَ» بِغَزَاتِهِ هَذِهِ، وَيُفَاخِرُ «مُضَرَ» بِأَيَّامِ «بَكْرٍ» وَ«تَغْلِبَ» فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلإِسْلَامِ وَأَنْفَذَهَا إِلَيْهِ، أَوَّلُهَا:

أَرَسْماً «بِسَابَرُّوجَ» أَبْصَرْتَ عَافِيا ... فَأَذْكَرَكَ ٱلْعَهْدَ ٱلَّذِي كُنْتَ نَاسِيا

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ؛ فَلَمَّا وَقَفَ أَبُو فِرَاسٍ عَلَى مَا ذُكِرَ فِيهَا، عَمِلَ قَصِيدَةً عَلَى وَزْنِهَا، ذَكَرَ فِيهَا أَيَّامَ أَسْلَافِهِ، وَآبَائِهِ، وَأَعْمَامِهِ، وَأَهْلِهِ، وَٱلأَقْرَبِينَ، فِي ٱلإِسْلَامِ دُونَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، لأَنَّ فَضْلَ ٱلْخَلَفِ مَا زَادَ عَلَى مَا تَوَارَثَ ٱلسَّلَفُ.

قَالَ «عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ»:

لَسْنَا، وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ، ... يَوْماً عَلَى ٱلآبَاءِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِي؛ وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ بْنُ خَالَوَيْهِ: قَالَ لِي أَبُو فِرَاسٍ: «أَيَّامُ أَسْلَافِي، وَمَفَاخِرُ آبَائِي، وَأَجْدَادِي، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَجْمَعَهَا شِعْرِي، فَقَدِ ٱضْطُرِرْتُ إِلَى ذِكْرِ ٱلْوَقَائِعِ ٱلْمَشْهُورَةِ وَٱلْعَسَاكِرِ ٱلْجَامِعَةِ، فَلَمْ أَذْكُرْ مِنَ ٱلْوَقَائِعِ إِلَّا مَا كَانَ بِقَبَائِلَ بِأَسْرِهَا، فَلَوْ عَدَّدْتُ مَا عَدَّدَتِ ٱلْعَرَبُ أَمْثَالَهُ، مِثْلَ: يَوْمِ «رَحْرَحَانَ»، وَيَوْمِ «فَيْفِ ٱلرِّيحِ» وَيَوْمِ «شِعْبِ جَبْلَهِ» لَعَدَّدْتُ مَا لَا تَسَعُهُ ٱلْكُتُبُ، فَٱقْتَصَرْتُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ وَٱلْفَضْلُ مُشْتَرَكٌ، وَٱلْقَصِيدَةُ هِيَ: (*)

[من الطويل]

١ - لَعَلَّ خَيَالَ ٱلْعَامِرِيَّةِ زَائِرُ، ... فَيُسْعَدَ مَهجُورٌ، وَيُسْعَدَ هَاجِرُ!
٢ - وَإِنِّي، عَلَى طُولِ ٱلشِّمَاسِ عَنِ ٱلصِّبَا، ... أَحِنُّ؛ وَتُصْبِينِي إِنَيْكِ ٱلْجَآذِرُ(١)
٣ - وَفِي كِلَّتَيْ ذَاكَ ٱلْخِبَاءِ خَرِيدَةٌ ... لَهَا، مِنْ طِعَانِ ٱلدَّارِعِينَ، سَتَائِرُ(٢)

(*) في القصيدة الكثير من الاختلاف في الروايات.

(١) الشماس: الامتناع والإباء. الصِّبا: الشوق والصبابة. الجآذر: جمع الجوذر، وهو ولد البقرة الوحشيَّة، تُشبَّه به المرأة الواسعة العينين.

(٢) الكلّة: الثوب. الخباء: السِّتْر يُضرب للمرأة. الخريدة: الفتاة العذراء.

٤ ـ تَقُولُ، إِذَا مَا جِئْتُهَا، مُتَدَرِّعاً: «أَزَائِرُ شَوْقٍ أَنْتَ؛ أَمْ أَنْتَ ثَائِرُ؟»[١]
٥ ـ تَثَنَّتْ فَغُصْنٌ نَاعِمٌ أَمْ شَمَائِلٌ وَوَلَّتْ فَلَيْلٌ فَاحِمٌ، أَمْ غَدَائِرُ!
٦ ـ وَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى مِنَ ٱلْوَصْلِ بِٱلرِّضَا، لَيَالِيَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرُ
٧ ـ فَأَمَّا وَقَدْ طَالَ ٱلصُّدُودُ؛ فَإِنَّهُ يَقَرُّ لِعَيْنَيَّ ٱلْخَيَالُ ٱلْمُزَاوِرُ[٢]
٨ ـ تَنَامُ فَتَاةُ ٱلْحَيِّ عَنِّي، خَلِيَّةً، وَقَدْ كَثُرَتْ، حَوْلِي، ٱلْبَوَاكِي ٱلسَّوَاهِرُ
٩ ـ وَتُسْعِدُنِي عِينُ ٱلْبَوَادِي، لِأَجْلِهَا، وَإِنْ رَغِمَتْ، بَيْنَ ٱلْبُيُوتِ، ٱلْحَوَاضِرُ[٣]
١٠ ـ وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ، مَا ٱحْتَسَبْتُهَا، «بِعَدَّانَ» صَارَتْ بِي إِلَيْهَا ٱلْمَصَايِرُ[٤]
١١ ـ طَلَعْتُ بِهَا وَٱلرَّكْبُ، وَٱلْحَيُّ كُلُّهُ حَيَارَى؛ إِلَى وَجْهٍ بِهِ ٱلْحُسْنُ حَائِرُ
١٢ ـ وَمَا سَفَرَتْ عَنْ رَيِّقِ ٱلْحُسْنِ؛ إِنَّمَا نَمْمَنَ، عَلَى مَا تَحْتَهُنَّ، ٱلْمَعَاجِرُ[٥]
١٣ ـ فَيَا نَفْسُ، مَا لَاقَيْتِ مِنْ لَاعِجِ ٱلْهَوَى! وَيَا قَلْبُ، مَا جَرَّتْ عَلَيْكَ ٱلنَّوَاظِرُ!
١٤ ـ وَيَا عِفَّتِي، مَا لِي؟ وَمَا لَكِ؟ كُلَّمَا هَمَمْتُ بِأَمْرٍ، هَمَّ لِي مِنْكِ زَاجِرُ!
١٥ ـ كَأَنَّ ٱلْحِجَى، وَٱلصَّوْنَ، وَٱلْعَقْلَ، وَٱلتُّقَى، لَدَيَّ، لِرَبَّاتِ ٱلْخُدُورِ ضَرَائِرُ[٦]
١٦ ـ وَهُنَّ؛ وَإِنْ جَانَبْتُ مَا يَشْتَهِينَهُ؛ حَبَائِبُ عِنْدِي، مُنْذُ كُنَّ، أَثَائِرُ[٧]
١٧ ـ وَكَمْ لَيْلَةٍ، خُضْتُ ٱلْأَسِنَّةَ نَحْوَهَا! وَمَا هَدَأَتْ عَيْنٌ وَلَا نَامَ سَامِرُ؟![٨]
١٨ ـ يُصَاحِبُنِي فَضْفَاضَتَانِ وَصَارِمٌ، وَقَلْبٌ، عَلَى خَوْضِ ٱلْحُتُوفِ، مُؤَازِرُ[٩]
١٩ ـ فَلَمَّا خَلَوْنَا، يَعْلَمُ ٱللَّهُ وَحْدَهُ، لَقَدْ كَرُمَتْ نَجْوَى، وَعَفَّتْ سَرَائِرُ!
٢٠ ـ وَبِتُّ؛ يَظُنُّ ٱلنَّاسُ فِيَّ ظُنُونَهُمْ، وَثَوْبِيَ، مِمَّا يَرْجُمُ ٱلنَّاسُ، طَاهِرُ[١٠]

---

(١) المتدرِّع: لابس الدِّرع.
(٢) الصُّدود: التجافي، والإعراض.
(٣) العِين: جمع العيناء، وهي الواسعة العينين.
(٤) عدّان: اسم مكان.
(٥) نَمْمَن: كشفن. المعاجر: جمع المعجر، وهو ما تشدّ به المرأة على رأسها، ولعلّه النِّقاب.
(٦) الحِجا: العقل.
(٧) أثائر: مُفضّلات.
(٨) الأسنَّة: الرماح. السّامر: الذي يسهر ويحدّث في الليل.
(٩) الفضفاضة: الدرع الواسعة. الصارم: السيف القاطع.
(١٠) يرجم الناس: يتحدّثون بالظّن.

٢١ - وَكَمْ لَيْلَةٍ مَاشَيْتُ بَدْرَ تَمَامِهَا   إِلَى ٱلصُّبْحِ ! لَمْ يَشْعُرْ بِأَمْرِي شَاعِرُ!
٢٢ - وَلَا رِيبَةٌ إِلَّا ٱلْحَدِيثُ، كَأَنَّهُ   جُمَانٌ وَهَى، أَوْ لُؤْلُؤٌ مُتَنَاثِرُ![1]
٢٣ - أَقُولُ وَقَدْ ضَجَّ ٱلْحُلِيُّ، وَأَشْرَفَتْ،   وَلَمْ أُرْوَ مِنْهَا، لِلصَّبَاحِ بَشَائِرُ:
٢٤ - «أَيَا رَبِّ، حَتَّى ٱلْحَلْيُ مِمَّا نَخَافُهُ!   وَحَتَّى بَيَاضُ ٱلصُّبْحِ ، مِمَّا نُحَاذِرُ»!
٢٥ - وَلِي فِيكِ، مِنْ فَرْطِ ٱلصَّبَابَةِ، آمِرٌ   وَدُونَكِ، مِنْ حُسْنِ ٱلصِّيَانَةِ، زَاجِرُ
٢٦ - عَفَافُكِ غَيٌّ؛ إِنَّمَا عِفَّةُ ٱلْفَتَى   إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَّاتِهِ، وَهْوَ قَادِرُ
٢٧ - نَفَى ٱلْهَمَّ عَنِّي هِمَّةٌ عَدَوِيَّةٌ،   وَقَلْبٌ، عَلَى مَا شِئْتُ مِنْهُ، مُظَاهِرُ[2]
٢٨ - وَأَسْمَرُ، مِمَّا يُنْبِتُ ٱلْخَطُّ، ذَابِلٌ   وَأَبْيَضُ، مِمَّا تَطْبَعُ ٱلْهِنْدُ، بَاتِرُ[3]
٢٩ - وَقَلْبٌ تَقَرُّ ٱلْحَرْبُ، وَهْوَ مُحَارِبٌ،   وَعَزْمٌ يُقِيمُ ٱلْجِسْمُ، وَهْوَ مُسَافِرُ
٣٠ - وَنَفْسٌ لَهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ لُبَانَةٌ،   وَفِي كُلِّ حَيٍّ أُسْرَةٌ، وَمَعَاشِرُ[4]
٣١ - إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي كُلِّ فَجٍّ عَشِيرَةً   فَإِنَّ ٱلْكِرَامَ لِلْكِرَامِ عَشَائِرُ[5]
٣٢ - وَلَاصِقَةُ ٱلإِطْلَيْنِ مِنْ نَسْلِ لَاحِقٍ   أَمِينَةُ مَا نِيطَتْ إِلَيْهِ ٱلْحَوَافِرُ[6]
٣٣ - مِنَ ٱللَّاءِ تَأْبَى أَنْ تُعَانِدَ رَبَّهَا   إِذَا حُسِرَتْ، عِنْدَ ٱلْمُغَارِ، ٱلْمَآزِرُ[7]
٣٤ - وَخَرْقَاءُ، وَرْقَاءُ، بَطِيءٌ كَلَالُهَا،   تُكَلِّفُ بِي مَا لَا تُطِيقُ ٱلْأَبَاعِرُ[8]
٣٥ - غُرَيْرِيَّةٌ، صَافَتْ شَقَائِقَ «دَابِقٍ»،   مَدَى قَيْظِهَا، حَتَّى تَصَرَّمَ نَاجِرُ[9]

---

(١) الجمان: اللّؤلؤ.

(٢) العدويّة: نسبة إلى بني عديّ.

(٣) الأسمر: الرمح. الخطّ: مكان تنسب إليه الرماح الخطّيّة. الذابل: الدقيق. أبيض: سيف. تطبع: تصنع. باتر: قاطع.

(٤) اللبانة: الحاجة.

(٥) الفجّ: الطريق الواسع بين جبلين.

(٦) الإطْلَين: الخصرين. لاحق: اسم فرس أصيل. نيطت: علقت.

(٧) المغار: الإغارة.

(٨) الخرقاء: الحمقاء ـ الورقاء: البيضاء.

(٩) الغريريّة: نسبة إلى فحل اسمه «غرير» ـ صافت: أقامت صيفاً. شقائق دابق: وادي دابق، وهو مرج قرب حلب. ناجر: اسم شهور الصيف.

٣٦ ـوَحَمَّضَهَا آلرَّاعِي «بِمَيْثَاءَ»، بُرْهَةً، تَنَاوَلُ، مِنْ خِذْرَافِهِ، وَتُغَادِرُ(١)
٣٧ ـأَقَامَتْ بِهَا شَيْبَانَ، ثُمَّ تَضَمَّنَتْ بَقِيَّةَ صَفْوَانٍ؛ قِرَاهَا آلْمَنَاظِرُ(٢)
٣٨ ـوَخَوَّضَهَا «بَطْنَ آلسَّلُوطَحِ»؛ رَيْثَمَا أُدِيرَتْ «بِمِلْحَانَ» آلشُّهُورُ آلدَّوَائِرُ(٣)
٣٩ ـفَجَاءَ بِكَوْمَاءٍ، إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ، حَسِبْتَ عَلَيْهَا رَحْلَهَا، وَهْيَ حَاسِرُ(٤)
٤٠ ـفَيَا بُعْدَ مَا بَيْنَ آلْكَلَالِ، وَبَيْنَهَا! وَيَا قُرْبَ مَا يَرْجُو عَلَيْهَا آلْمُسَافِرُ!(٥)
٤١ ـدَعِ آلْوَطَنَ آلْمَأْلُوفَ، رَابَكَ أَهْلُهُ، وَعَدِّ عَنِ آلْأَهْلِ؛ آلَّذِينَ تَكَاشَرُوا،(٦)
٤٢ ـفَأَهْلُكَ مَنْ أَصْفَى، وَوُدُّكَ مَا صَفَا، وَإِنْ نَزَحَتْ دَارٌ، وَقَلَّتْ عَشَائِرُ
٤٣ ـتَبَوَّأْتُ مِنْ قَرْمَيْ «مَعَدٍّ»، كِلَيْهِمَا، مَكَاناً؛ أَرَانِي كَيْفَ تُبْنَى آلْمَفَاخِرُ!(٧)
٤٤ ـلَئِنْ كَانَ أَصْلِي مِنْ «سَعِيدٍ» نِجَارُهُ فَفَرْعِي، «لِسَيْفِ آلدَّوْلَةِ»، آلْقَرْمِ، نَاصِرُ(٨)
٤٥ ـوَمَا كَانَ، لَوْلَاهُ، لِيَنْفَعَ أَوَّلٌ، إِذَا لَمْ يُزَيِّنْ أَوَّلَ آلْمَجْدِ آخِرُ!
٤٦ ـلَعَمْرُكَ؛ مَا آلْأَبْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا، إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ!
٤٧ ـوَهَلْ يَنْفَعُ آلْخَطِّيُّ غَيْرَ مُثَقَّفٍ؟ وَتَظْهَرُ، إِلَّا بِآلصِّقَالِ، آلْجَوَاهِرُ؟!
٤٨ ـأُنَاضِلُ عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي، بِفَضْلِهِ، وَأَفْخَرُ، حَتَّى لَا أَرَى مَنْ يُفَاخِرُ
٤٩ ـوَأَسْعَى لِأَمْرٍ، عُدَّتِي لِمَنَالِهِ، أَوَاخِيُّ مِنْ آرَائِهِ، وَأَوَاصِرُ(٩)
٥٠ ـأَيَا رَاكِباً، تُحْدَى بِأَعْوَادِ رَحْلِهِ عُذَافِرَةٌ، عَيْرَانَةٌ، وَعُذَافِرُ!(١٠)

(١) حمّضها: أطعمها نبات الحمض الذي تستسيغه الإبل. ميثاء: اسم موضع بالشام. الخذراف: نبات ربيعي حامض الطعم.
(٢) شيبان: كانون الأوّل. صفوان: كانون الثاني.
(٣) السلوطح: اسم موضع ـ ريثما أديرت: حال عليها الحول بمكان يعرف بملحان.
(٤) كوماء: ناقة كبيرة.
(٥) الكلال: التعب.
(٦) تكاشروا: تظاهروا بالابتسامة وأضمروا الحقد والكراهية.
(٧) القرمان: هما سيف الدولة وسعيد.
(٨) النجار: الأصل.
(٩) الأواخي: الروابط.
(١٠) العُذافر: الناقة الضخمة. العيرانة: القوية، السَّريعة.

٥١ ـ أَلِكْنِي إِلَى أَبْنَـاءِ «وَرْقَـا» رِسَـالَـةً، عَلَى نَأْيِهِمْ، وَهْيَ ٱلْقَوَافِي ٱلسَّوَائِرُ![1]
٥٢ ـ لَئِنْ بَـاعَدَتْكُمْ نِيَّةٌ، طَالَ شَحْطُهَـا، لَقَـدْ قَـرَّبَتْنَـا نِيَّـةٌ، وَضَمَـائِـرُ
٥٣ ـ وَنَشْـرُ ثَنَـاءٍ، لَا يَـغِبُّ، كَـأَنَّـمَـا بِـهِ نَشَـرَ ٱلْعَصْبَ ٱلْيَمَـانِيَّ نَـاشِـرُ
٥٤ ـ وَيَجْمَعُنَـا، فِي «وَائِـلٍ»، عَشَـرِيَّـةٌ وِردٌ، وَأَرْحَـامٌ، هُنَـاكَ، شَـوَاجِـرُ[2]
٥٥ ـ فَقُـلْ لِبَنِي «وَرْقَـاءَ»؛ إِنْ شَطَّ مَنْـزِلٌ فَـلَا ٱلْعَهْدُ مَنْسِيٌّ، وَلَا ٱلْـوِدُّ دَائِـرُ[3]
٥٦ ـ وَكَيْفَ يَرِثُّ ٱلْحَبْلُ، أَوْ تَضْعُفُ ٱلْقِوَى؟ وَقَـدْ قَرُبَتْ قُـرْبَى، وَشُدَّتْ أَوَاصِـرُ!
٥٧ ـ «أَيَشْغَلُكُمْ وَصْفُ ٱلْقَـدِيمِ؟؛ وَدُونَـهُ مَفَـاخِـرُ؛ فِيهَـا شَـاغِـلٌ، وَمَـآثِـرُ!
٥٨ ـ لَنَـا أَوَّلٌ فِي ٱلْمَكْـرُمَـاتِ، وَآخِـرٌ، وَبَـاطِنُ مَجْدٍ تَغْلِبِيٍّ، وَظَـاهِـرُ!»
٥٩ ـ «أَبَا أَحْمَدٍ، مَهْلًا! إِذَا ٱلْفَرْعُ لَمْ يَطِبْ؛ فَـلَا طِبْنَ يَـوْمَ ٱلافْتِخَـارِ ٱلْعَنَـاصِـرُ!
٦٠ ـ أَتَسْمُـو بِمَا شَـادَتْ أَوَائِلُ «وَائِـلٍ»؛ وَقَـدْ غَمَـرَتْ تِلْكَ ٱلْأَوَالِي ٱلْأَوَاخِـرُ؟
٦١ ـ وَهَـلْ يُطْلَبُ ٱلْعِـزُّ ٱلَّذِي هُـوَ غَائِبٌ؟ وَيُتْـرَكُ ذَا ٱلْعِزُّ ٱلَّـذِي هُوَ حَـاضِـرُ!؟
٦٢ ـ عَلِيٌّ، لِأَبْكَـارِ ٱلْكَـلَامِ وَعُـونِـهِ، مَفَـاخِـرُ تُفْنِيـهِ، وَتَبْقَى مَفَـاخِـرُ![4]
٦٣ ـ أَنَا «ٱلْحَارِثُ» ٱلْمُخْتَارُ مِنْ نَسْلِ «حَارِثٍ» إِذَا لَمْ يَسُدْ، فِي ٱلْقَوْمِ، إِلَّا ٱلْأَخَايِرُ!
٦٤ ـ فَجَـدِّي ٱلَّـذِي لَمَّ ٱلْعَشِيـرَةَ جُـودُهُ، وَقَـدْ طَـارَ فِيهَـا لِلتَّفَـرُّقِ طَـائِـرُ،
٦٥ ـ تَحَمَّـلَ قَتْـلَاهَـا، وَسَـاقَ دِيَـاتِهَـا، حَمُولٌ؛ لِمَا جَـرَّتْ عَلَيْهِ ٱلْجَـرَائِرُ[5]
٦٦ ـ وَدَى مِـائَـةً؛ لَـوْلَاهُ، جَـرَّتْ دِمَـاؤُهُمْ مَـوَارِدَ مَـوْتٍ، مَـا لَـهُنَّ مَـصَـادِرُ

---

(١) ألكني: أعطني رسالة. والألوكة: الرسالة.
(٢) العشريّة: نسبة إلى عشرة جدود. الشّواجر: المتداخلة.
(٣) شطّ: نأى، بَعُد. دائر: زائل.
(٤) العون: عكس الأبكار. وعوّنت المرأة: صارت عَواناً، قطعت منتصف العمر وخبرت.
(٥) قال ابن خالويه:
«أَرَادَ جَدَّهُ ٱلأَدْنَى «ٱلْحَارِثَ بْنَ لُقْمَانَ بْنِ رَاشِدٍ» ٱلْوَارِدَ فِي شِعْرِ ٱلْمُتَنَبِّي، فَإِنَّهُ أَصْلَحَ بَيْنَ قَبِيلَةِ بَنِي «تَغْلِبَ»، وَوَدَى قَتْلَاهُمْ مِنْ مَالِهِ، وَكَانُوا مِئَةَ قَتِيلٍ، وَقَالَ شَاعِرُهُم:
عَـصَفَـتْ رِيَـاحُ «ٱلْحَـارِثِ بْـنِ رَبِـيعَـةٍ» وَجَـرَى لَـهَـا بِـالـنَّـحْسِ أَشْـأَمُ طَـائِـرِ
حَتَّـى ٱنْـبَـرَى لِعَـمُـودِهَـا فَـأَقَـامَـهُ صَـافِي أَدِيمِ ٱلـعِـرْضِ خَـيْـرُ أَخَـايِـرِ
حَـمَـلَ ٱلـعَـظِيـمَ وَلَـمْ يُـكَـلِّفْ قَـوْمَـهُ جَـمْـعَ ٱلبَعِيـرِ إِلَى ٱلبَعِيـرِ ٱلـدَّائِـرِ»

٦٧ـوَمِنَّا ٱلَّذِي ضَافَ ٱلإِمَامَ وَجَيْشَهُ! وَلَا جُودَ إِلا ما تَضِيفُ ٱلْعَسَاكِرُ(١)
٦٨ـوَجَدِّي ٱلَّذِي ٱنْتَاشَ ٱلدِّيَارَ وَأَهْلَهَا؛ وَلِلدَّهْرِ نَابٌ، فِيهِمُ، وَأَظَافِرُ(٢)
٦٩ـثَلاَثَةُ أَعْوَامٍ يُكَابِدُ مَحْلَهَا أَشَمُّ، طَوِيلُ ٱلسَّاعِدَيْنِ، عُرَاعِرُ(٣)
٧٠ـفَآبُوا بِجَدْوَاهُ، وَآبَ بِشُكْرِهِمْ، وَمَا مِنْهُمُ فِي صَفْقَةِ ٱلْمَجْدِ خَاسِرُ(٤)
٧١ـوَكَيْفَ يُنَالُ ٱلْمَجْدُ، وَٱلْجِسْمُ وَادِعٌ؟ وَكَيْفَ يُحَازُ ٱلْحَمْدُ، وَٱلْوَفْرُ وَافِرُ؟
٧٢ـأَسَا دَاءَ ثَغْرٍ كَانَ أَعْيَا دَوَاؤُهُ وَفِي قَلْبِ مَلْكِ ٱلرُّومِ دَاءٌ مُخَامِرُ(٥)
٧٣ـبَنَى ثَغْرَهَا ٱلْبَاقِي عَلَى ٱلدَّهْرِ ذِكْرُهُ نَتَائِجُ فِيهَا ٱلسَّابِقَاتُ ٱلضَّوَامِرُ(٦)

---

(١) قال ابن خالويه:
«اجتَازَ «ٱلْمُعْتَضِدُ»، سَائِراً، إِلَى حَرْبِ «ٱبْنِ طُولُونَ»، فَتَلَقَّاهُ «حَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ»، «بِحَدِيثَةِ ٱلْمَوْصِلِ»، فَأَقَامَ لَهُ وَلِعَسْكَرِهِ ٱلْمِيرَةَ مُدَّةَ مُقَامِهِ فِي أَعْمَالِ «ٱلْمَوْصِلِ» وَ «دِيَارِ رَبِيعَةَ»، وَقَادَ إِلَيْهِ، وَحَمَلَ مَا يَعْظُمُ.»

(٢) قال ابن خالويه:
«أَرَادَ جَدَّهُ ٱلأَدْنَى: «حَمْدَانَ بْنَ حَمْدُونَ»، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمَرَ بِلاَدَ ٱلْمَوْصِلِ وَدِيَارَ رَبِيعَةَ، بِٱلْمِيْرِ ثَلاَثَةَ أَعْوَامٍ، تَوَاتَرَتْ بِٱلمَحْلِ، فَسُمِّيَ: «مُكَايِدَ ٱلمَحْلِ»، وَقِيلَ إِنَّ ٱلذِي وَهَبَهُ في سَنَةٍ وَاحِدَةٍ: ثَلاثَةُ آلافِ كُرٍّ، وَٱلكُرُّ يومَئِذٍ قِيمَتُهُ ثلاثُونَ أَلفَ دِينَارٍ، وَوَفَدَ عَلَيْهِ فِيمَنْ وَفَدَ، «بَنُو حَبِيبٍ»، وَكَانُوا أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاءَ قَبِيلَتِهِ، فَسَاوَاهُمْ بِأَقْرَبِ عَشِيرَةٍ، وفيه يَقُولُ ٱلشَّاعِرُ:

مَا زِلْتُ، فِي كَيْدِ ٱلمَعِيشَةِ، جَاهِداً حَتَّى أَتَيْتُ «مُكَايِدَ ٱلمَحْلِ»
أَعْطَى، وَقَدْ بَخِلَ ٱلزَّمَانُ، وَلَجَّ فِي إِعْطَائِهِ، إِذْ لَجَّ فِي ٱلبُخْلِ»

(٣) العراعر: الشَّريق.

(٤) آبوا: عادوا. جدواه: عطاؤه.

(٥) قال ابن خالويه:
«بَنَى «حَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ» سُوراً عَلَى «مَلَطْيَةَ»، أَنْفَقَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلفَ دِينَارٍ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ أَرْبَعمَائَةِ حجْرَةٍ مِنْ خَيْلِهِ. قَالَ أَبُو فِرَاسٍ: قَالَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ: دَخَلْتُ «مَلَطْيَةَ»، أَنَا وَعَمِّي أَبُو ٱلعَلاَءِ، سَنَةَ ثَلَثِمائَةٍ وَثَلاث عَشْرَة، (أو ثماني عَشْرَة)، فَقَرَأْتُ ٱسْمَ جَدِّي عَلَى سُورِهَا، قَالَ أَبُو فِرَاسٍ: وَدَخَلتُهَا أَنَا مَعَ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ، بَعْدَ فَتْحِهَا بِعِشْرِينَ سَنَةً، وَقَدْ ٱجْتَزْنَا بِهَا فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ وَقَصَدْنَا مَوْضِعَ ٱلاسْمِ، فَوَجَدْنَاهُ مَكْتُوباً.»

(٦) قال ابن خالويه:
خَرِبَتِ ٱلزَّلاَزِلُ «رَعْبَانَ»، إِحْدَى ٱلثُّغُورِ ٱلْجَزَرِيَّةِ، وَخَلاَ أَهْلُها، وَٱنْدَرَسَ أَثَرُها، وَهَلَكَ ٱلْعَدُوُّ، فَأَنْهَضَ إِلَيْهَا سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ: ٱلْعَسَاكِرَ وَالضِّيَاعَ، فَأَنْفَقَ عَلَيْهَا ٱلأَمْوَالَ حتّى بَنَاها في مدَّةِ شَهْرٍ وَٱلْعَسَاكِرُ ٱلرُّومِيَّةُ جَامِعَةٌ، وَٱلْحَرْبُ وَاقِعَةٌ. وَخَلِيفَتُهُ عَلَى ٱلْجَيْشِ يَوْمَئِذٍ أَبُو فِرَاسٍ. وَنَقَلَ ٱلْجَيْشَ إِلَى «مَرْعَش»، وَقَدْ =

٧٤ - وَسَوْفَ عَلَى رَغْمِ ٱلْعَدُوِّ يُعِيدُهَا ... مُعَوَّدُ رَدِّ ٱلثَّغْرِ، وَٱلثَّغْرُ دَائِرُ

٧٥ - وَلَمَّا أَلَمَّتْ بِٱلدِّيَارَيْنِ أَزْمَةٌ ... جَلاَهَا، وَنَابُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْمَوْتِ كَاشِرُ

٧٦ - كَفَتْ غَدَوَاتِ ٱلْغَيْثِ دِرَّاتُ كَفِّهِ، ... فَأَمْرَعَ بَادٍ وَٱجْتَنَى ٱلْعَيْشَ حَاضِرُ(١)

٧٧ - أَنَخُوا بِوَهَّابِ ٱلنَّفَائِسِ، مَاجِدٍ، ... يُقَاسِمُهُمْ أَمْوَالَهُ وَيُشَاطِرُ

٧٨ - وَعَمِّي ٱلَّذِي أَرْدَى «ٱلْوَزِيرَ» «وَفَاتِكاً» ... وَمَا ٱلْفَارِسُ ٱلْفَتَّاكُ إِلَّا ٱلْمُجَاهِرُ(٢)

٧٩ - أَذَاقَهُمَا كَأْسَ ٱلْحِمَامِ مُشَيَّعٌ، ... مُثَاوِرُ غَارَاتِ ٱلزَّمَانِ، مُسَاوِرُ(٣)

٨٠ - يُطِيعُهُمُ مَا أَصْبَحَ ٱلْعَدْلُ فِيهِمُ؛ ... وَلاَ طَاعَةٌ لِلْمَرْءِ، وَٱلْمَرْءُ جَائِرُ(٤)

٨١ - لَنَا فِي خِلاَفِ ٱلنَّاسِ عُثْمَانَ أُسْوَةٌ ... وَقَدْ جَرَّتِ ٱلْبَلْوَى عَلَيْهِ ٱلْجَرَائِرُ(٥)

٨٢ - وَسَارَ إِلَى دَارِ ٱلْخِلاَفَةِ عَنْوَةً ... فَحَرَّقَهَا، وَٱلْجَيْشُ بِٱلدَّارِ دَائِرُ

٨٣ - أَذَلَّ «تَمِيماً» بَعْدَ عِزٍّ، وَطَالَمَا ... أَذِلَّ بِنَا ٱلْبَاغِي، وَعَزَّ ٱلْمُجَاوِرُ!(٦)

= ٱفْتَتَحْهَا ٱلْعَدُوُّ، وَمَضَتْ عَلَيْهَا ٱلسِّنُونَ، فَبَنَاهَا، وَقَصَدَهَا «ٱبْنُ فَقَّاسَ ٱلدُّمُسْتُقُ»، وَبِهَا عَلَى ٱلْعَسْكَرِ «ٱلْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ»، فَنَزَلَ عَلَيْهَا، فَوَصَلَ إِلَى سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ، فَنَفَرَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَوْقَعَ بِهِ، فَهَزَمَهُ، وَقَتَلَ وَأَسَرَ خَلْقاً مِنْ عَسْكَرِهِ، وَخَلَّفَ أَسْلِحَتَهُمْ فِي ٱلْمَدِينَةِ قُوَّةً لأَهْلِهَا وَسَارَ إِلَى «ٱلْحَدِيثَةِ»، وَقَدْ دَثَرَتْ، فَكَانَ مِنْ بِنَائِهَا وَٱلْوَقَائِعِ عَلَى، مَا يُشْرَحُ فِي مَوْضِعِهِ».

(١) كناية عن كرمه وأعماله الرفيعة التي كانت كالمطر تحيي الأرض الجرداء.

(٢) في البيت إشارة إلى عمّه الحسين بن حمدان الذي قتل العباس بن المعتضد وفاتكاً.

(٣) كأس الحمام: الموت.

(٤) جائر: ظالم.

(٥) البلوى: المصيبة. الجرائر: الذنوب. يشير إلى أفعال بني أميّة.

(٦) قال ابن خالويه:

«حَاصَرَتْ «بَنُو تَمِيمٍ» «ذَكَاءَ» ٱبْنَ أَمِيرِ جُنْدِ «قِنَّسْرِينَ»، وَٱلْعَوَاصِمِ، وَٱسْتَبَاحَتِ ٱلأَعْمَالَ فَكَاتَبَ «ٱلْمُقْتَدِرُ» «ٱلْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ» فِي إِنْجَادِهِ؛ فَأَسْرَى إِلَيْهِمْ مِنَ «ٱلرَّحْبَةِ»، حَتَّى أَنَاخَ عَلَيْهِمْ «بِخَنَاصِرَةَ»، فَأَخَذَ مِنْهُمْ أَرْبَعَمِئَةِ رَئِيسٍ قَسْراً، وَحَمَلَهُمْ فِي غَرَائِرِ ٱلشَّعْرِ عَلَى أَجْمَالِهِمْ، وَٱنْصَرَفَ، فَلَمْ يَلْقَ «ذَكَاءَ»، فَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ فِي ٱلْحُبُوسِ بِبَغْدَادَ؛ إِلَى أَنْ سُئِلَ فِيهِمِ «ٱلأَغَرُّ ٱلسُّلَمِيُّ»، أُطْلِقُوا، وَلَمْ تَسْكُنْ «تَمِيمٌ» بَعْدَهَا الشام؛ فَقَالَ:

أَصْلَحَ مَا بَيْنَ «تَمِيمٍ» وَ«ذَكَا» ... أَبْلَجُ، يَشْكِي بِالرِّمَاحِ مَنْ شَكَا

يَبْذُلُ ٱلْجَيْشَ، إِذَا مَا سَلَكَا، ... كَأَنَّهُ «سُلَيْكَةُ بْنُ ٱلسُّلَكَا».

٨٤ ـ وَصَدَّقَ فِي «بَكْرٍ» مَوَاعِيدَ ضَيْفِهِ ۝ وَثَوَّرَ «بِآبْنِ ٱلْغَمْرِ»، وَٱلنَّقْعُ ثَائِرُ(١)
٨٥ ـ وَأَقْبَلَ «بِٱلشَّارِي»، يُقَادُ أَمَامَهُ، ۝ وَلِلْقَيْدِ فِي كِلْتَا يَدَيْهِ ضَفَائِرُ(٢)
٨٦ ـ وَشَنَّ عَلَى «ذِي ٱلْخَالِ» خَيْلاً، تَنَاهَبَتْ ۝ «سَمَاوَةُ كَلْبٍ» بَيْنَهَا، وَ «عُرَاعِرُ»(٣)

---

(١) قال ابن خالويه:
«يُرِيدُ «بَكْرَ بْنَ عبد ٱلْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفٍ ٱلعُجَلِيِّ»؛ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ قَدْ شَاهَدَ «ٱلْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ»، فِي وَقَائِعِهِ، وَكَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهُ، فَلَمَّا سَارَ «ٱلْمُعْتَضِدُ» وَمَعَهُ بَنُو حَمْدَانَ إِلَى «بَكْرٍ»، وَ كَانَ «أَبُو جعفر بْنِ ٱلغَمْرِ آبْنِ حَمْدُونَ»، عَمُّ «ٱلْحُسَيْنِ»، طَلِيعَةَ ٱلجَيْشِ، فَأُسِرَ فَظَنَّ «ٱلْحُسَيْنُ» أَنَّهُ قُتِلَ فَٱلْتَقَى العَسْكَرَانِ، و «الحُسَيْنُ» مُنْفَرِدٌ بِأَصْحَابِهِ، وَٱنْهَزَمَ جَيْشُ ٱلسُّلْطَانِ، وَلَمْ يُمْهِلْ «بَكْرٌ» صَاحِبَهُ أَنْ قَالَ: «مَا أَغْنَى عَنْهُمُ ٱلحُسَيْنُ!؟» فَلَمَّا ٱسْتَوْلَى «بَكْرٌ» عَلَى ٱلعَسْكَرِ خَرَجَ ٱلحُسَيْنُ يُنَادِي: «يَا لَثَارَاتِ «أَبِي جَعْفَرِ بْنِ ٱلغَمْرِ»!...» حَتَّى وَقَعَ عَلَى سَوَادِ «بَكْرٍ»، فَٱحْتَوَى عَلَيْهِ، وَوَجَدَ «أَبَا جعفرٍ» مُقَيَّداً، فَٱسْتَنْقَذَهُ «فَٱلْتَقَاهُ بَكْرٌ»، وَٱشْتَدَّ ٱلقِتَالُ وَتَبَارَزَا، فَكَشَفَهُ «ٱلْحُسَيْنُ»، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ، وَرَفَعَ ٱلسَّيْفَ عَنْهُ؛ فَلَمْ يُمْهِلْهُ صَاحِبُهُ، أَنْ ذَكَرَ مَا كَانَ يَصِفُ، وَوَرَدَ ٱلكِتَابُ عَلَى «ٱلْمُعْتَضِدِ» فِي صَدْرِ ٱلنَّهَارِ، يُخْبِرُ بِهَزِيمَةِ عَسْكَرِهِ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ مَضَارِبِهِ، وَتَلاهُ فِي آخِرِ ٱلنَّهَارِ، كِتَابُ «ٱلْحُسَيْنِ» بِٱلفَتْحِ، فَرَدَّ مَضَارِبَهُ، فَقَالَ ٱلشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ:

أَقَمْتَ عَمُودَ ٱلدِّينِ، دِينِ «مُحَمَّدٍ»، ۝ وَقَدْ مَادَ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ، جَوَانِبُهْ
وَأَقْرَرْتَ رَبَّ ٱلمُلْكِ فِي دَارِ مُلْكِهِ، ۝ وَذَكَّرْتَهُ مَا كَانَ يَزْعُمُ صَاحِبُهْ
وَأَقْرَرْتَ «بِآبْنِ ٱلغَمْرِ» عَيْنَ «رَبِيعَةٍ»، ۝ وَقَدْ كَثُرَتْ بَيْنَ ٱلبُيُوتِ نَوَادِبُهْ

(٢) قال ابن خالويه: «قِيلَ: لَمَّا ٱسْتَفْحَلَ أَمْرُ «هَارُونَ ٱلشَّارِي»؛ وَغَلَبَ عَلَى ٱلأَعْمَالِ، وَهَزَمَ جُيُوشَ ٱلسُّلْطَانِ، وَكَانَ بَنُو حَمْدَانَ فِي بَقِيَّةِ ٱلنَّكْبَةِ ٱلَّتِي نَكَبَهُمْ «ٱلْمُعْتَضِدُ»؛ فَأَشَارَ «بَدْرٌ» «عَلَى «ٱلْمُعْتَضِدِ» بِإِنْفَاذِ «ٱلْحُسَيْنِ»، فَأَنْفَذَهُ وَمَعَهُ «مُوشْكِيرُ»، فَلَمَّا وَصَلا تَقَدَّمَ «ٱلحُسَيْنُ» وَسَارَ إِلَى «هَارُونَ»، فَأَوْقَعَ بِهِ، وَقَتَلَ رِجَالَهُ وَأَسَرَهُ؛ وَسَارَ بِهِ مُتَوَجِّهاً إِلَى «ٱلْمُعْتَضِدِ»، وَخَالَفَهُ «مُوشْكِيرُ» إِلَى «ٱلْمَوْصِلِ»، فَلَمْ يَرَ «ٱلْحُسَيْنَ» بِهَا، وَكَتَبَ إِلَى ٱلمَلِكِ بِسُرْعَتِهِ وَمُطَابَقَتِهِ «لِلشَّارِي»، فَغَلُظَ ذَلِكَ عَلَى «ٱلْمُعْتَضِدِ»؛ وَأَمَرَ بِقَتْلِ أَبِيهِ «حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ»، وَ كَانَ فِي حَبْسِ «ٱلْمُعْتَضِدِ»، فَسَأَلَهُ «بَدْرٌ» ٱلتَّوَقُّفَ، وَوَافَى «ٱلْحُسَيْنُ» «بِٱلشَّارِي»، فَٱشْتَدَّ سُرُورُ «ٱلْمُعْتَضِدِ»، وَحَكَّمَهُ فِي ثَلاثِ حَوَائِجَ، فَسَأَلَهُ إِطْلاقَ أَبِيهِ، فَأَطْلَقَهُ وَإِزَالَةَ ٱلإِتَاوَةِ عَلَى بَنِي «تَغْلِبَ»، فَأُزِيلَتْ. وَإِثْبَاتَ خَمْسِمِئَةِ فَارِسٍ مِنْهُمْ يُضَمُّونَ إِلَيْهِ، فَأُثْبِتُوا.

(٣) قال ابن خالويه: «قَالَ أَبُو عَبْدِ الله بْنُ خَالَوَيْهِ»: لَمَّا عَظُمَ أَمْرُ «صَاحِبِ ٱلشَّامَةِ» بِٱلشَّامِ، وَ «ٱلْمُهَيَّمَةُ» مَعَهُ (وَهُمْ مِنْ بَنِي كَلْبٍ)، فَٱجْتَمَعَتْ مَعَهُ ٱلعَرَبُ، فَتَخَلَّفَ «ٱلْمُكْتَفِي» فِي «ٱلرَّقَّةِ» وَجَهَّزَ ٱلعَسْكَرَ؛ فَسَارَ «ٱلْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ»، حَتَّى قَطَعَ عَلَيْهِ «ٱلسَّمَاوَةَ»، وَهَزَمَهُ، وَقَتَلَ رِجَالَهُ، وَٱنْحَلَّ بَعْدَهَا أَمْرُهُ، حَتَّى هَرَبَ مُنْفَرِداً وَحْدَهُ، فَأُخِذَ فِي طَرِيقِ «ٱلفُرَاتِ» مُتَخَفِّياً، وَكَانَ دَلِيلُ ٱلحُسَيْنِ فِي «ٱلسَّمَاوَةِ» «جَلْهَمَة =

٨٧ ـأَضقْنَ عَلَيْـهِ ٱلْبِيدَ، وَهِيَ فَضَـافِضٌ، وَأَضْلَلْنَـهُ عَنْ سُبْلِهِ، وَهْوَ خَـابِـرُ،(١)
٨٨ ـأَمَـاطَ عَــنِ ٱلأَعْـرَابِ ذُلَّ إِتَـاوَةٍ تَسَاوَى ٱلْبَوَادِي عِنْدَهَا وَٱلْحَـوَاضِرُ(٢)
٨٩ ـوَأَجْلَتْ لَهُ عَنْ فَتْحِ «مِصْـرَ» سَحَائِبٌ مِنَ ٱلطَّعْنِ سُقْيَاهَا ٱلْمَنَايَا ٱلْحَوَاضِرُ(٣)
٩٠ ـتَخَـالَطَ فِيهَـا ٱلْجَحْفَـلاَنِ كِـلاَهُمَـا فَغِبْنَ ٱلْقَنَـا عَنْهَـا وَنُبْنَ ٱلْبَـوَاتِـرُ(٤)
٩١ ـوَقَادَ إِلَى أَرْضِ «ٱلسَّبَكْرِيِّ» جَحْفَلاً يُسَـافِرُ فِيهِ ٱلـطَّرْفُ حِينَ يُسَافِرُ(٥)

= الكَلْبِيّ، فَعَدَلَ بِهِ عَصَبِيَّةً لِقَوْمِهِ عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ هَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ ٱلحُسَيْنِ:

لله مَـا أَدْرَكَ مِـنَّـا جَـلْهَـمَـهْ، أَدْرَكَ ثَـارَ قَـوْمِـهِ ٱلْـمُـهَـيَّـمَـهْ
حَتَّى تَـرَكْـنَـاهُ، بِـأَعْـلَى ٱلأَكَـمَـهْ، جِسْمـاً بِـلاَ رُوحٍ بِغَيْـرِ جُمْجُمَـهْ

وَقَالَ «عمارَةُ ٱلكَلْبِيُّ» رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى:

أَمَـا وَرَبِ ٱلْـمَـسْـجِـدِ ٱلْـمُـسَـجَّـفِ، وَٱلمَسْجِـدِ ٱلأَقْصَى العـظيم الشـرف،
لَـوْلاَ «ٱلحُسَيْنُ»، يَـوْمَ «وَادِي قَـنْـدَفِ»، وَخَـيْـلُهُ، وَرَجْـلُهُ، لَـمْ تَـشْـتَـفِ
نَفْسُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ «ٱلْمُكْتَفِي»!..

(١) البيد: الصَّحاري. خابر: خبير.

(٢) أماط: كشف. الإتاوة: الخراج.

(٣) قال ابن خالويه: «سَارَ «أَبُو عَلِيٍ ٱلحُسَيْنُ بْنُ حَمْدانَ»، وَ «أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدُ بْنُ حَمْدَانَ ٱلمُزْرَفَنُ»، و «أَبُو ٱلوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ حَمْدَانَ ٱلحَرُونُ»، وَ أَبُو جَعْفَر مُحَمَّدُ بْنُ ٱلغَمْرِ بْنُ حَمْدُونَ»، وَسَائِرُ قُوَّادِ ٱلسُّلْطَانِ مَعَ «مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ»؛ إِلَى مِصْرَ لِحَرْبِ «ٱلطُّولُـونِيَّةِ»، وَأَحْسَنَ كُـلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ ٱلأثَـرَ، وَضَرَبَ «ٱلحُسَيْنُ» صَاحِبَ جَيْشِهِمْ فَقَتَلَهُ، وَهَزَمَ ٱلجَيْشَ، وَدَخَلَ مِصْرَ، وَضَرَبَ «أَبُو جَعْفَرٍ» وَسْطَ ٱلحَالَةِ، حَتَّى سَقَطَ، فَقَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فِي ذَلِكَ، عَلَى لِسَانِ ٱلفَرَسِ، شِعْراً:

مَـا زَالَ يَـحْـفِـزُنِـي بِبَـاطِـنِ فَـخْـذِهِ حَـتَّـى، لَـعَـمْـرُكَ؛ بَـيْـنَـهُـمْ أَرْدَانِـي

وَقُلِّدَ «ٱلْحُسَيْنُ» أَمْرَ مِصْرَ، فَكَرِهَهَا؛ وَقُلِّدَ «أَبُو جَعْفَرٍ» ٱلصَّعِيدَ الأَعْلَى وَٱنْصَرَفَ وَمَعَهُ أَلْفُ بَغْلٍ وَجَمَلٍ تَحْمِلُ أَثْقَالَهُ».

(٤) الجحفلان: الجيشان العظيمان. القنا: الرماح. البواتر: السيوف القاطعة.

(٥) قال ابن خالويه: «افْتَتَحَ ٱلحُسَيْنُ فَارِساً وَقَتَلَ «ٱلسَّبَكْرِيَّ»، وَأَسَرَ «ٱلقَتَّالَ»؛ وَبَذَلَ لَهُ أَهْلُ فَارِس ثَلاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، لِمُقَامِهِ بِهَا، وَتَرْكِ ٱلمَوْصِلِ وَدِيَارِ رَبِيعَةَ؛ فَأَبَى ذَلِكَ. قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلحُسَيْنُ بْنُ خَالَوَيْهِ: «سَمِعْتُ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، أَنَّهُ كَانَ فِي خَزَائِنِ «ٱلحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ» نَيِّفٌ وَعِشْرُونَ طَوْقاً لِنَيِّفٍ وَعِشْرِينَ فَتْحاً فَتَحَهَا بِٱلمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ؛ «وَٱلحُسَيْنُ» نَازَلَ ٱلأَسَدَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَتَلَهُ، وَإِحْدَاهُنَّ بَيْنَ يَدَيِ =

٩٢-تَنَاسَى بِهِ «ٱلْقَتَّالُ» فِي ٱلْقِدِّ قَتْلَهُ   وَدَارَتْ بِرَبِّ ٱلْجَيْشِ فِيهِ ٱلدَّوَائِرُ
٩٣-وَعَمِّي ٱلَّذِي سُلَّتْ «بِنَجْدٍ» سُيُوفُهُ   فَرَوَّعَ بِٱلْغَوْرَيْنِ مَنْ هُوَ غَائِرُ(١)
٩٤-تَنَاصَرَتِ ٱلْأَحْيَاءُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ   وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا مِنَ ٱللَّهِ نَاصِرُ
٩٥-فَلَمْ يُبْقِ غَمْراً طَعْنُهُ ٱلْغَمْرُ فِيهِمُ   وَلَمْ يُبْقِ وِتْراً ضَرْبُهُ ٱلْمُتَواتِرُ(٢)
٩٦-وَسَاقَ إِلَى «ٱبْنِ ٱلدِّيْوَدَاذِ» كَتِيبَةً   لَهَا لَجَبٌ، مِنْ دُونِهَا، وَزَمَاجِرُ(٣)

= «ٱلْمُعْتَضِدِ»، فَكَانَ أَحْسَنَ مَا فَعَلَهُ، أَنَّهُ قَتَلَ الأَسَدَ، وَمَسَحَ سَيْفَهُ فِي جِلْدِهِ، وَرَدَّهُ فِي غِمْدِهِ، وَرَكِبَ وَسَارَ فِي عُرْضِ ٱلنَّاسِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلى ٱلخَلِيفَةِ، وَلَا ٱحْتَفَلَ بِمَا فَعَلَهُ.

(١) قال ابن خالويه: «حجَّ عَمُّهُ «أَبُو ٱلهَيْجَاءِ» بِٱلنَّاسِ، وَأَخَذَتْ «بَنُو كِلَابٍ» جِمَالَ ٱلسَّوَانِي؛ فَأَسْرَى إِلَيْهِمْ فَلَحِقَهُمْ وراءَ «نَجْدٍ»، فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ ٱلْحَرِيمَ وَٱلأَمْوَالَ، حَتَّى نَزَلَ «ٱلْعَقَبَةَ»، فِي طَرِيقِ «مَكَّةَ»؛ وَاجْتَمَعَتْ سَائِرُ بُطُونِ «بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ»، وَقَبَائِلُ مِنْ «طَيِّءٍ»، وَٱشْتَدَّ القِتَالُ، ثُمَّ هَزَمَهُمْ؛ وَكَانَ «لأَبِي سُلَيْمَانَ» فِيهَا أَثَرٌ نَذْكُرُهُ فِي مَوْضِعِهِ. قَالَ أَبُو فِرَاسٍ: فَحَدَّثَنِي «مطرف بْنُ ٱلبَلَدِيِّ، ٱلكِلَابِيُّ»؛ قَالَ: «شَهِدْتُهَا صَبِيّاً وَأَبْلَى ٱلطِّرَادَ عَمُّكَ «أَبُو سُلَيْمَانَ»، وَكَسَرْنَاهُ، وَأَثْخَنَّاهُ بِٱلجِرَاحِ فَٱنْكَشَفَ، وَأَفْضَيْنَا إِلى ٱلبِرْكَةِ فَشَرِبْتُ مِنْهَا بِدَرَقَتِي، وَشَرَعْنَا فِي بَعْضِ أَمْوَالِهِ، فَحَمَلَ عَلَيْنَا عَمُّكَ «أَبُو ٱلهَيْجَاءِ» فِي عَدَدٍ يَسِيرٍ، فَكَشَفَنَا وَوَضَعَ ٱلسَّيْفَ، حَتَّى حَجَزَ بَيْنَنَا ٱللَّيْلُ؛ فَحَمَلَ ٱلنِّسَاءَ وَٱلصِّبْيَانَ إِلَى «مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ»، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ، فَقَالَ جَمَاعَةٌ فِي ذَلِكَ:

يَا أُمَّةً سَكْرَى، عَلَيْهَا الغَلَبَهْ   تَجُرُّ ذَيْلاً نَطِفاً فِي مَشْرَبَهْ
واهِمَةً بَيْنَ قِفَافٍ جُذَّبَهْ   خَلَّفَهَا ٱلحَيُّ بِأَرْضٍ مَذْأَبَهْ

أَذَلَّ مِنْ «عَامِرٍ» يومَ «ٱلعَقَبَهْ»

فَقَالَ بَعْضُ «بَنِي قُشَيْرٍ» يَرُدُّ عَلَيْهِ:

مَهْلاً قَلِيلاً! يَا غُوَاةَ «نَبْهَانْ»،   لَسْنَا بِأَنْكَاسٍ، وَلَا بِذُلَّانْ!
لَكِنْ لَقِينَا مِنْ سَرَاةِ «حَمْدَانْ»   طَعْناً يُنَسِّي ٱلطَّعْنَ كُلَّ طَعَّانْ.

(٢) الغَمْر (الأولى): الكريم. والغمر (الثانية) الكثير. الوتر: الظلم.

(٣) «قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: سَارَ «مُؤْنِسٌ» إلى لِقَاءِ «يُوسُفَ بْنِ ٱلدِّيْوَدَاذِ أَبِي ٱلسَّاجِ» فَهَزَمَهُ؛ فَقَامَ «مُؤْنِسٌ» «بِأَذْرَبِيجَانَ»، وَأَمَدَّهُ ٱلسُّلْطَانُ بِٱلْجُيُوشِ؛ وَٱمْتَنَعَ عَنْ مُعَاوَدَةِ ٱللِّقَاءِ إِلَّا بِحُضُورِ «أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ» أَوْ «أَبِي ٱلْعَلَاءِ بْنِ حَمْدَانَ»؛ فَلَمَّا حَضَرَ أَخْبَرْنَاهُ، فَتَوَلَّى ٱلْقِتَالَ وَهَزَمَ ٱلْجَيْشَ. وَضَرَبَ «أَبُو ٱلْهَيْجَاءِ» «يُوسُفَ» فَصَرَعَهُ، وَصَاحَ: «أَنَا ٱبْنُ أَبِي ٱلشَّمْطَا»؛ وَكَانَ شِعَارَهُ، وَوَقَعَ «يُوسُفُ» بَيْنَ ٱلْقَتْلَى، فَنَمَّ عَلَيْهِ ٱلطِّيبُ فَأُخِذَ، فَقَالَ بَعْضُ شُعَرَائِهِمْ:

وَقَادَ إِلَيْنَا ٱلْخَيْلَ، كَٱللَّيْلِ، «يُوسُفٌ»   فَقُدْنَا إِلَيْهِ ٱلصُّبْحَ، وَٱلصُّبْحُ أَغْلَبُ، =

٩٧ ـجلاَهَا، وَقَدْ ضَاقَ ٱلْخِنَاقُ، بِضَرْبَةٍ لَهَا مِنْ يَدَيْهِ فِي ٱلْمُلُوكِ نَظَائِرُ،
٩٨ ـبِحَيْثُ ٱلْحُسَامُ ٱلْهِنْدُوَانِيُّ خَاطِبٌ بَلِيغٌ، وَهَامَاتُ ٱلرِّجَالِ مَنَابِرُ!(١)
٩٩ ـوَعَمِّي ٱلَّذِي سَمَّتْهُ «قَيْسٌ» «مُزَرْفَناً» وَقَدْ شَجَرَتْ فِيهِ ٱلرِّمَاحُ ٱلشَّوَاجِرُ(٢)
١٠٠ ـوَرَدَّ «ٱبْنَ مَزْرُوعٍ» يَنُوءُ بِصَدْرِهِ، وَفِي صَدْرِهِ مَا لاَ تَنَالُ ٱلْمَسَابِرُ(٣)
١٠١ ـوَعَمِّي ٱلَّذِي أَفْنَى «ٱلشُّرَاةَ» بِوَقْعَةٍ شَهِيدَانِ فِيهَا ٱلزَّابِيَانِ ونَازِرُ(٤)

= فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا حَلَّقَتْ بِجُمُوعِهِ، إلى أُخْرَيَاتِ ٱلأَرْضِ، عَنْقَاءُ مُغْرِبُ
يَنُمُّ عَلَيْهِ ٱلطِّيبُ بَيْنَ جُمُوعِهِ؛ وَنَشْرُ ٱلَّذِي خَلاَّهُ بِٱلقِدِّ أَطْيَبُ

فَلَمَّا أَطْلَقُوا «يُوسُف» بَلَغَ «أَبَا ٱلْهَيْجَاءِ» عَنْهُ إضَافَةٌ، فَخَافَ أَنْ يَحْمِلَ إليْهِ شَيْئاً فَيَرُدُّهُ إليْهِ، وَيَمْتَنِعُ؛ فَدَسَّ إِلَيْهِ بِرَحْلِهِم سِتَّمائَةِ أَلفِ دِرْهَم، فَلَمْ يَعْلَمْ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ، حَتَّى وَافَى «أَذْرَبِيجَانَ» وَٱسْتَتَرُوا».

(١) الحسام: السيف. الهندوانيّ: المنسوب إلى الهند. هامات: جمع هامة، وهي أعلى الرأس. وفي البيت يشبه الشاعر علوّ السيوف على الأعناق بعلو الخطيب المنابر.

(٢) قال ابن خالويه:

«كَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ» مَعَ أَخِيهِ «أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ»، «يَوْمَ ٱلْعَقَبَةِ»؛ (وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ)، وَكَانَ يَخْتَرِقُ ٱلرِّمَاح، فَتُسْرِعُ إِلَيْهِ فَلاَ تَعْلَقُهُ، فَسُمِّيَ، يَوْمَئِذٍ، «ٱلْمُزرفَن»؛ وَوُجِدَ فِي يَدِهِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ طَعْنَةً. وطَعَنَ «عَبْدُ ٱللَّهِ بْنَ مَزْرُوعٍ ٱلضِّبَابِيَّ» طَعْنَةً فِي صَدْرِهِ كَادَتْ تَقْتُلُهُ. وَسَأَلْتُ بَعْضَ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَقْعَةَ مِنْ شُيُوخِ ٱلْعَرَبِ عَنْ مَوْقِفِ «أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ»، وَ «أَبِي سُلَيْمَانَ»؛ فَقَالَ: «لأَبِي سُلَيْمَانَ دَاوُدَ بْنِ حَمْدَانَ ٱلْمُزرفَنِ» أَوَّلَ ٱلنَّهَارِ؛ وَ «لأَبِي ٱلْهَيْجَاءِ»؛ آخِرُهُ. وَكَانَتْ تَحْتَ «أَبِي سُلَيْمَانَ» فَرَسٌ بَرْشَاءُ، صَبرتْ عَلَى ٱلطِّرَادِ وَٱلجِرَاحِ، كَصَبْرِهِ؛ فطَلَبَهَا «ٱلْمُقْتَدِرُ»، فقَادَهَا إِلَيْهِ؛ فَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يرْكَبُهَا وَيكُرُّ عَلَى ٱلْخَدَمِ، وَيَقُولُ: «أنَا ٱلْمُزَرْفَن».

وَقَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ، يَهْجُو بَعْضَ ٱلنَّاسِ:

لَوْ كُنْتَ فِي مِائَتَيْ أَلْفٍ، جَمِيعُهُمُ مِثْلُ «ٱلْمُزَرْفَنِ دَاوُدَ بْنِ حَمْدَانِ»
وَتَحْتَكَ ٱلرِّيحُ تَمْضِي، حَيْثُ تَأْمُرُهَا، وَفِي يَمِينِكَ مَاضٍ، غَيْرُ خَوَّانِ
لَكُنْتَ أَوَّلَ فَرَّارٍ إِلَى «عَدَنٍ» إِذَا تَحَرَّكَ سَيْفٌ فِي «خُرَاسَانِ»

(٣) ابن مزروع هو ابن مزروع الضابي الذي طعن عمّه المزرفن يوم العقبة. المسابر: جمع المسبر، وهو الآلة التي يسبر بها الجرّاح عمق الجُرْح.

(٤) الزابيان: الزاب الأعلى والزاب الأسفل. خازر: نهر بين إربل والموصل. الشراة: الخوارج. قال ابن خالويه:

«هِيَ وَقْعَةُ «أَبِي يُوسُفَ ٱلشَّارِي»، وَكَانَ «أَبُو ٱلسَّرَايَا نَصْرُ بْنُ حَمْدَانَ»، وَ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ=

١٠٢ ـأَصبْنَ وَرَاءَ «ٱلسِّنِّ» «صَالِحَ» وَٱبْنَهُ وَمِنْهُنَّ نَوْءٌ «بِٱلْبَوَازِيجِ» مَاطِرُ!(١)
١٠٣ ـكَفَاهُ أَخِي، وَٱلْخَيْلُ فَوْضَى كَأَنَّهَا، وَقَدْ عَضَّتِ ٱلْحَرْبُ، ٱلنَّعَامُ ٱلنَّوَافِرُ
١٠٤ ـغَدَاةَ وَأَحْزَابُ «ٱلشُّرَاةِ»، بِمَنْزِلٍ يُعَاشِرُ فِيهِ ٱلْمَرْءُ مَنْ لَا يُعَاشِرُ
١٠٥ ـوَعَمِّي ٱلَّذِي ذَلَّتْ «حَبِيبُ» لِسَيْفِهِ وَكَانَتْ، وَمَرْعَاهَا، مِنَ ٱلْعِزِّ نَاضِرُ(٢)
١٠٦ ـوَعَمِّي «ٱلْحَرُونُ» عِنْدَ كُلِّ كَتِيبَةٍ تَخِفُّ جِبَالٌ، وَهْوَ لِلْمَوْتِ صَابِرُ(٣)

= بْنِ حَمْدَانَ»، يَتَقَلَّدَانِ أَمْرَ «ٱلْمَوْصِلِ» و «دِيَارِ رَبِيعَةَ» شِرْكَةً؛ وَعَظُمَ أَمْرُ «الشَّارِي»، فَأَجْمَعَ مَشَايِخُ أَهْلِهَا عَلَى دَفْعِهِ بِٱلْمَالِ؛ فَغَضِبَ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْحُسَيْنُ». وَحَرَّضَ عَمَّهُ عَلَى ٱلْخُرُوجِ، فَخَرَجَا وَنَازَلَا «ٱلشَّارِيَ»، وَهُوَ مُسْتَظْهِرٌ بِكَثْرَةِ ٱلْعَدَدِ؛ فَقَالَ:

دَعْنِي مِنَ ٱلْبُهْمِ، وَهَاتِ ٱلْجِلَّةْ «أَبَا السَّرَايَا»، وَ «أَبَا عَبْدِ ٱللَّهْ»

ثُمَّ نَاجَزَاهُ وَقَاتَلَا أَصْحَابَهُ، وَأَخَذَاهُ، وَٱحْتَوَيَا عَلَى مَا كَانَ جَمَعَهُ، وَكَانَ «أَبُو السَّرَايَا» يَضْبُطُ ٱلْجَيْشَ، وَ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ» يُمَارِسُ ٱلْحَرْبَ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ «أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ» مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ ٱلشِّعْرَ:

مَا زِلْتَ تَهْذِي «بِأَبِي عَبْدِ ٱللَّهْ» حَتَّى أَتَاكَ فَأَرَاحَ ٱلْعِلَّهْ

وَكَانَ «أَبُو ٱلسَّرَايَا» أَصْغَرَ ٱلْإِخْوَةِ، وَأَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهاً، وَأَسْمَحَهُمْ، وَأَشْجَعَهُمْ وَأَشْعَرَهُمْ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ كَنَفِ أَخِيهِ «أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ»؛ فَتَفَرَّدَ بِفُتُوحٍ تُذْكَرُ لَهُ وَلَمْ يَكُنْ مُقَصِّراً عَنْ إِخْوَتِهِ.

(١) السن: موضع قرب الزاب الأسفل. البوازيج: موضع قرب تكريت على فم الزاب الأسفل.

(٢) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «كَانَتْ «حَبِيبُ» تُضَارِبُ «بَنِي حَمْدَانَ»، وَتَلْقَى ٱلْحَرْبَ مِنْهُمْ، عَشَرَةَ آلَافِ فَارِسٍ، شَاكِيِّ السِّلَاحِ، فَنَازَلَهُمْ «أَبُو إِسْحَاقَ إِبراهِيمُ بْنُ حَمْدَانَ» فِي مَدِينَتِهِمْ «ٱلسُّمْعِيَّةِ» حَتَّى ٱفْتَتَحَهَا، وَقَدْ كَانَ «ٱلْحُسَيْنُ». نَازَلَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا، وَأَعْجَلَهُ ٱلسُّلْطَانُ عَنْهَا، فَقَالَ الشَّاعِرُ، يَمْدَحُ «أَبَا إِسْحَاقَ»:

يَا غُرَّةَ ٱلْجَيْشِ إِذَا تَرَاءَى، وَفَاضِحَ ٱلصُّبْحِ إِذَا أَضَاءَ.
وَخَيْرَ مَنْ نَعْلَمُهُ وَفَاءً، شَفَيْتَ عَنِّي بِضِيَاكَ دَاءً
قَدْ أَعْجَزَ ٱلْأَجْدَادَ وَٱلآبَاءَ!»

(٣) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «كَانَ «أَبُو ٱلْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ حَمْدَانَ»، شَيْخَ بَنِي حَمْدَانَ، وَصَاحِبَ ٱلْقَلْبِ فِي كُلِّ وَقْعَةٍ، لِعُلُوِّ شَأْنِهِ؛ فَسُمِّيَ «ٱلْحَرُونَ» لِذَلِكَ؛ وَفِي دَاوُدَ «ٱلْمُزَرْفَنِ»، وَفِيهِ يَقُولُ ٱلشَّاعِرُ:

قَسَمَ ٱلْمَكَارِمَ رَبُّهَا بَيْنَ «ٱلْمُزَرْفَنِ»، وَ «ٱلْحَرُونِ»
قَرْمَيْ «مَعَدٍّ» كِلَيْهِمَا، وَأَخُوهُمَا لَيْثُ ٱلْعَرِينِ
إِنِّي عَلِقْتُ بِحَبْلِكُمْ، فَعَلِقْتُ بِٱلْحَبْلِ ٱلْمَتِينِ
وَوَجَدْتُ مَا أَحْبَبْتُ، مِنْ فَضْلٍ، وَمِنْ شَرَفٍ، وَدِينِ»

١٠٧ ـ أُولَئِكَ أَعْمَامِي، وَوَالِدِيَ ٱلَّذِي حَمَى جَنَبَاتِ ٱلْمُلْكِ، وَٱلْمُلْكُ شَاغِرُ[١]
١٠٨ ـ بِحَيْثُ نِسَاءُ ٱلْغَادِرِينَ طَوَالِقٌ، وَحَيْثُ إِمَاءُ ٱلنَّاكِثِينَ حَرَائِرُ
١٠٩ ـ لَهُ «بِسُلَيْمٍ» وَقْعَةٌ جَاهِلِيَّةٌ تُقِرُّ بِهَا «فَيْدٌ» وَتَشْهَدُ «حَاجِرُ»[٢]
١١٠ ـ وَأَذْكَتْ مَذَاكِيهِ «بِسَرْحٍ» وَأَرْضِهَا مِنَ ٱلضَّرْبِ نَاراً، جَمْرُهَا مُتَطَايِرُ[٣]

---

(١) قَالَ ٱبْنُ خالَوَيْهِ: «كَانَ «أَبو ٱلْعَلاءِ سَعِيدُ بْنُ حَمْدَانَ»، مُلازِماً حَضْرَةَ «ٱلْمُقْتَدِرِ» مَكِيناً عِنْدَهُ، وَكَانَ أَكْثَر مَوَاقِفِه بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَلَى بَابِهِ. وَلَمَّا عَظُمَ أَمْرُ ٱلرِّجَالِ، وَسَارُوا إِلَى بَابِ «ٱلْمُقْتَدِرِ» فِي أَرْبَعِينَ أَلفاً، فَهزَمُوا «ٱبْنَ يَاقُوتَ» ٱلْحَاجِبَ، وَ «ٱلْحُجَرِيَّةُ»، وَ «ٱلسَّاجِيَّةُ» مَعَهُ؛ وَكَانَ «أَبو ٱلْعَلاءِ» فِي دارِ ٱلْخَلِيفَةِ، عَلَى غَيْرِ أُهْبَةٍ، فَأَمَرَهُ بِٱلْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ؛ وَدَفَعَ إِلَيْهِ جُيُوشَ «ٱلْمُعْتَضِدِ» وَخَرَجَ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ غِلْمَانِهِ، وَضَرَبَ فِيهِمْ، فَغَشُوهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؛ وَأَثْخَنُوهُ بِٱلْجِرَاحِ، وَثَبَتَ حَتَّى هَزَمَهُمْ، فَقَالَ «هَارُونُ ٱلْكِنَانِيُّ»، فِي قَصِيدَةٍ، شِعْراً:

يُبْرِزُونَ ٱلْوُجُوهَ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ، وَٱلْمَوْتُ، مِنْهُمُ يَسْتَظِلُّ
كُرَمَاءُ، إِذَا ٱلظُّبَى غَشِيَتْهُمْ مَنَعَتْهُمْ أَحْسَابُهُمْ أَنْ يُوَلُّوا

وَكَانَتْ لَهُ وَقْعَةٌ بِٱلْجُنْدِ وَٱلْقُوَّادِ فِي دَارِ «ٱبْنِ مُقْلَةَ» ٱلْوَزِيرِ؛ وَكَانَ وَلَّاهُ ٱلْخَلِيفَةُ بَعْدَهَا مِنْ «دِجْلَةَ» إِلَى «سَلَمْيَةَ»، وَمَعَ ذَلِكَ، طَرِيقَ «خُرَاسَانَ».

(٢) قَالَ ٱبْنُ خالَوَيْهِ: «عَارَضَتْ «بَنُو سُلَيْمٍ» ٱلْحَاجَّ، وَكَانَ «أَبو ٱلْعَلاءِ سَعِيدُ بْنُ حَمْدَانَ» حَاجّاً مُتَطَوِّعاً؛ فَأَوْقَعَ فِيهِمْ، وَقَتَلَهُمْ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ «نَصْرٌ أَبو ٱلسَّرَايَا»، وَكَانَ هُوَ وَ «أَبو ٱلْعَلاءِ»، شَاعِرَيْ بَنِي حَمْدَانَ:

جَاءَنِي ٱلْمُخْبِرُ، ٱلْخَبِيرُ بِأَنْ قَدْ زَارَتْ نَحْوَكَ ٱلْأُسُودُ زَئِيرَا
وَأَحَاطَتْ غَارَةٌ عَلَيْكَ «سُلَيْمٌ» فَثَنَيْتَ ٱلْعِنَانَ فِيهِم مُغِيرَا
لَمْ تَزَلْ بِٱلْحُسَامِ تَبْرِي لُحُوماً وَبِحَدِّ ٱلسِّنَانِ تَفْرِي نُحُورَا
فَبِوُدِّي أَنِّي، حَضَرْتُ، فَأَغْنَيْتُكَ عَنْ أَنْ تَرَى لِغَيْرِي حُضُورَا
كُنْتُ بِٱلصَّارِمِ ٱلْحُسَامِ أُوَقِّيكَ وَمَا كُنْتُ أَحْذَرُ ٱلْمَحْذُورَا»

(٣) قَالَ ٱبْنُ خالَوَيْهِ: «أَوْقَعَ «أَبو ٱلْعَلاءِ» «بِبَنِي عُقَيْلٍ» بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «سَرْحٌ» مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْعَالِيَةِ مِنْ وَرَاءِ «نَجْدٍ»، وَقَتَلَ وَأَسَرَ فُرْسَانَهُمْ؛ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ؛ فَأَنْشَأَ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ:

نُبِّئْتُهَا تَسْأَلُ عَنْ مَوْقِفِي بِأَرْضِ «سَرْحٍ»، وَٱلْقَنَا شُرَّعُ
وَعَنْ «عُقَيْلٍ» إِذْ صَبَحْنَاهُمُ، وَقَدْ تَلَاقَى ٱلْحَشْدُ وَٱلدُّرَّعُ
وَقَدْ أَتَانَا مِنْهُمُ فَيْلَقٌ حَمَاهُ حامٍ مَا لَهُ مَدْفَعُ
حَتَّى إِذَا مَا كَشَّرَتْ نَابَهَا وَعِيفَ كَأْسُ ٱلْمَوْتِ لَا يَكْرَعُ
وَفُلِّقَتْ هَامُ أُسُودِ ٱلْوَغَى وَقُطِّعَ ٱلْأَسْوُقُ وَٱلْأَذْرُعُ =

١١١ ـشَفَتْ مِنْ «عُقَيْلٍ» أَنْفُساً شَتَّهَا ٱلسُّرَى فَهَــوَّمَ عَجْـلَانٌ، وَنَـوَّمَ سَـاهِـرُ[(١)]
١١٢ ـوَأَوَّلُ مَنْ شَـدَّ: ٱلْمَجِيـدُ بِعَيْنِـهِ، وَأَوَّلُ مَنْ قَـدَّ: ٱلْكَمِيُّ ٱلْمُظَاهِـرُ[(٢)]
١١٣ ـغَزَا ٱلرُّومَ لَمْ يَقْصِدْ جَوَانِبَ غِرَّةٍ، وَلَا سَبَقَتْهُ بِـٱلْمُـرَادِ ٱلنَّـذَائِـرُ[(٣)]
١١٤ ـفَلَمْ تَـرَ إِلَّا فَـالِقـاً هَـامَ فَيْلَقٍ، وَبَحْـراً لَهُ تَحْتَ ٱلْعَجَاجَةِ مَاخِرُ![(٤)]
١١٥ ـوَمُسْتَـرْدَفَـاتٍ مِنْ نِسَـاءٍ وَصِبْيَـةٍ، تَثَنَّى عَلَى أَكْتَـافِهِنَّ ٱلضَّفَـائِـرُ!
١١٦ ـبُنَيَّـاتُ أَمْـلَاكٍ أُتِيـنَ، فُجَـاءَةً، قُهِـرْنَ، وَفِي أَعْنَاقِهِنَّ ٱلْجَـوَاهِـرُ![(٥)]
١١٧ ـفَإِنْ تَمْضِ أَشْيَاخِي، فَلَمْ يَمْضِ مَجْدُهَا، وَلَا دَثَـرَتْ تِلْكَ ٱلْعُلَى، وَٱلْمَـآثِـرُ[(٦)]
١١٨ ـ نَشِيـدُ كَمَا شَـادُوا، وَنَبْنِي كَمَا بَنَـوْا، لَنَـا شَـرَفٌ مَـاضٍ، وَآخَـرُ حَـاضِـرُ
١١٩ ـفَفِينَـا لِـدِينِ ٱللَّهِ عِـزٌّ وَمَنْعَـةٌ، وَفِينَا لِدِينِ ٱللَّهِ «سَيْفٌ» وَ «نَـاصِرُ»[(٧)]
١٢٠ ـهُمَـا، وَأَمِيـرُ ٱلْمُـؤْمِنِينَ، مُشَـرَّدٌ، أَجَـارَاهُ، لَمَّا لَمْ يَجِـدْ مَنْ يُجَـاوِرُ[(٨)]

= تُحْيِي نُفُـوسـاً بَيْـنَ سُـمْـرِ ٱلْـقَـنـا وسـي كَـكَـرِّ الـطَّرْفِ أَوْ أَسْـرَعُ
شَـدَدْتُ فِـيـهِـمْ شَـدَّ ذِي صَـوْلَـةٍ، قَـدْ جَـرَّبَـتْـهُ ٱلْـحَـرْبُ، لَا يُـخْـدَعُ
لَا تَـزْجُـرَنِّـي عَـنْ طِـلَابِ ٱلْـعُـلَى! فَـمَـا يَـنَـالُ ٱلْـعِـزَّ مَـنْ يَـضْـرَعُ
أَنَـا «سَـعِـيـدٌ» وَأَبِـي «أَحْـمَـدٌ»! بِـٱلـسَّـيْـفِ ضُـرِّي وَبِـهِ أَنْـفَـعُ»

(١) عقيل: قبيلة عربيَّة أوقع بها سعيد بن حمدان. التهويم: هزّ الرأس من النعاس.

(٢) الكميّ: اللابس السلاح.

(٣) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «غَزَا «أَبُو ٱلْعَلَاءِ» فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ ٱلـرُّومِ جِدّاً؛ وَسَبَى؛ وَمَآثِرُ «أَبِي ٱلْعَلَاءِ» أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُوصَفَ؛ وَهُوَ ٱلَّذِي ضَمِنَ عَلَى «بَنِي ٱلْيَزِيدِ» سِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِٱلْهَرَبِ، فَهَرَبُوا وَدَرَأَ عَنْهُم ٱلسُّلْطَانَ فَصَفَحَ عَنْهُمْ».

(٤) الفيلق: الجيش. العجاجة: الجمال الكثيرة.

(٥) في البيت إشارة إلى الأسيرات الثّريات.

(٦) يريد بأشياخه جدودَه وآباءَه. دثرت: انمحتْ.

(٧) أي سيف الدولة.

(٨) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: قَدْ ذَكَرْتُ مِنَ ٱلْأَخْبَارِ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو فِرَاسٍ فِي شِعْرِهِ مَا حَدَّثَنِي بِهِ ٱلثِّقَاتُ، مِمَّنْ شَاهَدَ تِلْكَ ٱلْأَحْوَالَ؛ وَإِنْ كَانَتْ مَآثِرُ «أَبِي ٱلْعَبَّاسِ حَمْدَانَ»، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِيهِ، لَا تَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ؛ وَأَنَا ٱلْآنَ أَذْكُرُ بِمُشَاهَدَتِي، وَمُشَاهَدَةِ أَهْلِ هَذَا ٱلْعَصْرِ، ذِكْرَ «أَبِي فِرَاسٍ»، «لِسَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»، وَ «نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ، وَمَا فَعَلَاهُ، عِنْدَ ٱسْتِجَارَةِ «ٱلْمُتَّقِي» بِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّ «ٱلْبَرِيدِيينَ» لَمَّـا هَزَمُـوا «مُحَمَّدَ بْنَ رَائِقٍ»، وَفَتَحُوا «بَغْدَادَ»، وَنَهَبُوا دَارَ ٱلْخِلَافَةِ؛ خَرَجَ «ٱلْمُتَّقِي»، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ» وَٱلْوَزِيرُ «ٱبْنُ مُقْلَةَ» =

١٢١ ـوَرَدَّاهُ، حَـتَّـى مَـلَّكَـاهُ سَـرِيـرَهُ، بِعِشْـرِينَ أَلْفاً، بَيْنَهَا ٱلْمَوْتُ سَافِـرُ
١٢٢ ـوَسَــاسَـا أُمُــورَ ٱلْمُسْلِمِينَ سِيَـاسَــةً لَهَا ٱللَّهُ، وَٱلإِسْلَامُ، وَٱلدِّينُ، شَاكِـرُ
١٢٣ ـوَلَمَّا طَغَىٰ عِجْلُ ٱلْعِـرَاقِ «ٱبْنُ رَائِقٍ» شَفَى مِنْـهُ لَا طَـاغٍ ، وَلَا مُتَكَـاثِـرُ[١]
١٢٤ ـإِذِ ٱلْعُـرْبُ ٱلْعَـرْبَـاءُ تَنْسَى عَمَـارَةً وَمِنَّـا لَـهُ طَـاوٍ عَلَى ٱلثَّـأْرِ، ذَاكِـرُ
١٢٥ ـأَذَاقَ «ٱلْعَـلَاءَ ٱلتَّغْلِبِيَّ» وَرَهْـطَهُ عَـوَاقِبَ مَا جَـرَّتْ عَلَيْـهِ ٱلْجَـرَائِـرُ[٢]
١٢٦ ـوَأَوْطَـأَ حِصْنَيْ «وَرْتَنِيسَ» خُيُـولَـهُ وَقَبْلَهُمَـا، لَمْ يَقْرَعِ ٱلنَّجْمَ حَـافِـرُ[٣]

= هَارِبِينَ، فَتلَقَّاهُمْ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» بِٱلتَّكْرِيمِ ؛ وَحَمَلَ إِلَى جَمِيعِهِمْ مَا عَمَّهُمْ مِنَ ٱلأَمْوَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَسَارَ بِهِمْ إِلَى أَخِيهِ «نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ»، فَأَجَارَاهُ وَأَقَامَا بِنَصْرِهِ. وَقَدْ كَانَ يُرْوَى فِي خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ: «كَأَنِّي «بِبَنِي ٱلْعَبَّاسِ»، عَلَى ظُهُورِ ٱلأَفْرَاسِ ؛ يَسْتَنْجِدُونَ ٱلْعَرَبَ، وَسَائِرَ ٱلنَّاسِ ؛ وَقَدْ غَلَبَهُمْ عَبِيدُ بَنِي أَغْنَامٍ ، غُضُوبُهُمُ ٱلْكِرَامُ، فَلَمْ يُجِرْهُمْ إِلَّا هُمْ». فَكَانَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ يَقُولُ: صَدَقَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ ٱجْتَهَدْتُ فِي «ٱلْمُتَّقِي» وَٱبْنُهُ لِيَرْكَبَا ٱلْعَامِرِيَّاتِ وَالشَّهَارِيَّ فَأَبَيَا إِلَّا ظُهُورَ دَوَابِّهِمَا؛ ثُمَّ سَارَ بِهِمْ إِلَى ٱلْمَوْصِلِ ؛ فَقَامَ «نَاصِرُ ٱلدَّوْلَةِ» بِنُصْرَتِهِ؛ فَسَمَّاهُ: «نَاصِرَ ٱلدَّوْلَةِ». قَالَ ٱلشَّاعِر:

مَنْ كَـانَ شَـرَّفَـهُ، فِيمَـا مَضَـى، لَقَبٌ «فَنَـاصِـرُ ٱلـدِّينِ» مِمَّنْ شَـرَّفَ ٱلـلَّقَبَـا
دَعَـوْكَ: «نَـاصِـرَهُـمْ» لَمَّـا نَـصَـرْتَـهُـمُ فَـأَعْجَزَ ٱلْعُجْمَ مَـا حَـاوَلْتَ، وَٱلْعَـرَبَـا

وَسَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ؛ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَزَمَ «ٱلْبَرِيدِيِّينَ» وَفَتَحَ بَغْدَادَ؛ فَسَمَّاهُ «سَيْفَ ٱلدَّوْلَـةِ»؛ فَلَمَّا غَـدَرَتِ ٱلأَتْرَاكُ بِٱلأَمِيرَيْنِ، وَصَعَدَا إِلَى دِيَارِهِمَا، كَاتَبَهُمَا ٱلْخَلِيفَةُ بِٱلرُّجُوعِ فَأَبَيَا؛ فَقَالَ «ٱلْخُلَيْعِي» يَمْدَحُ «نَاصِرَ ٱلدَّوْلَةِ»:

بِـٱلـلَّهِ، رَبِّـكَ، دَعْ بَـغْـدَادَهُـمْ لَـهُـمُ وَٱحْفَظْ بِـلَادَكَ، وَٱحْمِ ٱلـدِّيـنَ وَٱلثَّـغْـرَا
فَـمَـا ٱفْـتَـقَـرْتُ إِلَـى أَمْـرٍ تُـدَبِّـرُهُ حَتَّـى يَكُـونَ إِلَيْـكَ ٱلأَمْـرُ مُـفْـتَـقِـرَا

فَهَذَا مَفْخَرٌ يَزِيدُ عَلَى ٱلْمَفَاخِرِ وَلَا يُعْرَفُ مِثْلُهُ لِعَرَبِيٍّ وَلَا أَعْجَمِيٍّ.

(١) قَالَ ابن خالويه: «لَمَّا حَصَلَ «ٱبْنُ رَائِقٍ» بِٱلْمَوْصِلِ ؛ دَبَّرَ عَلَى «نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ»، لِيَقْتُلَهُ فَسَبَقَهُ «نَاصِرُ ٱلدَّوْلَةِ» بِٱلْفَتْكَةِ، فَضَرَبَهُ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ بْنُ أَبِي ٱلْعَلَاءِ»؛ ضَرْبَةً خَرَّ مِنْهَا مَيْتاً. وَقَدْ كَانَ «ٱبْنُ رَائِقٍ» قَتَلَ «عَمَارَةَ ٱلْعُقَيْلِيَّ»، وَجَمَاعَةً مِنْ «بَنِي نُمَيْرٍ».

(٢) قال ابن خالويه: . . . «أَبُو ٱلْعَلَاءِ بْنُ عَمْرٍو»، وَهُوَ «أَبُو ثَابِتٍ ٱلْحُسَيْنِيُّ»، وَكَانَ أَهْلُ بَيْتِهِ أَعْدَاءً لِأَهْلِ هَذَا ٱلْبَيْتِ؛ فَظَاهَر «مَا كِرْدَ ٱلدَّيْلَمِيَّ» «بِنَصِيبِينَ»، فَجَمَعَ عَشِيرَتَه، فَسَارَ إِلَيْهِـم ٱلأَمِيرَانِ، وَ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ»، فَأَوْقَعَا بِهِمْ وَقُتِلَ «أَبُو ٱلْعَلَاءِ»، وَهَرَبَ «مَاكِرْدُ».

(٣) قال ابن خالويه: «كَانَتِ ٱلأَتْرَاكُ ٱلْبَجْكَمِيَّةُ، مَعَ «نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ» فَغَزَا نَاصِرُ ٱلدَّوْلَةِ مِنْ نَوَاحِي «سُمَيْسَاطَ»؛ حَتَّى نَزَلَ حِصْنَيْ «وَرْتَنِيسَ» فَٱفْتَتَحَهُمَا، فَكَبَسُوهُ بِٱللَّيْلِ ، فَعَبَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَكَانُوا أَلْفَيْ فَارِسٍ ، فَٱجْتَمَعَتِ ٱلْعَجَمُ مَعَ ٱلأَتْرَاكِ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ وَأَخَذَ رَئِيسَهُمْ «تَكِينَ ٱلشِّيرَازِيَّ» فَسَمَلَهُ».

١٢٧ ـفَـآبَ بِـأَسْـرَاهَـا تُغَنِّي كُبُـولُـهَـا ... وَتِلْكَ غَـوَانٍ مَـا لَهُنَّ مَـزَاهِـرُ(١)
١٢٨ ـوَأَطْلَقَهَـا فَـوْضَى عَلَى مَـرْجِ «قِلِّزٍ» ... حَـوَادِرَ فِي أَشْبَـاحِهِنَّ ٱلْمَحَـاذِرُ
١٢٩ ـوَصَبَّ عَلَى ٱلأَتْـرَاكِ نِقْمَـةَ مُنْعِمٍ ... رَمَـاهُ بِـكُفْـرَانِ ٱلصَّنِيعَـةِ غَـادِرُ
١٣٠ ـوَإِنَّ مَعَـالِيـهِ لَـكُثْـرٌ غَـوَالِبٌ ... وَإِنَّ أَيَـادِيـهِ لَـغُـرٌّ غَـرَائِـرُ
١٣١ ـوَلَكِنَّ قَـوْلِي لَيْسَ يَفْضُـلُ عَنْ فَتًى ... عَلَى كُلِّ قَـوْلٍ مِنْ مَعَـالِيهِ خَاطِرُ
١٣٢ ـأَلَا قُلْ «لِسَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْقَرْمِ: «إِنَّنِي ... عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرِ وَصْفِكَ، قَادِرُ
١٣٣ ـفَـلَا تُـلْزِمَنِّي خُـطَّةً لَا أُطِيـقُـهَـا ... فَمَجْـدُكَ غَـلَّابٌ، وَفَضْلُكَ بَـاهِـرُ
١٣٤ ـوَلَـوْ لَمْ يَكُنْ فَخْرِي وَفَخْـرُكَ وَاحِـداً ... لَمَـا سَـارَ عَنِّي بِـٱلْمَـدَائِحِ سَـائِـرُ»
١٣٥ ـوَلَكِنَّنِي لَا أُعْضِـلُ ٱلْقَـوْلَ عَنْ فَتًى ... أُسَـاهِمُ فِي عَـلْيَـائِـهِ، وَأُشَـاطِـرُ
١٣٦ ـوَعَنْ ذِكْـرِ أَيَّـامٍ مَضَتْ، وَمَـوَاقِفٍ ... مَكَـانِيَ فِيهَـا بَيْنَ ٱلْفَضْـلِ ظَـاهِـرُ
١٣٧ ـمَسَـاعٍ يَضِـلُّ ٱلْقَـوْلُ فِيهِنَّ جُهْـدَهُ ... وَتَهْلِكُ فِي أَوْصَـافِهِنَّ ٱلْخَـوَاطِـرُ
١٣٨ ـبَنَاهُنَّ بَـانِي ٱلثَّغْـرِ، وَٱلثَّغْـرُ دَارِسٌ، ... وَعَـامِـرُ دِينِ ٱللَّهِ، وَٱلـدِّينُ دَاثِـرُ

---

(١) المزاهر: الدفوف. الكبول: القيود.

قَالَ ٱبْنُ خالَوَيْه: «نَدَبَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ أَبَا فِرَاسٍ سَنَة ٣٤٠، لِبِناء «رَعْبَانَ»، وَقَدْ خَرَّبَتْهَا ٱلزَّلَازِلُ، فَبَنَاهَا فِي سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ يَوْماً؛ وَوَافَاهُ «قُسْطَنْطِينُ بْنُ ٱلدُّمُسْتُقِ»، لِيُزِيلَهُ عَنْهَا؛ فَرَدَّهُ بِغَيْظِهِ. فَقَالَ ٱلشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ:

أَرْضَيْـتَ رَبَّـكَ وَٱبْـنَ عَـمِّـكَ وَٱلْـقَـنَـا ... وَبَـذَلْـتَ نَفْـسـاً لَمْ تَـزَلْ بَـذَّالَـهَـا
وَبَـنَيْـتَ مَجْـداً، فِـي ذُؤَابَـةِ «وَائِـلٍ» ... لَـوْ طَـاوَلَـتْـهُ بَـنَـاتُ نَـعْشٍ طَـالَـهَـا
رَدَّ ٱلْـجُـيُـوشَ، وَقَـدْ أَتَـتْـكَ ذَلِـيـلَةً، ... طَـعْـنٌ يُـنَـكِّـبُ بَـيْـنَـهَـا أَبْـطَالَـهَـا
وَتَـرَكْـتَ «رَعْـبَـانـاً» بِـمَـا أَوْلَـيْـتَـهَـا ... تُـثْـنِي عَـلَـيْـكَ سُـهُـولَـهَـا وَجِـبَـالَـهَـا

وَكَانَ أَبُو فِرَاسٍ أَنْكَرَ عَلَى «أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلتَّنُوخِي»، تَأَخُّرَهُ عَنِ ٱلْمَسِيرِ وَكَانَ جَبَاناً؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَصِيدةً مَطْلَعُهَا:

أَيَـا بَـدْرَ ٱلـسَّـمَـاءِ بِـلَا مِـحَـاقٍ، ... وَيَـا بَـحْـرَ ٱلسَّمَـاحِ بِـغَيْـرِ شَـاطِـي!
أَتَـتْـرُكُ أَنْ تَـبِـيـتَ قَـرِيـرَ عَـيْـنٍ ... لَقًى بَـيْـنَ ٱلـدَّسَـاكِـرِ وَٱلْـبَـوَاطِـي؟!
وَأَخْـرُجَ نَـحْـوَ «رَعْـبَـانَ» كَـأَنِّـي، ... بِـشَـوْقٍ، قَـدْ دُعِـيـتُ إِلَـى سِـمَـاطِ!
أُحَـاذِرُ مِـنْ دَوَاهٍ مُـوبِـدَاتٍ ... هُـنَـالِـكَ أَنْ يَـقَـعْـنَ عَـلَـى نِـيَـاطِـي
وَأَكْـتُـبُ؛ إِنْ كَـتَـبْـتَ إِلَـيْـكَ يَـوْمـاً، ... كَـتَـبْـتُ إِلَـيْـكَ مِـنْ دَارِ ٱلْـبَـلَاطِ =

١٣٩ - وَنَـازَلَ مِنْـهُ «آلـدَّيْلَمِيَّ» «بِـأَرْزَنٍ» لَجُوجٌ إذَا نَاوَى، مَـطُولٌ، مُصَابِـرُ[١]

١٤٠ - وَذَلَّتْ لَـهُ بِـآلسَّيْفِ، بَعْـدَ إِبَائِهَـا، مُلُوكُ بَنِي «آلْجَحَّافِ» ، تِلْكَ آلْمَسَاعِرُ

١٤١ - وَشَقَّ إِلَى ثَغْرِ «آلـدُّمُسْتُقِ» جَيْشَـهُ، بِـأَرْضِ «سُلَامٍ» وَآلْقَنَـا مُتَشَـاجِرُ[٢]

١٤٢ - سَقَى «أَرْسَنَاسـاً» مِثْلَهُ مِنْ دِمَـائِهِمْ، عَشِيَّـةَ غَصَّتْ بِآلْقُلُوبِ آلْحَنَاجِرُ[٣]

١٤٣ - وَبَاتَ يُدِيـرُ آلرَّأْيَ، مِنْ كُـلِّ وِجْهَةٍ، وَذُو آلْحَـزْمِ نَاهِيـهِ، وَذُو آلْعَزْمِ آمِـرُ

١٤٤ - وَأَوْرَدَهَـا أَعْـلَى «قَلُونِيَّـةَ» آمْـرُؤٌ، بَعِيدُ مُغَارِ آلْجَيْشِ ، أَلْوَى، مُخَاطِرُ[٤]

١٤٥ - وَسَاقَ «نُمَيْراً» أَعْنَفَ آلسَّوْقِ بِآلْقَنَـا، فَلَمْ يُمْسِ شَامِيٌّ وَلَمْ يُضْحِ جَازِرُ[٥]

١٤٦ - وَنَـاهَضَ أَهْلَ «آلشَّامِ» مِنْهُ مُشَيَّـعٌ، يُسَـايِـرُهُ آلإِقْبَـالُ فِـيمَنْ يُسَـايِـرُ

١٤٧ - لَـهُ وَعَلَيْـهِ وَقْعَـةٌ، بَعْـدَ وَقْعَـةٍ، وَلُـودٌ بِـأَطْـرَافِ آلأَسِنَّـةِ عَـاقِـرُ

١٤٨ - فَـلَا هُـوَ فِيمَـا سَـرَّهُ مُتَـطَاوِلٌ، وَلَا هُـوَ فِيمَـا سَـاءَهُ مُتَـقَـاصِـرُ

١٤٩ - فَلَمَّـا رَأَى «آلإِخْشِيـدُ» مَـا قَـدْ أَظَلَّهُ تَـلَافَـاهُ يَثْنِي غَـرْبَـهُ، وَيُكَـاشِرُ[٦]

= وَبَقِيَ فِي «مَرْعَشَ»، وَسَارَ إِلَيْهِ «آلدُّمُسْتُقُ»؛ فَهَـزَمَهُ سَيْفُ آلـدَّوْلَةِ؛ وَبَنَى «آلْحَدَثَ» فِي سَنَةِ ٣٤٣؛ وَزَاحَفَ «آلدُّمُسْتُقَ» وَجُمُوعَ آلرُّومِ مَعَهُ، فَهَزَمَهُ وَأَسَرَ صِهْرَهُ وَآبْنَ بِنْتِهِ مَعاً، فَحَبَسَهُمْ.

(١) قال ابن خالويه: «آفْتَتَحَ سَيْفُ آلدَّوْلَةِ «دِيَارَ بَكْرٍ»، سَنَةَ ٣٢٣؛ وَقَلَّدَهَا «أَبَا جَعْفَرٍ آلدَّيْلَمِيَّ» فَعَفَى، وَسَارَ، فَتَحَصَّنَ «بِأَرْزَنَ»، فَنَزَلَ عَلَيْهِ، حَتَّى أَنْزَلَهُ قَهْراً، وَآسْتَبَاحَ بِلَادَهُ».

(٢) قال ابن خالويه: «أَبُو آلْيَقْظَانِ آلأَعْلَى بْنُ مُسْلِمَةَ آلسَّلَمِيّ»؛ نَازَلَهُ سَيْفُ آلدَّوْلَةِ، وَرَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ، حَتَّى فَتَحَهُ، وَهَرَبَ إِلَى بِلَادِ آلرُّومِ ، فَأَمَدَّهُ «بِطْرِيقٌ» فِي عِشْرِينَ أَلْفاً، فَهَزَمَهُمْ، وَعَادَ «آلسَّلَمِيُّ»، فَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ أَصْحَابِ سَيْفِ آلدَّوْلَةِ، وَرَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ، وَرَضِيَ عَنْهُ؛ وَقَصَدَ «أَبَا آلْمُعِزِّ آلسَّلَمِيّ»، وَ «أَبَا سَالِمٍ»، فَأَخَذَ بُلْدَانَهُمْ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِمْ، فَأَقَرَّهُمْ عَلَيْهَا؛ فَصَارُوا مِنْ جُمْلَتِهِ.

قال ابن خالويه: «غَزَا سَيْفُ آلدَّوْلَةِ فِي سَنَةِ ٣٢٦، حَتَّى نَزَلَ «حِصْنَ زِيَادٍ»، فَأَقْبَلَ «آلدُّمُسْتُقُ» فِي ثَمَانِينَ أَلْفاً، حَتَّى أَحَاطَ بِآلْعَسْكَرِ، وفِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «سُلَامٌ» فَأَشَارُوا عَلَى سَيْفِ آلدَّوْلَةِ بِأَخْذِ مَا خَفَّ، فَأَبَى وَنَاجَزَهُمْ، وَهَرَبَ «آلدُّمُسْتُقُ».

(٣) أرسناس: اسم نهر في بلاد الروم عبره سيف الدولة.

(٤) قلونيّة: بلد قرب القسطنطينية وصله سيف الدولة.

(٥) قال ابن خالويه: «أَخَذَتْ «خَيْلُ بَنِي نُمَيْرٍ»، مِنْ نَوَاحِي «نَصِيبِينَ»، خَرُوفاً مِنْ رَاعِي غَنَمٍ ، وَسَيْفُ آلدَّوْلَةِ فِيهَا؛ فَنَهَضَ بِعَسْكَرٍ إِلَيْهِمْ، فَطَرَدَهُمْ إِلَى «آلدَّالِمِيَّةِ».

(٦) قال ابن خالويه: كَانَتْ لِسَيْفِ آلدَّوْلَةِ وَقَائِعُ مَعَ «آلإِخْشِيدِ»، وَكَانَتْ آلْحُرُوبُ بَيْنَهُمَا سِجَالاً، وَلَمَّا تَطَاوَلَتْ =

١٥٠ ـرَأَى ٱلصِّهْرَ، وَٱلرُّسْلَ، ٱلَّذِي هُوَ عَاقِدٌ، يُنَـالُ بِـهِ مَـا لَا تَنَـالُ ٱلْعَسَـاكِـرُ
١٥١ ـوَأَوْقَـعَ فِي «جُلْبَـاطَ» بِـٱلـرُّومِ وَقْعَـةً بِهَا «ٱلْعَمْقُ» و «ٱللكامُ» «وَٱلْبُرْجُ» فَاخِرُ[1]
١٥٢ ـوَأَوْرَدَهَـا بَـطْنَ «ٱلـلُّقَـانِ» وَظَهْـرَهُ يَـطَأْنَ بِـهِ ٱلْقَتْلَى، خِفَـافٌ حَـوَادِرُ[2]
١٥٣ ـأَخَـذْنَ بِأَنْفَـاسِ «ٱلـدُّمُسْتُقِ» وَٱبْنِـهِ، وَعَبَّـرْنَ بِـٱلتِّيجَـانِ مَنْ هُـوَ عَـابِـرُ!
١٥٤ ـوَجُبْنَ بِـلَادَ «ٱلـرُّومِ» سِتِّينَ لَيْـلَةً، تُغَـاوِرُ مَلْكَ ٱلـرُّومِ، فِيمَنْ تُغَـاوِرُ
١٥٥ ـتَخِـرُّ لَنَا تِلْكَ ٱلْمَعَـاقِلُ سُجَّـداً، وَتَـرْمِي لَنَـا بِـٱلأَهْـلِ تِلْكَ ٱلْمَـطَامِـرُ
١٥٦ ـوَمَـا زَالَ مِنَّا جَـارَ «خَـرْشَنَـة» ٱمْرُؤٌ، يُـرَاوِحُهَـا فِي غَـارَةٍ، وَيُبَـاكِـرُ[3]
١٥٧ ـوَلَمَّـا وَرَدْنَا «ٱلـدَّرْبَ» وَٱلـرُّومُ فَـوْقَـهُ وَقَدَّرَ «قُسْطَنْطِينُ» أَنْ لَيْسَ صَادِرُ،[4]

= ٱلْحُرُوبُ، رَاسَلَهُ «ٱلإِخْشِيدُ» بِٱلصُّلْحِ؛ فَأَجَابَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ؛ وَتَزَوَّجَ ٱبْنَةَ «ٱلإِخْشِيدِ» وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا».

(١) جلباط: ناحية بجبل اللكام بين أنطاكية ومرعش.

(٢) قال ابن خالويه: «قَالَ أَبُو فِرَاس «غَزَوْنَا مَعَ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ، وَفَتَحْنَا «حِصْنَ ٱلْعُيُونِ» فِي سَنَةِ ٣٣٩، وَسِنِّي إِذْ ذَاكَ تِسْعَ عَشْـرَةَ سَنَة، وَأَوْغَلْنَا فِي بِلَادِ ٱلرُّومِ، وَفَتَحْنَا «حِصْنَ ٱلصَّفْصَافِ»، فَقَالَ ٱبْنُ عَمِّي «أَبُو زُهَيْرٍ مُهَلْهَلُ بْنُ نَصْرٍ» فِي هَذِهِ ٱلْغَزَاةِ؛ وَفِيهَا ٱسْتُشْهِدَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

لَـقَـدْ سَـنَـحَـتْ عُـيُـونُ ٱلـرُّومِ لَـمَّـا فَـتَـحْـنَـا عَـنْـوَةً «حِـصْـنَ ٱلْـعُـيُـونِ»
وَ «بِـٱلـصَّـفْـصَـافِ»، جَـرَّعْـنَـا عُـلُوجـاً شِـدَاداً، مِـنْـهُـمُ، كَـأْسَ ٱلْـمَـنُـونِ
وَدَوَّخْـنَـا بِـلَادَهُـمُ بِـجُـرْدٍ سَـوَاهِـمَ، شُـزَّبٍ، قُـبِّ ٱلْـبُـطُونِ
عَـلَيْـهَـا مِـنْ «رَبِيعَـةَ» كُـلُّ قَـرْمٍ فَقِيـدِ ٱلْمِثْـلِ، مُنْـقَـطِعِ ٱلْـقَـرِيـنِ

وَأَحْرَقْتْ فِي هَذِهِ ٱلْغَزَاةِ مَدِينَتَا: «خَرْشَنَةَ» وَ «صَارِخَةَ»؛ وَهُزِمَ «ٱلدُّمُسْتُقُ» وَأُخِذَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ».

(٣) قال ابن خالويه: «قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ: قَالَ «أَبُو فِرَاسٍ»: غَزَا عَمِّي «ٱلْحُسَيْنُ» قَبْلَ سَنَةِ ثَلَاثِمائَةٍ، فَأَحْرَقَ مَدِينَتَيْ «خَرْشَنَةَ» وَ «صَارِخَةَ». وَغَزَاهُمَا ٱلأَمِيرُ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ وَحْدَهُ دَفْعَةً أُخْرَى فَأَحْرَقَهُمَا».

(٤) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «قَالَ أَبُو فِرَاسٍ: «كُلُّ مَوْقِفٍ لِسَيْفِ ٱلدَّوْلَـةِ شَرِيفٌ؛ وَهَـذِهِ ٱلْحَالَـةُ ٱلَّتِي أَشْرَحُهَـا كَٱلْمُعْجِزَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّا سِرْنَا إِلَى «دِيَارِ مُضَر»، لِأَنَّ قَبَائِلَ «كَعْبٍ» شَمَخَتْ وَٱسْتَفْحَلَ أَمْرُهَا؛ فَلَمَّا عَبَرْنَا «ٱلْفُرَاتَ» هَرَبُوا وَأَمَرَنِي بِٱللحَاقِ بِهِمْ، وَرَدِّهِمْ إِلَى ٱلطَّاعَةِ؛ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، وَأَخَذْتُ رِهَانَهُمْ. فَكَتَبَ إِلَيَّ «أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْفَيَّاضُ» ٱلْكَاتِبُ بِحَضْرَةِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ شِعْراً: فَقَالَ:

أَصْـلَحْـتَ أَمْـرَ «عُـقَـيْـلٍ» وَسُـسْـتَ أَمْـرَ «قُـشَـيْـرِ»
وَكُـنْـتَ أَيْـمَـنَ خُـلْفٍ عَـلَى خِـلَالِ «نُـمَـيْـرِ»
فَـلَا تَـزَالُ «نِـزَارٌ» مَـا دُمْـتَ فِـيـهَـا، بِـخَـيْـرِ

وَسِرْنَا فَفَتَحْنَا بِلَادَ ٱلرُّومِ؛ وَقَدَّمَنِي، فَفَتَحْتُ حِصْنَ «عَرْقَةَ»، وَعُدْنَا إِلَى دَرْبِ «مَوْزَارَ» فَوَجَدْنَا عَلَيْهِ =

١٥٨ ـضَرَبْنَا بِهَا عُرْضَ «ٱلْفُرَاتِ»، كَأَنَّمَا تَسِيرُ بِنَا تَحْتَ ٱلسُّرُوجِ جَزَائِرُ،
١٥٩ ـإِلَى أَنْ وَرَدْنَا «أَرْقِنِينَ» نَسُوقُهَا، وَقَدْ نَكَلَتْ أَعْقَابُهَا وَٱلْمَخَاصِرُ[1]
١٦٠ ـوَمَالَ بِهَا ذَاتَ ٱلْيَمِينِ «بِمَرْعَشٍ» مَجَاهِيدُ يَتْلُو ٱلصَّابِرَ ٱلْمُتَصَابِرُ[2]
١٦١ ـفَلَمَّا رَأَتْ جَيْشَ «ٱلدُّمُسْتُقِ»، رَاجَعَتْ عَزَائِمَهَا، وَٱسْتَنْهَضَتْهَا ٱلْبَصَائِرُ[3]
١٦٢ ـوَمَا زِلْنَ يَحْمِلْنَ ٱلنُّفُوسَ عَلَى ٱلْوَجَى إِلَى أَنْ خُضِبْنَ، بِٱلدِّمَاءِ، ٱلْأَشَاعِرُ[4]
١٦٣ ـوَأُبْنَ «بِقُسْطَنْطِينَ»، وَهْوَ مُكَبَّلٌ، تَحُفُّ بَطَارِيقٌ بِهِ، وَزَرَاوِرُ[5]
١٦٤ ـوَوَلَّى عَلَى ٱلرَّسْمِ «ٱلدُّمُسْتُقُ»، هَارِباً، وَفِي وَجْهِهِ عُذْرٌ مِنَ ٱلسَّيْفِ عَاذِرُ
١٦٥ ـفَدَى نَفْسَهُ بِٱبْنٍ عَلَيْهِ كَنَفْسِهِ؛ وَلِلشِّدَّةِ ٱلصَّمَّاءِ تُقْنَى ٱلذَّخَائِرُ!
١٦٦ ـوَقَدْ يُقْطَعُ ٱلْعُضْوُ ٱلنَّفِيسُ لِغَيْرِهِ؛ وَتُدْفَعُ بِٱلْأَمْرِ ٱلْكَبِيرِ ٱلْكَبَائِرُ!
١٦٧ ـوَحَسْبِي بِهَا يَوْمَ «ٱلْأُحَيْدِبِ» وَقْعَةً! عَلَى مِثْلِهَا فِي ٱلْعِزِّ تُثْنَى ٱلْخَنَاصِرُ![6]

= «قُسْطَنْطِينَ بْنَ ٱلدُّمُسْتُقِ» فِي ٱلْجُمُوعِ فَلَمْ يُمْكِنِ ٱلْخُرُوجُ مِنْهُ؛ فَعُدْنَا إِلَى بِلَادِ ٱلرُّومِ؛ وَكَمَنَ لَهُمْ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ، فِي مَوْضِعٍ آخَرَ؛ فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً. قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

طَلَعَتْ لَهُمْ، فَوْقَ ٱلدُّرُوعِ، سَحَابَةٌ تَهْمِي بِصَوْبَيْ عِثْيَرٍ وَقَتَامِ
وَٱلْمُسْلِمُونَ بِمَعْزِلٍ مِنْهُمْ، سِوَى مَنْ أَفْرَدُوهُ لِنُصْرَةِ ٱلإِسْلَامِ
و«أَبُو فِرَاسٍ» فِي ٱلْهِيَاجِ أَمَامَهُ؛ مِثْلُ ٱلْحُسَامِ بَدَا أَمَامَ حُسَامِ

(١) قال ابن خالويه: «ثُمَّ قَصَدْنَا «ٱلْفُرَاتَ»، فَعَبَرْنَا، فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى «أَرْقِنِينَ» بَلَغَنَا خَبَرُ ٱلدُّمُسْتُقِ، وَخُرُوجُهُ إِلَى ٱلشَّامِ؛ فَعَادَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ بِٱلتَّأَهُّبِ، وَسِرْنَا نَطْوِي، حَتَّى عُدْنَا «مِنْ سُمَيْسَاطَ»، وَلَحِقَهُ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ وَرَاءَ «مَرْعَشَ»؛ فِي سِتِّمائَةِ رَجُلٍ، مُجْتَهِدِينَ؛ فَأَوْقَعَ بِهِمْ، فَهَزَمَهُ؛ وَأَسَرَ «ٱلْقُسْطَنْطِينَ» وَقَتَلَ «ٱلْبِطْرِيقَ ٱبْنَ ٱللَّاٰيِنِ»؛ وَضَرَبَ ٱلدُّمُسْتُقَ فِي وَجْهِهِ؛ وَنَصَرَنَا عَلَيْهِ».

(٢) مجاهيد: مُتعبون.

(٣) الدمستق: قائد جيش الروم.

(٤) الوجى: الحفا. الأشاعر: جمع الأشعر، وهو ما أحاط بحافر الدابّة من منتهى الجلد.

(٥) البطاريق والزراور: رتبتان في جيش الروم.

(٦) قَالَ ابن خالويه: «وَلَمَّا لَحِقَ ٱلدُّمُسْتُقَ، مَا لَحِقَهُ، وَٱبْنَهُ، وَٱبْنَ أَخِيهِ، وَمَاتَ ٱبْنُهُ فِي حَبْسِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ؛ وَهُوَ (أَيِ ٱلدُّمُسْتُقُ) نَازِلٌ عَلَى «ٱلْحَدَثِ» بَيْنَهُمَا؛ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى «ٱلْأُحَيْدِبِ» (وَهُوَ جَبَلٌ مُطِلٌّ عَلَيْهَا) هَالَ ٱلْمُسْلِمِينَ مَا رَأَوْا؛ وَتَسَلَّلُوا عَنْ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ٱلدُّمُسْتُقَ، كَانَ قَدْ جَمَعَ ٱلرُّومَ، وَٱلْأَرْمَنَ، وَٱلرُّوسَ، وَٱلصَّقْلَبَ، وَٱلسَّلَاقَ، ضِدَّ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ. وَقَصَدَهُ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ، وَكَانَ فِي عُدَّةٍ يَسِيرَةٍ مِمَّنْ=

١٦٨ -عَدَلْنَا بِهَا فِي قِسْمَةِ ٱلْمَـوْتِ بَيْنَهُمْ، وَلِلسَّيْفِ حُكْمٌ فِي ٱلْكَتِيبَـةِ جَائِـرُ[١]
١٦٩ -إِذِ ٱلشَّيْخُ لَا يَلْوِي، «وَنَقْفُور» مُحْجِرٌ، وَفِي ٱلْقَيْدِ أَلْفٌ كَٱللُّيُـوثِ، قَسَاوِرُ[٢]
١٧٠ -وَلَـمْ يَبْـقَ إِلَّا صِهْـرُهُ، وَٱبْـنُ بِنْتِـهِ وَثَـوَّرَ بِـٱلْبَـاقِيـنَ مَنْ هُـوَ ثَـائِـرُ
١٧١ -وَأَجْلَى إِلَى «ٱلْجَوْلَانِ» «كَلْباً» وَ «طَيِّئاً» وَأَقْفَـرَ «عَجْبٌ» مِنْهُمُ وَ «أَشَـاعِـرُ»[٣]
١٧٢ -وَبَـاتَتْ «نِـزَارٌ» يَقْسِمُ ٱلشَّـامَ بَيْنَهَـا كَـرِيمُ ٱلْمُحَيَّـا، لَـوذَعِيٌّ، مُغَـاوِرُ
١٧٣ -عَـلَاءُ «كُلَيْبٍ» «لِـلضِّبَـابِ» عَـلَاءَةٌ وَحَـاضِرُ «طَيْءٍ» «لِلْجَعَـافِرِ» حَـاضِـرُ
١٧٤ -وَأَنْقَـذَ مِنْ مَسِّ ٱلْـحَـدِيـدِ وَثِقْـلِهِ «أَبَا وَائِلٍ»، وَٱلدَّهْرُ أَجْدَعُ، صَاغِرُ[٤]
١٧٥ -وَآبَ وَرَأْسُ «ٱلْقَـرْمَـطِيِّ» أَمَـامَـهُ لَـهُ جَسَدٌ مِنْ أَكْعُبِ ٱلـرُّمْحِ، ضَـامِرُ
١٧٦ -وَقَـدْ يَكْبُرُ ٱلْخَـطْبُ ٱلْيَسِيـرُ، وَتَجْتَنِي أَكَـابِـرَ قَـوْمٍ مَـا جَنَاهُ ٱلْأَصَـاغِـرُ[٥]
١٧٧ -كَمَـا أَهْلَكَتْ «كَلْبـاً» غُـوَاةُ جُنَـاتِهَـا وَعَمَّ «كِـلَاباً» مَـا جَنَتْهُ «ٱلْجَعَـافِرُ»[٦]

= بَقِيَ مَعَهُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ، فِيمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ؛ وَكَانَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ، فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ٱلنَّصْرَ وَٱلصَّبْرَ، فَوَلَّى ٱلدُّمُسْتُقُ هَارِباً وَأُسِرَ صِهْرُهُ، وَٱبْنُ بِنْتِهِ، وَقَرَابَاتٌ لَهُ؛ فَٱسْتَبْقَاهُمَا سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ، وَقَتَلَ ٱلْبَاقِينَ. قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: وَمَا زَالَتِ ٱلرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ إِلَى أَنْ أُسِرَ «أَبُو فِرَاسٍ» سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ «(٣٥١)». فَوَفَّقَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ مَا عُقِدَ لَهُ، وَضَمِنَ لِلْمَلِكِ أَثْمَانَ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلْأَسْرَى؛ بَعْدَمَا تَفَادَى مِنَ ٱلْبَطَارِقَةِ، وَغَيْرِهِمْ، وَمَبْلَغُهُ مِائَتَا أَلْفٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفاً ومِائَتَا دِينَارٍ رُومِيَّةٍ.

(١) جائر: ظالم.

(٢) القساور: جمع القسور، وهو الأسد.

(٣) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «أَوْقَعَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ «بِطَيِّـىءٍ»، وَ «كَلْبٍ»؛ وَنَفَاهُمْ عَنْ جَلِيدِ «حِمْصَ»، وَأَسْكَنَ ٱلْبَلَدَ «نِزَاراً».»

قال ابن خالويه: «ظَهَرَ فِي «بَنِي كَلْبٍ»، رَجُلٌ ٱدَّعَى نَسَباً فِي ٱلطَّالِبِيِّينَ، وَٱجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ ٱلْعَرَبُ، وَأَسَرَ «أَبَا وَائِلٍ تَغْلِبَ بْنَ دَاوُدَ بْنِ حَمْدَانَ»، فَأَسْرَى إِلَيْهِ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ مِنْ «حَلَبَ»، حَتَّى لَحِقَهُ بِنَوَاحِي «دِمَشْقَ»، فَقَتَلَ ٱلْقَرْمَطِيَّ، وَٱسْتَنْقَذَ «أَبَا وَائِلٍ».

(٥) الخطب: المصيبة.

(٦) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «أَحْدَثَ بَنُو كِلَابٍ حَدَثاً بِنَوَاحِي «بَالِسَ»، ثُمَّ أَجْفَلَتْ، فَأَسْرَى إِلَيْهِمْ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ مِنْ «حَلَبَ» وَأَمَرَ أَبَا فِرَاسٍ أَنْ يُعَارِضَهُ مِنْ «مَنْبِجَ» فَعَارَضَهُ مِنْ «بَالِسَ»؛ فَلَحِقَهُ بِـ «ٱلْجِسْرِ»، فَأَوْقَعَ بِهِمْ، وَمَلَكَ ٱلْحَرِيمَ وَٱلْأَمْوَالَ؛ فَعَفَّ عَنِ ٱلْحَرِيمِ وَكَسَاهُنَّ، وَأَلْحَقَهُنَّ بِأَهْلِهِنَّ عَلَى ٱلْمَحَامِلِ، وَجَاءَ «مُطَرِّفُ ٱلْبَلَدِيُّ»، فَسَأَلَهُ ٱلإِبْقَاءَ، فَأَجَابَ».

١٧٨ ـشَرَيْنَا وَبِعْنَا بِٱلسُّيُوفِ نُفُوسَهُمْ، وَنَحْنُ أُنَاسٌ بِٱلسُّيُوفِ نُتَاجِرُ
١٧٩ ـوَصُنَّا نِسَاءً، نَحْنُ أَوْلَى بِصَوْنِهَا، رَجِعْنَ، وَلَمْ تُكْشَفْ لَهُنَّ سَتَائِرُ
١٨٠ ـيُنَادِينَهُ، وَٱلْعِيسُ تُزْجَى كَأَنَّهَا عَلَى شُرُفَاتِ ٱلرُّومِ، نَخْلٌ مَوَاقِرُ:(١)
١٨١ ـ«أَلَا إِنَّ مَنْ أَبْقَيْتَ، يَا خَيْرَ مُنْعِمٍ، عَبِيدُكَ، مَا نَاحَ ٱلْحَمَامُ ٱلسَّوَاجِرُ!(٢)
١٨٢ ـفَنَرْجُوكَ إِحْسَاناً، وَنَخْشَاكَ صَوْلَةً، لِأَنَّكَ جَبَّارٌ، وَأَنَّكَ جَابِرُ!»
١٨٣ ـوَجَشَّمَهَا بَطْنَ «ٱلسَّمَاوَةِ»، قَائِظاً، وَقَدْ أَوْقَدَتْ نَارَ ٱلسَّمُومِ ٱلْهَوَاجِرُ(٣)
١٨٤ ـفَيَطْرُدُ «كَعْباً» حَيْثُ لَا مَاءَ يُرْتَجَى، لِتَعْلَمَ «كَعْبٌ» أَيَّ قَرْمٍ تُصَابِرُ
١٨٥ ـوَيَطْلُبُ «كَعْباً» حَيْثُ لَا ٱلْإِثْرُ يُقْتَفَى لِتَعْلَمَ «كَعْبٌ» أَيَّ عُودٍ تُكَاسِرُ
١٨٦ ـفَجَعْنَا بِنِصْفِ ٱلْجَيْشِ «جَوْنَةَ» كُلَّهَا وَأَرْهَقَ جَرَّاحٌ وَوَلَّى مُغَاوِرُ
١٨٧ ـ«أَبُو ٱلْفَيْضِ» مَارَ ٱلْجَيْشَ حَوْلاً مُحَرَّماً وَكَانَ لَهُ جَدٌّ مِنَ ٱلْقَوْمِ مَائِرُ(٤)
١٨٨ ـبِنَا وَبِكُمْ، يَا سَيْفَ دَوْلَةِ «هَاشِمٍ»، يَطُولُ بَنُو أَعْمَامِنَا، وَيُفَاخِرُ!
١٨٩ ـفَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ ذُرَاهَا، وَهَامُهَا، إِذِ ٱلنَّاسُ أَعْنَاقٌ لَهَا، وَكَرَاكِرُ!(٥)
١٩٠ ـتَرَى أَيَّمَا لَاقَيْتَهُ مِنْ بَنِي أَبِي لَهُ حَالِبٌ لَا يَسْتَفِيقُ وَجَازِرُ
١٩١ ـوَكَانَ أَخِي إِنْ رَامَ أَمْراً بِنَفْسِهِ فَلَا ٱلْخَوْفُ مَوْجُودٌ، وَلَا ٱلْعَجْزُ ظَاهِرُ
١٩٢ ـوَكَانَ أَخِي إِنْ يَسْعَ سَاعٍ بِمَجْدِهِ فَلَا ٱلْمَوْتُ مَحْذُورٌ، وَلَا ٱلسُّمُّ ضَائِرُ
١٩٣ ـفَإِنْ جَدَّ، أَوْ لَفَّ ٱلْأُمُورَ، بِعَزْمِهِ فَقُلْ: هُوَ مَوْتُورُ ٱلْحَشَى، وَهْوَ وَاتِرُ!

---

(١) العيس: الإبل البيضاء يشوب بياضها شقرة، أو سواد خفيف. تُزجى: تُساق. مواقر: كثيرة الحمل.

(٢) سجرت الحمامة: مدَّت حنينها.

جشَّمها: كلَّفها على مشقَّة.

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «ٱلْعَرَبُ تَدْعُو سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ: «أَبَا ٱلْفَيْضِ»؛ لِفَيْضِهِ عَلَيْهِمْ بِٱلْإِحْسَانِ؛ وَسِرْنَا مَعَهُ إِلَى «دِيَارِ بَكْرٍ» سَنَةَ (٣٣٨)؛ فَأَقَامَ يُمَيِّزُ ٱلنَّاسَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ، مُدَّةَ مُقَامِهِ. وَكَانَ جَدُّهُ «أَبُو ٱلْعَبَّاسِ حَمْدَانُ ٱبْنُ حَمْدُونَ»، مَارَ «ٱلْمُعْتَضِدَ» وَحَاشِيَتَهُ، وَقْتَ إِصْعَادِهِ إِلَى حَرْبِ «ٱلطُّولُونِيَّةِ». وَلَقَدْ حَدَّثَ أَبو ٱلْعَبَّاسِ حَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ: «كُنْتُ عَدِيلَ «ٱلْمُعْتَضِدِ»، فِي طَرِيقِهِ ذَلِكَ، مِنَ «ٱلْحَدِيثَةِ» إِلَى «رَأْسِ عَيْنٍ»، وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهَا، فَيُكَافِئَنِي؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ٱلْأَمْرُ؛ لَمْ يَبْتَدِىءْ بِغَيْرِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ أَمْوَالاً، نَحْوَ ثَلَاثِمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ؛ وَحَبَسَهُ إِلَى أَنْ أَخَذَ ٱبْنَهُ «ٱلْحُسَيْنَ ٱلشَّارِيَ»، فَسُئِلَ فِي إِطْلَاقِهِ فَأَطْلَقَهُ».

(٥) الكراكر: جمع الكركر، وهو صدر البعير، وهنا بمعنى الصَّدر.

١٩٤ ـأَزَالَ ٱلْعِـدَى عَنْ «أَرْدَبِيـلَ»، بِـوَقْعَـةٍ صَـرِيعَـانِ فِيهَـا: عَـاذِلٌ، وَمُسَـاوِرُ
١٩٥ ـوَجَـازَ أَرَاضِي «أَذْرَبِيجَـانَ» بِـٱلْقَنَـا لِـوَادٍ إِلَيْـهِ «ٱلْمَـرْزُبَـانُ» مُسَـافِرُ[1]
١٩٦ ـوَنَـاهَضَ مِنْـهُ «ٱلـرَّقَّتَيْنِ» مُشَيَّـعٌ بَعِيدُ ٱلْمَدَى، عَبْلُ ٱلذِّرَاعَيْنِ، قَاهِرُ[2]
١٩٧ ـفَلَمَّـا ٱسْتَقَـرَّتْ «بِـٱلْجَـزِيـرَةِ» خَيْلُهُ تَضَعْضَـعَ بَادٍ «بِـٱلشَّـآمِ»، وَحَـاضِـرُ
١٩٨ ـمَمَـالِكُهَـا لِلْبِيضِ بِيضٍ سُيُـوفِنَـا سَبَـايَـا، وَمِنْهَـا لِلْمُلُوكِ مَهَـابِـرُ[3]
١٩٩ ـوَحَـلَّ «بِبَالِيَّـا» عُرَى ٱلْجَيْشِ، كُلِّهِ، وَبَجْكَمُ «خَسْـرَانٌ» وَمَوْلَاهُ «ذَاعِـرُ»[4]
٢٠٠ ـلَـهُ يَوْمَ «عَـدْلٍ» مَوْقِفٌ بَـلْ مَوَاقِفٌ، رَدَدْنَ إِلَيْنَـا ٱلْعِـزَّ، وَٱلْعِـزُّ نَـافِـرُ[5]
٢٠١ ـغَدَاةَ يَصُبُّ ٱلْجَيْشَ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، بَصِيرٌ بِضَرْبِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْجَيْشِ، مَاهِرُ
٢٠٢ ـبِكُـلِّ حُسَـامٍ بَيْنَ حَـدَّيْـهِ شُعْلَةٌ بِكَفِّ غُـلَامٍ حَشْـوُ دِرْعَيْـهِ خَـازِرُ[6]

---

(١) المرزبان: كلمة فارسيَّة معناها حامي الحدود.
قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «سَارَ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ»، إِلَى «أَذْرَبِيْجَانَ» وَبِهَا «رُسْتُمُ بْنُ سَارِيَةَ ٱلشَّارِيِ»، فَلَقِيَهُ فِي جُمُوعِهِ، فَهَزَمَهُ، وَٱسْتَقَامَتْ لَهُ «أَذْرَبِيْجَانُ» إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ».
(٢) «قَالَ: سَرَى «ٱبْنُ أَبِي ٱلْعَلَاءِ بْنِ حَمْدَانَ»، إِلَى «دِيَارِ مُضَرَ»، وَفِيهَا «ٱلدارِمِيُّ» وَالِياً عَلَيْهَا، فَحَصَرَهُ «بِٱلرَّقَّةِ»، حَتَّى فَتَحَها عَنْوَةً، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ، وَتَوَجَّه إِلَى ٱلشَّامِ، وَفِيهَا «يَانِسُ ٱلْمُؤْنِسِيُّ»، وَ «ٱبْنُ عَبَّاسٍ ٱلْكِلَابِيُّ»، فَهَرَبَا مِنْ «حَلَبَ».
(٣) أي إنَّ الممالك هَوَتْ خاضعة لسيوفنا، ورماحنا تقطع لحومهم قطعاً.
(٤) قَالَ ٱبْنُ خَالَـوَيْهِ: «قَصَـدَ «ٱلرَّاضِي بِـٱللَّهِ»، وَمَعَهُ «بَجْكَمُ» «بَنِي حَمْـدَانَ»، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ؛ فَٱجْتَمَعُوا «بِآمِدَ»، وَقَلَّدَ «ٱلرَّاضِي بِٱللَّهِ»، «بَدْراً ٱلْخَرْشَنِيَّ» «نَصِيبِينَ» وَ «بِٱلْيَاءَ ٱلتُّرْكِيَّ» «كَفَرْتُوثَا»؛ فَسَارَ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ» مِنْ «آمِدَ»، حَتَّى كَبَسَ «بَالِيَاءَ»، وَٱسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُ، وَهَرَبَ وَحْدَهُ».
(٥) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «كَبَسَ «ٱلْعَدْلُ بْنُ مَهْدِي»، بِعَسَاكِرِهِ «نَصِيبِينَ»، وَفِيهَا خَزَائِنُ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»، وَأَمْوَالُهُ؛ فَٱحْتَوَى عَلَيْها، وَٱسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ؛ فَسَارَ إِلَيْهِ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ» فِي غِلْمَانِـهِ، وَجَمَاعَـةٍ مِنْ «دِيَارِ رَبِيعَـةَ»، فَٱنْكَشَفَ ٱلنَّاسُ عَنْهُ، وَثَبَتَ فِي غِلْمَانِهِ، فَأَظْفَرَهُ ٱللَّهُ ـ تَعَالَى ـ بِهِ، وَأَسَرَهُ وَحَدَرَهُ إِلَى «نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ»، إِلَى «بَغْدَادَ»، فَسَمَلَ عَيْنَهُ. فَقَالَ «ٱلْخَلِيعِيُّ» يَمْدَحُ «أَبَا عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْحُسَيْنَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ» شِعْراً:

حَسْبُ «ٱلْحُسَيْنِ» بِـأَنَّ ٱللَّهَ، عَنْ قَـدَرٍ عَلَى يَـدَيْـهِ، أَعَـزَّ ٱلـدِّيـنَ وَٱلْـعَـرَبَـا
أَقَـامَ دَوْلَـةَ مُـلْكٍ، كَـانَ جَـانِبُـهَـا قَـدْ كَـادَ يَعْطَبُ، يَـوْمَ ٱلْعِيـدِ، أَوْ عَـطِبَـا
قَـدْ كَـادَ يُفْلِتُ فِي يَـومِ ٱلْـوَغَى هَـرَبـاً مِنْ حَـدِّ سَيْفِكَ، لَـوْ لَمْ تُحْسِنِ ٱلطَّلَبَـا
فَـإِنْ سَمَـا «سَيْفُهَـا» فِيهَـا وَ «نَـاصِـرُهَـا» فَـأَنْتَ «تَـاجٌ» لَهَـا، إِنْ أَحْسَنُـوا ٱللَّقَبَـا

(٦) الخازر: الرمح، والمعنى أنَّ قامته تشبه الرمح.

٢٠٣ -عَلَى كُـلِّ طَيَّارِ ٱلضُّلُوعِ، كَـأَنَّـهُ إِذَا ٱنْقَضَّ مِنْ عَلْيَـاءَ فَتْخَاءُ كَـاسِرُ(١)
٢٠٤ -إِذَا ذُكِرَتْ، يَوْمـاً، غَطَارِيفُ «وَائِـلٍ» فَنَحْنُ أَعَـالِيهَـا وَنَحْنُ ٱلْجَمَـاهِـرُ(٢)
٢٠٥ -وَمِنّـا ٱلْفَتى «يَحْيَـى» وَمِنَّـا ٱبْنُ عَمِّـهِ هُمَا مَا هُمَـا لِلْعِزِّ سَمْـعٌ، وَنَاظِـرُ!(٣)
٢٠٦ -لَـهُ بِـٱلْهُمَـامِ «ٱبْنِ ٱلْمُعَمَّـرِ» فَتْكَـةٌ وَفِي ٱلسَّيْفُ فِيهَـا وَٱلرِّمَـاحُ غَـوَادِرُ(٤)
٢٠٧ -وَمِنَّـا أَبُو ٱلْيَقْـظَانِ مُنْتَـاشُ «خَـالِـدٍ»؛ وَمِنَّـا أَخُـوهُ ٱلْأَفْعُـوَانُ ٱلْمُسَـاوِرُ(٥)
٢٠٨ -شَفَى ٱلنَّفْسَ يَـوْمَ «ٱلْخَالِـدِيَّةِ» بَعْـدَمَا حَلَلْنَ بِـإِحْـدَى جَـانِبَيْـهِ ٱلْبَـوَاتِـرُ(٦)

---

(١) الفتخاء: العقاب.

(٢) الغطاريف: جمع الغطروف، وهو السَّيِّد الشريف. الجماهر من الناس: أجلّاؤهم.

(٣) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «ٱلْغِطْرِيفُ» «يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْدَانَ»؛ وَكَانَ «عَلِيٌّ» أَسَنَّ وَلَدِ «حَمْدَانَ» ثُمَّ مَاتَ حَدَثَ ٱلسِّنِّ؛ وَسَارَ ٱبْنُهُ «يَحْيَى»، حَتَّى كَانَ عَمُّهُ «ٱلْحُسَيْنُ» يَعْدِلُهُ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ قَاتِلُ «عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ ٱلْمُعَمَّرِ»، سَيِّدِ «بَنِي حَبِيبٍ»، وَفِيهِ يَقُولُ ٱلشَّاعِرُ:

فَـلَوْ أَنَّ ٱلَّـذِي رُزِئَـتْ «حَـبِـيـبٌ» جَـوَارٍ، أَوْ فَـصِـيـلٌ، أَوْ قَـعُـودُ
رَأَيْـتَ ٱلْـمُـرْهَـفَـاتِ، مُـخَـضَّـبَـاتٍ، وَهَـامَـاتُ ٱلـرِّجَـالِ لَـهَـا وَقُـودُ
فَـكَـيْـفَ وَخَـطْـبُـهَـا جَـلَلٌ عَـظِـيـمٌ تَـكَـادُ ٱلـرَّاسِـيَـاتُ لَـهُ تَـمِـيـدُ؟!....

(٤) ابن المعمر قتله يحيى بن علي بن حمدان.

(٥) قال ابن خالويه: «عَمَارَةُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ حَمْدَانَ»، سَادَ ٱلْعَرَبَ، شَجَاعَةً وَكَرَماً، وَكَانَتْ «بَنُو شَيْبَانَ» أَسَرَتْ «خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ»، أَحَدَ بَنِي «ٱلْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ»؛ فَأَسْرَى إِلَيْهِمْ «عَمَارَةُ» مِنْ «سِنْجَارَ»؛ حَتَّى لَحِقَهُمْ «بِبَالِسَ»، وَقَتَلَ «بَنِي شَيْبَانَ». فَقَالَ «حَيَّانُ ٱلْبَلَدِيُّ»:

حَكَى «سُلَيْمَـانَ»، إِذْ يَسْـرِي ٱلْبِسَـاطُ بِـهِ، لَـمَّـا سَـرَى بِـحُـمَـاةٍ غَـيْـرِ أَنْـكَـاسِ
فَـاسْـأَلْ «عَمَـارَةَ»، عَنْ غِمْـدِ ٱلْمَنُـونِ وَقَـدْ حَـمَـتْـهُ أَمْـنَـعُ فُـرْسَـانٍ وَأَفْـرَاسِ
أَذَاقَ «شَيْبَـانَ»؛ مَـا كَـانَ «ٱلْمُهَلْهِـلُ» قَـدْ أَذَاقَ أَسْـلَافَـهُـمْ مِـنْ أَجْـلِ «جَـسَّـاسِ»

وَأَخُوهُ: «أَبُو وَائِلٍ»، فَارِسُ ٱلْعَرَبِ، وَقَاهَا أَرْزَاءَ «أَزْرَادِيشَ»، فَارِسِ ٱلْعَجَمِ، بَيْنَ يَدَي سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ، يَوْمَ «نَوْرُوزٍ»؛ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً؛ فَصَرَعَهُ؛ وَلَحِقَ «أَمِيرَ ٱلْأُمَرَاءِ» فِي قِطْعَةٍ مِنْ عَسْكَرِ نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ «بِٱلْخَالِدِيَّةِ» وَكَبَسَهُ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ، وَلَحِقَهُ رَجُلٌ مِنَ ٱلْقَرَامِطَةِ فِي ٱلْغَلَسِ؛ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ «أَبُو وَائِلٍ»، حَتَّى أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، فَضَرَبَهُ بِرَأْسِهِ وَكَتِفِهِ وَمِرْفَقَيْهِ ثَلَاثَ ضَرَبَاتٍ، كُلُّهُنَّ أَمْعَنَّ فِيهِ. قَالَ «أَبُو وَائِلٍ»: كُلُّ ذَلِكَ وَأَنَا أَطْلُبُ قَائِمَ سَيْفِي؛ فَلَمَّا وَقَعَ ٱلْقَائِمُ فِي يَدِي، قَصَدَ «ٱلْقِرْمِطِيُّ» يَدِي، فَقَطَعَ ٱلسَّبَّابَةَ، وَبَعْضَ ٱلْوُسْطَى، فَٱنْتَضَيْتُ ٱلسَّيْفَ، فَقَطَعْتُ هَامَتَهُ.

(٦) البواتر: السيوف القاطعة.

٢٠٩ ـوَمِنَّا ٱبْنُ قَنَّاصِ ٱلْفَوارِسِ «أَحْمَدٌ» غُلَامٌ كَمِثْلِ ٱلسَّيْفِ، أَبْلَجُ، زَاهِرُ[١]
٢١٠ ـفَتًى حَازَ أَسْبَابَ ٱلْمَكَارِمِ، كُلَّهَا، وَمَا شَعِرَتْ مِنْهُ ٱلْخُدُودُ ٱلنَّوَاضِرُ
٢١١ ـوَمِنَّا «أَبُو عَدْنَانَ» سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَمِنَّا قَرِيعَا ٱلْعِزِّ: «جَبْرٌ» وَ«جَابِرُ»[٢]
٢١٢ ـفَهَذَا لِذِي ٱلتَّاجِ ٱلْمُعَصَّبِ قَاتِلٌ، وَهَذَا لِذِي ٱلْبَيْتِ ٱلْمُمنعِ آسِرُ[٣]
٢١٣ ـوَمِنَّا ٱلْأَغَرُّ ٱبْنُ ٱلْأَغَرِّ «مُهَلْهِلٌ» خَلِيلِي، إِنْ ذُمَّ ٱلْخَلِيلُ ٱلْمُعَاشِرُ[٤]
٢١٤ ـفَإِنْ أَدْعُ فِي ٱللَّأْوَاءِ فَهْوَ مُحَارِبٌ؛ وَإِنْ أَسْعَ لِلْعَلْيَاءِ فَهْوَ مُظَاهِرُ[٥]
٢١٥ ـوَلَمَّا أَظَلَّ ٱلْخَوْفُ دَارَ «رَبِيعَةٍ» وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا حَمَتْهُ ٱلْحَفَائِرُ
٢١٦ ـشَفَى دَاءَهَا يَومَ «ٱلشُّرَاةِ» بِوَقْعَةٍ جُدُودُ بَنِي «شَيْبَانَ» فِيهَا ٱلْعَوَاثِرُ

---

(١) قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «يَعْنِي ٱلْأَغَرَّ «أَحْمَدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ» قُتِلَ وَهُوَ ٱبْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَٱحْتَمَى مِنْ جَيْشِ «ٱلْقِرْمَطِيِّ» بِسَيْفِهِ، حَتَّى لَمْ يَتَخَلَّصْ غَيْرُهُ. وَخَلَّصَ «مُنْكَراً» رَئِيسَ «ٱلْحُجَرِيَّةِ»، مِنْ «بَنِي شَيْبَانَ»، فَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَطَوَّقَهُ؛ وَقَتَلَ بَنُو حَمْدَانَ بِثَأْرِهِ؛ حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ؛ وَمِنْ تَغْلِبَ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ سِتُّمِائَةِ رَجُلٍ وَعَدَدٌ كَثِيرٌ فِي عِدَّةِ مَوَاقِفَ، إِلَى أَنْ قُتِلَ قَاتِلُهُ، وَهُوَ «طَائِعُ ٱلْأَشْتَرِيُّ».

(٢) قال ابن خالويه: «أَبُو عَدْنَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ حَمْدَانَ»، وَ«جَبْرُ بْنُ أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ»، وَ«جَابِرُ بْنُ نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ» وَهُوَ «أَبُو ٱلْمُرَجَّى».

(٣) قال ابن خالويه: أَمَّا «ذُو ٱلتَّاجِ»، فَٱبْنُ مَلِكِ ٱلدَّيْلَمِ. أَوْقَعَ «أَبُو ٱلْمُرَجَّى جَابِرٌ» بِعَسْكَرِ «مُعِزِّ ٱلدَّوْلَةِ»؛ وَفِيهِ وُجُوهُ ٱلدَّيْلَمِ «بِسِنْجَارَ»، فَهَزَمَهُمْ وَقُتِلَ ٱبْنُ مَلِكِ ٱلدَّيْلَمِ، ضَرَبَهُ أَخُوهُ «أَبُو ٱلْقَاسِمِ هِبَةُ ٱللَّهِ بْنُ نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ»، فَقَتَلَهُ. وَ«ذُو ٱلْبَيْتِ ٱلْمُمَنَّعِ»: «عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ مَزْرُوعٍ ٱلضِّبَابِيُّ»، سَيِّدُ بَنِي كِلَابٍ، وَأَسَرَهُ «جَبْرٌ» بِيَدِهِ.

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «أَبُو زُهَيْرٍ مُهَلْهِلُ بْنُ نَصْرِ بْنِ حَمْدَانَ»؛ كَانَ أَفْرَسَ ٱلْعَرَبِ وَأَشْعَرَهَا؛ قَتَلَ «ٱلشَّارِيَ» وَقَدِ ٱسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ «بِدِيَارِ رَبِيعَةَ» (سَنَةَ (٣٣٧)؛ وَلَهُ شِعْرٌ مَلِيحٌ، أَكْثَرُهُ مُكَاتَبَاتٌ إِلَى أَبِي فِرَاسٍ؛ وَٱجْتَمَعَ عَلَى أَبِي فِرَاسٍ قَوْمٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ «بِبَالِسَ»، وَعَلَيْهَا «جَيْهَانُ بْنُ عَرْفَجَةَ ٱلْعُمَيْرِيُّ»، وَ«كَثِيرُ بْنُ عَوْسَجَةَ ٱلْقِرْمِطِيُّ»، فَلَقِيَهُمَا، فِي سِتَّةَ عَشَرَ، فَأَظْفَرَهُ ٱللَّهُ ـ تَعَالَى ـ بِهِمْ، وَقَتَلَ وَجْهَ «بَنِي قِرْمِطَ»، فَكَتَبَ إِلَيْهِ «أَبُو زُهَيْرٍ مُهَلْهِلُ بْنُ نَصْرِ ٱبْنِ حَمْدَانَ» شِعْراً:

يَا خَيْرَ مُنْتَجَبٍ، يَنْمِيهِ خَيْرُ أَبٍ مَخِيلَتِي فِيكَ لَمْ تَكْذِبْ وَلَمْ تَخِبِ
إِنْ كَانَ وَجْهُكَ لَمْ تُخْطَطْ عَوَارِضُهُ فَأَنْتَ كَهْلُ ٱلْحِجَى وَٱلْفَضْلِ وَٱلْأَدَبِ
وَقَفْتَ «يَا ٱبْنَ سَعِيدٍ»، وَقْفَةً شُهِرَتْ لَا زِلْتُ أَدْعُوكَ فِيهَا: «فَارِسَ ٱلْعَرَبِ»

(٥) اللأواء: الحرب.

٢١٧ ـوَمِنَّا «عَلِيٌّ» فَارِسُ ٱلْجَيْشِ، صِنْوُهُ «عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ» خَيْرُ مَنْ زَارَ زَائِرُ![١]
٢١٨ ـوَمِنَّا «ٱلْحُسَيْنُ» ٱلْقَرْمُ، مُشْبِهُ جَدِّهِ، حَمَى نَفْسَهُ، وَٱلْجَيْشُ لِلْجَيْشِ غَامِرُ[٢]
٢١٩ ـلَنَا فِي بَنِي عَمِّي، وَأَحْيَاءِ إِخْوَتِي، عُلاً، حَيْثُ سَارَ ٱلنَّيِّرَانِ، سَوَائِرُ[٣]
٢٢٠ ـوَإِنَّهُمُ السَّادَاتُ، وَٱلْغُرَرُ ٱلَّتِي أَطُولُ عَلَى خَصْمِي بِهَا وَأُكَاثِرُ![٤]
٢٢١ ـوَلَوْلَا ٱجْتِنَابِي ٱلْعَتْبَ مِنْ غَيْرِ مُنْصِفٍ لَمَا عَزَّنِي قَوْلٌ، وَلَا خَانَ خَاطِرُ!
٢٢٢ ـوَلَا أَنَا، فِيمَا قَدْ تَقَدَّمَ، طَالِبٌ جَزَاءً، وَلَا، فِيمَا تَأَخَّرَ، وَازِرُ[٥]
٢٢٣ ـيَسُرُّ صَدِيقِي: أَنَّ أَكْثَرَ وَاصِفِي عَدُوِّي، وَإِنْ سَاءَتْهُ تِلْكَ ٱلْمَفَاخِرُ
٢٢٤ ـوَهَلْ تُجْحَدُ ٱلشَّمْسُ ٱلْمُنِيرَةُ ضَوْءَهَا؟ وَيُسْتَرُ نُورُ ٱلْبَدْرِ، وَٱلْبَدْرُ زَاهِرُ؟
٢٢٥ ـنَطَقْتُ بِفَضْلِي، وَٱمْتَدَحْتُ عَشِيرَتِي، وَمَا أَنَا مَدَّاحٌ، وَلَا أَنَا شَاعِرُ!

وَقَالَ يَفْتَخِرُ(*):

[من الطويل]

١ ـ لَعَلَّ خَيَالَ ٱلْعَامِرِيَّةِ زَائِرُ الخ ١

(١) قال ابن خالويه: هُوَ أَبُو «ٱلْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ حَمْدَانَ»، فَارِسٌ آخْتُرِمَ حَدَثاً، وَفِيهِ يَقُولُ «آبْنُ ٱلْمُنَجِّمِ»:

رَآكَ عِدَاكَ تُفْنِي ٱلسَّيْفَ ضَرْباً فَقَدْ نَبَزُوكَ بِٱلسَّيْفِ ٱلْمُحَلَّى
فَرُمْحُكَ فِي صِفَاحِهِمُ ٱلْمُجَلِّي وَسَيْفُكَ فِي رُؤُوسِهِمُ ٱلْمُعَلَّى

(٢) قال ابن خالويه: هُوَ «أَبُو ٱلْعَشَائِرِ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْدَانَ»، كَبَسَهُ عَسْكَرُ «ٱلإِخْشِيدِ» مَعَ «يَانِسَ ٱلْمُؤْنِسِيِّ»، وَهُوَ مُنْصَرِفٌ مِنَ ٱلْمَيْدَانِ بِـ«أَنْطَاكِيَّةَ»، فَأَصَابَتْهُ نُشَّابَةٌ، فَشَدَّ فِي أَوْسَاطِهِمْ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ وَيَحْتَمِي، حَتَّى تَخَلَّصَ.

(٣) قال ابن خالويه: يَعْنِي أَنَّ مَجْدَهُمْ، وَمَحْتِدَهُمْ، وَاحِدٌ لَا تَفَاوُتَ بَيْنَهُمْ.

(٤) أكاثر: أفاخر.

(٥) الوازر: الآثم.

(*) هذه القصيدة رواية أخرى للقصيدة السابقة، والرقم الذي على اليمين يُمثِّل رقم البيت في هذه الرواية، أمّا الرقم الذي على اليسار فيُمثِّل رقمه في القصيدة السابقة، وبهذين الرقمين نستطيع مقارنة شرح البيت في هذه الرواية وشرحه في الرواية السابقة. والشرحان لابن خالويه.

٥٠ ـتَحمَّلَ قَتْلاهَـا، وَسَاقَ دِيَـاتِهَـا حَمُولٌ لِمَا جَرَّتْ عَلَيْـهِ ٱلْجَـرائِـرُ ٦٥
٥٢ ـوَلَمَّـا أَلَمَّتْ بِـٱلـدِّيَـارَيْنِ أَزْمَـةٌ جَلاهَا، وَنَابُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْمَوْتِ كَاشِرُ ٧٥
٥٥ ـفَـآبُـوا بِجَـدْوَاهُ وَآبَ بِشُكْـرِهِمْ، وَمَا مِنْهُمَا فِي صَفْقَةِ ٱلْمَجْدِ خَـاسِرُ ٧٠
٥٧ ـأَسَـا دَاءَ ثَغْـرٍ، كَـانَ أَعْيَـا دَوَاؤُهُ، وَفِي قَلْبِ مَلْكِ ٱلرُّومِ دَاءٌ مُخَامِرُ ٧٢
٥٨ ـوَسَوْفَ، عَلَى رَغْمِ ٱلْعَدُوِّ، يُعِيدُهَا مُعَـوَّدُ رَدِّ ٱلثَّغْـرِ، وَٱلثَّغْـرُ دَائِـرُ ٧٤
٦١ ـفَتَكْنَا، جِهَاراً، بِـ «ٱلْوَزِير» وَ «فَاتِكٍ» وَمَـا ٱلْفَارِسُ ٱلْفَتَّـاكُ إِلَّا ٱلْمُجَـاهِـرُ ٧٨
٦٤ ـوَجَـاءَ «بِهَـارُونٍ» يُقَـادُ أَمَـامَـهُ، وَلِلْقَيْـدِ، فِي كِلْتَا يَـدَيْـهِ، ضَفَـائِـرُ ٨٥

---

(٥٠) إشْتَدَّتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَ عَشَائِرِ «تَغْلِب»، وَكَثُرَ ٱلْقَتْلُ، وَٱنْتَشَرَتِ ٱلْخَيْلُ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ «ٱلْحَارِثُ بْنُ لُقْمَانَ»، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ، وَأَحْصَى قَتْلاهُمْ، فَكَانُوا مِئَةَ قَتِيلٍ، فَضَمِنَ دِيَاتِهِمْ؛ وَرَهَنَ عَلَيْهَا عَصَاهُ، وَسَاقَهَا مِنْ مَالِهِ، فَصَارَتْ سُنَّةً بَيْنَ ٱلْعَرَبِ: رَهْنُ ٱلْعَصَا وَٱلسَّوْطِ لِعَظَائِمِ ٱلأُمُورِ.

(٥٢) يَعْنِي بِذَلِكَ: «حَمْدَانَ بْنَ حَمْدُونَ» لَمَّا أَضَافَ «ٱلْمُعْتَضِدَ»، هُوَ وَجَيْشَهُ، بِمَدِينَةِ «ٱلْمَوْصِلِ» مُدَّةَ مُقَامِهِ وَمَسِيرِهِ فِي «دِيَارِ رَبِيعَةَ»؛ وَقَادَ إِلَيْهِ خَمْسَمِائَةِ حِصَانٍ هَدِيَّةً، وَذَلِكَ فِي حَرْبِ «ٱبْنِ طُولُونَ».

(٥٥) أَكْدَتِ ٱلسَّمَاءُ، وَأَجْدَبَتِ ٱلأَرْضُ «بِدِيَارِ رَبِيعَةَ» وَ «ٱلْمَوْصِلِ» وَكَانَتْ سَنَةَ ضَمَانٍ، فَفَزِعَ أَهْلُهَا إِلَى «أَبِي ٱلْعَبَّاسِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ» فَمَارَ جَمِيعَهُمْ مَا وَسِعَهُ، وَتَلاَ ٱلْعَامَ عَامٌ مِثْلُهُ، فَفَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ فِي ٱلْعَامَيْنِ، فَسُمِّيَ «مُكَايِدَ ٱلْمَحْلِ» وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ٱلشَّاعِرُ:

مَـا زِلْتُ فِي كَيْـدِ ٱلْمَعِيشَـةِ جَـاهِـداً حَـتَّـى أَتَـيْـتُ «مُـكَـايِـدَ ٱلْـمَـحْـلِ»
أَعْـطَى، وَقَـدْ بَخِـلَ ٱلـزَّمَـانُ، وَلَـجَّ فِي إِعْـطَائِـهِ، إِذْ لَـجَّ فِـي ٱلْـبُـخْـلِ

(٥٧) يَعْنِي: «أَبَا ٱلْعَبَّاسِ حَمْدَانَ بْنَ حَمْدُونَ» لَمَّا ٱشْتَدَّ طَمَعُ ٱلْعَدُوِّ فِي «مَلْطِيَة»؛ وَجَاءَ ٱلْوُفُودُ مِنْ أَهْلِهَا يَشْكُونَ مِنَ ٱلْعَدُوِّ؛ أَمَرَ بِبِنَاءِ سُورٍ عَلَى بَلَدِهِمْ، وَأَطْلَقَ لَهُمْ مِنْ مَالِهِ تِسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَوَقَفَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَمِائَةِ حِجْرٍ مُنْجِبَةٍ.

(٥٨) يَعْنِي بِذَلِكَ: «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ أَبَا ٱلْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ ٱللَّهِ»؛ لَمَّا خَرِبَتِ ٱلزَّلَازِلُ «رَعْبَانَ» وَثَغْرَهَا، وَإِنْهَاضَهُ ٱلْعَسَاكِرَ إِلَيْهَا، حَتَّى بُنِيَتْ، وَٱلْحَرْبُ شَارِعَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَسَاكِرِ ٱلرُّومِ، وَقَدْ يَئِسَ مِنْهَا.

(٦١) يَعْنِي بِذَلِكَ: «ٱلْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ»، لَمَّا قَتَلَ «أَبَا ٱلْعَبَّاسِ بْنَ ٱلْحُسَيْنِ» ٱلْوَزِيرَ وَ «فَاتِكاً ٱلْمُقْتَدِرِيَّ»، وَسَارَ إِلَى «ٱلْمُقْتَدِرِ»، فَأَحْرَقَ بَابَ ٱلدَّارِ؛ وَكَانَ يَوْماً مَشْهُوداً.

(٦٤) يَعْنِي بِذَلِكَ: «هَارُونَ ٱلشَّارِيَ»، عِنْدَ عِظَمِ أَمْرِهِ عَلَى «ٱلْمُعْتَضِدِ»، حَتَّى نَهَضَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ، وَأَنْهَضَ إِلَيْهِ «ٱلْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ» فِي ٱلْجَيْشِ، فَلَمَّا فَصَلَ عَنْهُ تَقَدَّمَ «ٱلْحُسَيْنُ» إِلَى «ٱلْمَوْصِلِ»، وَأَسْرَى=

٦٥ ـ وَشَدَّ عَلَى «ذِي ٱلْخَالِ» خَيْلاً، تَنَاهَبَتْ   «سَمَاوَةَ كَلْبٍ» بَيْنَهَا، وَ«أَشَاعِرُ» ٨٦
٦٦ ـ أَضَقْنَ عَلَيْهِ ٱلْبِيدَ، وَهِيَ صَحَاصِحٌ   وَأَضْلَلْنَهُ عَنْ سُبْلِهِ، فَهْوَ حَائِرُ ٨٧
٦٧ ـ أَذَلَّ «بَنِي عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ» بِدَارِهَا   كَثِيرٌ وَمَا أَلْقَى ٱلْقَنَا ٱلْمُتَشَاجِرُ
٦٨ ـ وَلَمَّا طَغَى «ٱلْقَتَّالُ» وَٱقْتَالَ حُكْمُهُ   حَمَاهُ ٱلْعَوَالِي أَجْوَذِيٌّ مُغَاوِرُ
٦٩ ـ جَلاَهُ كَمَا تُجْلَى ٱلْعَرُوسُ، فَقَيْدُهُ   خَلاَخِلُ، وَٱلْغِلُّ ٱلْمَتِينُ أَسَاوِرُ
٧٠ ـ يَقُولُ لَهُ، وَٱلتَّرْجُمَانُ يُبِينُهُ:   «أَيُعْذَلُ مَنْ أَرْدَاهُ لَيْثٌ مُهَاصِرُ؟»
٧١ ـ وَمَا لِيمَ مَغْلُوبٌ وَمِثْلُكَ غَالِبٌ   وَلاَ ذَلَّ مَأْسُورٌ وَمِثْلُكَ آسِرُ
٧٢ ـ وَقَادَ إِلَى أَرْضِ «ٱلسَّبَكْرِيِّ» جَحْفَلاً   يُسَافِرُ فِيهِ ٱلطَّرْفُ حِينَ يُسَافِرُ ٩١
٧٣ ـ وَأَلْقَى «تَمِيماً» حِينَ جَاشَتْ نُحُورُهَا،   بِكُلِّ أَنِيسِ ٱلْجَأْشِ، وَٱلْجَأْشُ نَافِرُ
٧٤ ـ لَهُمْ رَسَفَانٌ فِي ٱلْقُيُودِ؛ وَقَبْلَهَا   لَهُمْ خَطَرَاتٌ، وَٱلرِّمَاحُ خَوَاطِرُ

= إِلَيْهِ، فَأَوْقَعَ بِهِ، وَأَسَرَهُ، وَقَتَلَ رِجَالَهُ، وَوَافَى بِهِ «ٱلْمُعْتَضِدَ»، فَلَمْ يَعْلَمْ، حَتَّى دَخَلَ بِهِ عَلَيْهِ، وَحَكَمَهُ فِي ثَلاَثِ حَوَائِجَ، وَإِثْبَاتِ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ.

(٦٥) يَعْنِي: «صَاحِبَ ٱلْخَالِ»، إِذْ ظَفِرَ بِـ«ٱلشَّامِ» يَدْعُو لِنَفْسِهِ، حَتَّى عَظُمَ أَمْرُهُ، وَهَزَمَ ٱلْعَسَاكِرَ، فَنَهَضَ إِلَيْهِ «ٱلْمُكْتَفِي»، حَتَّى نَزَلَ «ٱلرَّقَّةَ»، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ «ٱلْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ» فَلَحِقَهُ بِأَقْصَى «ٱلسَّمَاوَةِ» فَأَوْقَعَ بِهِ، وَهَزَمَهُ، وَقَتَلَ رِجَالَهُ، وَعَادَ غَانِماً.

(٦٧) سَارَ «بَدْرٌ ٱلْمُعْتَضِدِيُّ»، وَمَعَهُ ٱلْعَسَاكِرُ، إِلَى ٱلْجَبَلِ، لِحَرْبِ «بَنِي عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ»؛ فَلَمَّا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ، ٱنْهَزَمَ، هُوَ وَعَسْكَرُهُ، وَقَاتَلَ «ٱلْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ» فِي عُصْبَةٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ، حَتَّى هَزَمَ «بَنِي عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ»، وَمَلَكَ عَسْكَرَهُمْ، فَأَكْثَرَ ٱلْقَتْلَ فِي رِجَالِهِمْ، فَلَمْ تَرْتَفِعْ لَهُمْ رَايَةٌ بَعْدَهَا أَبَداً، وَوَرَدَ كِتَابُ «بَدْرٍ» عَلَى «ٱلْمُعْتَضِدِ» بِهَزِيمَتِهِ، وَتَلاَهُ كِتَابُ ٱلْفَتْحِ بِخَبَرِ «ٱلْحُسَيْنِ».

(٧٢) يَعْنِي بِذَلِكَ: «ٱلسَّبَكْرِي»، وَ«ٱلْقَتَّالَ»، لَمَّا عَظُمَ أَمْرُهُمَا «بِفَارِسَ»، وَكَثُرَتْ عَسَاكِرُهُمَا، وَهَزَمَا ٱلْجُيُوشَ، فَدَبَّ إِلَيْهِمَا «ٱلْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ»، فَلَحِقَهُمَا وَأَوْقَعَ بِهِمَا، فَٱنْهَزَمَ «ٱلسَّبَكْرِيُّ» هَارِباً، وَأَسَرَ «ٱلْقَتَّالَ»، وَقَتَلَ خَلْقاً كَثِيراً مِنْ عَسَاكِرِهِمَا، وَفَتَحَ «فَارِسَ»، وَعُرِضَ عَلَيْهِ تَقْلِيدُ أَمْرِهَا، وَبُذِلَ لَهُ عَلَى ٱلْمَقَامِ بِهَا ثَلاَثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَأَبَاهَا.

(٧٣) يَعْنِي بِذَلِكَ: «بَنِي تَمِيمٍ»، لَمَّا أَفْسَدَتْ فِي ٱلْبِلاَدِ، وَمَلَكَتْ ٱلنَّعَمَ «بِٱلْجَزِيرَةِ»، وَغَلَبَت «ٱلْعَبَّاسَ بْنَ عَمْرٍو»، وَ«ذَكَا» مَوْلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمْرِهِمَا؛ فَنَدَبَ «ٱلْمُكْتَفِي» «ٱلْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ» لِحَرْبِهِ؛ فَعَبَرُوا «ٱلشَّامَ»؛ فَرَسَمَ لَهُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِمْ فِي وَقْتٍ مَعْلُومٍ بِعَيْنِهِ؛ فَلَمَّا حَصَلَ «بِٱلْجَزِيرَةِ»، أَسْرَى إِلَيْهِمْ مِنْ «دِيَارِ رَبِيعَةَ»، حَتَّى أَنَاخَ عَلَيْهِمْ «بِخُنَاصِرَةِ ٱلشَّامِ»؛ فَأَسَرَ مِنْهُمْ أَرْبَعَمِائَةِ وَجْهٍ، وَقَيَّدَهُمْ، وَحَمَلَهُمْ فِي ٱلْغَرَائِرِ، حَتَّى أَصْدَرَهُمْ إِلَى «مَدِينَةِ ٱلسَّلاَمِ»؛ فَوَصَلُوا فِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي رَسَمَ فِيهِ ٱلْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ.

٧٥ - مَلِيئاً بِهِمْ لَوْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ نَفْسِهِ ... تَرَائِبُ يُشْغِلْنَ الظُّبَى، وَحَنَاجِرُ
٧٦ - رَمَى مِصْرَ بِالإِقْلِيدِ، بَعْدَ اعْتِلاَقِهَا، ... بِإِقْلِيدِ مَا أَعْيَا الرِّجَالَ الْبَوَاتِرُ
٧٧ - وَمِنَّا الَّذِي سُلَّتْ «بِنَجْدٍ» سُيُوفُهُ ... فَرَوَّعَ بِالْغَوْرَيْنِ مَنْ هُوَ غَائِرُ ٩٣
٧٨ - تَنَاصَرَتِ الأَحْيَاءُ، مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ، ... وَلَيْسَ لَهُ، إِلاَّ مِنَ اللَّهِ، نَاصِرُ ٩٤
٧٩ - فَمَا طَاوَعَتْهُمْ لِلطِّعَانِ أَكُفُّهُمْ، ... وَلاَ حَمَلَتْهُمْ لِلنَّجَاةِ ضَوَامِرُ
٨٠ - شُهُودٌ خُلُوفٌ إِنْ أَنَاخَ عَلَيْهِمُ ... قَلِيلٌ، كَثِيرٌ إِنْ أَتَاهُمْ مُكَاثِرُ
٨١ - وَشَقَّ إِلَى «ابْنِ الدَّيْوَدَاذِ» كَتِيبَةً ... لَهَا لَجَبٌ، مِنْ دُونِهِ، وَزَمَاجِرُ ٩٦
٨٢ - جَلاَهَا، وَقَدْ ضَاقَ الْخِنَاقُ، بِضَرْبَةٍ ... لَهَا مِنْ يَدَيْهِ فِي الْمُلُوكِ نَظَائِرُ ٩٧
٨٣ - بِحَيْثُ الْحُسَامُ الْهِنْدُوَانِيُّ خَاطِبٌ ... بَلِيغٌ، وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَنَابِرُ ٩٨

---

(٧٦) يَعْنِي بِذَلِكَ: مَسِيرَ «الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ»، وَ«مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ»، كَاتِبِ الْجَيْشِ، وَسَائِرِ قُوَّادِ «الْمُكْتَفِي» إِلَى مِصْرَ، وَبِهَا «خُمَارَوَيْهِ بْنُ طُولُونَ»، وَعَسَاكِرُ «الطُّولُونِيَّةِ»، فَتَفَرَّدَ «الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ» بِالْحَرْبِ؛ وَهَزَمَ الْعَسَاكِرَ، وَفَتَحَ مِصْرَ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَقَلَّدَهَا، وَبُذِلَ لَهُ مِنْ مَالِهَا خَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ، فَأَبَاهَا.

(٧٩) أَسْرَى «أَبُو الْعَلاَءِ سَعِيدُ بْنُ حَمْدَانَ»، إِلَى «بَنِي عُقَيْلٍ»، وَقَدْ كَانُوا حَذِرُوا، فَتَجَمَّعُوا، فَلَحِقَهُمْ بِأَرْضٍ تُعْرَفُ «بِسَرْحٍ»، فَأَوْقَعَ بِهِمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ، وَأَسَرَ حُمَاتَهُمْ، وَانْصَرَفَ ظَافِراً غَانِماً، فَقَالَ أَبُو الْعَلاَءِ:

لَبَّيْتُهَا تَسْأَلُ عَنْ مَوْطِنِي إلخ

(يُورِدُ الأَبْيَاتَ نَفْسَهَا الَّتِي فِي شَرْحِ ١١٠)

(٨٠) يَعْنِي: «أَبَا الْهَيْجَاءِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَمْدَانَ»، حِينَ نُدِبَ إِلَى الْبَوَادِي، لَمَّا كَثُرَ فَسَادُهُمْ فِي طَرِيقِ «مَكَّةَ»، وَانْغَلَقَ الطَّرِيقُ عَنِ الْحَجِّ؛ فَسَارَ إِلَيْهِمْ، وَأَوْقَعَ «بِبَنِي كِلاَبٍ»، وَكَانَتِ الْعَرَبُ قَدِ اجْتَمَعَتْ لَهُ فِي «الْعَقَبَةِ»، فَقَتَلَ رِجَالاً، مِنْ وُجُوهِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ، كَثِيراً؛ وَنَهَبَ وَسَبَى، وَشَرَدَتْ بَقَايَا الْعَرَبِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ؛ فَمَنَحَهُ اللَّهُ أَكْتَافَهُمْ، وَرَجَعَ غَانِماً.

(٨١) لَمَّا اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ «ابْنِ أَبِي السَّاجِ يُوسُفَ بْنِ الدَّيْوَدَاذِ»، وَهَزَمَ الْعَسَاكِرَ، وَغَلَبَ عَلَى الْمَدَائِنِ، وَنَكَلَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ، نَدَبَ إِلَيْهِ «أَبَا الْهَيْجَاءِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَمْدَانَ» عَلَى الْعَرَبِ؛ وَ«مُؤْنِسَ الْمُظَفَّرَ» عَلَى الْعَجَمِ؛ فَلَمَّا اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ، حَمَلَ «عَبْدُ اللَّهِ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ» فَخَرَقَ الصُّفُوفَ نَحْوَ «يُوسُفَ»، حَتَّى ضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَحَصَلَ أَسِيراً، وَوَلَّى عَسْكَرُهُ مُنْهَزِماً. فَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَبْلَجَ مِنْ بَنِي «الأَقْشِيرِ» جَانٍ ... أَطَلْتَ عَنَاهُ بِالْخَطْبِ الْقَصِيرِ
تَرَكْتَ بِوَجْهِهِ لِلسَّيْفِ أَثْراً ... وَبَدَّلْتَ الْقُيُودَ مِنَ السَّرِيرِ

٨٤ -كَثِيرُ مَوَاطِي كُلِّ أَرْضٍ مَنِيعَةٍ ضَمَانٌ عَلَيْهِ أَنْ تَذِلَّ ٱلْجَبَابِرُ
٨٥ -غَرِيبُ فُلُولِ ٱلرَّأْيِ، فَلَّتْ سُيُوفُهُ سَوَابِغُ، قُدَّتْ تَحْتَهَا، وَمَغَافِرُ
٨٦ -وَأَرْوَعَ، مِنْ نَسْلِ ٱلْغَطَارِيفِ، مَاجِد حَمَى جَنَبَاتِ ٱلْمُلْكِ، وَٱلْمُلْكُ شَاغِرُ ١٠٧
٨٧ -بِحَيْثُ نِسَاءُ ٱلْمَارِقِينَ طَوَالِقٌ، وَحَيْثُ إِمَاءُ ٱلنَّاكِثِينَ حَرَائِرُ ١٠٨
٨٨ -لَهُ «بِسُلَيْمٍ» وَقْعَةٌ جَاهِلِيَّةٌ يُقِرُّ بِهَا «فَيْدٌ» وَيَشْهَدُ «حَاجِرُ» ١٠٩
٨٩ -وَأَذْكَتْ مَذَاكِيهِ «بِسَرْحٍ» وَأَرْضِهَا مِنَ ٱلضَّرْبِ نَاراً، جَمْرُهَا مُتَطَايِرُ ١١٠
٩٠ -يُقَصِّرُ عُمْرَ ٱلْحِقْدِ، فِي كُلِّ غَزْوَةٍ، بِصَوْلَةِ نَائِي ٱلْخَوْفِ، وَٱلْمَوْتُ حَاضِرُ
٩١ -رَمَى ٱللَّهُ مِنْهُ ٱلرُّومَ فِي كُلِّ مَعْقِلٍ بِمُشْتَبِهٍ أَسْرَارُهُ، وَهْوَ سَائِرُ
٩٢ -فَلَمْ يَسْتَتِرْ خَافٍ، وَلَمْ يَنْجُ هَارِبٌ، وَلَمْ يَمْتَنِعْ حِصْنٌ، وَلَمْ يُهْدَ حَائِرُ
٩٣ -وَكُلُّ مَشِيدٍ رَدَّ كِسْرَى بِحَسْرَةٍ فَبَاطِنُهُ لِلْمُسْلِمِينَ ظَوَاهِرُ
٩٤ -كَأَنَّ ٱلثُّرَيَّا فِي يَلَامِقِ أَهْلِهَا تُشَاكِلُهَا، فِي لَمْعِهَا، أَوْ تُجَاوِرُ
٩٥ -وَمِنَّا ٱلَّذِي سَمَّتْهُ «قَيْسٌ» مُزَرْفَناً وَقَدْ شَجَرَتْ فِيهِ ٱلرِّمَاحُ ٱلشَّوَاجِرُ ٩٩
٩٦ -وَرَدَّ «ٱبْنَ مَزْرُوعٍ» يَنُوءُ بِصَدْرِهِ وَفِي صَدْرِهِ مَا لَا تَنَالُ ٱلْمَسَابِرُ ١٠٠
٩٧ -وَلَمَّا طَغَى «ٱلشَّارِي» رَمَتْهُ سُيُوفُنَا بِبَأْسِ ٱبْنِ مَوْتٍ لَمْ تَرُعْهُ ٱلدَّوَائِرُ
٩٨ -بِخَيْلٍ، كَسَاهَا نَسْجُ دَاوُدَ حِلْيَةً، خُضِبْنَ دَماً أَرْسَاغُهَا، وَٱلْأَشَاعِرُ
٩٩ -وَقَوْمٍ تَوَاصَوْا بِٱلطِّعَانِ، فَأَصْبَحُوا قَلِيلاً لَدَيْهِمْ مَا يَقُولُ ٱلْمُعَايِرُ
١٠٠ -فَشَادَ مِنَ ٱلْأَيَّامِ عَمِّي بِصَالِحٍ وَعَامِرَ دِينٍ رَدَّ، إِذْ هُوَ عَامِرُ

---

(٩٣) غَزَا «أَبُو ٱلْعَلَاءِ سَعِيدُ بْنُ حَمْدَانَ»، وَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ» مِنْ «مَلَطْيَةَ»، حَتَّى أَغَارَا عَلَى مَدَائِنِ ٱلرُّومِ : «لُقَنْدُو»، «وَسَمَنْدُر»، وَأَوْغَلَا عَلَى «ٱلصَّفْصَافِ»، وَوَادِي «سَابُورَ»، فَأَحْرَقَاهَا، وَسَبَيَا ٱلذَّرَارِي مِنَ ٱلْمَدَائِنِ، وَقَتَلَا ٱلْحُمَاةَ وَفَتَحَا، وَكَانَتْ غَزَاةً حَلَبِيَّةً.

(٩٥) كَانَ «أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدُ بْنُ حَمْدَانَ»، مَعَ أَخِيهِ «أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ »، فِي «يَوْمِ ٱلْعَقَبَةِ»، فَعَظُمَ بَلَاؤُهُ، وَحَسُنَ أَثَرُهُ، وَأَصَابَهُ سِتٌّ وَعِشْرُونَ ضَرْبَةً وَطَعْنَةً؛ فَلَمْ تَقْلِبْهُ عَنْ فَرَسِهِ، فَسَمَّتْهُ «بَنُو كِلَابٍ» «ٱلْمُزَرْفَنَ». وَطَعَنَ «عَبْدَ ٱللَّهِ بْنَ مَزْرُوعٍ » طَعْنَةً فِي صَدْرِهِ، عَظِيمَةً، وَكَانَ فَارِسَ مَنْ حَضَرَ مِنْ قَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ وَوُجُوهِهَا.

(٩٧) ظَهَرَ «أَبُو يُوسُفَ صَالِح ٱلشَّارِي»، وَكَبُرَ أَمْرُهُ، فَنُدِبَ إِلَيْهِ «نَصْرُ بْنُ حَمْدَانَ»، «وَٱلْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ»، فَلَقِيَاهُ «بِٱلْبَوَازِيخِ »، فَأَسَرَاهُ، وَقَتَلَا كُلَّ مَنِ ٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ.

١٠١ ـغَزَاهُ وَحِيداً بَيْنَ حِيطَانِ مَنْزِلٍ يُعَاشِرُ فِيهِ ٱلْمَرْءُ مَنْ لَا يُعَاشِرُ ١٠٤
١٠٢ ـوَمِنَّا ٱللَّذَانِ ٱسْتَنْقَذَا ٱلْمُلْكَ بِٱلْقَنَا، وَقَدْ فُلِّلَتْ أَنْيَابُهُ، وَٱلْأَظَافِرُ
١٠٣ ـهُمَا عَمَّرَا «بِـٱلْمُتَّقِي» دَارَ مُلْكِهِ وَلِلضَّرْبِ وَقْتٌ بِٱلْجَمَاجِمِ عَامِرُ
١٠٤ ـلَقَدْ أَنْجَدَاهُ حِينَ لَمْ يَبْقَ مُنْجِدٌ، لَقَدْ آزَرَاهُ حِينَ قَلَّ ٱلْمُؤَازِرُ ١٢٠
١٠٥ ـوَلَا غَرْوَ إِنْ ذَادَا عَنِ ٱلْمُلْكِ مَنْ طَغَى لِأَنَّهُمَا لِلْمُلْكِ «سَيْفٌ» وَ«نَاصِرُ» ١١٩
١٠٦ ـأَظَلَّ ٱلْبَرِيدِيِّينِ «بِٱلْخَالِ» مِنْهُمَا سَحَابٌ، بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ، هَامِرُ
١٠٧ ـوَصَبَّ عَلَى ٱلْأَتْرَاكِ نَقْمَةَ مُنْعِمٍ، رَمَاهُ بِكُفْرَانِ ٱلصَّنِيعَةِ غَادِرُ ١٢٩
١٠٨ ـإِذَا سَلَّ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلسَّيْفَ مُصْلَتاً تَحَكَّمَ فِي ٱلْآجَالِ: نَاهٍ وَآمِرُ
١٠٩ ـرَأَتْ «مُضَرُ» ٱلْحَمْرَاءُ طَعْنَاتِ مَاجِدٍ لَهَا طَلَعَاتٌ، بِٱلْفُتُوحِ سَوَافِرُ
١١٠ ـفَلَمْ يُبْقِ غَمْراً طَعْنُهُ ٱلْغَمْرُ فِيهِمُ، وَلَمْ يُبْقِ وِتْراً ضَرْبُهُ ٱلْمُتَوَاتِرُ ٩٥
١١١ ـفَأَوَّلُ مَنْ شَكَّ: ٱلْمَجِيدُ بِنَفْسِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ قَدَّ: ٱلْكَمِيُّ ٱلْمُظَاهِرُ ١١٢
١١٢ ـوَمُدَّتْ بِأَكْنَافِ «ٱلْفُرَاتِ» قِبَابُهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ «ٱلْجَزِيرَةِ» جَازِرُ
١١٣ ـمَسَاقِطُ رُوسٍ فَرَّقَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا مَسَاقِطُ رُوسٍ فَارَقَتْهَا ٱلْحَنَاجِرُ
١١٤ ـوَرَدَّ عَلَى ٱلْأَعْقَابِ «فَضْلَ بْنَ جَعْفَرٍ» يُدَارِيهِ عَنْ حَوْبَائِهِ، وَيُكَاشِرُ
١١٥ ـوَأَحْرَزَ عَنْ أَبْنَاءِ «جُفْنٍ» شَآمَهُمْ بِحَرْبٍ، تَرَاءَتْ مُتْئِماً، وَهْيَ عَاقِرُ
١١٦ ـأَتَى «ٱلشَّامَ»، لَمَّا ٱسْتَذْأَبَتْ، وَتَنَمَّرَتْ بِهِ أَذْؤُبُ ٱلْبَيْدَاءِ، فَهْيَ قَسَاوِرُ
١١٧ ـفَثُقِّفَ مُنْآدٌّ، وَأُصْلِحَ فَاسِدٌ، وَذُلِّلَ جَبَّارٌ، وَشُرِّدَ ذَاعِرُ
١١٨ ـطَوَى «طَيِّئاً» لَمَّا ٱسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا بِعَزْمٍ لَهُ، فِي كُلِّ حِينٍ، جَرَائِرُ
١١٩ ـوَأَسْرَتْ إِلَى خَيْلِ «ٱلْجَزِيرَةِ» خَيْلُهُ بِكُلِّ غُلَامٍ حَشْوُ دِرْعَيْهِ خَادِرُ ١٩٧

---

(١٠٢) يَعْنِي: «نَاصِرَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْحَسَنَ بْنَ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ»، وَ«سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ، أَخَاهُ، أَبَا ٱلْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ ٱللَّهِ»، لَمَا عَصَى «بَجْكَمُ» عَلَى بَنِي ٱلْعَبَّاسِ، وَعَصَتْ بِعِصْيَانِهِ ٱلْأَتْرَاكُ وَٱلْعَسَاكِرُ؛ وَجَحَدَ مَوْلَاهُ، وَٱفْتُتِنَتْ بِهِ ٱلدُّنْيَا، وَخَرِبَتْ ٱلْمُدُنُ، وَهَمَّتِ ٱلْعَجَمُ بِأَخْذِ ٱلْمُلْكِ، وَأُخْمِلَتْ أَحْوَالُ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ، وَٱسْتُبِيحَتِ ٱلْحُرَمُ وَٱلذَّرَارِي، وَخَافَ «نَاصِرُ ٱلدَّوْلَةِ» أَنْ يَصْغُرَ أَمْرُ ٱلْعَرَبِ، وَيَخْمُلَ ذِكْرُهُمْ، وَيَعْظُمَ أَمْرُ ٱلْعَجَمِ بِبَغْدَادِ، فَٱشْتَدَّا فِي هَذِهِ ٱلْأُمُورِ نَهْضاً، فَأَجْلَسَا «ٱلْمُتَّقِي»، وَفَخَّمَا أَمْرَهُ، وَرَزَقَا ٱلْعَسَاكِرَ، وَرَجَعَا إِلَى ٱلْأَتْرَاكِ، وَإِلَى «بَجْكَمَ» وَ«ٱلْبَرِيدِيِّينَ»، فَظَفِرَا وَهَزَمَا ٱلْعَسَاكِرَ وَمَكَّنَا لِـ«ٱلْمُتَّقِي» مُلْكَهُ، وَرَدَّا ٱلْمُلْكَ فِي نِصَابِهِ، وَأَمِنَ ٱلنَّاسُ، وَتَرَاجَعَ أَمْرُهُمْ بَعْدَ ٱلْإِشْفَاءِ عَلَى ٱلْهَلَكَةِ.

١٢٠ ـعَلى كُلِّ طَيَّارِ ٱلضُّلوعِ ، كَأَنَّهُ، إِذَا ٱنْقَضَّ مِنْ عَلْيَاءَ، فَتْخاءُ كَاسِرُ ٢٠٣
١٢١ ـفَمَا رُدَّ عَنْهُم «بِٱلْمُبَرْقَعِ» حَادِثٌ، وَلَا غُضَّ عَنْهُمْ لِلْمَنِيَّةِ نَاظِرُ
١٢٢ ـوَأَنْقَذَ مِنْ مَسِّ ٱلْحَدِيدِ وَثِقْلِهِ «أَبَا وَائِلٍ»، وَٱلدَّهْرُ أَجْدَعُ، صَاغِرُ ١٧٤
١٢٣ ـوَآبَ بِرَأْسِ «ٱلْقِرْمِطِيِّ» أَمَامَهُ لَهُ جَسَدٌ، مِنْ أَكْعُبِ ٱلرُّمْحِ ، ضَامِرُ ١٧٥
١٢٤ ـأَلَا حَذَراً «يا ٱبْنَيْ نِزَارٍ» فَإِنَّهَا حَوَائِجُ يَسْبِقْنَ ٱلنَّجا، وَبَوادِرُ!
١٢٥ ـوَقَدْ يَعْظُمُ ٱلْأَمْرُ ٱلصَّغِيرُ؛ وَيَجْتَنِي أَكَابِرُ قَوْمٍ مَا جَنَاهُ ٱلْأَصَاغِرُ ١٧٦
١٢٦ ـكَمَا أَهْلَكَتْ «كَلْباً» غُوَاةُ جُنَاتِهَا وَعَمَّ «كِلَاباً» مَا جَنَتْهُ «ٱلْجَعَافِرُ» ١٣٧
١٢٧ ـوَأَرْوَعَ لَمْ يَرْصُدْ مِنَ ٱلْقَوْمِ غِرَّةً وَلَا سَبَقَتْهُ بِٱلْمُرادِ ٱلنَّذَائِرُ
١٢٨ ـوَلَوْ لَمْ يُنَهْنِهْ بَأْسَهُ ٱلْعَفْوُ لَانْثَنَى وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ «بِٱلْغُبَارَاتِ» غَائِرُ
١٢٩ ـوَلَكِنَّهُ أَبْقَى، وَرُبَّ صَنِيعَةٍ لَهَا فِيهِمُ، لَوْ يَنْفَعُ ٱلذِّكْرُ، ذَاكِرُ
١٣٠ ـيُنَادِينَهُ ٱلنِّسْوانُ: «يَا رَبَّ عَامِرٍ، أَيُهْلَكُ مِنْ بَعْدِ ٱلصَّنِيعَةِ عَامِرُ؟» ١٨٠
١٣١ ـوَإِنَّا، وَإِنْ غَالَتْ أَيَادِيكَ سَوْرَةً، عَبِيدُكَ، مَا هَزَّ ٱلْمَطِيَّةَ سَائِرُ ١٨١
١٣٢ ـوَنَرْجُوكَ إِحْسَاناً، وَنَخْشَاكَ صَوْلَةً، لِأَنَّكَ جَبَّارٌ، وَأَنَّكَ جَابِرُ ١٨٢
١٣٣ ـتَجَشَّمَ بِٱلْخَيْلِ «ٱلسَّمَاوَةَ»، قَائِظاً، وَقَدْ أَوْقَدَتْ نَارَ ٱلسَّمُومِ ٱلْهَوَاجِرُ ١٨٣
١٣٤ ـأَنَاخَ عَلَى «كَعْبٍ» بِأَقْصَى دِيَارِهَا وَمِنْ دُونِهَا بَحْرٌ مِنَ ٱلْآلِ زَاخِرُ
١٣٥ ـوَأَبْقَتْ عَلَى «ٱللُّكَّامِ» قَتْلَى سُيُوفِهِ لَهُمْ مِنْ بُطُونِ ٱلْخَامِعَاتِ مَقَابِرُ
١٣٦ ـوَأَرْكَزْنَ فِي قُطْرَيْ «قَلُونِيَّةَ» ٱلْقَنَا وَمِنْ طَعْنِهَا نَوْءٌ، بِـ«هِنْزِيطَ» مَاطِرُ

---

(١٢٢) يَعْنِي: «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ أَبَا ٱلْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ» وَأَمْرَهُ مَعَ «ٱلْمُبَرْقَعِ ٱلْخَارِجِيِّ» فِي «بَنِي كِلَابٍ»، وَأَسْرَهُ «لِأَبِي وَائِلٍ تَغْلِبَ ٱبْنِ دَاوُدَ بْنِ حَمْدَانَ»، مِنْ «حِمْصَ»؛ وَطَلَبَ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» مِنْ «حَلَبَ»، وَلُحُوقَهُ ٱلْيَوْمَ ٱلثَّالِثَ، فِي نَوَاحِي «دِمَشْقَ»، وَقَتْلَهُ «لِلْمُبَرْقَعِ»، وَنَدَامَةَ مَنِ ٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ، مِمَّا لَحِقَهُمْ، مِنْ سَفْكِ ٱلدِّمَاءِ، وَٱسْتِنْقَاذَهُ «أَبَا وَائِلٍ»، وَفَكَّهُ مِنَ ٱلْأَسْرِ.

(١٣٥) يَعْنِي: «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ»، وَنُزُولَهُ عَلَى «حِصْنِ زِيَادٍ»، وَ«قِلِزَ»، وَ«هِنْزِيطَ»، وَإِحْرَاقَهُ ٱلْمَدَائِنَ، وَسَبْيَهُ ٱلذَّرَارِيَ، وَطُولَ مُقَامِهِ، حَتَّى تَجَمَّعَتْ عُظَمَاءُ ٱلرُّومِ إِلَى «قُرْقُوَاسَ» وَ«ٱلدُّمُسْتُقِ»، وَتَحَاضُّوا عَلَى لِقَائِهِ، وَجَمْعَهُمْ عَسَاكِرَ ٱلرُّومِ، وَسَيْرَهُمْ إِلَيْهِ، وَنِدَاءَهُ فِي عَسْكَرِهِ، أَلَّا يَعْرِضَ لِسَبْيٍ وَلَا نَهْبٍ، حَتَّى يَنْصُرَ ٱللَّهُ. فَكَانَتْ كَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا، وَرَجَعَ غَانِماً، وَقَدْ أَسَرَ ٱلْبَطَارِقَةَ وَوُجُوهَ ٱلْعَسْكَرِ، وَوَلَدَ ٱلدُّمُسْتُقِ، وَصِهْرَهُ، وَٱبْنَ أَخِيهِ.

١٣٧ ـ وَعَـادَ بَهَـا يَهْـدِي إِلَى «مَـرْجِ قِلِّزٍ» هَـوَادِيَ يَهْدِيهَـا ٱلْهُدَى وَٱلْبَصَـائِـرُ

١٣٨ ـ رَمَى «قُـرْقُـوَاساً»، وَٱلْبَطَارِيقُ حَـوْلَـهُ بِضَرْبٍ يُقِلُّ ٱلْجَيْشَ، وَٱلْجَيْشُ كَاثِرُ

١٣٩ ـ وَأُسْرَةُ صِدْقٍ فِي ٱللِّقَاءِ، شِعَارُهُمْ: أَلَا إِنَّ ضَرْبَ ٱللَّهِ، لَا شَكَّ، قَاهِرُ

١٤٠ ـ وَقَـادَ إِلَى «ٱللُّقَّـانِ» كُـلَّ مُـطَهَّمٍ لَهُ حَافِرٌ، فِي يَابِسِ ٱلصَّخْرِ حَافِرُ

١٤١ ـ وَعُدْنَ بِإِحْضَـارِ «ٱلدُّمُسْتُقِ» مُـوثَقاً، أَلَا رُبَّ وَعْـدٍ أَخَّـرَتْـهُ ٱلْمَقَـادِرُ

١٤٢ ـ وَأَلْهَبْنَ لَهْبَيْ «عَـرْقَـةٍ» وَ «مَلَطْيَـةٍ» وَعَـادَ إِلَى «مَـوْزَارَ» مِنْهُنَ زَائِـرُ

١٤٣ ـ وَمَـا زَالَ يَـرْمِي كُـلَّ أَرْضٍ بِفَيْلَقٍ بَصِيرٌ بِضَرْبِ ٱلْخَيْلِ بِٱلْخَيْلِ، مَاهِرُ

١٤٤ ـ وَرَاحَتْ عَلَى «سِمْنِينَ» غَـارَةُ خَيْلِهِ وَقَـدْ بَاكَـرَتْ «هِنْزِيطَ» مِنْهَـا بَوَاكِـرُ

١٤٥ ـ رَمَى «مَرْعَشاً» مِنْ «أَرْقَنِينَ» وَدُونَهَـا سُهُـوبٌ نَـأَتْ أَطْـرَافُهَـا، وَأَوَاعِـرُ

١٤٦ ـ وَآبَ «بِقُسْطَنْطِينَ»، وَهْـوَ مُكَبَّـلٌ، تَـحُـفُّ بَـطَارِيـقٌ بِـهِ، وَزَرَاوِرُ ١٦٣

١٤٧ ـ وَوَلَّى عَلَى ٱلرَّسْمِ «ٱلدُّمُسْتُقُ»، هَارِباً، وَفِي وَجْهِـهِ عُذْرٌ مِنَ ٱلسَّيْفِ عَـاذِرُ ١٦٤

١٤٨ ـ فَـدَى نَفْسَـهُ بِـٱبْنٍ عَلَيْـهِ كَنَفْسِـهِ؛ وَلِلشِّـدَّةِ ٱلصَّمَّاءِ تُحْمَى ٱلـذَّخَـائِـرُ ١٦٥

١٤٩ ـ وَقَـدْ يُقْطَعُ ٱلْعُضْـوُ ٱلنَّفِيسُ لِغَيْرِهِ، وَتُـدْفَـعُ بِـٱلْأَمْـرِ ٱلْكَبِيـرِ ٱلْكَبَـائِـرُ! ١٦٦

١٥٠ ـ وَيَحْذَرُ مَلْكُ ٱلرُّومِ مَثْوًى يَسِيمُهُ؛ وَهَلْ يَدْفَعُ ٱلْحَيْنَ ٱلْمُتَاحَ ٱلْمُحَاذِرُ؟

١٥١ ـ وَيَوْمٍ عَلَى ظَهْرِ «ٱلْأُحَيْدِبِ» مُظْلِمٍ جَـلَاهُ، وَبِيضُ ٱلْهِنْـدِ فِيـهِ أَزَاهِـرُ

١٥٢ ـ أَتَتْ أُمَمُ ٱلْكُفَّـارِ فِيـهِ، يَـؤُمُّهَـا إِلَى ٱلْحَيْنِ مَحْدُودُ ٱلْمَطَالِبِ كَـافِرُ

١٥٣ ـ فَـلَمْ تَـرَ إِلَّا فَـالِقـاً هَـامَ فَـيْلَقٍ وَبَحْـراً لَـهُ تَحْتَ ٱلْعَجَـاجَـةِ زَاخِـرُ

١٥٤ ـ وَأَبْيَضَ مَـاضِي ٱلْعَزْمِ فِيهِمْ يَقُـدُّهُ بِـأَبْيَضَ مَاضِي ٱلْحَـدِّ أَبْيَضَ زَاهِـرُ

١٥٥ ـ وَتَسْمَعُ ،مِنْ جَرْسِ ٱلْحَدِيدِ، سُيُوفَهُمْ غِنَـاءَ غَـوَانٍ مَـا لَهُـنَّ مَـزَاهِـرُ ١٢٧

١٥٦ ـ قَصَرْنَ خُطَا صِهْرِ «ٱلدُّمُسْتُقِ» وَٱبْنِهِ وَفِيهِنَّ عَنْ سَعْيِ ٱلضَّـلَالَـةِ قَـاهِـرُ

١٥٧ ـ رَأَى ٱلثَّـغْرَ مَثْغُوراً، فَسَـدَّ بِسَيْفِهِ فَمَ ٱلدَّهْرِ مِنْهُ، وَهْوَ سَغْبَـانُ فَاغِـرُ

١٥٨ ـ مَسَـاعٍ يَضِـلُّ ٱلشِّعْـرُ فِيهِنَّ جُهْـدَهُ وَتَهْلِكُ فِي أَوْصَـافِهِنَّ ٱلْخَـوَاطِـرُ ١٣٧

١٥٩ ـ آخَـرٌ مَنْ عَـدَّدْتُ مِيقَـاتَ مَـوْلِـدٍ وَأَوَّلُ مَنْ تُثْنِي عَلَيْـهِ ٱلْخَنَـاصِـرُ

١٦٠ ـ وَلَـوْ رُتِّبُـوا فِيهَـا عَلَى قَـدْرِ فَضْلِهِمْ لَأَصْبَـحَ أُولَاهَـا ٱلَّـذِي هُـوَ آخِـرُ

١٦١ ـ فَتَحْنَـا أَقَاصِي «أَذْرَبِيجَـانَ» عَنْوَةً، وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهَا ٱلْمُلُوكُ ٱلْمَسَاعِـرُ

١٦٢ ـ بِطَعْنٍ أَصِيلٍ فِي ٱلطِّعَانِ مُرَدَّدٍ، زَكَا مَنْصِبٌ مِنْهُ، وَطَابَتْ عَنَاصِرُ
١٦٣ ـ وَجَارَتْ عَلَى «عَذْلٍ» مَضَايَا سُيُوفِهِ؛ أَلَا إِنَّ مَنْ يَقْضِي لَهُ ٱلسَّيْفُ جَائِرُ
١٦٤ ـ أَنَا ٱلْحَارِثُ» ٱلْمُخْتَارُ مِنْ آلِ «حَارِثٍ» إِذَا لَمْ يَسُدْ إِلَّا ٱلرِّجَالُ ٱلْأَخَايِرُ ٦٣
١٦٥ ـ يَسُرُّ صَدِيقِي: أَنَّ أَكْثَرَ وَاصِفِي عَدُوِّي وَإِنْ سَاءَتْهُ تِلْكَ ٱلْمَآثِرُ ٢٢٣
١٦٦ ـ وَهَلْ تُجْحَدُ ٱلشَّمْسُ ٱلْمُنِيرَةُ ضَوْءَهَا؟ وَيُسْتَرُ نُورُ ٱلْبَدْرِ وَٱلْبَدْرُ زَاهِرُ؟ ٢٢٤
١٦٧ ـ نَطَقْتُ بِفَضْلِي، وَٱمْتَدَحْتُ عَشِيرَتِي، وَمَا أَنَا مَدَّاحٌ وَلَا أَنَا شَاعِرُ ٢٢٥

- ١٤٠ -

وَقَالَ يَفْتَخِرُ:

[من الوافر]

١ ـ وُقُوفُكَ فِي ٱلدِّيَارِ عَلَيْكَ عَارُ، وَقَدْ رُدَّ ٱلشَّبَابُ ٱلْمُسْتَعَارُ(١)
٢ ـ أَبَعْدَ ٱلْأَرْبَعِينَ مُحَرَّمَاتٌ: تَمَادٍ فِي ٱلصَّبَابَةِ، وَٱغْتِرَارُ؟!..(٢)
٣ ـ نَزَعْتُ عَنِ ٱلصِّبَا، إِلَّا بَقَايَا، يُحَفِّدُهَا، عَلَى ٱلشَّيْبِ، ٱلْعُقَارُ(٣)
٤ ـ وَقَالَ ٱلْغَانِيَاتُ: «سَلَا، غُلَاماً، فَكَيْفَ بِهِ، وَقَدْ شَابَ ٱلْعِذَارُ؟»(٤)
٥ ـ وَمَا أَنْسَى ٱلزِّيَارَةَ مِنْكِ، وَهْناً، وَمَوْعِدُنَا «مَعَانٌ» وَ«ٱلْحِيَارُ»(٥)
٦ ـ وَطَالَ ٱللَّيْلُ بِي، وَلَرُبَّ دَهْرٍ نَعِمْتُ بِهِ، لَيَالِيهِ قِصَارُ
٧ ـ وَنَدْمَانِي: ٱلسَّرِيعُ إِلَى لِقَائِي، عَلَى عَجَلٍ، وَأَقْدَاحِي ٱلْكِبَارُ(٦)
٨ ـ عَشِقْتُ بِهَا عَوَارِيَّ ٱللَّيَالِي «أَحَقُّ ٱلْخَيْلِ بِٱلرَّكْضِ ٱلْمُعَارُ»(٧)

---

(١) في هذا البيت يخاطب الشاعر نفسه.

(٢) الصَّبابة: الشَّوق والهوى. الاغترار: الغرور.

(٣) نزعتُ عن الصِّبا: تجنَّبت الحبّ. يحفِّدها: يجعلها تسرع. العُقار: الخمر.

(٤) العِذار: الشعر الذي يُحاذي الأذن من جانب اللحية.

(٥) وهْناً: نحو منتصف اللَّيل. معان والحيار: اسمان لموضعين.

(٦) ويروى «ندائي» مكان «لقائي».

(٧) عجز البيت لبشر بن أبي خازم يصف فرساً:

٩ - وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ لَمْ أَرْوَ مِنْهَا ... حَنَنْتُ لَهَا، وَأَرَّقَنِي آدِّكَارُ!..[1]
١٠ - قَضَانِي آلدَّيْنَ مَاطِلُهُ، وَوَافَى، ... إِلَيَّ بِهَا، آلْفُؤَادُ آلْمُسْتَطَارُ[2]
١١ - فَبِتُّ أُعَلُّ خَمْراً مِنْ رُضَابٍ ... لَهَا سُكْرٌ وَلَيْسَ لَهَا خُمَارُ[3]
١٢ - إِلَى أَنْ رَقَّ ثَوْبُ آللَّيْلِ عَنَّا ... وَقَالَتْ: «قُمْ! فَقَدْ بَرَدَ آلسُّوَارُ!»[4]
١٣ - وَوَلَّتْ تَسْرِقُ آللَّحَظَاتِ، نَحْوِي، ... عَلَى فَرَقٍ، كَمَا آلْتَفَتَ آلصُّوَارُ[5]
١٤ - دَنَا ذَاكَ آلصَّبَاحُ، فَلَسْتُ أَدْرِي ... أَشَوْقٌ كَانَ مِنْهُ؟ أَمْ ضِرَارُ؟[6]
١٥ - وَقَدْ عَادَيْتُ ضَوْءَ آلصُّبْحِ، حَتَّى ... لِطَرْفِي، عَنْ مَطَالِعِهِ، آزْوِرَارُ[7]
١٦ - وَمُضْطَغِنٍ يُرَاوِدُ فِيَّ عَيْباً ... سَيَلْقَاهُ، إِذَا سُكِنَتْ وَبَارُ[8]
١٧ - وَأَحْسَبُ أَنَّهُ سَيَجُرُّ حَرْباً ... عَلَى قَوْمٍ ذُنُوبُهُمُ صِغَارُ
١٨ - كَمَا خَزِيَتْ بِـ «رَاعِيهَا» «نُمَيْرٌ»، ... وَجَرَّ عَلَى «بَنِي أَسَدٍ» «يَسَارُ»[9]
١٩ - وَكَمْ يَوْمٍ وَصَلْتُ بِفَجْرِ لَيْلٍ ... كَأَنَّ آلرَّكْبَ تَحْتَهُمَا صِدَارُ؟[10]
٢٠ - إِذَا آنْحَسَرَ آلظَّلَامُ آمْتَدَّ لَيْلٌ ... كَأَنَّا دُرُّهُ، وَهُوَ آلْبِحَارُ[11]

= وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ ... أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمُعَارُ

وعجز البيت مَثَل عربيّ، وقد اختُلف في معنى «المعار»، فقيل: المستعار، وقيل: المُسمَّى. ويروى «المغار» بالغين، أي: المُضمَّرة.

(١) الادّكار: التذكُّر.

(٢) ماطِلُ الدَّين: الذي لا يفي به. المُستطار: المنصدِع.

(٣) أعُلّ: أشرب مرّةً بعد أخرى. الخُمار: صُداع الخمر وألمها.

(٤) السُّوارُ: مكان السِّوار من اليد.

(٥) الفَرَق: الخوف. الصُّوار: القطيع من بقر الوحش.

(٦) الضرار: المُخالفة، والمُضايقة.

(٧) طرفي: نظري. ازورار: مَيْل وانحراف.

(٨) المضْطغِن: الحاقِد. وبار: قيل إنّها أرض لعاد سكنها الجنّ بعدهم.

(٩) الراعي هو راعي الإبل (عُبيد بن حُصين) الذي تحرَّش بالشاعر الهجّاء جرير، فهجاه جرير وهجا قومه منزِلاً العار بهم. ويسار هو يسار عبد زهير بن أبي سلمى الذي أسره الحارث بن زرْقاء. واستاق معه إبل زهير، وهجا قومه، وهم من بني أسد.

(١٠) الصِّدار: علامة في صَدْر الجمل.

(١١) ويروى الصدر: «إذا انجرَّ الظَّلامُ لها امتدادٌ».

٢١ -يَمُوجُ عَلَى آلنَّوَاظِرِ، فَهْوَ مَاءٌ، وَيَلْفَحُ بِآلْهَوَاجِرِ، فَهْوَ نَارُ[١]
٢٢ -إِذَا مَا آلْعِزُّ أَصْبَحَ فِي مَكَانٍ سَمَوْتُ لَهُ، وَإِنْ بَعُدَ آلْمَزَارُ
٢٣ -مُقَامِي، حَيْثُ لَا أَهْوَى، قَلِيلٌ وَنَوْمِي، عِنْدَ مَنْ أَقْلِي، غِرَارُ[٢]
٢٤ -أَبَتْ لِي هِمَّتِي، وَغِرَارُ سَيْفِي، وَعَزْمِي، وَآلْمَطِيَّةُ، وَآلْقِفَارُ،[٣]
٢٥ -وَنَفْسٌ، لَا تُجَاوِرُهَا آلدَّنَايَا، وَعِرْضٌ، لَا يَرِفُّ عَلَيْهِ عَارُ،
٢٦ -وَقَوْمٌ، مِثْلُ مَنْ صَحِبُوا، كِرَامٌ، وَخَيْلٌ، مِثْلُ مَنْ حَمَلَتْ، خِيَارُ
٢٧ -وَكَمْ بَلَدٍ شَتَتْنَاهُنَّ فِيهِ، ضُحًى، وَعَلَا مَنَابِرَهُ آلْغُبَارُ؟[٤]
٢٨ -وَخَيْلٍ، خَفَّ جَانِبُهَا، فَلَمَّا ذُكِرْنَا بَيْنَهَا نُسِيَ آلْفِرَارُ؟
٢٩ -وَكَمْ مَلِكٍ، نَزَعْنَا آلْمُلْكَ عَنْهُ، وَجَبَّارٍ، بِهَا دَمُهُ جُبَارُ؟[٥]
٣٠ -وَكُنَّ إِذَا أَغَرْنَ عَلَى دِيَارٍ رَجَعْنَ، وَمِنْ طَرَائِدِهَا آلدِّيَارُ،
٣١ -فَقَدْ أَصْبَحْنَ وَآلدُّنْيَا جَمِيعاً لَنَا دَارٌ، وَمَنْ تَحْوِيهِ جَارُ
٣٢ -إِذَا أَمْسَتْ «نِزَارُ» لَنَا عَبِيداً فَإِنَّ آلنَّاسَ كُلَّهُمُ «نِزَارُ»

- ١٤١ -

وَلَهُ، إِلَى أَخِيهِ «أَبِي آلْفَضْلِ»، يَسْتَزِيرُهُ، وَهُمَا أَسِيرَانِ. وَإِنَّمَا لَمْ يُتْرَكْ «أَبُو فِرَاسٍ»، مَعَ آلْأَسْرَى، فِي دَارِ آلْبَلَاءِ، إِجْلَالاً لَهُ وَإِكْرَاماً، لِعُلُوِّ شَأْنِهِ وَعِظَمِهِ:

[من الطويل]

١ - أَتَتْرُكُ إِتْيَانَ آلزِّيَارَةِ عَامِداً وَأَنْتَ عَلَيْهَا، لَوْ تَشَاءُ، قَدِيرُ؟[٦]

---

(١) الهواجر: جمع الهاجرة، وهي منتصف النهار عند اشتداد الحرّ.
(٢) أقْلي: أبغض. غرار: قليل.
(٣) غِرار السَّيف: حدّه. القِفار: جمع القَفْر، وهو المكان لا ناس فيه، ولا ماء، ولا شجر.
(٤) ويروى «المغار» مكان «الغبار». شتتناهُنّ: فرّقناهُنّ، والضمير يعود إلى الخيل.
(٥) جُبار: هَدْر.
(٦) عامداً: متعمّداً.

٢ ـ وَعَيْشِكَ، لَوْلَا مَا عَلِمْتَ لَمَا وَنَتْ إِلَى الدَّارِ، مِنِّي رَوْحَةٌ وَبُكُورُ(١)
٣ ـ فَكَمْ كَانَ رَأْيِي، فِي لِقَائِكَ، نَافِذاً وَرَأْيُكَ فِيهِ وُنْيَةٌ وَفُتُورُ؟(٢)
٤ ـ تَقُولُ: «غَداً آتِي»؛ وَلَوْ كُنْتَ رَاغِباً، لَطَالَ عَلَيْكَ اللَّيْلُ، وَهْوَ قَصِيرُ
٥ ـ وَلَكِنَّ وَقْتاً، أَنْتَ فِيهِ مُحَبَّبٌ إِلَيَّ، وَدَهْراً أَنْتَ فِيهِ نَضِيرُ
٦ ـ يَضِيقُ عَلَيَّ الْحَبْسُ، حَتَّى تَزُورَهُ فَمَا هُوَ إِلَّا رَوْضَةٌ وَغَدِيرُ(٣)
٧ ـ صَبَرْتُ عَلَى هَذِي، فَمَا أَنَا بَعْدَهَا عَلَى غَيْرِهَا، مِمَّا صَبَرْتُ قَدِيرُ

ـ ١٤٢ ـ

وَلَهُ إِلَى «أَبِي حُصَيْنٍ الْقَاضِي»، وَقَدْ تَأَخَّرَ عَنْهُ جَوابُ مُكَاتَبَتِهِ:

[من الكامل]

١ ـ وَيَدٍ يَرَاهَا الدَّهْرَ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ، تَمْحُو إِسَاءَتَهُ إِلَيَّ وَتَغْفِرُ(٤)
٢ ـ أَهْدَتْ إِلَيَّ مَوَدَّةً مِنْ صَاحِبٍ تَزْكُو الْمَوَدَّةُ فِي ثَرَاهُ، وَتُثْمِرُ(٥)
٣ ـ عَلِقَتْ يَدِي مِنْهُ بِعِلْقٍ مَضَنَّةٍ مِمَّا يُصَانُ عَلَى الزَّمَانِ وَيُدْخَرُ
٤ ـ إِنِّي عَلَيْكَ، «أَبَا حُصَيْنٍ»، عَاتِبٌ وَالْحُرُّ يَحْتَمِلُ الصَّدِيقَ، وَيَصْبِرُ(٦)
٥ ـ وَإِذَا وَجَدْتُ عَلَى الصَّدِيقِ شَكَوْتُهُ سِرًّا إِلَيْهِ وَفِي الْمَحَافِلِ أَشْكُرُ(٧)
٦ ـ مَا بَالُ شِعْرِي لَا تَرُدُّ جَوَابَهُ؟ «سَحْبَانُ» عِنْدَكَ «بَاقِلٌ»، لَا أَعْذُرُ!(٨)

---

(١) ونَتْ: ضعفَتْ، فترتْ. الروحة: الذهاب في الروّاح، وهو العشيّ. بُكور: الذهاب بكرة.
(٢) الونية: الضَّعف.
(٣) أي: إذا زرْتَني في الحبس، أصبح لي روضةً وغديراً.
(٤) ذميمة: مذمومة.
(٥) تزكو: تطيب. ثراه: ترابه.
(٦) ويروى «ويغفر» مكان «ويصبر».
(٧) وجدت: غضبت. في المحافل: أمام الناس.
(٨) سحبان: رجل يُضرب المثل في المثل في فصاحته. وباقل: رجل يُضرب المثل في بلاهته وحمقه.

- ١٤٣ -

وَقَالَ، وَقَدْ عُقِدَ ٱلْجِسْرُ «بِمَنْبِجَ»:

[من الرجز]

١ - كَأَنَّمَا ٱلْمَاءُ عَلَيْهِ ٱلْجِسْرُ   دَرْجُ بَيَاضٍ خُطَّ فِيهِ سَطْرُ
٢ - كَأَنَّنَا، لَمَّا ٱسْتَتَبَّ ٱلْعَبْرُ،   أُسْرَةُ «مُوسَى» يَوْمَ شُقَّ ٱلْبَحْرُ!(١)

- ١٤٤ -

وَقَالَ:

[من الهزج]

١ - أَيَا مَنْ وَجْهُهُ بَدْرٌ،   وَفِي أَلْحَاظِهِ سِحْرُ!(٢)
٢ - وَيَا مَنْ جِسْمُهُ مَاءٌ،   وَيَا مَنْ قَلْبُهُ صَخْرُ!(٣)
٣ - لَقَدْ قَامَ، لَدَى ٱلْعَاذِ   لِ مِنْ وَجْهِكَ، لِي عُذْرُ(٤)
٤ - وَمَا بُحْتُ بِمَا أَلْقَا   هُ حَتَّى عَزَّنِي ٱلصَّبْرُ(٥)

- ١٤٥ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - قَدْ عَرَفْنَا مَغْزَاكَ، يَا عَيَّارُ،   وَتَلَظَّتْ، كَمَا أَرَدْتَ، ٱلنَّارُ(٦)

---

(١) العَبْر: الجسر، والعبور، وفي البيت إشارة إلى حادثة النبيّ موسى عندما شَقَّ بعصاه البحر الأحمر، فمرَّ فيه مع قومه. ويروى «استقام» مكان «استتبّ»، و «حين» مكان «يوم».
(٢) الألحاظ: العينان.
(٣) قوله «قلبه صخر» كناية عن قسوته.
(٤) العاذل: اللائم.
(٥) عزَّني: امتنع عليّ.
(٦) العيَّار: الكثير التعيير. تلظَّتْ: تأجَّجتْ واستعرتْ.

٢ ـ لَمْ أَزَلْ ثَابِتاً عَلَى ٱلْهَجْرِ حَتَّى ... خَفَّ صَبْرِي، وَقَلَّتِ ٱلْأَنْصَارُ
٣ ـ وَإِذَا أَحْدَثَ ٱلْحَبِيبَانِ أَمْراً ... كَانَ فِيهِ عَلَى ٱلْمُحِبِّ ٱلْخِيَارُ

ـ ١٤٦ ـ

وَغَلَبَتِ ٱلْحَسْرَةُ عَلَى أُمِهِ، وَهْوَ فِي ٱلْحَبْسِ، فَمَاتَتْ، فَقَالَ يَرْثِيهَا:

[من الوافر]

١ ـ أَيَا أُمَّ ٱلأَسِيرِ، سَقَاكِ غَيْثٌ، ... بِكُرْهٍ مِنْكِ، مَا لَقِيَ ٱلأَسِيرُ!(١)
٢ ـ أَيَا أُمَّ ٱلأَسِيرِ، سَقَاكِ غَيْثٌ، ... تَحَيَّرَ، لَا يُقِيمُ وَلَا يَسِيرُ!
٣ ـ أَيَا أُمَّ ٱلأَسِيرِ، سَقَاكِ غَيْثٌ، ... إِلَى مَنْ بِٱلْفِدَا يَأْتِي ٱلْبَشِيرُ؟
٤ ـ أَيَا أُمَّ ٱلأَسِيرِ، لِمَنْ تُرَبَّى ... وَقَدْ مِتِّ، ٱلذَّوَائِبُ وَٱلشُّعُورُ؟(٢)
٥ ـ إِذَا ٱبْنُكِ سَارَ فِي بَرٍّ وَبَحْرٍ، ... فَمَنْ يَدْعُو لَهُ، أَوْ يَسْتَجِيرُ؟(٣)
٦ ـ حَرَامٌ أَنْ يَبِيتَ قَرِيرَ عَيْنٍ! ... وَلُؤْمٌ أَنْ يُلِمَّ بِهِ ٱلسُّرُورُ!(٤)
٧ ـ وَقَدْ ذُقْتِ ٱلْمَنَايَا وَٱلرَّزَايَا، ... وَلَا وَلَدٌ، لَدَيْكِ، وَلَا عَشِيرُ(٥)
٨ ـ وَغَابَ حَبِيبُ قَلْبِكِ عَنْ مَكَانٍ، ... مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاءِ بِهِ حُضُورُ
٩ ـ لِيَبْكِكِ كُلُّ يَوْمٍ صُمْتِ فِيهِ، ... مُصَابِرَةً، وَقَدْ حَمِيَ ٱلْهَجِيرُ!(٦)
١٠ ـ لِيَبْكِكِ كُلُّ لَيْلٍ قُمْتِ فِيهِ ... إِلَى أَنْ يَبْتَدِي ٱلْفَجْرُ ٱلْمُنِيرُ!
١١ ـ لِيَبْكِكِ كُلُّ مُضْطَهَدٍ مَخُوفٍ ... أَجَرْتِيهِ، وَقَدْ قَلَّ ٱلْمُجِيرُ!(٧)
١٢ ـ لِيَبْكِكِ كُلُّ مِسْكِينٍ فَقِيرٍ ... أَغَثْتِيهِ، وَمَا فِي ٱلْعَظْمِ رِيرُ!(٨)

---

(١) الغيث: المطر.
(٢) الذّوائب: هنا الأطراف.
(٣) يستجير: يطلب النجدة.
(٤) ويروى «أبيتَ» مكان «يبيت»، و «أومرَ أنْ يمرَّ بيَ السُّرور» مكان العجزُ.
(٥) المنايا: جمع المنيَّة، وهي الموت. الرزايا: جمع الرزيَّة، وهي المصيبة. العشير: الزوج، والقريب.
(٦) الهجير: الحرّ الشَّديد.
(٧) ويروى «جَلَّ» مكان «قلَّ». والمُجير: المُعين عند النكبات.
(٨) رير: حبّ.

١٣ - أيَا أُمَّاهُ، كَمْ هَمٍّ طَوِيلٍ ... مَضَى بِكِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ نَصِيرُ!؟
١٤ - أيَا أُمَّاهُ، كَمْ سِرٍّ مَصُونٍ ... بِقَلْبِكِ، مَاتَ لَيْسَ لَهُ ظُهُورُ؟!(١)
١٥ - أيَا أُمَّاهُ، كَمْ بُشْرَى بِقُرْبِي ... أَتَتْكِ، وَدُونَهَا ٱلْأَجَلُ ٱلْقَصِيرُ؟!
١٦ - إِلَى مَنْ أَشْتَكِي؟ وَلِمَنْ أُنَاجِي، ... إِذَا ضَاقَتْ بِمَا فِيهَا ٱلصُّدُورُ؟
١٧ - بِأَيِّ دُعَاءِ دَاعِيَةٍ أُوَقَّى؟ ... بِأَيِّ ضِيَاءِ وَجْهٍ أَسْتَنِيرُ؟
١٨ - بِمَنْ يُسْتَدْفَعُ ٱلْقَدَرُ ٱلْمُوَفَّى؟ ... بِمَنْ يُسْتَفْتَحُ ٱلْأَمْرُ ٱلْعَسِيرُ؟
١٩ - نُسَلَّى عَنْكِ: أَنَّا عَنْ قَلِيلٍ، ... إِلَى مَا صِرْتِ فِي ٱلْأُخْرَى، نَصِيرُ

- ١٤٧ -

وَقَالَ، يَفْتَخِرُ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ ٱلرُّومَ، قَالَتْ: مَا أَسَرْنَا أَحَداً لَمْ نَسْلُبْ سِلاَحَهُ غَيْرَ «أَبِي فِرَاس»:

[من الطويل]

١ - أَرَاكَ عَصِيَّ ٱلدَّمْعِ، شِيمَتُكَ ٱلصَّبْرُ، ... أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلاَ أَمْرُ؟(٢)
٢ - بَلَى، أَنَا مُشْتَاقٌ، وَعِنْدِيَ لَوْعَةٌ، ... وَلَكِنَّ مِثْلِي لاَ يُذَاعُ لَهُ سِرُّ!(٣)
٣ - إِذَا ٱللَّيْلُ، أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ ٱلْهَوَى ... وَأَذْلَلْتُ دَمْعاً مِنْ خَلاَئِقِهِ ٱلْكِبْرُ(٤)
٤ - تَكَادُ تُضِيءُ ٱلنَّارُ، بَيْنَ جَوَانِحِي، ... إِذَا هِيَ أَذْكَتْهَا ٱلصَّبَابَةُ وَٱلْفِكْرُ(٥)
٥ - مُعَلِّلَتِي بِٱلْوَصْلِ، وَٱلْمَوْتُ دُونَهُ، ... إِذَا مِتُّ ظَمْآناً، فَلاَ نَزَلَ ٱلْقَطْرُ!(٦)
٦ - حَفِظْتُ وَضَيَّعْتِ ٱلْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ... وَأَحْسَنَ، مِنْ بَعْضِ ٱلْوَفَاءِ لَكِ، ٱلْعُذْرُ
٧ - وَمَا هَذِهِ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفُ ... لِأَحْرُفِهَا، مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا، بَشْرُ(٧)

---

(١) مصون: محفوظ.
(٢) عصيّ الدمع: ممتنعه.
(٣) اللوعة: الشّوق والصّبابة.
(٤) أضواني: أضعفني. خلائقه: صفاته. الكبر: الأنفة.
(٥) الجوانح: الضّلوع. أذكتها: أشعلتها. الصّبابة: الشّوق والهوى.
(٦) معلّلتي: مطمعتي. الوصْل: اللقاء، ومبادلة الحبّ بمثله. القطْر: الماء.
(٧) الصحائف: جمع الصّحيفة، وهي الكتاب. بَشْر: مَحْو.

٨ - بِنَفْسِي، مِنَ ٱلْغَادِينَ فِي ٱلْحَيِّ، غَادَةً … هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ، وَبَهْجَتُهَا عُذْرُ

٩ - تَرُوغُ إِلَى ٱلْوَاشِينَ فِيَّ، وَإِنَّ لِي … لَأُذْناً بِهَا، عَنْ كُلِّ وَاشِيَةٍ؛ وَقْرُ(١)

١٠ - بَدَوْتُ، وَأَهْلِي حَاضِرُونَ، لِأَنَّنِي … أَرَى أَنَّ دَاراً، لَسْتِ مِنْ أَهْلِهَا، قَفْرُ(٢)

١١ - وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ، وَإِنَّهُمْ … وَإِيَّايَ، لَوْلَا حُبُّكِ، ٱلْمَاءُ وَٱلْخَمْرُ(٣)

١٢ - فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ ٱلْوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ … فَقَدْ يَهْدِمُ ٱلْإِيمَانُ مَا شَيَّدَ ٱلْكُفْرُ

١٣ - وَفَيْتُ، وَفِي بَعْضِ ٱلْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ، … لِآنِسَةٍ فِي ٱلْحَيِّ شِيمَتُهَا ٱلْغَدْرُ

١٤ - وَقُورٌ، وَرَيْعَانُ ٱلصِّبَا يَسْتَفِزُّهَا؛ … فَتَأْرَنُ، أَحْيَاناً، كَمَا يَأْرَنُ ٱلْمُهْرُ(٤)

١٥ - تُسَائِلُنِي: «مَنْ أَنْتَ؟»، وَهْيَ عَلِيمَةٌ، … وَهَلْ بِفَتًى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ؟(٥)

١٦ - فَقُلْتُ، كَمَا شَاءَتْ، وَشَاءَ لَهَا ٱلْهَوَى: … «قَتِيلُكِ!» قَالَتْ: «أَيُّهُمْ؟ فَهُمُ كُثْرُ!»

١٧ - فَقُلْتُ لَهَا: «لَوْ شِئْتِ لَمْ تَتَعَنَّتِي، … وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي، وَعِنْدَكِ بِي خُبْرُ!»(٦)

١٨ - فَقَالَتْ: «لَقَدْ أَزْرَى بِكَ ٱلدَّهْرُ بَعْدَنَا!» … فَقُلْتُ: «مَعَاذَ ٱللَّهِ! بَلْ أَنْتِ لَا ٱلدَّهْرُ،

١٩ - وَمَا كَانَ لِلْأَحْزَانِ، لَوْلَاكِ، مَسْلَكٌ … إِلَى ٱلْقَلْبِ؛ لَكِنَّ ٱلْهَوَى لِلْبِلَى جِسْرُ»

٢٠ - وَتَهْلِكُ، بَيْنَ ٱلْهَزْلِ وَٱلْجِدِّ، مُهْجَةٌ؛ … إِذَا مَا عَدَاهَا ٱلْبَيْنُ عَذَّبَهَا ٱلْفِكْرُ(٧)

٢١ - فَأَيْقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ، بَعْدِي، لِعَاشِقٍ؛ … وَأَنَّ يَدِي. مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ

٢٢ - وَقَلَّبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً، … إِذَا ٱلْهَمُّ أَسْلَانِي أَلَحَّ بِيَ ٱلْهَجْرُ(٨)

٢٣ - فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ ٱلزَّمَانِ وَحُكْمِهَا، … لَهَا ٱلذَّنْبُ لَا تُجْزَى بِهِ وَلِيَ ٱلْعُذْرُ(٩)

---

(١) تروغ: تميل سرّاً. الوقْر. الصَّمم. يقول: إنّها تسمع أقوال الوشاة، وهو يعطيهم أذناً صمّاء.

(٢) بدوتُ: أقمتُ في البادية. حاضرون: مقيمون في الحاضرة، وهي ما يقابل البادية. القفر: التي لا ناس فيها، ولا ماء، ولا شجر.

(٣) ويروى «أهلي» مكان «قومي».

(٤) وقور: يعني محبوبته: ريعان الشَّباب: شدَّته، وعنفوانه. تأرن: تنشط وتمرح.

(٥) نُكر: غير معروف.

(٦) تتعنَّتي: تطلبين أمراً فيه مشقَّة.

(٧) المُهجَة: الروح، والنفس. البَيْن: الفراق، والبعد.

(٨) أسلاني: أنساني.

(٩) تُجزى: تعاقَب.

٢٤ - كَـأَنِّي أُنَـادِي، دُونَ مَيْثَـاءَ، ظَبْيَـةً، عَلَى شَرَفٍ ظَمْيَاءَ، جَلَّلَهَا ٱلذُّعْـرُ(١)
٢٥ - تَجَفَّـلُ حِيناً، ثُمَّ تَـدْنُـو كَـأَنَّمَـا تُنَادِي طَلاً، بِٱلْوَادِ، أَعْجَزَهُ ٱلْحُضْرُ(٢)
٢٦ - فَـلاَ تُنْكِـرِينِي، يَـاٱبْنَةَ ٱلْعَمِّ، إِنَّـهُ لَيَعْـرِفُ مَنْ أَنْكَرْتِـهِ: ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْـرُ
٢٧ - وَلاَ تُنْكِـرِينِي، إِنَّنِي غَيْـرُ مُنْكَـرٍ إِذَا زَلَّتِ ٱلأَقْـدَامُ؛ وَٱسْتُنْـزِلَ ٱلنَّصْـرُ
٢٨ - وَإِنِّـي لَجَـرَّارٌ لِكُـلِّ كَتِيبَـةٍ مُعَـوَّدَةٍ أَنْ لاَ يُخِلَّ بِهَـا ٱلنَّصْـرُ(٣)
٢٩ - وَإِنِّـي لَنَـزَّالٌ بِكُـلِّ مَخُـوفَـةٍ كَثِيرٌ إِلَى نُـزَّالِهَـا ٱلنَّظَرُ ٱلشَّـزْرُ(٤)
٣٠ - فَـأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَـوِي ٱلْبِيضُ وَٱلْقَنَـا وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّسْرُ(٥)
٣١ - وَلاَ أُصْبِـحُ ٱلْحَيَّ ٱلْخَلُوفَ بِغَـارَةٍ وَلاَ ٱلْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ، قَبْلِيَ ٱلنُّذْرُ(٦)
٣٢ - وَيَـا رُبَّ دَارٍ، لَمْ تُخِفْنِي، مَنِيعَـةٍ طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِٱلرَّدَى، أَنَا وَٱلْفَجْـرُ(٧)
٣٣ - وَحَيٍّ رَدَدْتُ ٱلْخَيْـلَ حَتَّى مَلَكْتُـهُ هَـزِيماً وَرَدَّتْنِي ٱلْبَـرَاقِـعُ وَٱلْخُمْـرُ(٨)
٣٤ - وَسَاحِبَـةِ ٱلأَذْيَـالِ نَحْوِي، لَقِيتُهَـا فَلَمْ يَلْقَهَـا جَهْمُ ٱللِّقَاءِ، وَلاَ وَعْـرُ(٩)
٣٥ - وَهَبْتُ لَهَـا مَـا حَـازَهُ ٱلْجَيْشُ، كُلَّهُ، وَرُحْتُ، وَلَمْ يُكْشَفْ لأَثْوَابِهَا سِتْرُ(١٠)
٣٦ - وَلاَ رَاحَ يُـطْغِينِي بِـأَثْـوَابِـهِ ٱلْغِنَى؛ وَلاَ بَاتَ يَثْنِينِي عَنِ ٱلْكَرَمِ (١١)

---

(١) الميثاء: ما اتّسع من فوهة الوادي. ظمياء: صفة للشفة الذابلة في حمرة، أو للعين الرقيقة الجفن. جلّلها: اكتنفها. الذّعر: الخوف الشّديد.

(٢) الطّلاء: ولد الظبية. الحضر الرّكْض.

(٣) جرّار: قائد. الكتيبة: الجيش. ومعنى العجز أنّها تنتصر دائماً.

(٤) نزّال: كثير النـزول. المخوفـة: الأرض التي يخافهـا المرء. النـظر الشّزر: النّـظر الذي فيـه غضب وامتعاض.

(٥) أظمأ: أعطش. البيض: السيوف. القنا: الرماح. أسغب: أجوع.

(٦) الحيّ الخلوف: الحيّ الذي غاب عنه رجاله. والمعنى أنّه شجاع لا يهاجم أعداءه ما لم ينذرهم.

(٧) الرّدى: الموت.

(٨) ويروى الصدر «وجيشٍ شَنَنْتُ الغارَ حتّى تركته». الهزيم: المهزوم. البراقع: جمع البرقع، وهو ما تستر به المرأة وجهها. الخُمْر: جمع الخمار، وهو ما تستر به المرأة وجهها.

(٩) ويروى «جافي» مكان «جَهْم»، وهما بمعنى. ساحبة الأذيال: كناية عن الفتاة الجميلة المتبخترة. الوعر: القاسي الشّديد.

(١٠) ويروى «لأبياتها» مكان «لأثوابها».

(١١) يُطغيني: يجعلني طاغياً: ظالماً.

٣٧ ـوَمَا حَاجَتِي بِٱلْمَالِ أَبْغِي وُفُورَهُ؟ إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي فَلاَ وَفَرَ ٱلْوَفْرُ(١)
٣٨ ـأُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ، لَدَى ٱلْوَغَى، وَلاَ فَرَسِي مُهْرٌ، وَلاَ رَبُّهُ غَمْرُ!
٣٩ ـوَلَكِنْ إِذَا حُمَّ ٱلْقَضَاءُ عَلَى آمْرِىءٍ فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ، وَلاَ بَحْرُ!(٢)
٤٠ ـوَقَالَ أُصَيْحَابِي: «ٱلْفِرَارُ أَوِ ٱلرَّدَى؟» فَقُلْتُ: «هُمَا أَمْرَانِ؛ أَحْلاَهُمَا مُرُّ»(٣)
٤١ ـوَلَكِنَّنِي أَمْضِي، لِمَا لاَ يَعِيبُنِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا ٱلأَسْرُ
٤٢ ـيَقُولُونَ لِي: «بِعْتَ ٱلسَّلاَمَةَ بِٱلرَّدَى» فَقُلْتُ: «أَمَا وَٱللَّهِ، مَا نَالَنِي خُسْرُ»
٤٣ ـوَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّيَ ٱلْمَوْتُ سَاعَةً، إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّيَ ٱلأَسْرُ وَٱلضُّرُّ؟(٤)
٤٤ ـهُوَ ٱلْمَوْتُ؛ فَٱخْتَرْ مَا عَلاَ لَكَ ذِكْرُهُ فَلَمْ يَمُتِ ٱلإِنْسَانُ مَا حَيِيَ ٱلذِّكْرُ
٤٥ ـوَلاَ خَيْرَ فِي دَفْعِ ٱلرَّدَى بِمَذَلَّةٍ كَمَا رَدَّهَا، يَوْماً، بِسَوْءَتِهِ «عَمْرُو»(٥)
٤٦ ـيَمُنُّونَ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي؛ وَإِنَّمَا عَلَيَّ ثِيَابٌ، مِنْ دِمَائِهِمُ، حُمْرُ
٤٧ ـوَقَائِمُ سَيْفِي، فِيهِمُ، ٱنْدَقَّ نَصْلُهُ وَأَعْقَابُ رُمْحِي، فِيهِمُ، حُطِّمَ ٱلصَّدْرُ(٦)
٤٨ ـسَيَذْكُرُنِي قَوْمِي، إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ، «وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ، يُفْتَقَدُ ٱلْبَدْرُ»
٤٩ ـفَإِنْ عِشْتُ فَٱلطَّعْنُ ٱلَّذِي يَعْرِفُونَهُ وَتِلْكَ ٱلْقَنَا، وَٱلْبِيضُ وَٱلضُّمَّرُ ٱلشُّقْرُ(٧)
٥٠ ـوَإِنْ مِتُّ، فَٱلإِنْسَانُ لاَ بُدَّ مَيِّتٌ، وَإِنْ طَالَتِ ٱلأَيَّامُ، وَٱنْفَسَحَ ٱلْعُمْرُ
٥١ ـوَلَوْ سَدَّ غَيْرِي، مَا سَدَدْتُ، ٱكْتَفَوا بِهِ؛ وَمَا كَانَ يَغْلُو ٱلتِّبْرُ، لَوْ نَفَقَ ٱلصُّفْرُ(٨)
٥٢ ـوَنَحْنُ أُنَاسٌ، لاَ تَوَسُّطَ عِنْدَنَا، لَنَا ٱلصَّدْرُ، دُونَ ٱلْعَالَمِينَ، أَوِ ٱلْقَبْرُ
٥٣ ـتَهُونُ عَلَيْنَا فِي ٱلْمَعَالِي نُفُوسُنَا؛ وَمَنْ خَطَبَ ٱلْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا ٱلْمَهْرُ(٩)

---

(١) وفوره: ادّخاره وكثرته. إذا لم أفِرْ عِرْضي: إذا لم أصُنْ كرامتي. الوفر: المال.

(٢) حُمَّ القضاء: قضي.

(٣) الرَّدى: الموت.

(٤) يتجافى: يبتعد. الضّرّ: الضرر.

(٥) دفع دهاء عمرو بن العاص إلى كشف سوءته وقت مبارزته لعليّ بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه، فاضطرّ الإمام عليّ إلى إشاحة وجهه، لأنّه لم ينظر إلى سوءة طوال حياته.

(٦) نَصْل السَّيف: شفرته.

(٧) القنا: الرماح. البيض: السّيوف. الضُّمَّر: الخيول المُضَمَّرة.

(٨) التّبر: الذّهب. الصُّفر: النحاس.

(٩) المعنى أنّ من يريد الأمور العظيمة لا بدّ من أن يبذل مجهوداً كبيراً وتضحيات جمّة للوصول إليها.

٥٤ - أَعَزُّ بَنِي ٱلدُّنْيَا، وَأَعْلَى ذَوِي ٱلْعُلَا، وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ ٱلتُّرَابِ، وَلَا فَخْرُ

- ١٤٨ -

وَقَالَ يَصِفُ أَسْرَهُ، وَيَذْكُرُ أَهْلَهُ، وَيَتَشَوَّقُ إِلَى أَحْبَابِهِ:

[من مجزوء المتقارب]

١ - لِأَيِّكُمُ أَذْكُرُ؟ وَفِي أَيِّكُمْ أُفَكِّرُ؟
٢ - وَكَمْ لِي عَلَى بَلْدَتِي، بُكَاءٌ وَمُسْتَعْبَرُ؟(١)
٣ - فَفِي «حَلَبٍ» عُدَّتِي؛ وَعِزِّي، وَٱلْمَفْخَرُ
٤ - وَفِي «مَنْبِجٍ»، مَنْ رِضَا هُ، أَنْفَسُ مَا أَذْخَرُ(٢)
٥ - وَمَنْ حُبُّهُ زُلْفَةٌ، بِهَا يُكْرَمُ ٱلْمَحْشَرُ(٣)
٦ - وَأَصْبِيَةٌ، كَٱلْفِرَاخِ، أَكْبَرُهُمْ أَصْغَرُ
٧ - وَقَوْمٌ أَلِفْنَاهُمُ، وَغُصْنُ ٱلصِّبَا أَخْضَرُ،
٨ - يُخَيَّلُ لِي أَمْرُهُمْ كَأَنَّهُمُ حُضَّرُ(٤)
٩ - فَحُزْنِيَ لَا يَنْقَضِي؛ وَدَمْعِيَ مَا يَفْتُرُ(٥)
١٠ - وَمَا هَذِهِ أَدْمُعِي، وَلَا ذَا ٱلَّذِي أُضْمِرُ
١١ - وَلَكِنْ أُدَارِي ٱلدُّمُوعَ وَأَسْتُرُ مَا أَسْتُرُ
١٢ - مَخَافَةَ قَوْلِ ٱلْوُشَا ةِ: مِثْلُكَ لَا يَصْبِرُ
١٣ - أَيَا غَفْلَتَا، كَيْفَ لَا أُرَجِّي ٱلَّذِي أَحْذَرُ؟
١٤ - وَمَاذَا ٱلْقُنُوطُ ٱلَّذِي أَرَاهُ فَأَسْتَشْعِرُ؟(٦)

---

(١) مستَعبر: محزون بذرف دموعه.
(٢) ويروى «أذخر» مكان «أدخر»، وكلاهما بمعنى «أخبّىء».
(٣) الزلفة: القرب. المحْشَر: موضع تجمّع القوم.
(٤) حضّر: حاضرون، ماثلون أمامي.
(٥) يفتر: يضعف.
(٦) القنوط: اليأس.

١٥ ـ أمَا مَنْ بَلاَنِي بِهِ، عَلَى كَشْفِهِ أَقْدَرُ؟
١٦ ـ بَلَى، إنَّ لِي سَيِّداً مَوَاهِبُهُ أَكْثَرُ
١٧ ـ وَإِنِّي غَزِيرُ آلذُّنُوبِ، وَإِحْسَانُهُ أَغْزَرُ
١٨ ـ ذُنُوبِي بِهَا كَثْرَةٌ، وَغُفْرَانُهُ أَكْثَرُ
١٩ ـ بِذَنْبِي أَوْرَدْتَنِي وَمِنْ فَضْلِكَ آلْمَصْدَرُ

ـ ١٤٩ ـ

وَقَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى غُلَامِهِ «مَنْصُورٍ»:

[من الخفيف]

١ ـ مُغْرَمٌ، مُؤْلَمٌ، جَرِيحٌ، أَسِيرُ إِنَّ قَلْباً، يُطِيقُ ذَا، لَصَبُورُ
٢ ـ وَكَثِيرٌ مِنَ آلرِّجَالِ حَدِيدٌ؛ وَكَثِيرٌ مِنَ آلْقُلُوبِ صُخُورُ(١)
٣ ـ قُلْ لِمَنْ حَلَّ «بِآلشَّآمِ» طَلِيقاً: بِأَبِي قَلْبُكَ آلطَّلِيقُ آلأَسِيرُ
٤ ـ أَنَا أَصْبَحْتُ لَا أُطِيقُ حَرَاكاً؛ كَيْفَ أَصْبَحْتَ أَنْتَ يَا «مَنْصُورُ»؟

ـ ١٥٠ ـ

وَقَالَ:

[من الهزج]

١ ـ أَتَتْنِي عَنْكَ أَخْبَارُ، وَبَانَتْ مِنْكَ أَسْرَارُ(٢)
٢ ـ وَلَاحَتْ لِي، مِنَ آلسَّلْوَةِ، آيَاتٌ وَآثَارُ(٣)
٣ ـ أَرَاهَا مِنْكَ بِآلْقَلْبِ؛ وَلِلأَحْشَاءِ أَبْصَارُ

---

(١) ويروى «الرجال» مكان «القلوب».
(٢) بانت: ظهرت.
(٣) ويروى البيت:
مِنَ السَّلْوَةِ فِي عَيْنَيْكَ آيَاتٌ وآثَارُ

٤ - إِذَا مَا بَرَدَ ٱلْحُبُّ فَمَا تُسْخِنُهُ ٱلنَّارُ

- ١٥١ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - قَمَرٌ، دُونَ حُسْنِهِ ٱلْأَقْمَارُ، وَقَضِيبٌ، مِنَ ٱلنَّقَا مُسْتَعَارُ(١)
٢ - وَغَزَالٌ فِيهِ نِفَارٌ، وَلَا بُدْ عَ فَمِنْ شِيمَةِ ٱلظِّبَاءِ ٱلنِّفَارُ(٢)
٣ - لَا أُعَاصِيهِ فِي ٱجْتِرَاحِ ٱلْمَعَاصِي؛ فِي هَوَى مِثْلِهِ تَطِيبُ ٱلنَّارُ(٣)
٤ - قَدْ حَذِرْتُ ٱلْمِلَاحَ دَهْراً؛ وَلَكِنْ سَاقَنِي، نَحْوَ حُبِّهِ، ٱلْمِقْدَارُ(٤)
٥ - لَم أَزَلْ ثابتاً على الهَجْرِ حَتَّى خَفَّ صَبْري وقَلَّت الأَنْصَارُ
٦ - كم أردتُ السُّلُوَّ فاستَعْطَفَتْني رُقْيَةٌ مِنْ رُقَاكَ يا عَيَّارُ(٥)
٧ - وَإِذَا أَحدثَ الحبيبانِ أَمْراً كان فيهِ على المُحِبِّ الخِيارُ

- ١٥٢ -

وَقَالَ:

[من المجتث]

١ - يَا مَعْشَرَ ٱلنَّاسِ، هَلْ لِي مِمَّا لَقِيتُ مُجِيرُ؟(٦)

---

(١) ويروى «كثيب» مكان «قضيب». النَّقا: القطعة المحدودبة من الرمل، يصفها بضمور الخصر وبدانة المؤخَّرة.
(٢) النِّفار: الصُّدود، والتجنُّب.
(٣) اجتراح المعاصي: اقترافها.
(٤) المقدار: القَدَر.
(٥) العيَّار: الكثير المجيء والذَّهاب.
(٦) مُجير: منقذ، مساعد.

٢ - أَصَابَ غِرَّةَ قَلْبِي هَذَا ٱلْغَزَالُ ٱلْغَرِيرُ![١]
٣ - فَعُمْرُ لَيْلِي طَوِيلٌ، وَعُمْرُ نَوْمِي قَصِيرُ
٤ - أَسَرْتَ مِنِّي فُؤَادِي، يَفْدِيكَ ذَاكَ ٱلأَسِيرُ

- ١٥٣ -

وَلَهُ فِي غُلامِهِ مَنْصُور:

[من الخفيف]

١ - سَبَقَ ٱلنَّاسَ، فِي ٱلْهَوَى، «مَنْصُورُ» فَسِوَاهُ مُكَلَّفٌ، مَغْرُورُ[٢]
٢ - لَحِقَ ٱلْعُودَ، نَاعِماً، فَثَنَاهُ وَهْوَ صَعْبٌ، عَلَى سِوَاهُ، عَسِيرُ[٣]
٣ - إِنَّ حُبَّ ٱلصِّبَا، وَإِنْ طَالَ، لَا يَقْـ ـدَحُ فِيهِ، عَلَى ٱلدُّهُورِ، دُثُورُ[٤]
٤ - فَهْوَ فِي أَضْلُعِ ٱلصَّغِيرِ صَغِيرٌ، وَهْوَ فِي أَضْلُعِ ٱلْكَبِيرِ كَبِيرُ

- ١٥٤ -

وَقَالَ فِي بَعْضِ نِسَاءِ بَيْتِهِ، وَقَدْ شَيَّعَهَا إِلَى ٱلْحجِّ، فِي يَوْمِ ثَلْجٍ:

[من الطويل]

١ - أَيَحْلُو، لِمَنْ لَا صَبْرَ يُنْجِدُهُ، صَبْرُ إِذَا مَا ٱنْقَضَى فِكْرٌ أَلَمَّ بِهِ فِكْرُ؟[٥]
٢ - أَمُمْعِنَةً فِي ٱلْعَذْلِ، رِفْقاً بِقَلْبِهِ! أَيَحْمِلُ ذَا قَلْبٌ، وَلَوْ أَنَّهُ صَخْرُ؟[٦]

---

(١) الغرير: الذي لا تجربة له.
(٢) ويروى «معذور» مكان «مغرور».
(٣) ويروى «خُلِقَ العودُ» مكان «لحقَ العودَ». ثناه: أماله. عسير: صعب.
(٤) دثور: انمحاء، وزوال.
(٥) ألَمَّ: حلَّ.
(٦) أَمُمْعِنَةً في العذل: يا مكثرة من اللوم.

٣ - عَذِيرِي مِنَ ٱللَّائِي يَلُمْنَ عَلَى ٱلْهَوَى! ... أَمَا فِي ٱلْهَوَى، لَوْ ذُقْنَ طَعْمَ ٱلْهَوَى، عُذْرُ؟[1]
٤ - أَطَلْنَ عَلَيْهِ ٱللَّوْمَ حَتَّى تَرَكْنَهُ ... وَسَاعَتُهُ شَهْرٌ، وَلَيْلَتُهُ دَهْرُ
٥ - وَمُنْكَرَةٍ مَا عَايَنَتْ مِنْ شُحُوبِهِ ... وَلَا عَجَبٌ، مَا عَايَنَتْهُ، وَلَا نُكْرُ
٦ - وَيُحْمَدُ فِي ٱلْعَضْبِ ٱلْبِلَى، وَهْوَ قَاطِعٌ، ... وَيَحْسُنُ فِي ٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ٱلضُّمْرُ[2]
٧ - وَقَائِلَةٍ: «مَاذَا دَهَاكَ»؟ - تَعَجُّباً - ... فَقُلْتُ لَهَا: «يَا هَذِهِ أَنْتِ وَٱلدَّهْرُ!»[3]
٨ - أَبِٱلْبَيْنِ؟، أَمْ بِٱلْهَجْرِ؟ أَمْ بِكِلَيْهِمَا، ... تَشَارَكَ، فِيمَا سَاءَنِي، ٱلْبَيْنُ وَٱلْهَجْرُ؟[4]
٩ - يُذَكِّرُنِي «نَجْداً» حَبِيبٌ، بِأَرْضِهَا، ... أَيَا صَاحِبَيْ نَجْوَايَ، هَلْ يَنْفَعُ ٱلذِّكْرُ؟[5]
١٠ - تَطَاوَلَتِ ٱلْكُثْبَانُ، بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ... وَبَاعَدَ، فِيمَا بَيْنَنَا، ٱلْبَلَدُ ٱلْقَفْرُ
١١ - مَفَاوِزُ لَا يُعْجِزْنَ صَاحِبَ هِمَّةٍ، ... وَإِنْ عَجِزَتْ، عَنْهَا، ٱلْغُرَيْرِيَّةُ ٱلصُّبْرُ،[6]
١٢ - كَأَنَّ سَفِيناً، بَيْنَ «فَيْدٍ» وَ«حَاجِرٍ»، ... يَحُفُّ بِهِ، مِنْ آلِ قِيعَانِهِ، بَحْرُ[7]
١٣ - عَدَانِيَ عَنْهُ: ذَوْدُ أَعْدَاءِ مَنْهَلٍ، ... كَثِيرٌ إِلَى وُرَّادِهِ ٱلنَّظَرُ ٱلشَّزْرُ
١٤ - وَسُمْرٌ أَعَادٍ، تَلْمَعُ ٱلْبِيضُ بَيْنَهَا، ... وَبِيضٌ أَعَادٍ، فِي أَكُفِّهِمُ ٱلسُّمْرُ،[8]
١٥ - وَقَوْمٌ، مَتَى مَا أَلْقَهُمْ رَوِيَ ٱلْقَنَا، ... وَأَرْضٌ مَتَى مَا أَغْزُهَا شَبِعَ ٱلنَّسْرُ
١٦ - وَخَيْلٌ، يَلُوحُ ٱلْخَيْرُ بَيْنَ عُيُونِهَا، ... وَنَصْلٌ، مَتَى مَا شِمْتُهُ نَزَلَ ٱلنَّصْرُ
١٧ - إِذَا مَا ٱلْفَتَى أَذْكَى مُغَاوَرَةَ ٱلْعِدَى ... فَكُلُّ بِلَادٍ حَلَّ سَاحَتَهَا ثَغْرُ[9]
١٨ - وَيَوْمٍ، كَأَنَّ ٱلْأَرْضَ شَابَتْ لِهَوْلِهِ، ... قَطَعْتُ بِخَيْلٍ حَشْوُ فُرْسَانِهَا صَبْرُ،

---

(١) عذيري: العاذر.

(٢) ويروى «السَّيف» مكان «العضب»، وهما بمعنى واحد. المُسَوَّمة: التي بها سِمَة (علامة). الضُّمْر: النَّحافة.

(٣) دهاكَ: أصابك.

(٤) البين: الفراق.

(٥) ويروى: «تُذكِّرني نَجْدٌ وَمَنْ حَلّ أَرْضَهَا».

(٦) المفاوز: الصَّحارى. الغريريَّة: النياق المنسوبة إلى غرير، وهو فَحْل مشهور.

(٧) فيد وحاجز: اسمان لموضعين. يحفّ به: يحيط به. القيعان: جمع القاع، وهو القعر.

(٨) البيض: السُّيوف.

(٩) الثَّغر: المدينة المُحصَّنة على الحدود.

١٩ ـ تَسِيرُ، عَلَى مِثْلِ ٱلْمُلَاءِ، مُنَشَّراً، وَآثَارُهَا طَـرْزٌ لأَطْرَافِهَـا حُمْـرُ[(١)]
٢٠ ـ أُشَيِّعُـهُ، وَٱلدَّمْـعُ، مِنْ شِدَّةِ ٱلأَسَى، عَلَى خَـدِّهِ نَظْمٌ، وَفِي نَحْـرِهِ نَثْـرُ[(٢)]
٢١ ـ وَعُـدْتُ، وَقَلْبِي فِي سِجَافِ غَبِيطِهِ، وَلِي لَفَتَـاتٌ، نَحْوَ هَـوْدَجِـهِ، كُثْـرُ[(٣)]
٢٢ ـ وَفِيمَنْ حَـوَى ذَاكَ ٱلْحَجِيجُ خَـرِيـدَةٌ لَهَا دُونَ عَطْفِ ٱلسِّتْرِ مِنْ صَوْنِهَا سِتْرُ[(٤)]
٢٣ ـ وَفِي ٱلْكُمِّ كَفٌّ لَا يَـرَاهَا عَـدِيلُهَـا، وَفِي ٱلْخِدْرِ وَجْهٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ ٱلْخِدْرُ[(٥)]
٢٤ ـ فَهَـلْ «عَرَفَـاتٌ» عَـارِفَـاتٌ بِـزَوْرِهَـا؟ وَهَلْ شَعَرَتْ تِلْكَ ٱلْمَشَاعِرُ وَٱلْحِجْرُ؟[(٦)]
٢٥ ـ أَمَا ٱخْضَرَّ مِنْ بُطْنَانِ «مَكَّةَ» مَا ذَوَى؟ أَمَا أَعْشَبَ ٱلْوَادِي أَمَا أَنْبَتَ ٱلصَّخْرُ؟
٢٦ ـ سَقَى ٱللَّهُ قَوْماً، حَـلَّ رَحْلُكِ بَيْنَهُمْ، سَحَائِبَ، لَا قُلٌّ جَدَاهَا، وَلَا نَزْرُ![(٧)]

ـ ١٥٥ ـ

وَلَهُ أَيْضاً:

[من الكامل]

١ ـ وَمُـوَرَّدٍ، لَـمَّـا ٱسْـتَـدَارَ عِـذَارُهُ بِبَـدِيـعِ تَـوْرِيـدٍ يَـطِيرُ شَـرَارُهُ[(٨)]
٢ ـ رَطْبُ ٱلأَنَـامِـلِ، لَـوْ تُـلَامِسُ كَفُّـهُ حَـجَـراً لأَوْرَقَ يَـانِـعـاً أَثْـمَـارُهُ
٣ ـ لِلنَّـظْمِ، نَـظْمِ ٱلـدُّرِّ سِمْـطاً، ثَغْـرُهُ وَبَهَـارُ رِيـحِ ٱلْيَـاسَمِينِ بَهَـارُهُ[(٩)]

---

(١) المُلاء: الثَّوب، والمِلْحفة.
(٢) أُشيّعه: أودِّعه. النَّحر: موضع التقاء العنق بالصّدر.
(٣) السِّجاف: جمع السَّجْف، وهو السِّتْر. الغبيط: الرمل.
(٤) الخريدة: الفتاة العذراء.
(٥) العديل: النظير، والمماثل. الخِدْر: الخباء. وفي البيت مبالغة في عفّتها.
(٦) زورها: زيارتها. المشاعر: مواضع مناسك الحجّ. الحِجْر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم حولها.
(٧) قُلّ: قليل. جداها: عطاؤها، مطرها.
(٨) المورَّد: المورَّد الخدَّين: العِذار: الخدّ.
(٩) السِّمط: القِلادة. البهار: الجمال.

٤ - حَتَّى إِذَا عَبَثَ ٱلْكَرَى بِجُفُونِهِ ... وَٱحْمَرَّ خَدَّاهُ، وَطَابَ خُمَارُهُ(١)
٥ - وَسَّدْتُهُ يُمْنَى يَدَيَّ، وَلَمْ يَزَلْ ... مِنْ تَحْتِ خَدِّي فِي ٱلْوِسَادِ، يَسَارُهُ
٦ - وَجَعَلْتُ أَرْشِفُ فَضْلَ رِيقَةِ ثَغْرِهِ، ... رَشْفَ ٱلْمِيَاهِ إِذَا وَرَدْنَ عِثَارُهُ(٢)
٧ - نَازَعْتُهُ كَرْخِيَّةً حَلَبِيَّةً ... مَا مَسَّ وَكْفَ عَصِيرِهَا عَصَّارُهُ(٣)
٨ - قَدْ طَالَ مَا آخْتَلَسَ ٱلْقُلُوبَ بِمُقْلَةٍ ... فَتَنَتْ، وَطَالَ حِذَارُهُ وَنِفَارُهُ(٤)

(عن مخطوطة فاس، الورقة ٣٨ ظ ٥)

- ١٥٦ -

وَكَتَبَ إِلَى «ٱلْقَاضِي أَبِي ٱلْحُصَيْنِ»، «بِٱلرَّقَّةِ»، جَوَاباً عَنْ كِتَابٍ، فَقَالَ:

[من البسيط]

١ - كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى طَيْفٍ يُزَاوِرُهُ ... وَٱلنَّوْمُ، فِي جُمْلَةِ ٱلأَحْبَابِ، هَاجِرُهُ؟(٥)
٢ - ٱلْحُبُّ آمِرُهُ، وَٱلصَّوْنُ زَاجِرُهُ، ... وَٱلصَّبْرُ أَوَّلُ مَا يَأْتِي، وَآخِرُهُ(٦)
٣ - أَنَا ٱلَّذِي إِنْ صَبَا، أَوْ شَفَّهُ غَزَلٌ ... فَلِلْعَفَافِ، وَلِلتَّقْوَى مَآزِرُهُ
٤ - وَأَشْرَفُ ٱلنَّاسِ أَهْلُ ٱلْحُبِّ، مَنْزِلَةً ... وَأَشْرَفُ ٱلْحُبِّ مَا عَفَّتْ سَرَائِرُهُ
٥ - مَا بَالُ لَيْلِيَ لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ، ... وَطَيْفُ «عَزَّةَ» لَا يَعْتَادُ زَائِرُهُ؟
٦ - مَنْ لَا يَنَامُ، فَلَا صَبْرٌ يُؤَازِرُهُ ... وَلَا خَيَالٌ، عَلَى شَحْطٍ، يُزَاوِرُهُ(٧)
٧ - يَا سَاهِراً، لَعِبَتْ أَيْدِي ٱلْفِرَاقِ بِهِ، ... فَٱلصَّبْرُ خَاذِلُهُ، وَٱلدَّمْعُ نَاصِرُهُ(٨)

(١) الكرى: النوم. الخُمار: ما يُخالط الإنسان من السُّكر.
(٢) العِثار: جمع العثير، وهو الأثر الخفيّ.
(٣) الكرخيّة: الخمر. الوكْف: سيلان، وقَطْر.
(٤) المقلة: العين. حِذاره: حذره. نفاره: نفوره وصدوده.
(٥) الطَّيف: الخيال.
(٦) زاجره: مانعه، رادعه.
(٧) الشَّحط: البعد.
(٨) خاذله: لا يعينه، يمتنع عليه.

٨ ـ إنَّ ٱلْحَبِيبَ ٱلَّـذِي هَـامَ ٱلْفُـؤَادُ بِـهِ، يَنَامُ عَنْ طُولِ لَيْـلٍ، أَنْتَ سَـاهِـرُهُ
٩ ـ مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ، يَوْمَ ٱلْبَيْنِ، مَـوْقِفَنَا وَٱلشَّوْقُ يَنْهَى ٱلْبُكَى عَنِّي، وَيَأْمُرُهُ(١)
١٠ ـ وَقَـوْلَهَـا، وَدُمُـوعُ ٱلْعَيْنِ وَاكِـفَـةٌ: «هَذَا ٱلْفِرَاقُ ٱلَّـذِي كُنَّا نُحَـاذِرُهُ!»(٢)
١١ ـ هَلْ أَنْتِ، يَا رِفْقَةَ ٱلْعُشَّاقِ، مُخْبِرَتِي عَنِ ٱلْخَلِيطِ ٱلَّـذِي زُمَّتْ أَبَاعِـرُهُ؟(٣)
١٢ ـ وَهَـلْ رَأَيْتِ، أَمَـامَ ٱلْحَيِّ، جَـارِيَـةً كَـالْجُؤْذَرِ ٱلْفَـرْدِ، تَقْفُـوهُ جَـآذِرُهُ؟(٤)
١٣ ـ وَأَنْتَ، يَـا رَاكِبـاً، يُـزْجِي مَـطِيَّتَـهُ يَسْتَـطْرِقُ ٱلْحَيَّ، لَيلاً، أَوْ يُبَـاكِرُهُ(٥)
١٤ ـ إِذَا وَصَلْتَ فَعَـرِّضْ بِي وَقُـلْ لَهُمُ: «هَلْ وَاعِدُ ٱلْوَعْدِ، يَوْمَ ٱلْبَيْنِ ذَاكِرُهُ؟» (٦)
١٥ ـ ما أَعْجَبَ ٱلْحُبَّ يُمْسِي طَوْعَ جَارِيَةٍ فِي ٱلْحَيِّ مَنْ عَجَزَتْ عَنْهُ مَسَاعِرُهُ(٧)
١٦ ـ وَيَتَّقِي ٱلْحَيَّ مِنْ جَـاءٍ وَغَـادِيَـةٍ! كَيْفَ ٱلْوُصُولُ إِذَا مَـا نَامَ سَـامِرُهُ؟(٨)
١٧ ـ يَـا أَيُّهَـا ٱلْعَـاذِلُ ٱلرَّاجِي إِنَـابَتَهُ، وَٱلْحُبُّ قَـدْ نَشِبَتْ فِيـهِ أَظَـافِـرُهُ،(٩)
١٨ ـ لَا تُشْعِلَنَّ؛ فَمَـا تَـدْرِي بِحُـرْقَتِـهِ، أَأَنْـتَ عَـاذِلُـهُ؟ أَمْ أَنْـتَ عَـاذِرُهُ؟
١٩ ـ وَرَاحِـلٍ أَوْحَشَ ٱلـدُّنْيَـا بِـرِحْلَتِـهِ، وَإِنْ غَـدَا مَعَـهُ قَلْبِي يُسَـايِـرُهُ،
٢٠ ـ هَـلْ أَنْتَ مُبْلِغُـهُ عَنِّي بِـأَنَّ لَـهُ وُدًّا، تَـمَكَّنَ فِي قَلْبِي يُجَـاوِرُهُ؟
٢١ ـ وَأَنَّنِي مَـنْ صَفَتْ مِنْـهُ سَـرَائِـرُهُ، وَصَـحَّ بَـاطِنُـهُ، مِنْـهُ، وَظَـاهِـرُهُ؟
٢٢ ـ وَمَـا أَخُـوكَ ٱلَّـذِي يَـدْنُـو بِـهِ نَسَبٌ؛ لَكِنْ أَخُـوكَ ٱلَّذِي تَصْفُو ضَمَائِـرُهُ(١٠)
٢٣ ـ وَأَنَّـنِـي وَاصِـلٌ مَـنْ أَنْـتَ وَاصِلُهُ، وَأَنَّنِي هَـاجِـرٌ مَـنْ أَنْتَ هَـاجِـرُهُ
٢٤ ـ وَلَسْتُ وَاجِـدَ شَيْءٍ أَنْتَ عَـادِمُـهُ، وَلَسْتُ غَـائِبَ شَيْءٍ أَنْتَ حَـاضِرُهُ(١١)

(١) البَيْن: الفراق.
(٢) واكفة: جارية، سائلة.
(٣) الخليط: العشير. زُمَّتْ: ربطت بالزّمام. الأباعر: جمع البعير، وهو الجمل.
(٤) الجؤذر: ولد البقر الوحشيَّة، شبَّه محبوبته به لاتِّساع عينيها. الجآذر: جمع الجؤذر.
(٥) ويروى «غولاً» مكان «ليلاً». يزجي: يسوق.
(٦) ويروى «يوماً خطّ» مكان «يوم البَيْن». ويوم البين: يوم الفراق.
(٧) المساعر: أمكنة إشعال النِّيران.
(٨) الغادية: الذاهبة.
(٩) العاذل: اللاّئم. إنابته: الإقامة مقامه.
(١٠) في هذا البيت حكمة خالدة.
(١١) عادمه: تفتقر إليه.

٢٥ -وَافَى كِتَابُكَ، مَطْوِيًّا عَلَى نُزَهٍ، يَحَارُ سَامِعُهُ فِيهِ، وَنَاظِرُهُ
٢٦ -فَالْعَيْنُ تَرْتَعُ فِيمَا خَطَّ كَاتِبُهُ، وَٱلسَّمْعُ يَنْعَمُ فِيمَا قَالَ شَاعِرُهُ(١)
٢٧ -فَإِنْ وَقَفْتُ، أَمَامَ ٱلْحَيِّ أُنْشِدُهُ، وَدَّ ٱلْخَرَائِدُ لَوْ تُقْنَى جَوَاهِرُهُ(٢)
٢٨ -«أَبَا ٱلْحُصَيْنِ»، وَخَيْرُ ٱلْقَوْلِ أَصْدَقُهُ، أَنْتَ ٱلصَّدِيقُ ٱلَّذِي طَابَتْ مَخَابِرُهُ(٣)
٢٩ -لَوْلَا ٱعْتِذَارُ أَخِلَّائِي بِكَ ٱنْصَرَفُوا بِوَجْهِ خَزْيَانَ لَمْ تُقْبَلْ مَعَاذِرُهُ(٤)
٣٠ -أَيْنَ ٱلْخَلِيلُ ٱلَّذِي يُرْضِيكَ بَاطِنُهُ، مَعَ ٱلْخُطُوبِ، كَمَا يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ؟(٥)
٣١ -أَمَّا ٱلْكِتَابُ، فَإِنِّي لَسْتُ أَقْرَؤُهُ إِلَّا تَبَادَرَ مِنْ دَمْعِي بَوَادِرُهُ(٦)
٣٢ -يَجْرِي ٱلْجُمَانُ، كَمَا يَجْرِي ٱلْجُمَانُ بِهِ، وَيَنْثُرُ ٱلدُّرَّ، فَوْقَ ٱلدُّرِّ، نَاثِرُهُ(٧)
٣٣ -أَنَا ٱلَّذِي لَا يُصِيبُ ٱلدَّهْرُ، عِتْرَتَهُ، وَلَا يَبِيتُ عَلَى خَوْفٍ مُجَاوِرُهُ(٨)
٣٤ -يُمْسِي، وَكُلُّ بِلَادٍ حَلَّهَا وَطَنٌ، وَكُلُّ قَوْمٍ، غَدَا فِيهِمْ، عَشَائِرُهُ
٣٥ -وَمَا تُمَدُّ لَهُ ٱلْأَطْنَابُ فِي بَلَدٍ، إِلَّا تَضَعْضَعَ بَادِيهِ وَحَاضِرُهُ(٩)
٣٦ -لِيَ ٱلتَّخَيُّرُ، مُشْتَطًّا وَمُنْتَصِفاً، وَلِلْأَفَاضِلِ، بَعْدِي، مَا أُغَادِرُهُ(١٠)
٣٧ -إِنِّي لَأَرْعَى حِمَى ٱلْجَبَّارِ، مُقْتَدِراً، وَأُورِدُ ٱلْمَاءَ، غَصْباً، وَهْوَ حَاضِرُهُ
٣٨ -فَكَيْفَ تَنْتَصِفُ ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ رَجُلٍ، أَلْعِزُّ أَوَّلُهُ، وَٱلْمَجْدُ آخِرُهُ؟
٣٩ -زَاكِي ٱلْأُصُولِ، كَرِيمُ ٱلنَّبْعَتَيْنِ؛ وَمَنْ زَكَتْ أَوَائِلُهُ طَابَتْ أَوَاخِرُهُ(١١)

---

(١) ترتع: تقيم مسرورة مطمئنّة.

(٢) الخرائد: جمع الخريدة، وهي الفتاة العذراء. تُقْنَى: تُقْتَنى.

(٣) أبو الحصين: صديق الشاعر، وقاضي الرِّقّة.

(٤) الخزيان: المستحيي. معاذره: أعذاره.

(٥) الخطوب: المصائب.

(٦) ويروى «أذكره» مكان «أقرؤه». بوادر الدمع: أوائله.

(٧) ويروى «على مثل» مكان «كما يجري». والجمان: اللّؤلوء، والجمان. والدّرّ، هنا، كناية عن الشِّعر.

(٨) العِتْرة: العشيرة، وأهل البيت. يفتخر بحمايته لعشيرته وجيرانه.

(٩) الأطناب: جمع الطنب، وهو الحبل الذي تُشدّ به الخيمة إلى الوتد.

(١٠) مشتطاً: ظالماً، مستبداً. منتصفاً: عادلاً.

(١١) زاكي الأصول: كريمها. النبعتان: الوالدان. وفي عجز البيت حكمة.

٤٠ ـفَمِنْ «سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانٍ» وِلَادَتُـهُ، وَمِنْ «عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ» سَائِرُهُ!(١)
٤١ ـأَلْقَائِلُ، ٱلْفَاعِلُ، ٱلْمَأْمُونُ نَبْوَتُهُ، وَٱلسَّيِّدُ ٱلأَيِّدُ، ٱلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ(٢)
٤٢ ـبَنَى لَنَا ٱلْعِزَّ، مَرْفُوعاً دَعَائِمُهُ، وَشَيَّدَ ٱلْمَجْدَ، مُشْتَدًّا مَرَائِرُهُ (٣)
٤٣ ـفَمَا فَضَائِلُنَا إِلَّا فَضَائِلُهُ، وَلَا مَفَاخِرُنَا إِلَّا مَفَاخِرُهُ
٤٤ ـلَقَدْ فَقَدْتُ أَبِي، طِفْلاً، فَكَانَ أَبِي، مِنَ ٱلرِّجَالِ، كَرِيمُ ٱلْعُودِ، نَاضِرُهُ
٤٥ ـفَهْوَ ٱبْنُ عَمِّيَ دُنْيَا، حِينَ أَنْسِبُهُ، لَكِنَّهُ لِيَ مَوْلَى لَا أُنَاكِرُهُ(٤)
٤٦ ـمَا زَالَ لِي نَجْوَةً، مِمَّا أُحَاذِرُهُ، لَا زَالَ، فِي نَجْوَةٍ، مِمَّا يُحَاذِرُهُ(٥)
٤٧ ـإِذَا تَخَطَّأَ رَيْبُ ٱلدَّهْرِ سَاحَتَهُ فَمَا نُبَالِي بِمَنْ دَارَتْ دَوَائِرُهُ
٤٨ ـوَإِنَّمَا وَفَتِ ٱلدُّنْيَا مَوَفَّتَهَا مِنْهُ؛ وَعُمِّرَ لِلإِسْلَامِ عَامِرُهُ
٤٩ ـهَذَا كِتَابُ مُشَوقِ ٱلْقَلْبِ، مُكْتَئِبٍ، لَمْ يَأْلُ نَاظِمُهُ، جُهْداً، وَنَاثِرُهُ(٦)
٥٠ ـوَقَدْ سَمَحْتُ، غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ، مُبْتَدِئاً، مِنَ ٱلْجَوَابِ، بِوَعْدٍ أَنْتَ ذَاكِرُهُ(٧)
٥١ ـبَقِيتَ، مَا غَرَّدَتْ وُرْقُ ٱلْحَمَامِ، وَمَا ٱسْتَهَلَّ مِنْ مُونِقِ ٱلْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ!(٨)
٥٢ ـحَتَّى تُبَلَّغَ أَقْصَى مَا تُؤَمِّلُهُ، مِنَ ٱلأُمُورِ، وَتُكْفَى مَا تُحَاذِرُهُ

ـ ١٥٧ ـ

وَلَهُ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

[من البسيط]

١ ـ كَيْفَ ٱحْتِيَالِيَ فِي كِتْمَانِ حَرِّ هَوًى؟ أَطْوِيهِ، مُجْتَهِداً، وَٱلدَّمْعُ يَنْشُرُهُ!

(١) يعني ابن عمّه سيف الدولة الحمدانيّ.
(٢) المأمون النّبوة: لا يُخطِىء. الميمون طائره: السعيد الحظّ، وفي هذا البيت إشارة إلى اعتقاد العرب بزجر الطير، فإنْ ذهب يمنةً تفاءلوا، وإن ذهب شمالاً تشاءموا.
(٣) المرائر: جمع المرّ، وهي القوّة والعقل.
(٤) أناكره: أُنكر ذلك.
(٥) النجوة: المنجاة.
(٦) لم يألُ: لم يوفّر.
(٧) البَيْن: البعد والفراق.
(٨) ورقُ الحمام: الحمام الذي في لونه بياض إلى سواد مونق. الوسميّ: مطر الربيع الأوّل.

٢ - وَشَادِنٍ، مِنْ بَنِي كِسْرَى، كَلِفْتُ بِهِ ... مَا كَانَ فِي جَدِّهِ كِسْرَى يُخَبِّرُهُ (١)

- ١٥٨ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - وَظَبْيٍ غَرِيرٍ، فِي فُؤَادِي كِنَاسُهُ، ... إِذَا آكْتَنَسَ ٱلْعِينُ ٱلْفَلَاةَ وَحُورُهَا (٢)
٢ - تَقَرُّ به عِينُ ٱلظِّبَاءِ وَأُدْمُهَا ... وَيَحْكِيهِ، فِي بَعْضِ ٱلْأُمُورِ، غَرِيرُهَا (٣)
٣ - فَمِنْ خَلْقِهِ لَبَّاتُهَا وَنُحُورُهَا؛ ... وَمِنْ خُلْقِهِ، عِصْيَانُهَا وَنُفُورُهَا (٤)

- ١٥٩ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - بُلِيتُ بِبَيْنٍ، بَانَ فِي إِثْرِهِ صَبْرِي، ... وَأَخْنَى عَلَى عَزْمِي بِفَادِحَةِ ٱلدَّهْرِ (٥)
٢ - وَبَاعَدَنِي مِمَّنْ أُحِبُّ دُنُوَّهُ، ... وَأَسْلَمَنِي مِنْهُ ٱلْبُعَادُ إِلَى ٱلذِّكْرِ
٣ - عَلَى أَنَّنِي مِنْ شَخْصِهِ، مُتَمَتِّعٌ ... بِطَيْفِ خَيَالٍ مِنْهُ عِنْدَ ٱلْكَرَى يَسْرِي (٦)
٤ - فَوَٱللَّهِ مَا أَدْرِي، أَيَدْرِي بِمَا جَنَى ... عَلَى ٱلْقَلْبِ؟ أَمْ أَشْقَى بِهِ وَهْوَ لَا يَدْرِي؟

---

(١) الشّادن: ولد الغزال، والمقصود فتاة جميلة. كلفت به: أحببته حبّاً عظيماً.

(٢) الواو في «وظبي»، هي واو «رُبَّ» الجارَّة. والمقصود بالظبي، موصوفته الجميلة. الغرير: الذي لا تجربة له. الكِناس: بيت الغزال. اكتنس: أوى إلى الكناس. العِين: جمع الأعين والعيناء، وهي الواسعة العينين، والأعين، أيضاً، ثور بقر الوحش. الحُور: جمع الأحور والحوراء، وهو الذي اشتدّ سواد سوادِ عينه، واشتدّ بياض بياضها.

(٣) الأُدْم: جمع الأدماء، وهي السمراء.

(٤) اللبّات: موضع القلادة من الصَّدر. النحور: جمع النحر، وهو موضع القلادة من الصَّدر.

(٥) بُليت: أُصبتُ. البَيْن: الفراق. بان: ذهب وبَعُد. أَضْنى: أهلك.

(٦) الكرى: النَّيل.

٥ ـ تَسَعَّرَتِ ٱلْأَحْشَاءُ مِنِّي لِذِكْرِهِ بِشَوْقٍ شَدِيدٍ، مُسْتَلِحٍّ، وَمُسْتَمْرِي(١)
٦ ـ أَلِفْنَ عُيُونِي بِٱلدُّمُوعِ، فَرُبَّمَا جَرَيْنَ جُفُونِي بِٱلدُّمُوعِ وَلَا أَدْرِي
٧ ـ وَإِنِّي لَأَبْكِي لِلْفِرَاقِ، كَمَا بَكَتْ «خُنَاسُ»، وَقَدْ أَمْسَتْ تَحِنُّ إِلَى «صَخْرِ»،(٢)
٨ ـ وَلَوْ كُنْتُ أَسْطِيعُ ٱلْمَسِيرَ لَأَرْقَلَتْ، إِلَيْكَ، رِكَابِي فِي ٱلضَّحَاضِحِ وَٱلْقَفْرِ(٣)
٩ ـ سَقَى ٱللَّهُ أَيَّاماً، بسبطان «فَٱللِّوَى» إِلَى بَلَدٍ، غَيْثاً تَهَلَّلَ بِٱلْقَطْرِ
١٠ ـ إِلَى «دَيْرِ سَابَا»، وَٱلصَّوَامِعُ حَوْلَهُ، إِلَى «دَيْرِمَتَّى» كُلُّ مُنْبَجِسٍ يَسْرِي
١١ ـ «فَدَيْرِ ٱلشَّيَاطِينِ»، ٱلَّذِي لَمْ أَزَلْ بِهِ أُوَاصِلُ لَذَّاتِي، عَلَى سَالِفِ ٱلدَّهْرِ،
١٢ ـ مَنَازِلُ، كُنَّا نَمْهَدُ ٱللَّهْوَ وَٱلصِّبَا بِهَا، وَنُدِيمُ ٱلسُّكْرَ سُكْراً عَلَى سُكْرِ
١٣ ـ وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضِ «ٱلشَّآمِ» مُشَرِّقاً إِلَيْهَا، وَفِي قَلْبِي أَحَرُّ مِنَ ٱلْجَمْرِ
١٤ ـ وَلَوْلَا ٱكْتِسَابُ ٱلْمَجْدِ لَمْ أَغْدُ رَاحِلاً إِلَيْهَا وَجِئْتُ «ٱلشَّامَ» قَصْداً إِلَى «مِصْرِ»
١٥ ـ فَإِنْ تَطْمَئِنَّ ٱلدَّارُ، مِنْ بَعْدِ نَبْوَةٍ، كَأَيَّامِنَا ٱللَّائِي مَضَيْنَ بِلَا هَجْرِ
١٦ ـ فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَنَالَ مُحَبَّبِي، وَأَبْلُغَ آمَالِي عَلَى ٱلْعُسْرِ وَٱلْيُسْرِ
١٧ ـ أَأَيَّامَنَا، فِي «نَهْرِ مَارِيَةَ» ٱسْلَمِي وَعُودِي لَنَا فَٱلْعَوْدُ أَحْمَدُ لِلْأَمْرِ
١٨ ـ سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ ٱلدِّيَارِ وَأَهْلِهَا، سَلَامَ غَرِيبٍ، ظَلَّ يُزْرِي عَلَى ٱلدَّهْرِ(٤)

ـ ١٦٠ ـ

وَقَالَ، مُجِيباً «لِأَبِي زُهَيْرٍ ٱلْمُهَلْهِلِ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَمْدَانَ» عَنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُها: [أَيَاَبْنَ ٱلْكِرَامِ ٱلصِّيدِ وَٱلسَّادَةِ ٱلْغُرِّ].

[من الطويل]

١ ـ أَلَا مَا لِمَنْ أَمْسَى يَرَاكَ وَلِلْبَدْرِ، وَمَا لِمَكَانٍ أَنْتَ فِيهِ وَلِلْقَطْرِ!(٥)

(١) تَسَعَّرَت: توقَّدتْ.
(٢) خُناس: هي الشاعرة الجاهليَّة الخَنْساء التي اشتهرت برثاء أخيها صَخْر.
(٣) أسطيع: أستطيع. أرقلتْ: أسرعتْ. الضَّحاضح: جمع الضحضح، وهو، ما استوى من الأرض وجَرِد. القَفْر: المكان: لا ناس فيه ولا ماء ولا شجر.
(٤) أَزْرى على الدَّهر: وضع من حقّه أو من قيمته.
(٥) القَطْر: المطر.

٢ - تَجلَّلْتَ بِـآلتَّقْوَى، وَأُفْـرِدْتَ بِآلْعُـلاَ، وَأُهِّلْتَ لِلْجُلَّى، وَحُلِّيتَ بِـآلْفَخْـرِ(١)
٣ - وَقَلَّدْتَنِي، لَمـا آبْتَـدأْتَ بِمَـدْحَتِي، يَدَاً، لاَ أُوَفِّي شُكْرَهَا، أَبَدَ آلـدَّهْرِ(٢)
٤ - فَـإِنْ أَنَـا لَمْ أَمْنَحْــكَ صِـدْقَ مَـوَدَّتِي فَمَا لِي إِلَى آلْمَجْدِ آلْمُؤَثَّلِ مِنْ عُذْرِ(٣)
٥ - أَيَاآبْنَ آلْكِرَامِ آلصِّيدِ، جَاءَتْ كَرِيمَةٌ: «أَيَاآبْنَ آلْكِرَامِ آلصِّيدِ وَآلسَّادَةِ آلْغُرِّ»(٤)
٦ - فَضلْتَ بِهَا أَهْلَ آلْقَرِيضِ، فَأَصْبَحَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ آلْبَدْوِ، مُؤْنِسَـةَ آلْحَضْرِ(٥)
٧ - وَإِنَّـكَ، فِي عَذْبِ آلْكَـلاَمِ وَجزْلِـهِ، لَتَغْـرِفُ مِنْ بَحْرٍ، وَتَنْحَتُ مِنْ صَخْـرِ
٨ - وَمِثْلُكَ مَعْـدُومُ آلنَّظِيـرِ مِنَ آلـــوَرَى، وَشِعْـرُكَ مَعْدُومُ آلشَّبِيـهِ مِنَ آلشِّعْرِ(٦)
٩ - كَـأَنَّ عَـلَى أَلْفَـاظِـهِ، وَنِــظَامِــهِ، بَـدَائِعَ مَـا حَـاكَ آلـرَّبِيـعُ مِنَ آلـزَّهْـرِ
١٠ - تَنَفَّسَ فِيهِ آلرَّوْضُ فَآخْضَلَّ بِـآلنَّدَى، وَهَبَّ نَسِيمُ آلـرَّوْضِ يُخْبِـرُ بِـآلْفَجْـرِ
١١ - إِلَى آللَّهِ أَشْكُـو مِنْ فِـرَاقِـكَ لَـوْعَـةً، طَوَيْتُ لَهَا، مِنِّي آلضُّلُوعَ، عَلَى جَمْرِ
١٢ - وَحَسْـرَةَ مُـرْتَــاحٍ إِذَا آشْتَـاقَ قَلْبُــهُ، تَعَلَّلَ بِـآلشَّكْـوَى وَعَــادَ إِلَى آلصَّبْـرِ
١٣ - فَعُدْ يَا زَمَانَ آلْقُرْبِ، فِي خَيْرِ عِيشَةٍ، وَأَنْعَمِ بَـالٍ، مَا بَـدَا كَـوْكَبٌ دُرِّيٌ،
١٤ - وَعِشْ «يَآبْنَ نَصْرٍ»، مَا آسْتَهَلَّتْ غَمَامَةٌ، تَـرُوحُ إِلَى عِزٍّ، وَتَغْـدُو عَلَى نَصْرِ(٧)

- ١٦١ -

وَقَالَ، يُجِيبُ «أَبَا زُهَيْرٍ» عَنْ قَصِيدَةٍ، أَوَّلُهَا:

[هَاجَ شَوْقُ آلْمُتَيَّمِ آلْمَهْجُورِ]: - [من الخفيف]

١ - مُسْتَجِيـرُ آلْـهَـوَى بِغَيْـرِ مُجِيـرِ، وَمُضَــامُ آلْهَـوَى بِـغَيْـرِ نَـصِيـرِ(٨)

---

(١) ويروى «بالنُّعمى» مكان «لِلْجُلَّى».
(٢) ويروى «آخر الدَّهر».
(٣) المُؤَثَّل: المتأصِّل في الشَّرف.
(٤) الصِّيد: جمع الأَصْيَد، وهو الشَّريف. وعَجُز البيت من قصيدة أبي زهير.
(٥) القريض: الشِّعر.
(٦) ويروى «النظير» مكان «الشَّبيه»، وهما بمعنى واحد. الورى: الناس.
(٧) استهلَّت: اشتدّ انصباب مطرها.
(٨) المُضام: الذي حلّ به الضَّيم، وهو الظُّلم.

٢ - مَـا لِمَنْ وَكَّـلَ آلْـهَـوَى مُقْلَتَيْـهِ بِـآنْسِكَـابٍ وَقَـلْبُـهُ بِـزَفِيـرِ؟![1]
٣ - فَهْوَ مَا بَيْنَ عُمْـرِ لَيْـلٍ طَـوِيـلٍ، يَـتَلَظَّى، وَعُـمْـرِ نَـوْمٍ قَـصِيـرِ[2]
٤ - لَا أَقُـولُ: آلْـمَسِيـرُ أَرَّقَ عَـيْنِـي! قَـدْ تَنَاهَى آلْبَـلَاءُ، قَبْـلَ آلْمَسِيـرِ![3]
٥ - يَـا كَثِيباً، مِنْ تَحْتِ غُصْنٍ رَطِيبٍ، يَتَثَـنَّى، مِـنْ تَحْـتِ بَـدْرٍ مُنِيـرِ![4]
٦ - شَـدَّ مَـا غَيَّـرَتْـكَ، بَعْـدِي، آللَّيَـالِي يَـا قَلِيـلَ آلْـوَفَا، قَلِيـلَ آلنَّظِيـرِ[5]
٧ - لَكَ وَصْفِي، وَفِيكَ شِعْـرِي؛ وَلَا أَعْـ ـرِفُ وَصْفَ آلْمَـوَّارَةِ آلْعَيْسَجُـورِ[6]
٨ - وَلِقَلْبِي، مِنْ حُسْنِ وَجْهِـكَ، شُغْـلٌ عَنْ هَـوَى قَاصِـرَاتِ تِلْكَ آلْقُصُورِ[7]
٩ - قَـدْ مَـنَحْـتُ آلـرُّقَـادَ عَيْـنَ خَـلِيٍّ بَـاتَ خِلْواً مِمَّـا يُجِنُّ ضَمِيـرِي[8]
١٠ - لَا جَـزَى آلـلَّهُ مَنْ أُحِـبُّ بِحُـبٍّ، وَشَـفَى كُـلَّ عَـاشِـقٍ مَـهْجُـورِ! -
١١ - يَـا أَخِي «يَـا أَبَـا زُهَيْـرٍ»، أَلِي عِنْـ ـدَكَ عَـوْنٌ عَلَى آلْغَزَالِ آلْغَـرِيـرِ؟[9]
١٢ - إِنَّ لِي، مُـذْ نَأَيْتَ، جِسْمَ مَـرِيضٍ، وَبُـكَـا ثَـاكِـلٍ، وَذُلَّ أَسِـيـرِ[10]
١٣ - لَمْ تَـزَلْ مُشْتَكَـايَ، فِي كُـلِّ أَمْـرٍ، وَمُعِيـنِي، وَعُـدَّتِـي، وَمُجِيـرِي[11]
١٤ - وَرَدَتْ مِنْـكَ، «يَا بْنَ عَمِّي»، هَـدَايَا تَتَهَـادَى فِي سُنْـدُسٍ، وَحَـرِيـرِ[12]
١٥ - بِـقَـوَافٍ، أَلَـذَّ مِـنْ بَـارِدِ آلْـمَـا ءِ، وَلَـفْظٍ كَـالـلُّؤْلُـؤِ آلْـمَـنْـثُـورِ،

---

(١) المقلتان: العينان.
(٢) يتلظّى: يَسْتَعِر، يشتعل.
(٣) تناهى البلاء: عَظُمت المصيبة.
(٤) يصف رقّة خصرها، وبدانة عجيزتها، وجمال وجهها.
(٥) ويروى «بغير نظير» مكان «قليل النظير». شَدّ ما: كثيراً ما.
(٦) الموّارة: الشّديدة الحركة. العَيْسَجور: الناقة السريعة، الصلبة.
(٧) القاصرات: جمع القاصرة، وهي المرأة التي لا تنظر إلى غير زوجها.
(٨) الرُّقاد: النوم. الخَليّ: الخالي. يُجِنّ: يستر.
(٩) الغرير: الذي لا تجربة له، وهنا بمعنى الفتيّ.
(١٠) ويروى «جسماً مريضاً» مكان «جسم مريض». نأيتَ: ابتعدت. الثاكِل: التي فقدت ولدها.
(١١) ويروى «وعمدتي ومشيري» مكان «وعُدَّتي ومُجيري». المُجير: المُساعِد المعاوِن عند الضيّق.
(١٢) السُّندس: نوع من رقيق الحرير.

١٦ ـ مُحْكَمٍ ، قَصَّرَ «ٱلْفَرَزْدَقُ» وَ «ٱلأَخْـ ـطَلُ» عَنْهُ، وَفَاقَ شِعْرَ «جَرِيرِ»[(١)]
١٧ ـ أَنْتَ لَيْثُ ٱلْوَغَى، وَحَتْفُ ٱلأَعَادِي، وَغِيَاثُ ٱلْمَلْهُوفِ وَٱلْمُسْتَجِيرِ[(٢)]
١٨ ـ طُلْتَ، فِي ٱلضَّرْبِ لِلطُّلَى، عَنْ شَبِيهٍ وَتَعَالَيْتَ، فِي ٱلْعُلَا، عَنْ نَظِيرِ[(٣)]
١٩ ـ كُنْتَ جَرَّبْتَنِي، وَأَنْتَ كَثِيرُ ٱلْـ ـكَيْسِ، طَبٌّ بِكُلِّ أَمْرٍ كَبِيرِ[(٤)]
٢٠ ـ وَإِذَا كُنْتَ، «يَا ٱبْنَ عَمِّي»، قَنُوعاً بِجَوَابِي؛ قَنِعْتَ بِٱلْمَيْسُورِ
٢١ ـ هَاجَ شَوْقِي إِلَيْكَ، حِينَ أَتَتْنِي: «هَاجَ شَوْقُ ٱلْمُتَيَّمِ ٱلْمَهْجُورِ»[(٥)]

ـ ١٦٢ ـ

وَلَهُ، طَابَ ثَرَاهُ، يَفْتَخِرُ وَيَذْكُرُ ٱلْمَشِيبَ:

[من الوافر]

١ ـ عَذِيرِيَ، مِنْ طَوَالِعَ فِي عِذَارِي، وَمِنْ رَدِّ ٱلشَّبَابِ ٱلْمُسْتَعَارِ![(٦)]
٢ ـ وَثَوْبٍ، كُنْتُ أَلْبَسُهُ، أَنِيقٍ أُجَرِّرُ ذَيْلَهُ، بَيْنَ ٱلْجَوَارِي[(٧)]
٣ ـ وَمَا زَادَتْ عَلَى ٱلْعِشْرِينَ سِنِّي فَمَا عُذْرُ ٱلْمَشِيبِ إِلَى عِذَارِي؟
٤ ـ وَمَا ٱسْتَمْتَعْتُ مِنْ دَاعِي ٱلتَّصَابِي إِلَى أَنْ جَاءَنِي دَاعِي ٱلْوَقَارِ[(٨)]
٥ ـ أَيَا شَيْبِي، ظَلَمْتَ! وَيَا شَبَابِي لَقَدْ جَاوَرْتُ، مِنْكَ، بِشَرِّ جَارِ!
٦ ـ يُرَحِّلُ كُلَّ مَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ وَيَخْتِمُهَا بِتَرْحِيلِ ٱلدِّيَارِ[(٩)]
٧ ـ أَمَرْتُ بِقَصِّهِ، وَكَفَفْتُ عَنْهُ، وَقَرَّ عَلَى تَحَمُّلِهِ قَرَارِي

(١) الفرزدق، والأخطل، وجرير شعراء مشهورون.
(٢) اللَّيث: الأسد. الوغى: الحرب. حتْف: موت. غِياث: نصرة. المستجير: طالب العَون والمساعدة.
(٣) الطُّلى: جمع الطَّلية، وهي الرقبة.
(٤) ويروى «كم تحدَّيتَني» مكان «كنتَ جرَّبْتَني». الكَيْس: حُسْن الفَهْم والأدَب، والعقل. طَبّ: خبير.
(٥) عَجز البيت لأبي زهير.
(٦) عذيري: عاذري. الطوالع: أوائل الشيب. العِذار: جانب اللّحية.
(٧) قوله «وثوب» كناية عن شبابه.
(٨) التّصابي: الميل إلى الفتوّة والهوى.
(٩) ويروى أضوى» مكان «يأوي».

٨ - وَقُلْتُ: «ٱلشَّيْبُ أَهْوَنُ مَا أُلَاقِي ... مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَيْسَرُ مَا أُدَارِي!»
٩ - «وَلَا يَبْقَى رَفِيقِي ٱلْفَجْرُ حَتَّى ... يَضُمَّ إِلَيْهِ مُنْبَلِجَ ٱلنَّهَارِ»(١)
١٠ -«وَإِنِّي مَا فُجِعْتُ بِهِ لَأَلْقَى ... بِهِ مَلْقَى ٱلْعِثَارِ مِنَ ٱلشِّعَارِ»(٢)
١١ -«وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ بِٱلْكُرْهِ مِنِّي ... كَرِهْتُ فِرَاقَهُ بَعْدَ ٱلْمَزَارِ!»
١٢ -مَتَى أَسْلُو بِلَا خِلٍّ وَصُولٍ ... يُوَافِقُنِي، وَلَا قَدَحٍ مُدَارِ؟
١٣ -وَكُنْتُ، إِذَا ٱلْهُمُومُ تَنَاوَبَتْنِي، ... فَزِعْتُ مِنَ ٱلْهُمُومِ إِلَى ٱلْعُقَارِ(٣)
١٤ -أَنَخْتُ، وَصَاحِبَايَ، «بِذِي طُلُوحٍ» ... طَلَائِحَ، شَفَّهَا وَخْدُ ٱلْقِفَارِ(٤)
١٥ -وَلَا مَاءٌ سِوَى نُطَفِ ٱلْأَدَاوِي ... وَلَا زَادٌ سِوَى ٱلْقَنَصِ ٱلْمُثَارِ(٥)
١٦ -فَلَمَّا لَاحَ بَعْدَ ٱلْأَيْنِ «سَلْعٌ»، ... ذَكَرْتُ مَنَازِلِي وَعَرَفْتُ دَارِي(٦)
١٧ -أَلَمَّ بِنَا، وَجُنْحُ ٱللَّيْلِ دَاجٍ، ... خَيَالٌ زَارَ وَهْناً مِنْ نَوَارِ(٧)
١٨ -أَبَاخِلَةٌ، عَلَيَّ، وَأَنْتِ جَارٌ، ... وَوَاصِلَةٌ عَلَى بُعْدِ ٱلْمَزَارِ!
١٩ -تَلَاعَبُ بِي، عَلَى هُوجِ ٱلْمَطَايَا، ... خَلَائِقُ لَا تَقَرُّ عَلَى ٱلصَّغَارِ(٨)
٢٠ -وَنَفْسٌ، دُونَ مَطْلَبِهَا ٱلثُّرَيَّا ... وَكَفٌّ، دُونَهَا فَيْضُ ٱلْبِحَارِ
٢١ -أَرَى نَفْسِي تُطَالِبُنِي بِأَمْرٍ ... قَلِيلٌ، دُونَ غَايَتِهِ، ٱقْتِصَارِي
٢٢ -وَمَا يُغْنِيكَ مِنْ هِمَمٍ طِوَالٍ ... إِذَا قُرِنَتْ بِأَعْمَارٍ قِصَارِ؟
٢٣ -وَمُعْتَكِفٍ عَلَى «حَلَبٍ» بَكِيٍّ ... يَقُوتُ عِطَاشَ آمَالٍ غِزَارِ(٩)

---

(١) منبلج النهار: الفجر، وعنى به الشَّيب.
(٢) الشِّعار: الثَّوب الذي يلي شعر الجسد.
(٣) ويروى «تناوشتني» مكان «تناوبتني»، وكلاهما بمعنى جاءتني الواحدة بعد الأخرى. فزعتُ: لجأتُ. العُقار: الخمر.
(٤) أنختُ: أبركتُ. ذو طلوح: اسم موضع. الطلائح: جمع الطليح، وهو المتعَب. وَخْد: رَكْض سريع. القِفار: جمع القَفْر، وهو المكان الذي لا ناس فيه، ولا شجر، ولا ماء.
(٥) النّطف: جمع النطفة، وهي الماء الصّافي. الأداوي: جمع الإداوة، وهي الإناء الصَّغير.
(٦) سَلْع: اسم موضع.
(٧) داجٍ: شديد السَّواد. نوار: اسم امرأة.
(٨) تلاعب بي: تتلاعب بي. هوج المطايا: النِّياق المُسرِعة. الخلائق: الطبائع: الصَّغار: الذّلّ.
(٩) البَكِيّ: الكثير البكاء.

٢٤ -يَقُولُ لِيَ: «آنْتَظِرْ فَرَجاً» وَمَنْ لِي بِأَنَّ آلْمَوْتَ يَنْتَظِرُ آنْتِظَارِي؟!
٢٥ -عَلَيَّ، لِكُلِّ هَمٍّ، كُلُّ عِيسٍ أَمُونُ آلرَّحْلِ مُوخِدَةُ آلْقِفَارِ(١)
٢٦ -وَخَرَّاجٌ مِنَ آلْغَمَرَاتِ خِرْقٌ أَبُو شِبْلَيْنِ، مَحْمِيُّ آلذِّمَارِ(٢)
٢٧ -شَدِيدُ تَجَنُّبِ آلآثَامِ وَافٍ، عَلَى عِلاَّتِهِ، عَفُّ آلإِزَارِ(٣)
٢٨ -فَلاَ نَزَلَتْ بِيَ آلْجِيرَانُ إِنْ لَمْ أُجَاوِرْهَا مُجَاوَرَةَ آلْبِحَارِ(٤)
٢٩ -وَلاَ صَحِبَتْنِيَ آلْفُرْسَانُ إِنْ لَمْ أُصَاحِبْهَا بِمَأْمُونِ آلْفِرَارِ
٣٠ -وَلاَ خَافَتْنِيَ آلأَمْلاَكُ إِنْ لَمْ أُصَبِّحْهَا بِمُلْتَفِّ آلْغُبَارِ
٣١ -بِجَيْشٍ لاَ يَحِلُّ بِهِمْ مُغِيرٌ وَرَأْيٍ لاَ يَغِبُّهُمُ مُغَارِ(٥)
٣٢ -شَدَدْتُ عَلَى آلْحَمَامَةِ كُورَ رَحْلٍ بَعِيدٌ حَلُّهُ، دُونَ آلْيَسَارِ(٦)
٣٣ -تَحُفُّ بِهِ آلأَسِنَّةُ، وَآلْعَوَالِي، وَمُضْمَرَةُ آلْمَهَارَى، وَآلْمَهَارِي(٧)
٣٤ -يَعُدْنَ، بُعَيْدَ طُولِ آلصَّوْنِ، سَعْياً لِمَا كُلِّفْنَ مِنْ بُعْدِ آلْمُغَارِ(٨)
٣٥ -وَتَخْفِقُ حَوْلِيَ آلرَّايَاتُ حُمْراً، وَتَتْبَعُنِي آلْخَضَارِمُ مِنْ «نِزَارِ»(٩)
٣٦ -وَإِنْ طُرِقَتْ بِدَاهِيَةٍ وَتَاقَتْ تُدَافِعُهَا آلرِّجَالُ بِكُلِّ جَارِ(١٠)
٣٧ -عَزِيزٌ، حَيْثُ خَطَّ آلسَّيْرُ رَحْلِي، تُدَارِينِي آلأَنَامُ وَلاَ أُدَارِي!(١١)

---

(١) العيس: الإبل البيض التي يخالط لونها سواد خفيف أو شُقْرة. أمون: مأمونة. الموخِدة: الجارية سريعاً.
(٢) الغمرات: الشّدائد والمكاره. الخِرْق: الكريم. الشِّبل: ولد الأسد. وقوله «أبو شبلين» كناية عن الشجاعة. الذِّمار: الحِياض.
(٣) عفُّ الإزار: كناية عن عفّته.
(٤) ويروى «فلا زالت به» مكان «فلا نزلت بي».
(٥) قوله «رأي لا يغبّهم مغار» يعني الرأي المُحْكم الصَّائب.
(٦) الحمامة: الناقة هنا. اليسار: السهولة.
(٧) تحفّ به الأسنّة. تحيط به الرّماح. المهاري: جمع المهريّة، وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة بن صيدان من عرب اليمن.
(٨) ويروى «شعثاً» مكان «سعياً». المغار: الغارة.
(٩) الخضارم: الجيوش.
(١٠) الدّاهية: المصيبة.
(١١) الأنام: البشر.

٣٨ ـ وَأَهْلِي مَنْ أَنخْتُ إِلَيْهِ عِيسِي، وَدَارِي حَيْثُ كُنْتُ مِنَ ٱلدِّيَارِ![١]
٣٩ ـ فَمَا أَهْلُ ٱلْعَدَاوَةِ لِي بِأَهْلٍ، وَلَا دَارُ ٱلْمَذَلَّةِ لِي بِدَارِ!

ـ ١٦٣ ـ

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ ـ يَا طَلْعَةَ ٱلشَّمْسِ، لَمَّا صَادَفَتْ حُلَلًا مِنَ ٱلسَّحَابِ، عَلَى أَرْضٍ مِنَ ٱلزَّهَرِ
٢ ـ بَدَرْتِ، وَٱلْبَدْرُ نَحْوَ ٱلشَّمْسِ فِي خَطَرٍ، فَجِئْتِ، قَامِرَةً، يَا طَلْعَةَ ٱلْقَمَرِ![٢]

ـ ١٦٤ ـ

وَقَالَ فِي ٱلْمُجُونِ:

[من الهزج]

١ ـ تَوَاعَدْنَا بِآذَارِ لِمَسْعًى غَيْرِ مُخْتَارِ
٢ ـ وَقُمْنَا، نَسْحَبُ ٱلرَّيْطَ، إِلَى حَانَةِ خَمَّارِ؛[٣]
٣ ـ فَلَمْ نَدْرِ، وَقَدْ فَاحَتْ لَنَا مِنْ جَانِبِ ٱلدَّارِ،
٤ ـ بِخَمَّارٍ، مِنَ ٱلْقَوْمِ، نَزَلْنَا، أَمْ بِعَطَّارِ؟
٥ ـ فَلَمَّا أُلْبِسَ ٱللَّيْلُ، لَنَا ثَوْبًا مِنَ ٱلْقَارِ[٤]
٦ ـ وَقُلْنَا: «أَوْقِدِ ٱلنَّارَ لِطُرَّاقٍ وَزُوَّارِ»[٥]

---

(١) العِيس: الإبل البِيضاء التي يخالط بياضها شُقرة أو سواد خفيف.
(٢) ويروى «أقمر» مكان «طلعة». قامِرةً: تشعِّين كالقمر.
(٣) الرَّيط: الثَّوب إذا كان من قطعة واحدة. الحانة: الدّكان.
(٤) القار: مادَّة سوداء تُطلى به السُّفُن، والجمال الجرباء.
(٥) الطّرّاق: الزائرون ليلًا.

٧ - وَجَـا خَـاصِـرَةَ آلـدَّنِّ فَـأَغْـنَـانَـا عَـنِ آلـنَّـارِ[١]
٨ - وَمَـا فِـي طَـلَبِ آلـلَّـهْـوِ، عَـلَى آلْـفِـتْـيَـانِ، مِـنْ عَـارِ!

- ١٦٥ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - يَـا مَنْ يَلُومُ عَلَى هَـوَاهُ، جَهَـالَـةً، أُنْـظُرْ إِلَى تِلْكَ آلسَّـوَالِفِ وَآعْـذِرِ
٢ - حَسُنَتْ وَطَـابَ نَسِيمُهَـا فَكَـأَنَّـهَـا مِسْـكٌ تَسَـاقَطَ فَـوْقَ وَرْدٍ أَحْـمَـرِ

- ١٦٦ -

وَقَالَ أَيْضاً:

[من الوافر]

١ - صَبَرْتُ عَلَى آخْتِيَـارِكَ وَآضْـطِرَارِي وَقَلَّ، مَعَ آلْهَوَى، فِيكَ آنْتِصَارِي[٢]
٢ - وَكَـانَ يَعَـافُ حَمْـلَ آلضَّيْمِ قَلْبِي، فَـقَـرَّ عَـلَى تَـحَـمُّـلِهِ قَـرَارِي[٣]
٣ - فَـدَيْتُـكَ، طَـالَ ظُلْمُـكَ وَآحْتِمَـالِي كَمَـا كَثُـرَتْ ذُنُـوبُـكَ وَآعْتِـذَارِي

- ١٦٧ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - مَـا آنَ أَنْ أَرْتَـاعَ لِـلشَّـيْـبِ، آلْمُـفَـوَّفِ فِي عِـذَارِي؟[٤]

(١) الدَّنّ: وعاء الخمر. وجا: أصله وجأ، ومعناه ضرب بالسكّين.
(٢) ويروى «منك» مكان «فيك».
(٣) يعاف: يترك ويكره.
(٤) ويروى «أرتاب» مكان أرتاع»، و«المهرم» مكان «المُفَوَّف». المفوَّف: الشَّعر الذي خالطه بياض. العِذار: جانب اللحية.

٢ - وَأَكُفَّ عَنْ سُبُلِ الضَّلَا لِ، وَأَكْتَسِي ثَوْبَ الْوَقَارِ
٣ - أَمْ قَدْ أَمِنْتُ الْحَادِثَا تِ مِنَ الْغَوَادِي وَالسَّوَارِي[1]
٤ - إِنِّي أَعُوذُ، بِحُسْنِ عَفْـ وِ اللَّهِ، مِنْ سُوءِ اخْتِيَارِي

- ١٦٨ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرمل]

١ - هَلْ تَرَى النِّعْمَةَ دَامَتْ لِصَغِيرٍ أَوْ كَبِيرِ؟
٢ - أَوْ تَرَى أَمْرَيْنِ جَاءَا أَوَّلًا مِثْلَ أَخِيرِ
٣ - إِنَّمَا تَجْرِي التَّصَارِيـ فُ بِتَقْلِيبِ الدُّهُورِ[2]
٤ - فَفَقِيرٌ مِنْ غَنِيٍّ؛ وَغَنِيٌّ مِنْ فَقِيرِ!

- ١٦٩ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - وَكَأَنَّمَا الْبِرَكُ الْمِلَاءُ، تَحُفُّهَا أَنْوَاعُ ذَاكَ الرَّوْضِ وَالزَّهْرِ،[3]
٢ - بُسْطٌ مِنَ الدِّيبَاجِ بِيضٌ، فُرْوِزَتْ أَطْرَافُهَا بِفَرَاوِزٍ خُضْرِ[4]

---

(١) الحادثات: المصائب. الغوادي: الآتيات في الغداة، وهي أوّل النهار. السّواري: الآتيات في اللّيل.
(٢) التصاريف: المصائب.
(٣) الملاء: الملأى.
(٤) الدِّيباج: الحرير. فُروزت: طُرِّزتْ. الفراوز: جمع الفاروزة، وهي الدكادك.

- ١٧٠ -

وَقَالَ أَيْضاً:

[من مجزوء الكامل]

١ - إِشْرَبْ عَلَى ٱلزَّمَنِ ٱلْمُنِيرِ بِرِيَاضِ مَنْثُورٍ وَخِيرِ[١]

٢ - وَبَدَائِعِ ٱلْوَرْدِ ٱلْمُضَاعَفِ، فِي ذُرَى ٱلْوَرَقِ ٱلنَّضِيرِ

٣ - مِنْ قَهْوَةٍ ذَهَبِيَّةٍ، قَدْ أَخْلَقَتْ قِدَمَ ٱلدُّهُورِ[٢]

٤ - هِيَ فِي ٱلْقُلُوبِ، لِطِيبِهَا، مِثْلُ ٱلْقُلُوبِ مِنَ ٱلصُّدُورِ

- ١٧١ -

وَقَالَ، أَيْضاً، فِي عِذَار:

[من الكامل]

١ - مِنْ أَيْنَ لِلرَّشَإِ، ٱلْغَرِيرِ، ٱلأَحْوَرِ، فِي ٱلْخَدِّ، مِثْلُ عِذَارِهِ ٱلْمُتَحَدِّرِ؟![٣]

٢ - يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى هَوَاهُ، جَهَالَةً، أُنْظُرْ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَحَاسِنِ تَعْذُرِ!

٣ - قَمَرٌ، كَأَنَّ بِعَارِضَيْهِ كِلَيْهِمَا مِسْكاً، تَسَاقَطَ فَوْقَ وَرْدٍ أَحْمَرِ[٤]

- ١٧٢ -

وَكَتَبَ إِلَيْهِ «أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَفْلَحَ» كِتَاباً؛ فِيهِ نَظْمٌ وَنَثْرٌ، فَأَجَابَهُ «أَبُو فِرَاسٍ» بِقَوْلِهِ:

[من البسيط]

١ - وَوَارِدٍ مُورِدٍ أُنْساً، يُؤَكِّدُهُ صُدُورُهُ عَنْ سَلِيمِ ٱلْوِرْدِ وَٱلصَّدَرِ[٥]

---

(١) الخير: الطبيعة.

(٢) القهوة الذَّهبيَّة: الخمرة. أخلقت: بليت. وقوله: «قد أخلقت قِدَم الدّهور» كناية عن قِدمها.

(٣) الرَّشأ: ولد الظبي. الغرير: الذي لا تجربة له، والمقصود الفتيّ. الأحور: الشديد سواد العين وبياضها. العِذار: الخَدّ.

(٤) العارضان: الخَدّان.

(٥) الوِرْد: إتيان الماء. الصَّدَر: الصدور عنه.

٢ ـ شُدَّتْ سَحَائِبُهُ مِنْهُ عَلَى نُزَهٍ تَقَسَّمَ ٱلْحُسْنُ بَيْنَ ٱلسَّمعِ وَٱلْبَصرِ
٣ ـ عُذُوبَةٌ، صَدَرَتْ عَنْ مَنْطِقٍ جَدَدٍ؛ كَٱلْمَاءِ يَخْرُجُ يَنْبُوعاً مِنَ ٱلْحَجَرِ(١)
٤ ـ وَرَوْضَةٌ مِنَ رِيَاضِ ٱلْفِكْرِ، دَبَّجَهَا صَوْبُ ٱلْقَرَائِحِ لاَ صَوْبٌ مِنَ ٱلْمَطَرِ
٥ ـ كَأَنَّمَا نَشَرَتْ أَيْدِي ٱلرَّبِيعِ بِهَا بُرْداً مِنَ ٱلْوَشْيِ أَوْ ثَوْباً مِنَ ٱلْحِبَرِ

ـ ١٧٣ ـ

وَقَالَ:

[من الرجز]

١ ـ مَسَّيْتُهَا، عَلَى بَعِيدٍ دَارِهَا،
٢ ـ وَٱلطَّيْرُ قَدْ رَاحَتْ إِلَى أَوْكَارِهَا،(٤)
٣ ـ بِجَحْفَلٍ قَصَّرْنَ مِنْ أَعْمَارِهَا(٥)

ـ ١٧٤ ـ

وَلَهُ، وَقَدْ غَزَا «بَنِي كِلَابٍ»، وَمَعَهُ «بَنُو كَلْبٍ»، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِمْ، فَرِحَتْ «بَنُو كَلْبٍ» بِظَفَرِهِمْ «بَنِي كِلَابٍ»، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ، وَصَفَحَ عَنْهُمْ لِئَلَّا يُشْمِتَهُمْ بِهِمْ:

[من المتقارب]

١ ـ وَلِي مِنَّةٌ فِي رِقَابِ «ٱلضِّبَابِ» وَأُخْرَى تَخُصُّ «بَنِي جَعْفَرِ»(٦)

---

(١) الجَدَد: مجتهد، عظيم، قويم.
(٢) دبَّجها: كتبها. الصَّوب: المطر، وصوب القرائح: الأفكار.
(٣) البُرد: الثَّوب. الوَشْي: الزخرفة. الحِبَر: ضرب من بُرود اليمن.
(٤) أوكار الطيور: أعشاشها.
(٥) الجَحْفَل: الجيش الكثير العدد.
(٦) الضِّباب وجعفر من قبائل بني كِلاب.

٢ - عَشِيَّةَ رَوَّحْنَ مِنْ «عَرْقَةٍ» وَأَصْبَحْنَ، فَوْضَى، عَلَى «شَيْزَرِ»(١)
٣ - وَقَدْ طَالَ مَا وَرَدَتْ «بِالْجَبَاةِ» وَعَاوَدَتِ الْمَاءَ فِي «تَدْمُرِ»(٢)
٤ - قَدَدْنَ «الْبَقِيعَةَ»، قَدَّ الأَدِيـ ـمِ، وَالْغَرْبُ فِي شَبَهِ الأَشْقَرِ(٣)
٥ - وَجَاوَزْنَ «حِمْصَ»؛ فَلَمْ يَنْتَظِرْ نَ عَلَى مَوْرِدٍ أَوْ عَلَى مَصْدَرِ(٤)
٦ - وَ «بِالرَّسْتَنِ» اسْتَلَبْتْ مَوْرِداً، كَوِرْدِ الْحَمَامَةِ أَوْ أَنْزَرِ(٥)
٧ - وَجُزْنَ الْمُرُوجَ، وَقَرْنَيْ «حَمَاةَ»، وَ «شَيْزَرَ»، وَالْفَجْرُ لَمْ يُسْفِرِ(٦)
٨ - وَغَامَضَتِ الشَّمْسُ إِشْرَاقَهَا فَلَفَّتْ «كَفَرْطَابَ» بِالْعَسْكَرِ(٧)
٩ - وَلاَقَتْ بِهَا عُصَبَ الدَّارِعِيـ ـنَ بِكُلِّ مَنِيعِ الْحِمَى مُسْعِرِ(٨)
١٠ - عَلَى كُلِّ سَابِقَةٍ بِالرَّدِيفِ، وَكُلِّ شَبِيهٍ بِهَا مُجْفَرِ(٩)
١١ - وَلَمَّا اعْتَفَرْنَ وَلَمَّا عَرِقْنَ خَرَجْنَ، سِرَاعاً، مِنَ الْعِثْيَرِ(١٠)
١٢ - نُنَكِّبُ عَنْهُنَّ فُرْسَانَهُنَّ، وَنَبْدَأُ بِالأَخْيَرِ الأَخْيَرِ(١١)
١٣ - فَلَمَّا سَمِعْتُ ضَجِيجَ النِّسَا ءِ نَادَيْتُ: «حَارِ»، أَلَا فَاقْصِرِ!(١٢)
١٤ - أَ «حَارِثُ» مَنْ صَافِحٌ، غَافِرٌ لَهُنَّ، إِذَا أَنْتَ لَمْ تَغْفِرِ؟!
١٥ - رَأَى «ابْنُ عُلَيَّانَ» مَا سَرَّهُ فَقُلْتُ. «رُوَيْدَكَ لاَ تُسْرَرِ!»(١٣)

---

(١) روَّحْنَ: ذهبْنَ في الرَّواح، وهو العشيَّة.
(٢) الجباة وتدمر: موضعان في سوريّا.
(٣) قَدَدْنَ: قطعْنَ. البقيعة: اسم موضع. الأديم: الجلد. الغَرْب: غروب الشمس.
(٤) حمص: مدينة في سوريّا. المورد: منبع الماء ومسيله. المصدَر: المكان الذي يرجع منه عن المياه.
(٥) الرَّسْتَن: موضع في سوريّا. استلبت: اختلست، كسبت. وِرْد: شرب. أنْزر: أقلّ.
(٦) حماة وشيزر: موضعان في سوريا. جُزْنَ: اجْتَزْنَ.
(٧) ويروى «وعاكستْ» مكان و «غامضَتْ». وكفرطاب: بلدة جنوب حلب، وتدعى اليوم خان شيخون.
(٨) عُصَب: جمع عُصبة، وهي الجماعة. الدارعون: المقاتلون اللابسون الدروع. مسعِر: الذي يؤجِّج النار.
(٩) المُجْفَر: الضَّخْم القويّ.
(١٠) اعتفَرْنَ: مرّغن بالتّراب. العِثْير: الغبار. ويروى «اعتركْنَ». مكان «اعتفَرْن».
(١١) ننكّب: نزيل. الأَخْيَر: الأفْضَل.
(١٢) حارِ: منادى مرخم. يا حارِثُ.
(١٣) ابن عليّان: رجل من بني كلب.

١٦ ـ فَإِنِّي أَقُومُ بِحَقِّ ٱلْجِوَا رِ ثُمَّ أَعُودُ إِلَى ٱلْعُنْصُرِ[١]

ـ ١٧٥ ـ

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ ـ وَيَوْمٍ جَلَا فِيهِ ٱلرَّبِيعُ بَيَاضَهُ بِأَنْوَاعِ حَلْيٍ، فَوْقَ أَثْوَابِهِ ٱلْخُضْرِ[٢]
٢ ـ كَأَنَّ ذُيُولَ ٱلْجُلَّنَارِ، مُطِلَّةً، فُضُولُ ذُيُولِ ٱلْغَانِيَاتِ مِنَ ٱلأُزْرِ[٣]

ـ ١٧٦ ـ

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ ـ وَوَٱللَّهِ، مَا أَضْمَرْتُ فِي ٱلْحُبِّ سَلْوَةً، وَوَٱللَّهِ، مَا حَدَّثْتُ نَفْسِي بِٱلصَّبْرِ[٤]
٢ ـ وَإِنَّكَ، فِي عَيْنِي، لأَبْهَى مِنَ ٱلْغِنَى، وَإِنَّكَ، فِي قَلْبِي، لأَحْلَى مِنَ ٱلنَّصْرِ
٣ ـ فَيَا حَكَمِي ٱلْمَأْمُولَ، جُرْتَ مَعَ ٱلْهَوَى! وَيَا ثِقَتِي ٱلْمَأْمُونَ، خُنْتَ مَعَ ٱلدَّهْرِ![٥]

ـ ١٧٧ ـ

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ ـ سَأُثْنِي عَلَى تِلْكَ ٱلثَّنَايَا، لأَنَّنِي أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ، وَأَنْطِقُ عَنْ خُبْرِ[٦]

---

(١) العنصر: الهِمَّة، والأصل، والحَسَب.
(٢) ويروى «رياضة» مكان «بياضة».
(٣) الجُلَّنار: زهر الرّمّان. الغانيات: الحسناوات. الأُزْر: جمع الإزار، وهو الثّوب.
(٤) ويروى «في القلب» مكان «في الحبّ».
(٥) جُرْتَ: ظلمتَ.
(٦) الثّنايا: أسنان مقدَّم الفم. خُبْر: خبرة.

٢ - وَأُنْصِفُهَا، لاَ أَكْذِبُ ٱللَّهَ، أَنَّنِي وَجَدْتُ لَهَا طَعْماً، أَلَذَّ مِنَ ٱلْخَمْرِ

- ١٧٨ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - يَا طِيبَ لَيْلَةِ مِيلاَدٍ، لَهَوْتُ بِهَا بِأَحْوَرٍ، سَاحِرِ ٱلْعَيْنَيْنِ، مَمْكُورِ(١)
٢ - وَٱلْجَوُّ يَنْثُرُ دُرًّا، غَيْرَ مُنْتَظِمٍ، وَٱلأَرْضُ بَارِزَةٌ فِي ثَوْبِ كَافُورِ(٢)
٣ - وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْغَضُّ، يَحْكِي حُسْنُ مَنْظَرِهِ صَفْرَاءَ، صَافِيَةً فِي كَأْسِ بَلُّورِ(٣)

- ١٧٩ -

وَقَالَ يُعَاتِبُ غُلاَمَهُ «مَنْصُوراً»:

[من الوافر]

١ - وَلِي فِي كُلِّ يَوْمٍ، مِنْكَ عَتْبٌ أَقُومُ بِهِ مَقَامَ ٱلاعْتِذَارِ
٢ - حَمَلْتُ جَفَاكَ، لاَ جَلَداً، وَلَكِنْ صَبَرْتُ عَلَى ٱخْتِيَارِكَ وَٱضْطِرَارِي(٤)
٣ - وَكَمْ أَبْصَرْتُ مِنْ حَسَنٍ! وَلَكِنْ عَلَيْكَ، لِشَقْوَتِي، وَقَعَ ٱخْتِيَارِي

- ١٨٠ -

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: وَٱصْطَنَعَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» غُلاَمَهُ «نَجا ٱلْكَاسَكِيَّ»؛ وَنَوَّهَ بِهِ؛ وَقَلَّدَهُ «طَرَسُوس»، وَسَائِرَ ٱلأُمُورِ وَ «ٱلثُّغورِ ٱلشَّامِيَّة». وَٱسْتَكْتَبَ لَهُ ٱلْوَزِيرَ «أَبَا عَبْدِ ٱللَّهِ

---

(١) الأحور: الذي في عينيه حَوَر، وهو شدّة سواد سواد العين، وشدّة بياض بياضها. ممكور: مخدوع.
(٢) الكافور: نبت زهره كزهر الأقحوان.
(٣) الغضّ: الطّريّ.
(٤) الجفا: البعد، وسوء المعاملة. الجَلَد: الصَّبر. ويروى «هواكَ» مكان «جفاكَ».

آلسَّامِرِيَّ»؛ فَنَدَّ عَنْهُ؛ وَآفْتَتَحَ «مَنَازْكِرْدَ»، وَ«خِلاَطَ»، وَ«بَرْكَرِيَ»، وَ«ذَاتَ آلْجَوْزِ»، وَ«أَرْجِيشَ»؛ وَقَتَلَ صَاحِبَهَا «أَبَا آلْوِرْدَيْنِ سَالِماً»؛ فَكَاتَبَهُ آلأَمِيرُ «سَيْفُ آلدَّوْلَةِ»؛ فَأَقَامَ عَلَى أَمْرِهِ حَتَّى تَوَجَّهَ إِلَيْهِ آلأَمِيرُ «سَيْفُ آلدَّوْلَةِ»؛ وَآنْحَلَّ أَمْرُهُ حَتَّى طَرَحَ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ وَرَجَعَ لَهُ؛ وَزَادَهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ؛ فَكَتَبَ آلأَمِيرُ «أَبُو فِرَاسٍ»، وَهُوَ فِي آلأَسْرِ:

[من الوافر]

١ - جَنَى جَانٍ، وَأَنْتَ عَلَيْهِ حَانٍ، وَعَادَ، فَعُدْتَ بِآلْكَرَمِ آلْغَزِيرِ
٢ - صَبَرْتَ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَ، طَوْعاً، إِلَيْكَ، وَتِلْكَ عَاقِبَةُ آلصَّبُورِ
٣ - فَإِنْ يَكُ عَذْلَةٌ فِي آلْجِسْمِ كَانَتْ فَمَا عَدَلَ آلضَّمِيرُ عَنِ آلضَّمِيرِ
٤ - وَمِثْلُ «أَبِي فِرَاسٍ» مَنْ تَجَافَى لَهُ عَنْ فِعْلِهِ، مِثْلُ آلأَمِيرِ

- ١٨١ -

وَقَالَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا قَالَهُ فِي صِبَاهُ:

[من الطويل]

١ - بَكَيْتُ، فَلَمَّا لَمْ أَرَ آلدَّمْعَ نَافِعِي، رَجَعْتُ إِلَى صَبْرٍ،أَمَرَّ مِنَ آلصَّبْرِ،
٢ - وَقَدَّرْتُ أَنَّ آلصَّبْرَ، بَعْدَ فِرَاقِهِمْ، يُسَاعِدُنِي، وَقْتاً، فَعُزِّيتُ عَنْ صَبْرِي

فَآتَّصَلَ هَذَانِ آلْبَيْتَانِ «بِأَبِي زُهَيْرٍ آلْمُهَلْهِلِ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَمْدَانَ»، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِأَبْيَاتٍ أَوَّلُهَا: [يَآبْنَ آلْكِرَامِ آلصِّيدِ وَآلسَّادَةِ آلْغُرِّ] فَأَجَابَهُ «أَبُو فِرَاسٍ» بِقَوْلِهِ: «أَلاَ مَا لِمَنْ أَمْسَى يَرَاكَ وَلِلْبَدْرِ»

- ١٨٢ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - رَاقَتْ وَرَقَّ نَسِيمُهَا، فَكَأَنَّهَا أَهْدَتْ إِلَيْكَ تَنَفُّسَ آلأَسْحَارِ

(١) الصَّبْر الثانية: نبات له شوك. وفي البيت جناس تامّ بين «صبر» و«الصَّبْر».

٢ - وَكَأَنَّهَا زَهْرُ ٱلرِّيَاضِ، مُفَصَّلاً بِغَرَائِبِ ٱلنُّوَّارِ وَٱلأَنْوَارِ

- ١٨٣ -

وَقَالَ، فِي مُفَارَقَةِ أَخِيهِ ٱلْكَبِيرِ:

[من الكامل]

١ - مَا زَالَ مُعْتَلِجَ ٱلْهُمُومِ بِصَدْرِهِ حَتَّى أَبَاحَكَ مَا طَوَى مِنْ سِرِّهِ(١)
٢ - أَضْمَرْتَ حُبَّكَ، وَٱلدُّمُوعُ تُذِيعُهُ، وَطَوَيْتُ وَجْدَكَ، وَٱلْهَوَى فِي نَشْرِهِ(٢)
٣ - تَرِدُ ٱلدُّمُوعُ، لِمَا تُجِنُّ ضُلُوعُهُ، تَتْرَى إِلَى وَجَنَاتِهِ أَوْ نَحْرِهِ(٣)
٤ - مَنْ لِي بِعَطْفَةِ ظَالِمٍ، مِنْ شَأْنِهِ نِسْيَانُ مُشْتَغِلِ ٱللِّسَانِ بِذِكْرِهِ؟
٥ - يَا لَيْتَ مُؤْمِنَهُ سُلُوِّي - مَا دَعَتْ وُرْقُ ٱلْحَمَامِ - مُؤَمِّنِي مِنْ هَجْرِهِ(٤)
٦ - مَنْ لِي بِرَدِّ ٱلدَّمْعِ، قَسْراً، وَٱلْهَوَى يَغْدُو عَلَيْهِ، مُشَمِّراً، فِي نَصْرِهِ؟
٧ - أَعْيَا عَلَيَّ أَخٌ، وَثِقْتُ بِوُدِّهِ، وَأَمِنْتُ فِي ٱلْحَالاَتِ عُقْبَى غَدْرِهِ
٨ - وَخَبَرْتُ هَذَا ٱلدَّهْرَ خِبْرَةَ نَاقِدٍ حَتَّى أَنِسْتُ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ
٩ - لاَ أَشْتَرِي بَعْدَ ٱلتَّجَرُّبِ صَاحِباً إِلاَّ وَدِدْتُ بِأَنَّنِي لَمْ أَشْرِهِ
١٠ - مِنْ كُلِّ غَدَّارٍ يُقِرُّ بِذَنْبِهِ فَيَكُونُ أَعْظَمُ ذَنْبِهِ فِي عُذْرِهِ
١١ - وَيَجِيءُ، طَوْراً، ضُرُّهُ فِي نَفْعِهِ، جَهْلاً، وَطَوْراً، نَفْعُهُ فِي ضُرِّهِ
١٢ - فَصَبَرْتُ لَمْ أَقْطَعْ حِبَالَ وِدَادِهِ وَسَتَرْتُ مِنْهُ، مَا ٱسْتَطَعْتُ، بِسَتْرِهِ
١٣ - وَأَخٍ أَطَعْتُ فَمَا رَأَى لِي طَاعَتِي حَتَّى خَرَجْتُ، بِأَمْرِهِ، عَنْ أَمْرِهِ
١٤ - وَتَرَكْتُ حُلْوَ ٱلْعَيْشِ لَمْ أَحْفِلْ بِهِ لَمَّا رَأَيْتُ أَعَزَّهُ فِي مُرِّهِ
١٥ - وَٱلْمَرْءُ لَيْسَ بِبَالِغٍ فِي أَرْضِهِ، كَٱلصَّقْرِ لَيْسَ بِصَائِدٍ فِي وَكْرِهِ

---

(١) معتلج الهموم: كثيرها.
(٢) أَضْمَرْتَ: أَخْفَيْتَ. وكذلك طويتَ. الوجد: الحبّ المكنون.
(٣) تُجِنّ: تُخفي. الوجنات: ما علا من الخَدَّين. النَّحر: موضع القلادة من العنق. تترى: تتابع.
(٤) الوُرْق: جمع الورقاء، وهي الحمامة التي يميل لونها إلى خضرة. وفي البيت إشارة إلى مفارقة أخيه له.

١٦ - أَنْفِقْ مِنَ ٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ، فَإِنَّهُ ... لَمْ يَخْشَ فَقْراً مُنْفِقٌ مِنْ صَبْرِهِ
١٧ - وَٱحْلَمْ وَإِنْ سَفِهَ ٱلْجَلِيسُ، وَقُلْ لَهُ ... حُسْنَ ٱلْمَقَالِ إِذَا أَتَاكَ بِهُجْرِهِ(١)
١٨ - وَأَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ أَبَشُّهُمْ ... بِصَدِيقِهِ فِي سِرِّهِ أَوْ جَهْرِهِ(٢)
١٩ - لَا خَيْرَ فِي بِرِّ ٱلْفَتَى مَا لَمْ يَكُنْ ... أَصْفَى مَشَارِبِ بِرِّهِ فِي بِشْرِهِ(٣)
٢٠ - أَلْقَى ٱلْفَتَى فَأُرِيدُ فَائِضَ بِشْرِهِ ... وَأُجِلُّ أَنْ أَرْضَى بِفَائِضِ بِرِّهِ(٤)
٢١ - يَا رُبَّ مُضْطَغِنِ ٱلْفُؤَادِ، لَقِيتُهُ ... بِطَلَاقَةٍ، فَسَلَلْتُ مَا فِي صَدْرِهِ(٥)

---

(١) الهجر: الكلام القبيح.
(٢) أبشّهم: أكثرهم بشاشة وجه.
(٣) البِشْر: البشاشة.
(٤) البِرّ: العطاء.
(٥) مضطغن: حاقد. سلَلَت: أخرجت. وفي البيت حكمة رائعة.

قافية الزّاي

- ١٨٤ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - بِنَفْسِي ٱلَّتِي أَخْفَتْ، مَخَافَةَ أَهْلِهَا، وَدَاعِي، وَأَبْدَتْ، حِيْنَ أَبْدَتْ، لَنَا رَمْزَا!
٢ - فَلَمْ أَرَ مَقْتُولَيْنِ، مِثْلِي وَمِثْلَهَا، أَذِلَّا، وَإِنْ كَانَا، لَعَمْرُ ٱلْهَوَى، عِزَّا

- ١٨٥ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - تَجْفُو وَأَمْنَحُكَ ٱلصُّدُودَ لِتَرْعَوِي فَتُقِيمُ أَنْتَ عَلَى ٱلصُّدُودِ فَأَعْجَزُ(١)
٢ - وَأَصُدُّ عَنْكَ، إِذَا صَدَدْتَ، تَعَزُّزاً، وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ عَاجِزٌ يَتَعَزَّزُ!(٢)

(١) الصُّدود: الإعراض، والجفاء.
(٢) تعزُّزاً: تكرُّماً. وتعزَّز: صار عزيزاً مُكرَّماً.

قافية السين

- ١٨٦ -

وَكَتَبَ بِهَا إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» مِنْ بِلَادِ ٱلرُّومِ :

[من الطويل]

١ - وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَبِيتَ وَبَيْنَنَا ... خَلِيجَانِ وَ «ٱلدَّرْبُ» ٱلأَشَمُّ وَ «آلِسُ»(١)
٢ - وَلَا أَنَّنِي أَسْتَصْحِبُ ٱلصَّبْرَ سَاعَةً ... وَلِي عَنْكَ مَنَّاعٌ وَدُونَكَ حَابِسُ(٢)
٣ - يُنَافِسُنِي فِيكَ ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ ... وَكُلُّ زَمَانٍ لِي عَلَيْكَ مُنَافِسُ
٤ - شَرَيْتُكَ مِنْ دَهْرِي بِذِي ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ ... فَلَا أَنَا مَبْخُوسٌ وَلَا ٱلدَّهْرُ بَاخِسُ(٣)
٥ - وَمَلَّكْتُكَ ٱلنَّفْسَ ٱلنَّفِيسَةَ طَائِعاً ؛ ... وَتُبْذَلُ لِلْمَوْلَى ٱلنُّفُوسُ ٱلنَّفَائِسُ(٤)

---

(١) الدَّرب : اسم مكان . آلِس : اسم نهر . ويروى «الأصَمّ» مكان «الأشَمّ» . والأشمّ : المرتفع .
(٢) أي بيني وبينك حواجز وموانع .
(٣) الباخس : الناقص ، الظالم .
(٤) النفائس : جمع النفيسة ، وهي كلّ شيء ثمين . ويروى «الكريمة» مكان «النفيسة» .

٦ - تَشَــوَّقَنِي ٱلأَهْــلُ ٱلْكِــرَامُ وَأَوْحَشَتْ   مَــوَاكِبُ بَعْـدِي عِنْـدَهُمْ وَمَجَـالِسُ
٧ - وَرُبَّــتمـا زَانَ ٱلأَمَــاجِــدَ مَــاجِــدٌ   وَرُبَّتَمَــا زَانَ ٱلْفَــوَارِسَ فَــارِسُ!(١)
٨ - رَفَعْتُ عَلَى ٱلْحُسَّادِ نَفْسِي ؛ وَهَلْ هُمُ   وَمَــا جَمَعُوا لَــوْ شِئْتُ إِلَّا فَرَائِسُ؟
٩ - أَيُــدْرِكُ مَــا أَدْرَكْـتُ إِلَّا ٱبْنُ هِـمَّــةٍ   يُمَـارِسُ فِي كَسْبِ ٱلْعُلَا مَا أُمَارِسُ؟
١٠ - يَضِيـقُ مَكَــانِي عَنْ سِــوَايَ لِأَنَّــنِي   عَلَى قِمَّةِ ٱلْمَجْدِ ٱلْمُـؤَثَّلِ جَـانِسُ(٢)
١١ - سَبَقْتُ وَقَــوْمِي بِـٱلْمَكَــارِمِ وَٱلْعُـلَا   وَإِنْ زَعَمَتْ مِنْ آخَـرِينَ ٱلْمَعَــاطِسُ

- ١٨٧ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - سَقَى ثَـرَى «حَلَبٍ» مَا دُمْتَ سَاكِنَهَا   يَـا بَـدْرُ، غَيْثَـانِ مُنهَـلٌّ وَمُنْبَجِسُ(٣)
٢ - أَسِيـرُ عَنْهَـا وَقَلْبِي فِي ٱلْمُقَــامِ بِهَـا   كَـأَنَّ مُهْرِي لِثِقْـلِ ٱلسَّيْـرِ مُحْتَبِسُ(٤)
٣ - هَـذَا وَلَوْلَا ٱلَّـذِي فِي قَلْبِ صَـاحِبِـهِ   مِنَ ٱلْبَـلَابِـلِ لَمْ يَقْلَقْ بِـهِ فَـرَسُ(٥)
٤ - كَـأَنَّمَـا ٱلأَرْضُ وَٱلْبُلْدَانُ مُـوحِشَـةٌ   وَرَبْعُهَـا دُونَهُنَّ ٱلْـعَـامِـرُ ٱلأَنِسُ(٦)
٥ - مِثْـلُ ٱلْحَصَـاةِ ٱلَّتِي يُـرْمَى بِهَـا أَبَـداً   إِلَى ٱلسَّـمَــاءِ فَتَــرْقَـى ثُمَّ تَـنْعَـكِسُ

(١) الأماجد: جمع الأمجد، وهو ذو المجد.
(٢) المؤثَّل: المُتَأَصِّل.
(٣) الغيثان: مثنَّى غيث، وهو المطر. منهَلّ: متساقط. منبجس: متفجِّر.
(٤) المهر: ولد الفرس.
(٥) البلابل: جمع البلبال، وهو الهَمّ.
(٦) ربعها: منزلها.

- ١٨٨ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - جَاءَتْ بِمَعْسُولَةٍ، مِنْ جِنْسِ قَامَتِها لِيناً، وَفي وَسْطِهَا مِنْ خَدِّها قَبَسُ(١)
٢ - حَتَّى إِذَا قَرُبَتْ مِنْ ذَيْلِ طَالِبِهَا أَصْغَى إِلَى سِرِّها، وَآلرَّأْسُ مُنْتَكِسُ(٢)
٣ - فَنَمَّ بَيْنَهُمَا مَا كَانَ مُنْكَتِماً مَا نَمَّهُ آلنَّفْسُ، لَكِنْ نَمَّهُ آلنَّفَسُ(٣)

- ١٨٩ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - بِمَحْنِيَةِ آلنَّقَا أَوْ بِآلدَّهَاسِ ذَكَرْتُ آلْعَهْدَ مِنْ ظَبْيِ آلْكِنَاسِ(٤)
٢ - وَرَاجَعْتُ آلصِّبَا فِي حُبِّ رِيمٍ رَخِيمِ آلدَّلِّ، فَظِّ آلْقَلْبِ، قَاسِي(٥)
٣ - بِعَوْنِ آللَّهِ مَا يَلْقَى فُؤَادِي مِنَ آلْبُرَحَاءِ فِيهِ وَمَا أُقَاسِي(٦)
٤ - سَهِرْتُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ أَحْظَ يَوْماً بِهِ، وَهَجَرْتُ نَدْمَانِي وَكَاسِي(٧)
٥ - وَأَنْسَانِي نُعَاسِي فِيهِ حَتَّى ظَنَنْتُ بِأَنَّ تَسْهَادِي نُعَاسِي(٨)

---

(١) المعسولة: الطَّيِّبة كالعسل.
(٢) منتكِس: مُطأطأ.
(٣) نمَّ: ظهر. مُنكَتِم: مُسْتَتِر.
(٤) النَّقا: ما استدار من الرّمل. الدَّهاس: المكان السهل اللَّيِّن الذي ليس برمل ولا تراب. الكِناس: بيت الظبي.
(٥) الصِّبا: الشَّوق والصَّبابة. الرِّيم: الغزال. رخيم: ليِّن، سهل.
(٦) البُرحاء: الشِّدَّة.
(٧) النَّدمان: الذي يشارك في شرب الخمر.
(٨) التَّسهاد: الأرَق.

٦ ـ لَئِنْ أُنْسِيتَنِي وَنَقَضْتَ عَهْدِي لَمَا أَنَا مُنْقِضٌ غَيْرَ ٱلتَّنَاسِي
٧ ـ وَطَيْفٍ زَارَنِي وَهْناً وَحَيَّا فَقُلْتُ لَهُ: عَلَى عَيْنِي وَرَاسِي[1]
٨ ـ يُصَارِمُنِي نَهَاراً وَهْوَ لَيْلاً يُوَاصِلُنِي مُوَاصَلَةَ ٱخْتِلَاسِ[2]
٩ ـ فَيُطْعِمُنِي وَيُؤْنِسُنِي هَوَاهُ فَأَهْلِكُ بَيْنَ أَطْمَاعٍ وَيَاسِ[3]
١٠ ـ أَخِي، يَا ٱبْنَ ٱلْكِرَامِ «أَبَا زُهَيْرٍ»، دُعَاءَ فَتًى لِعَهْدِكَ غَيْرِ نَاسِي
١١ ـ أَلَسْتَ ٱبْنَ ٱلأُلَى شَادُوا ٱلْمَعَالِي، وَأَرْسُوا ٱلنَّاسَ بِٱلشَّرَفِ ٱلرِّيَاسِي؟
١٢ ـ تَذِلُّ لِعَزْمِكَ ٱلأَحْدَاثُ قَسْراً وَتَدْعُوكَ ٱلْخُطُوبُ: بِلَا مَسَاسِ![4]
١٣ ـ عَلِيمٌ بِٱلأُمُورِ تَصُوغُ فِيهَا لَكَ ٱلأَمْرُ ٱلْمُغَيَّبُ بِٱلْقِيَاسِ
١٤ ـ أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنِّي، مُذْ تَنَاءَتْ بِكَ ٱلأَوْطَانُ، بِٱلأَحْزَانِ كَاسِي؟[5]

ـ ١٩٠ ـ

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ ـ لَوْلَا ٱلْغَبُوقُ وَحَثُّ ٱلْكَاسِ مُصْطَبِحاً وَٱلْجَاشِرِيَّةُ بَيْنَ ٱلصُّبْحِ وَٱلْغَلَسِ[6]
٢ ـ وَمَا أُرَجِّيهِ مِنْ وَصْلِ ٱلْحِسَانِ بِهِ لَمَا شَكَا هَزَّ أَطْرَافِ ٱلْقَنَا فَرَسِي[7]
٣ ـ مَا كُنْتُ أَبْذُلُ نَفْسِي لِلرِّمَاحِ وَلَا أَلْقَى ٱلْكَمِيَّ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُخْتَلِسِ[8]

---

(١) الطّيف: الخيال. وهناً: نحو منتصف الليل.
(٢) يصارمني: يبادلني الصَّرم، أي القطيعة. يواصلني: ضدّ يُصَارمني، أي يبادلني الوِصال (الحبّ). اختلاس: سرقة.
(٣) ياس: يأس، وقد حُذفت الهمزة تخفيفاً.
(٤) الخطوب: المصائب. بلا مساس: أي لا يمسّك من شرّها شيء.
(٥) تناءت: ابتعدت. الكاسي هنا: المُكْتَسِي.
(٦) الغبوق: شراب المساء. الجاشريّة: شرب يكون مع الصّبح، أو لا يكون إلّا من ألبان الإبل. الغَلَس: ظلمة آخر اللّيل.
(٧) القنا: الرِّماح.
(٨) الكميّ: الشجاع، اللابس السِّلاح. اختلس الشّيء: استلبه في سرعة ومخادعة.

- ١٩١ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - لِمَنْ أُعَاتِبُ؟ مَا لِي؟ أَيْنَ يُذْهَبُ بِي؟ قَدْ صَرَّحَ ٱلدَّهْرُ لِي بِٱلْمَنْعِ وَٱلْيَاسِ(١)
٢ - أَبْغِي ٱلْوَفَاءَ بِدَهْرٍ لَا وَفَاءَ لَهُ كَأَنَّنِي جَاهِلٌ بِٱلدَّهْرِ وَٱلنَّاسِ!

- ١٩٢ -

وَقَالَ، وَقَدْ طُعِنَ فِي وَجْهِهِ:

[من الكامل]

١ - لَمَّا رَأَتْ أَثَرَ ٱلسِّنَانِ بِخَدِّهِ ظَلَّتْ تُقَابِلُهُ بِوَجْهٍ عَابِسِ!(٢)
٢ - خَلَفَ ٱلسِّنَانُ بِهِ مَوَاقِعَ لَثْمِهَا، بِئْسَ ٱلْخِلَافَةُ لِلْمُحِبِّ ٱلْبَائِسِ!(٣)
٣ - إِنِّي لَيُعْجِبُنِي، إِذَا ٱشْتَجَرَ ٱلْقَنَا، أَثَرُ ٱلسِّنَانِ بِصَحْنِ خَدِّ ٱلْفَارِسِ!(٤)

- ١٩٣ -

وَقَالَ، وَقَدْ أَصَابَتْ خَدَّهُ طَعْنَةٌ وَبَقِيَ أَثَرُهَا:

[من الكامل]

١ - مَا أَنْسَ قَوْلَتَهُنَّ، يَوْمَ لَقِينَنِي: «أَزْرَى ٱلسِّنَانُ بِوَجْهِ هَذَا ٱلْبَائِسِ!»(٥)
٢ - قَالَتْ لَهُنَّ، وَأَنْكَرَتْ مَا قُلْنَهُ: «أَجَمِيعُكُنَّ عَلَى هَوَاهُ مُنَافِسِي؟

---

(١) الياس: اليأس، وقد حُذِفت الهمزة تخفيفاً.
(٢) السِّنان: نَصْل الرُّمح.
(٣) لَثْمها: تقبيلها.
(٤) القنا: الرِّماح. واشتجاره: تقارعه في القتال.
(٥) أَزْرى: وضَع من قيمته.

٣ - إِنِّي لَيُعْجِبُنِي، إِذَا عَايَنْتُهُ، أَثَرُ ٱلسِّنَانِ بِصَحْنِ خَدِّ ٱلْفَارِسِ[(١)]
٤ - حُسْنُ ٱلثَّنَاءِ بِقُبْحِ مَا فَعَلَ ٱلْقَنَا بِجَمَالِ وَجْهٍ، نِعْمَ ثَوْبُ ٱللَّابِسِ»![(٢)]

- ١٩٤ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - ٱلْمَرْءُ رَهْنُ مَصَائِبٍ لَا تَنْقَضِي، حَتَّى يُوَارَى جِسْمُهُ فِي رَمْسِهِ[(٣)]
٢ - فَمُؤَجَّلٌ يَلْقَى ٱلرَّدَى فِي أَهْلِهِ، وَمُعَجَّلٌ يَلْقَى ٱلرَّدَى فِي نَفْسِهِ[(٤)]

- ١٩٥ -

وَقَالَ أَيْضاً: (*)

[من البسيط]

١ - لَا عَيْبَ لِلطِّرْفِ إِنْ زَلَّتْ قَوَائِمُهُ وَلَيْسَ يَنْقُصُهُ مِنْ عَائِبٍ دَنَسُ[(٥)]
٢ - حَمَلْتَ بَأْساً، وَجُوداً فَوْقَهُ، وَنَدًى وَلَيْسَ يَقْوَى، لِهَذَا كُلِّهِ، ٱلْفَرَسُ![(٦)]
٣ - قَالُوا: فُصِدْتَ فَمَا خَلْقٌ بِهِ حَرَكٌ خَوْفاً عَلَيْكَ، وَلَا نَفْسٌ لَهَا نَفَسُ![(٧)]
٤ - كَفُّ ٱلطَّبِيبِ دَعَا كَفًّا يُقَبِّلُهَا وَيُطْلَبُ ٱلْغَيْثُ مِنْهَا حَيْثُ يَحْتَبِسُ

(عن التاريخ الكبير لابن عساكر الجزء الثالث ص٤٤٢)

---

(١) عاين: رأى بعينه.
(٢) القنا: الرِّماح.
(٣) الرمس: القبر.
(٤) الرَّدى: الموت.
(٥) الطِّرْف: الكريم من الفتْيان. العائب: الذي يعيب.
(٦) البأس: القوّة والشَّجاعة. النَّدى: العطاء والكرم.
(٧) فَصَدَ المريض: شَقَّ عِرْقه.
(*) الأبيات التالية ليست في رواية ابن خالويه، وهي في التاريخ الكبير لابن عساكر، ج٣، ص ٤٤٢.

قافية الشّين

- ١٩٦ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - حُبٌّ لِـ«أَحْمَدَ» قَدْ فَشَا ... بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ وَٱلْحَشَا(١)
٢ - يَهْتَزُّ فِي حَرَكَاتِهِ، ... مِثْلَ ٱلْقَضِيبِ، إِذَا مَشَى
٣ - خَدَّاهُ مِنْ بَدْرِ ٱلدُّجَى، ... وَٱلْمُقْلَتَانِ مِنَ ٱلرَّشَا(٢)
٤ - أَبْهَى ٱلْبَرِيَّةِ، أَوْ عَلَى ... عَيْنِ ٱلَّذِي يَهْوَى غِشَا!(٣)

---

(١) فَشا: انتشر. الجوانح: الضلوع.
(٢) الدُّجى: اللَّيل: المُقْلتان: العينان. الرَّشا: الرَّشأ، وهو ولد الغزالة الذي قوي ومشى مع أمِّه.
(٣) البريَّة: الناس. غِشا: غشاء، وقد حُذِفت الهمزة للضَّرورة الشِّعريَّة.

قافية الضّاد

- ١٩٧ -

وَقَالَ:

[من مخلّع البسيط]

١ - تَـنَـاهَضَ ٱلْـقَـوْمُ لِـلْـمَـعَـالِـي لَـمَّـا رَأَوْا نَـحْـوَهَـا نُـهُـوضِـي

٢ - تَـكَـلَّـفُـوا ٱلْـمَـكْـرُمَـاتِ، كَـدًّا، تَـكَـلُّـفَ ٱلـشِّـعْـرِ بِـٱلْـعَـرُوضِ (١)

(١) تكلّفوا: تحمّلوا على مشقّة. كدّاً: تعباً.

قافية العين

- ١٩٨ -

وَقَالَ:

[من الهزج]

١ - أَيَا قَلْبِي، أَمَا تَخْشَعْ؟ وَيَا عِلْمِي، أَمَا تَنْفَعْ؟!
٢ - أَمَا حَقِّي بِأَنْ أَنْظُرَ لِلدُّنْيَا، وَمَا تَصْنَعْ؟
٣ - أَمَا شَيَّعْتُ أَمْثَالِي إِلَى ضِيقٍ مِنَ ٱلْمَضْجَعْ؟[1]
٤ - أَمَا أَعْلَمُ أَنْ لَا بُدَّ لِي مِنْ ذَلِكَ ٱلْمَصْرَعْ؟!
٥ - أَيَا غَوْثَاهُ، يَا أَللَّهُ هَذَا ٱلْأَمْرُ مَا أَفْظَعْ!!

- ١٩٩ -

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «وَكَتَبَ أَبُو فِرَاسٍ إِلَى سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ، بِمَا قَرَّرَهُ مَعَ مَلِكِ ٱلرُّومِ

(١) شيَّعتَ: واكبتَ في الجنازة. المَضْجَع: مكان النوم، والمقصود هنا القبر.

مِنَ ٱلْفِدَاءِ؛ فَتَأَخَّرَتِ ٱلأَجْوِبَةُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو فِرَاسٍ، يَعْتِبُ عَلَيْهِ وَيَسْتَبْطِىءُ أَمْرَهُ؛ فَوَجَدَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ، وَقَرَّعَهُ فِي كُتُبِهِ إِلَيْهِ وَإِلَى غَيْرِهِ؛ فَكَتَبَ أَبُو فِرَاسٍ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى -:

[من الطويل]

١ - أَبَى غَرْبُ هَذَا ٱلدَّمْعِ إِلَّا تَسَرُّعَا ... وَمَكْنُونُ هَذَا ٱلْحُبِّ إِلَّا تَضَوُّعَا(١)

٢ - وكُنْتُ أَرَى أَنِّي مَعَ ٱلْحَزْمِ وَاحِدٌ ... إِذَا شِئْتُ لِي مَمْضًى وَإِنْ شِئْتُ مَرْجِعَا(٢)

٣ - فَلَمَّا ٱسْتَمَرَّ ٱلْحِبُّ فِي غُلَوَائِهِ ... رَعَيْتُ مَعَ ٱلْمِضْيَاعَةِ الحُبَّ مَا رَعَى(٣)

٤ - فَحُزْنِيَ حُزْنُ ٱلْهَائِمِينَ مُبَرِّحاً ... وَسِرِّيَ سِرُّ ٱلْعَاشِقِينَ مُضَيَّعَا(٤)

٥ - خَلِيلَيَّ، لِمْ لَا تَبْكِيَانِي صَبَابَةً، ... أَأَبْدَلْتُمَا بِالأَجْرَعِ ٱلْفَرْدِ أَجْرَعَا؟(٥)

٦ - عَلَيَّ، لِمَنْ ضَنَّتْ عَلَيَّ جُفُونُهُ، ... غَوَارِبُ دَمْعٍ، يَشْمَلُ ٱلْحَيَّ أَجْمَعَا!(٦)

٧ - وَهَبْتُ شَبَابِي، وَٱلشَّبَابُ مَضِنَّةٌ، ... لأَبْلَجَ مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّي، أَرْوَعَا!(٧)

٨ - أَبِيتُ، مُعَنًّى، مِنْ مَخَافَةِ عَتْبِهِ، ... وَأُصْبِحُ، مَحْزُوناً، وَأُمْسِي، مُرَوَّعَا!(٨)

٩ - فَلَمَّا مَضَى عَصْرُ ٱلشَّبِيبَةِ، كُلُّهُ، ... وَفَارَقَنِي شَرْخُ ٱلشَّبَابِ، مُوَدِّعَا،(٩)

١٠ - تَطَلَّبْتُ بَيْنَ ٱلْهَجْرِ وَٱلْعَتْبِ فُرْجَةً ... فَحَاوَلْتُ أَمْراً، لَا يُرَامُ، مُمَنَّعَا

١١ - فَلَوْ أَنَّ أَسْرِي بَيْنَ عَيْشٍ بِعِمْتَهُ ... حَمَلْتُ لِذَاكَ ٱلشَّهْدِ ذَا ٱلسُّمِّ مُنْقَعَا(١٠)

١٢ - وَلَكِنْ أَصَابَ ٱلْجُرْحُ جِسْماً مُجَرَّحاً ... وَصَادَفَ هَذَا ٱلصَّدْعُ قَلْباً مُصَدَّعَا(١١)

---

(١) غَرْب: سيلان. مكنون: مستور. تضوّع: هنا انتشار.

(٢) ويروى «الصَّبر» مكان «الحزم».

(٣) ويروى «الغِرّ» مكان «الحبّ». غُلَوائه: شدّته. المضياعة: الكثيرة الإضاعة للأشياء.

(٤) مبرِّح: شديد، معذِّب.

(٥) الأجرع: الرملة المستوية.

(٦) غوارب الدمع: سيلانه.

(٧) الأبلج: المُضيء، المشرِق الوجه.

(٨) معنّى: معذَّب.

(٩) ويروى «فوَدّعا» مكان «مُودِّعا».

(١٠) الشّهد: العسل. مُنْقع: منقوع.

(١١) الصَّدْع: الشّقّ.

١٣ ـوَصِرْتُ إِذَا مَا رُمْتُ فِي ٱلْخَيْرِ لَذَّةً تَتَبَّعْتُهَا بَيْنَ ٱلْهُمُومِ، تَتَبُّعَا
١٤ ـوَهَأَنَا قَدْ حَلَّى ٱلزَّمَانُ مَفَارِقِي، وَتَوَّجَنِي بِٱلشَّيْبِ تَاجاً مُرَصَّعَا
١٥ ـفَلَوْ أَنَّنِي مُكِّنْتُ مِمَّا أُرِيدُهُ مِنَ ٱلْعَيْشِ، يَوْماً، لَمْ يَجِدْ فِيَّ مَوْضِعَا!
١٦ ـأَمَا لَيْلَةٌ تَمْضِي وَلاَ بَعْضُ لَيْلَةٍ! أُسَرُّ بِهَا هَذَا ٱلْفُؤَادَ ٱلْمُفَجَّعَا؟!(١)
١٧ ـأَمَا صَاحِبٌ فَرْدٌ يَدُومُ وَفَاؤُهُ! فَيُصْفِي لِمَنْ أَصْفَى، وَيَرْعَى لِمَنْ رَعَى؟
١٨ ـأَفِي كُلِّ دَارٍ لِي صَدِيقٌ أَوَدُّهُ إِذَا مَا تَفَرَّقْنَا حَفِظْتُ وَضَيَّعَا؟
١٩ ـأَقَمْتُ بِأَرْضِ ٱلرُّومِ، عَامَيْنِ، لاَ أَرَى مِنَ ٱلنَّاسِ مَحْزُوناً وَلاَ مُتَصَنِّعَا
٢٠ ـإِذَا خِفْتُ مِنْ أَخْوَالِيَ ٱلرُّومِ خُطَّةً تَخَوَّفْتُ مِنْ أَعْمَامِيَ ٱلْعُرْبِ أَرْبَعَا
٢١ ـوَإِنْ أَوْجَعَتْنِي مِنْ أَعَادِيَّ شِيمَةٌ لَقِيتُ مِنَ ٱلأَحْبَابِ أَدْهَى وَأَوْجَعَا(٢)
٢٢ ـوَلَوْ قَدْ رَجَوْتُ ٱللَّهَ لاَ شَيْءَ غَيْرَهُ رَجَعْتُ إِلَى أَعْلَى وَأَمَّلْتُ أَوْسَعَا
٢٣ ـلَقَدْ قَنِعُوا بَعْدِي مِنَ ٱلْقَطْرِ بِٱلنَّدَى؛ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ ٱلْقُنُوعَ تَقَنَّعَا(٣)
٢٤ ـوَمَا مَرَّ إِنْسَانٌ فَأَخْلَفَ مِثْلَهُ؛ وَلَكِنْ يُزَجِّي ٱلنَّاسُ أَمْراً مُوَقَّعَا(٤)
٢٥ ـتَنَكَّرَ «سَيْفُ ٱلدِّينِ» لَمَّا عَتَبْتُهُ، وَعَرَّضَ بِي، تَحْتَ ٱلْكَلاَمِ، وَقَرَّعَا(٥)
٢٦ ـفَقُولاَ لَهُ: مِنْ أَصْدَقِ ٱلْوُدِّ أَنَّنِي جَعَلْتُكَ مِمَّا رَابَنِي، ٱلدَّهْرَ مَفْزَعَا(٦)
٢٧ ـوَلَوْ أَنَّنِي أَكْنَنْتُهُ فِي جَوَانِحِي لأَوْرَقَ مَا بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ وَفَرَّعَا(٧)
٢٨ ـفَلاَ تَغْتَرِرْ بِٱلنَّاسِ، مَا كُلُّ مَنْ تَرَى أَخُوكَ إِذَا أَوْضَعْتَ فِي ٱلأَمْرِ أَوْضَعَا! (٨)
٢٩ ـوَلاَ تَتَقَلَّدْ مَا يَرُوعُكَ حَلْيُهُ تَقَلَّدْ، إِذَا حَارَبْتَ، مَا كَانَ أَقْطَعَا! (٩)

---

(١) المُفجَّع: الذي أصابته الفاجعات، وهي المصائب.
(٢) شيمة: خُلُق. أدْهى: أعظم.
(٣) القَطْر: المطر. النَّدى: بخار الماء المتكاثف الذي يسقط ليلاً. تقنَّع: أقنع نفسه.
(٤) يزجِّي: يدفع برفق.
(٥) قرَّع: أسمع كلاماً قاسياً.
(٦) رابني: أفزعني.
(٧) أكْنَنْتُه: أسرَرته: الجوانح: الضّلوع. ومعنى العجُز: لنما وترعرع.
(٨) أوْضَع: أسرع، وأوضعه: أطلعه على أمره.
(٩) يروعُك: يُخيفُك. الأقطع: المقطوع اليد.

٣٠ - وَلَا تَقْبَلَنَّ ٱلْقَوْلَ مِنْ كُلِّ قَائِلٍ ! سَأُرْضِيكَ مَرْأًى لَسْتُ أُرْضِيكَ مَسْمَعَا
٣١ - فَلِلَّهِ إِحْسَانٌ عَلَيَّ وَنِعْمَةٌ ؛ وَلِلَّهِ صُنْعٌ قَدْ كَفَانِي ٱلتَّصَنُّعَا
٣٢ - أَرَانِي طَرِيقَ ٱلْمَكْرُمَاتِ، كَمَا رَأَى، «عَلِيٌّ»، وَأَسْمَانِي عَلَى كُلِّ مَنْ سَعَى
٣٣ - فَإِنْ يَكُ بُطْءٌ مَرَّةً فَلَطَالَمَا تَعَجَّلَ، نَحْوِي، بِٱلْجَمِيلِ وَأَسْرَعَا
٣٤ - وَإِنْ يَجْفُ فِي بَعْضِ ٱلْأُمُورِ فَإِنَّنِي لَأَشْكُرُهُ ٱلنُّعْمَى ٱلَّتِي كَانَ أَوْدَعَا
٣٥ - وَإِنْ يَسْتَجِدَّ ٱلنَّاسَ بَعْدِي فَلَمْ يَزَلْ بِذَاكَ ٱلْبَدِيلِ، ٱلْمُسْتَجَدِّ، مُمَتَّعَا!

- ٢٠٠ -

وَقَالَ :

[من البسيط]

١ - وَمَا تَعَرَّضَ لِي يَأْسٌ سَلَوْتُ بِهِ إِلَّا تَجَدَّدَ لِي فِي إِثْرِهِ طَمَعُ[١]
٢ - وَلَا تَنَاهَيْتُ فِي شَكْوَى مَحَبَّتِهِ إِلَّا وَأَكْثَرُ مِمَّا قُلْتُ مَا أَدَعُ
٣ - لَا أَحْمِلُ ٱلْهَجْرَ مِنْهُ وَٱلْغَرَامَ بِهِ «مَا كَلَّفَ ٱللَّهُ نَفْساً فَوْقَ مَا تَسَعُ»[٢]

- ٢٠١ -

وَقَالَ :

[من مجزوء الكامل]

١ - مَا لِلْعَبِيدِ مِنَ ٱلَّذِي يَقْضِي بِهِ ٱللَّهُ ٱمْتِنَاعُ
٢ - ذُدْتُ ٱلْأُسُودَ عَنِ ٱلْفَرَا ئِسِ، ثُمَّ تَفْرِسُنِي ٱلضِّبَاعُ[٣]

---

(١) سلوت : نسيت.

(٢) في البيت إشارة إلى الآية القرآنية **﴿لا يكلّف اللّهُ نَفْساً إلاَّ وسعها﴾** [البقرة: ٢٨٦].

(٣) الفرائس: جمع الفريسة، وهي ما تقنصه الحيوانات.

- ٢٠٢ -

وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ «أَبِي ٱلْفَضْلِ»، وَقَدْ سَارَ «أَبُو تَغْلِبَ بْنُ نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ» إِلَى أَخِيهِ «حَمْدَانَ بْنِ نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ»، إِلَى «ٱلرَّقةِ» فَبَعَثَ إِلَيْهِ:

[من السريع]

١ - ٱلْمَجْدُ «بِٱلرَّقَّةِ» مَجْمُوعُ ... وَٱلْفَضْلُ مَرْئِيٌّ وَمَسْمُوعُ[١]

٢ - إِنَّ بِهَا كُلَّ عَمِيمِ ٱلنَّدَى ... يَدَاهُ لِلْجُودِ يَنَابِيعُ[٢]

٣ - وَكُلَّ مَبْذُولِ ٱلْقِرَى، بَيْتُهُ، ... عَلَى عُلَا ٱلْعَلْيَاءِ، مَرْفُوعُ[٣]

٤ - لَكِنْ أَتَانِي خَبَرٌ رَائِعٌ ... يَضِيقُ عَنْهُ ٱلسَّمْعُ وَٱلرُّوعُ

٥ - أَنَّ بَنِي عَمِّي - وَحَاشَاهُمُ - ... شَعْبُهُمْ بِٱلْخُلْفِ مَصْدُوعُ[٤]

٦ - مَا لِعَصَا قَوْمِيَ قَدْ شَقَّهَا ... تَفَارُطٌ مِنْهُمْ وَتَضْيِيعُ؟

٧ - بَنِي أَبِي، فَرَّقَ مَا بَيْنَكُمْ ... وَاشٍ، عَلَى ٱلشَّحْنَاءِ مَطْبُوعُ![٥]

٨ - عُودُوا إِلَى أَحْسَنَ مَا كُنْتُمُ؛ ... فَأَنْتُمُ ٱلْغُرُّ ٱلْمَرَابِيعُ![٦]

٩ - لَا يَكْمُلُ ٱلسُّؤْدَدُ فِي مَاجِدٍ، ... لَيْسَ لَهُ عَوْدٌ وَمَرْجُوعُ![٧]

١٠ - أَنَبْذُلُ ٱلْوُدَّ لِأَعْدَائِنَا، ... وَهْوَ عَنِ ٱلإِخْوَةِ مَمْنُوعُ؟!

١١ - أَوْ نَصِلُ ٱلْأَبْعَدَ مِنْ قَوْمِنَا، ... وَٱلنَّسَبُ ٱلْأَقْرَبُ مَقْطُوعُ؟!

١٢ - لَا يَثْبُتُ ٱلْعِزُّ عَلَى فُرْقَةٍ، ... غَيْرُكَ بِٱلْبَاطِلِ مَخْدُوعُ!

---

(١) الرَّقَّة: اسم مكان في سوريّا.

(٢) النَّدى: العطاء.

(٣) ويروى «مرفوع» مكان «مبذول».القِرى: الضِّيافة.

(٤) مصروع: ممَّزق، كناية عن التفرّق.

(٥) الشَّحناء: البغضاء.

(٦) الغُرّ: جمع الأغرّ، وهو الكريم الفِعال الواضحها. المرابيع: جمع المرباع، وهو الوسيط القامة المعتدلها، والمكان الذي ينبت نباته في أوّل الربيع، كناية عن كرمهم.

(٧) الماجد: ذو المجد. السُّؤدد: المجد.

- ٢٠٣ -

وَقَالَ، أَيْضاً:

[من الطويل]

١ - هِيَ ٱلدَّارُ مِنْ «سَلْمَى» وَهَاتِي ٱلْمَرَابِعُ! ... فَحَتَّى مَتَى يَا عَيْنُ، دَمْعُك هَامِعُ؟!(١)
٢ - أَلَمْ يَنْهَكِ ٱلشَّيْبُ ٱلَّذِي حَلَّ نَازِلاً؟ ... وَفِي ٱلشَّيْبِ بَعْدَ ٱلْجَهْلِ لِلْمَرْءِ رَادِعُ!
٣ - لَئِنْ وَصَلَتْ «سَلْمَى» حِبَالَ مَوَدَّتِي ... فَإِنَّ وَشِيكَ ٱلْبَيْنِ، لاَ شَكَّ، قَاطِعُ(٢)
٤ - وَإِنْ حَجَبَتْ عَنَّا ٱلنَّوَى «أُمّ مَالِكٍ» ... لَقَدْ سَاعَدَتْهَا كِلَّةٌ وَبَرَاقِعُ!(٣)
٥ - وَإِنْ ظَمِئَتْ نَفْسِي إِلَى طِيبِ رِيقِهَا ... لَقَدْ رَوِيَتْ بِٱلدَّمْعِ مِنِّي ٱلْمَدَامِعُ
٦ - وَإِنْ أَفَلَتْ تِلْكَ ٱلْبُدُورُ، عَشِيَّةً، ... فَإِنَّ نُحُوسِي بِٱلْفِرَاقِ طَوَالِعُ
٧ - وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ، غَدِيَّةً، ... أَشَارَتْ إِلَيْنَا أَعْيُنٌ وَأَصَابِعُ
٨ - وَقَالَتْ: أَتَنْسَى ٱلْعَهْدَ بِٱلْجِزْعِ وَٱللِّوَى ... وَمَا ضَمَّهُ مِنَّا ٱلنَّقَا وَٱلأَجَارِعُ؟(٤)
٩ - وَأَجْرَتْ دُمُوعاً مِنْ جُفُونٍ لِحَاظُهَا ... شِفَارٌ، عَلَى قَلْبِ ٱلْمُحِبِّ، قَوَاطِعُ(٥)
١٠ - فَقُلْتُ لَهَا: مَهْلاً! فَمَا ٱلدَّمْعُ رَائِعِي، ... وَمَا هُوَ لِلْقَرْمِ ٱلْمُصَمِّمِ رَائِعُ!(٦)
١١ - لَئِنْ لَمْ أُخَلِّ ٱلْعِيسَ، وَهْيَ لَوَاغِبٌ، ... حَدَابِيرَ، مِنْ طُولِ ٱلسُّرَى، وَظَوَالِعُ،(٧)
١٢ - فَمَا أَنَا مِنْ «حَمْدَانَ» فِي ٱلشَّرَفِ ٱلَّذِي ... لَهُ مَنْزِلٌ بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ طَالِعُ(٨)

---

(١) هامع: سائل.
(٢) البَيْن: الفراق.
(٣) النَّوى: البعد. الكِلَّة: السِّتْرة. البراقع: جمع البرقع، وهو ما تضعه المرأة على وجهها.
(٤) الجزع واللِّوى والأجارع: أسماء مواضع. النَّقا: ما استدار من الرمل.
(٥) لحاظها: عيونها. شفار: رماح.
(٦) رائعي: مخيفي. القَرْم: السَّيِّد العظيم.
(٧) العيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها شُقرة، أو سواد خفيف. لواغب: متعَبَة. الحدابير: جمع الحدبار، وهي الناقة الضّامرة. السُّرى: السَّير في اللَّيل. ظوالع: عَرْجَاء تغمز في مشيها.
(٨) السِّماكان: نجمان نيِّران، أحدهما في الشمال، ويعرف بـ«الرامح»، والثاني في الجنوب، ويعرف بـ«الأعزل».

- ٢٠٤ -

وَلَهُ، إِلَى أَخِيهِ «أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ» ـ رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمَا ـ

[من الكامل]

١ ـ وَلَقَدْ أَبِيتُ، وَجُلُّ مَا أَدْعُو بِهِ، حَتَّى ٱلصَّبَاحِ ،وَقَدْ أَقَضَّ ٱلْمَضْجَعُ :(١)

٢ ـ لَا هُمَّ، إِنَّ أَخِي لَدَيْكَ وَدِيعَةٌ مِنِّي وليس يَضِيعُ مَا تُسْتَوْدَعُ! (٢)

- ٢٠٥ -

قَالَ آبْنُ خَالَوَيْهِ: «قَالَ أَبُو فِرَاس : كَانَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ لَا يَشْرَبُ ٱلنَّبِيذَ، وَلَا يَسْمَعُ ٱلْقِيَانَ، وَيَحْظُرُهُمَا عَلَى نَفْسِهِ؛ فَوَافَتْ «ظَلُومُ ٱلشَّهْرَامِيَّةُ» وَكَانَتْ إِحْدَى ٱلْمُحْسِنَاتِ ـ، وَكَانَ بِحَضْرَتِهِ «آبْنُ ٱلْمُنَجِّمِ» أَحَدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ـ، فَتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى سَمَاعِ «ظَلُوم» فَسَأَلْتُ ٱلْأَمِيرَ أَنْ يُحْضِرَهُمَا لِأَسْمَعَهُمَا مُجْتَمِعَيْنِ، فَوَعَدَنِي بِإِحْضَارِهِمَا مَجْلِسَهُ، مِنْ يَوْمِهِ؛ فَٱنْصَرَفْت، وَأَنَا غَيْرُ وَاثِقٍ، لِعِلْمِي بِضَعْفِ نِيَّتِهِ فِي مِثْلِهِ؛ وَوَجَّهْتُ إِلَى «ظَلُوم»؛ أَتَقَدَّمُ لَهَا بِآسْتِعْدَاد، وَحَصَّلْتُ عِنْدِي «آبْنَ ٱلْمُنَجِّم» وَقُمْتُ أَنْتَظِرُ رَسُولَهُ، إِلَى أَنْ غَرَبَتِ ٱلشَّمْسُ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ:

[من السريع]

١ ـ مَحَلُّكَ ٱلْجَوْزَاءُ، بَلْ أَرْفَعُ، وَصَدْرُكَ ٱلدَّهْنَاءُ، بَلْ أَوْسَعُ! (٣)

٢ ـ وَقَلْبُكَ ٱلرَّحْبُ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ، لِلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ، بِهِ مَوْضِعُ

٣ ـ رَفِّهْ بِقَرْعِ ٱلْعُودِ سَمْعاً، غَدَا قَرْعُ ٱلْعَوَالِي جُلَّ مَا يَسْمَعُ(٤)

٤ ـ فَجُودُكَ ٱلْغَامِرُ، مَا يَنْقَضِي، وَفَضْلُكَ ٱلْبَاهِرُ، لَا يُدْفَعُ(٥)

---

(١) المَضْجَع: الفراش وأَقَضَّ المضجع: صَعُب النوم.

(٢) يتكلّم على فراق أخيه له، وذهابه إلى الموصل.

(٣) الجَوْزاء: برج من بروج السَّماء. الدَّهناء: الصَّحراء.

(٤) العوالي: الرماح. جُلّ: مُعظَم.

(٥) ويروى البيت:

فَفَضْلُكَ المَشْهُورُ لا يَنْقَضِي وَفَخْرُكَ الذَّائِعُ لا يُدْفَعُ

قَالَ: فَبَلَغَتْ هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ ٱلْوَزِيـرَ «أَبَا مُحَمَّـدٍ ٱلْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ هَـارُونَ ٱلْمُهَلَّبِيَّ»، فَأَمَرَ بِهَا، فَلُحِّنَتْ، وَغُنِّيَ بِهَا، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ عَلَيْهَا، وَيَطْرَبُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ.

- ٢٠٦ -

وَكَتَبَ إِلَى ٱلْقَاضِي «أَبِي ٱلْحُصَينِ»، جَوابَ أَبْيَاتٍ لَهُ، رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمَا:

[من الطويل]

١ - لَئِنْ جَمَعَتْنَا، غُدْوَةً، أَرْضُ «بَـالِسٍ» ... فَـإِنَّ لَهَـا عِنْـدِي يَـداً لَا أُضِيعُهَـا

٢ - أَحَـبُّ بِـلَادِ ٱللَّهِ، أَرْضٌ تَـحُـلُّهَـا، ... إِلَـيَّ؛ وَدَارٌ تَحْتَـوِيـكَ رُبُـوعُـهَـا

٣ - أَفِي كُـلِّ يَـوْمٍ، رِحْلَةٌ بَعْـدَ رِحْلَةٍ ... تُجَـرِّعُ نَفْسِي، حَسْرَةً، وَتَـرُوعُهَا؟(١)

٤ - فَلِي، أَبَـداً، قَلْبٌ كَثِيـرٌ نِـزَاعُـهُ؛ ... وَلِي، أَبَـداً، نَفْسٌ قَلِيـلٌ نُـزُوعُهَـا

٥ - أَلَمْ تَـرَنِي أَقْبَلْتُ أُزْجِي مِنَ ٱلْأَسَى ... قَـلَائِصَ أَحْدُو سِـرْبَهَـا وَأُرِيعُهَـا؟(٢)

٦ - وَلَا مَـوْعِـدٌ إِلَّا لِـقَـاكَ؛ وَإِنَّـمَـا ... تَبَـارِيـحُ نَفْسِي نَحْـوَهُ وَوُلُـوعُهَـا(٣)

٧ - فَـإِنْ تُـدْنِنِي ٱلْأَيَّـامُ مِنْكَ فَـإِنَّمَـا ... أُتِيـحَ لِنَفْسِـي خِصْبُهَـا وَرَبِيـعُهَا

٨ - وَإِنْ عَـاقَ أَمْرٌ لَمْ أَجِدْ غَيْرَ نُطْفَةٍ ... مِنَ ٱلصَّبْـرِ أَعْصِي حَسْرَتِي وَأُطِيعُهَا

٩ - وَلَا زِلْتَ فِي ٱلْحَـالَيْنِ لَابِسَ نِعْمَـةٍ ... تَـطِيبُ مَجَانِيهَـا وَتَـزْكُـو فُـرُوعُهَـا(٤)

١٠ - وَمَـا هُـوَ إِلَّا ٱلْـقَـلْبُ قَـرَّ قَـرَارُهُ؛ ... وَمَـا هِيَ إِلَّا ٱلْعَيْنُ آبَ هُجُوعُهَـا(٥)

١١ - رَعَى ٱللَّهُ مَـا بَيْنِي وَبَيْـنَـكَ؛ إِنَّهَـا ... عَـلَائِـقُ حُـبٍّ لَا يُـرَامُ مَنِيـعُهَـا

١٢ - لَحَى ٱلـلَّهُ قَلْبـاً لَا يَـهِيـمُ صَبَـابَـةً ... إِلَيْـكَ، وَعَيْناً لَا تَفِيضُ دُمُـوعُهَـا!(٦)

---

(١) تُجرِّع: تسقي. تروعها: تُخيفها.

(٢) أُزجي: أسوق. الأسى: الحزن. القلائص: جمع القلوص، وهي الناقة الشّابّة. أحدو: أسوق. أُريعها: أُخيفها.

(٣) التباريح: الشّدائد. وتباريح الشّوق: توهّجه.

(٤) المجاني: ما يُجْتَنَى. تزكو: تطيب.

(٥) آب: عاد. الهجوع: النوم.

(٦) لحا اللّه: لعن اللّهُ.

- ٢٠٧ -

وَقَالَ يَصِفُ ٱلْمَاءَ وَٱلْبِركَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - أُنْظُرْ إِلَى زَهْرِ ٱلرَّبِيعِ، وَٱلْمَاءُ فِي بِرَكِ ٱلْبَدِيعِ،
٢ - وَإِذَا ٱلرِّيَاحُ جَرَتْ عَلَيْـ ـهِ فِي ٱلذَّهَابِ وَفِي ٱلرُّجُوعِ،
٣ - نَثَرَتْ عَلَى بِيضِ ٱلصَّفَا ئِحِ بَيْنَنَا حَلَقَ ٱلدُّرُوعِ

- ٢٠٨ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - أَتَرْقُدُ، خَالِياً مِمَّا أُلَاقِي، وَجَفْنِي لَمْ يَذُقْ طَعْمَ ٱلْهُجُوعِ؟!(١)
٢ - وَأَضْحَكُ، دَائِماً، وَتَرَى جُفُونِي، مِرَاضاً، مِنْ مُدَاوَمَةِ ٱلدُّمُوعِ!

- ٢٠٩ -

وَقَالَ، أَيْضاً، وَأَجَادَ:

[من الرجز]

١ - وَبُقْعَةٍ، مِنْ أَحْسَنِ ٱلْبِقَاعِ،
٢ - يُبَشِّرُ ٱلرَّائِدُ فِيهَا ٱلرَّاعِي(٢)
٣ - بِٱلْخِصْبِ، وَٱلْمَرْتَعِ وَٱلْوَسَاعِ،(٣)

(١) الهجوع: النَّوم.
(٢) الرائد: الذي يستكشف مواضع الكلأ والمياه.
(٣) المرْتَع: مكان الرَّتْع (الإقامة).

٤ - كَـأَنَّـمَـا يَـسْـتُـرُ وَجْـهَ ٱلْـقَـاعِ
٥ - مِـنْ سَـائِـرِ ٱلأَلْـوَانِ وَٱلأَنْـوَاعِ
٦ - مَا نَسَجَ ٱلـرُّومُ «لِـذِي ٱلْكِـلَاعِ»[1]
٧ - مِنْ صَنْعَـةِ ٱلْخَـالِقِ، لا ٱلصُّنَّـاعِ ،
٨ - وَٱلْـمَـاءُ مُنْـحَطٌّ مِـنَ ٱلـتِّـلَاعِ ،
٩ - كَـمَـا تُـسَـلُّ ٱلْـبِيضُ لِـلْقِـرَاعِ[2]
١٠ -وَغَـرَّدَ ٱلْـقُـمْـرِيُّ لِـلسَّـمَـاعِ[3]
١١ -وَرَقَصَ ٱلْـمَـاءُ، عَـلَى ٱلإِيْـقَـاعِ ،
١٢ -وَنُـشِـرَ ٱلْـبَـهَـارُ فِي ٱلْـبِقَـاعِ[4]
١٣ -كَـأَنَّـهُ ٱلْقَسْـوَرُفِـي ٱلأَسْـبَـاعِ ![5]

- ٢١٠ -

وَقَالَ، وَقَدْ أَشَارَ بِأَمْرٍ، خُولِفَ:

[من الخفيف]

١ - كَيْفَ أَرْجُـو ٱلصَّـلَاحَ مِنْ أَمْـرِ قَـوْمٍ ضَيَّعُـوا ٱلْحَـزْمَ فِيـهِ أَيَّ ضَيَـاعِ ؟
٢ - فَمُـطَاعُ ٱلْمَـقَـالِ غَيْـرُ سَـدِيـدٍ، وَسَـدِيـدُ ٱلْمَقَـالِ غَيْـرُ مُـطَاعِ ![6]

---

(١) ذو الكلاع : يزيد بن النعمان تجمّعت عليه أزد اليمن، وكان الروم يُهادونه بالأثواب الموشّاة.
(٢) البيض : السُّيوف.
(٣) القُمْرِيّ : نوع من الحمام حَسَن الصَّوت.
(٤) البهار : الجمال.
(٥) القسور : الأسد الشّديد. الأسباع : جمع السبع، وهو الأسد.
(٦) سديد : قويم، جيِّد.

- ٢١١ -

وَقَالَ:(١)

[من الوافر]

١ - رُوَيْدَكَ! لَا تَصِلْ يَدَهَا بِبَاعِكْ! ... وَلَا تُغْرِ ٱلسِّبَاعَ إِلَى رِبَاعِكْ!

٢ - وَلَا تُعِنِ ٱلْعَدُوَّ عَلَيَّ، إِنِّي ... يَمِينٌ إِنْ قَطَعْتَ فَمِنْ ذِرَاعِكْ

(عن «شرح المضنون به على غير أهله» للعِزّي ص ٤٣٧)

(وفي اليتيمة ط. مصر ص٧٠ أن الهمذانيّ زوَّرهما على أبي فراس)

---

(١) البيتان التاليان ليسا في رواية ابن خالويه، وهما في «شرح المضنون به على أهله» للعِزّيّ ص ٤٣٧. وفي «اليتيمة» أنَّ الهمذاني زوَّرهما على أبي فراس.

قافية الفاء

- ٢١٢ -

وأَنْشَدَ ٱلْقَاضِي «أَبُو حُصَيْنٍ» شِعْراً، فَٱسْتَحْسَنَهُ؛ وَأَنْشَدَهُ «أَبُو فِرَاس» شِعْراً فَٱسْتَجَادَهُ؛ فَقَالَ «أَبُو فِرَاس»:

[من مجزوء الكامل]

١ - مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ أَغْتَرِفْ وبِفَضْلِ عِلْمِكَ أَعْتَرِفْ[1]
٢ - أَنْشَدْتَنِي؛ فَكَأَنَّمَا شَقَّقْتَ عَنْ دُرٍّ صَدَفْ
٣ - شِعْراً، إِذَا مَا قِسْتَهُ بِجَمِيعِ أَشْعَارِ السَّلَفْ[2]
٤ - قَصَّرْنَ، دُونَ قراهُ تَقْـ ـصِيرَ ٱلْحُرُوفِ عَنِ الأَلِفْ

(١) أغترف: آخذ بيدي، وفي البيت جناس غير تام بين «أغترف» و«أعترف».
(٢) السَّلَف: السّابقون.

- ٢١٣ -

وقال:

[من مجزوء الكامل]

١ - إنِّـي أقـولُ بـمـا عَـلِمْـ ـتُ ولا أجـورُ، ولا أخـيـفْ[١]
٢ - أمّـا عـليٌّ الـجَـعْـفَـرِيْ يُ فـإنَّـهُ الـحُـرُّ الـعَـفـيـفْ
٣ - نَـسَـبٌ شَـرِيـفٌ، زانَـهُ فـي أَهْـلِهِ خُـلُقٌ شَـرِيـفْ

- ٢١٤ -

وَقَالَ - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى:

[من البسيط]

١ - مَا كُنْتُ بِٱلرَّبْعِ، قَبْلَ ٱلْيَوْمِ، وَقَّافَا وَلَا لِدَارٍ، عَفَتْهَا ٱلرِّيحُ، وَصَّافَا[٢]
٢ - حَتَّى تَوَلَّى ٱلْخَلِيطُ ٱلْمُسْتَقِلُّ بِمَنْ كَانُوا وَكُنَّا أَخِلَّاءً، وَأُلَّافَا[٣]
٣ - فَمَنْ يُجِيرُ، مُعَنَّى ٱلْقَلْبِ، مُكْتَئِباً؟ سَلَّتْ عَلَيْهِ جُفُونُ ٱلْعَيْنِ أَسْيَافَا![٤]
٤ - مَاذَا عَلَى مَنْ جَفَا، مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ، لَوْ أَنَّ طَيْفَ خَيَالٍ مِنْهُ بِي طَافَا؟
٥ - يَا أَيُّهَا الرَّكْبُ، حُثُّوا ٱلنَّاجِيَاتِ بِنَا طَالَ ٱلتَّعَلُّلُ، إِغْذَاذاً، وإِيجَافَا[٥]
٦ - لَيْسَ ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي يَرْضَى بِعِيشَتِهِ، وَيَسْتَكِينُ لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ إِنْ جَافَى[٦]
٧ - إِنِّي ٱمْرُؤٌ «بِبَنِي حَمْدَانَ» مُفْتَخِرٌ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ، أَجْدَاداً وَأَسْلَافَا[٧]

---

(١) أجور: أظلم.
(٢) عفَتْها الريح: محتها.
(٣) الخليط: العشير. أخِلّاء وأُلّاف: أصدقاء حميمون.
(٤) يُجير: يعين.
(٥) الإغذاذ: الإسراع. الإيجاف: العدْو السَّريع.
(٦) ويروى «وافى» مكان «جافى». يستكين: يُذعن، يخضع. ريب الدَّهر: مصائبه.
(٧) البريّة: الناس. أسلاف: أجواد.

٨ - إنّي لَمِنْ مَعْشَرٍ، مَا ضِيمَ جَارُهُمُ، وَلَا رَأَى عِنْدَهُمْ بُؤْساً، وَلَا خَافَا(١)
٩ - إنْ حَالَفَتْنَا ٱلْمَعَالِي، فَهي قَدْ عَلِمَتْ، كَانَتْ لآبَائِنَا، مِنْ قَبْلُ، أَحْلَافَا
١٠ - مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ بِٱلصَّبْرِ، مُدَّرِعٍ مَا خَافَ قَطُّ، وَلَا وَالَى، وَلَا صَافَى
١١ - مُسْتَقْبِلًا لِوُجُوهِ ٱلْقَوْمِ، يَطْعَنُهُمْ، حَتَّى يُبِيحُوهُ أَصْلَاباً، وَأَكْتَافَا(٢)
١٢ - كَأَنَّ آدَمَ أَوْصَى، قَبْلَ مِيتَتِهِ، بِأَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ أَضْيَافَا
١٣ - إِذَا بُلِيتُ بِنَصْلِ ٱلسَّيْفِ، مُنْصَلِتاً، فَمَا أُبَالِي أَوَالَى ٱلدَّهْرُ، أَمْ جَافَى!(٣)

- ٢١٥ -

وَقَالَ، أَيضاً، مُجِيباً لِـ «أَبي زُهَيْرٍ»:

[من الطويل]

١ - أَيَا ظَالِماً، أَمْسَى يُعَاتِبُ مُنْصِفا! أَتُلْزِمُني ذَنْبَ ٱلْمُسِيءِ تَعَجْرُفَا؟(٤)
٢ - بَدَأْتَ بِتَنْمِيقِ ٱلْعِتَابِ، مَخَافَةَ ٱلْـ ـعِتَابِ، وَذِكْرِي بِٱلْجَفَا، خَشْيَةَ ٱلْجَفَا!
٣ - أُوَافِي، عَلَى عِلَّاتِ عَتْبِكَ، صَابِراً وَأُلْفَى، عَلَى حَالَاتِ ظُلْمِكَ، مُنْصِفا(٥)
٤ - وَكُنْتُ، إِذَا صَافَيْتُ خِلًّا، مَنَحْتُهُ بِهِجْرَانِهِ وَصْلًا، وَمِنْ غَدْرِهِ وَفَا(٦)
٥ - فَهَيَّجَ بِي هَذَا ٱلْكِتَابُ صَبَابَةً، وَجَدَّدَ لِي هَذَا ٱلْعِتَابُ تَأَسُّفَا(٧)
٦ - فَإِنْ أَدْنَتِ ٱلْأَيَّامُ دَاراً بَعِيدَةً شَفَى ٱلْقَلْبَ مَظْلُومٌ مِنَ ٱلْعَتْبِ وَٱشْتَفَى!
٧ - فَإِنْ كُنْتُهُ أَقْرَرْتُ بِالذَّنْبِ، تَائِباً، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَمْسَكْتُ عَنْهُ، تَأَلُّفَا!(٨)

---

(١) ضِيم: ظُلِم. الخاف: الشّديد الخوف.
(٢) الأصلاب: جمع الصلب، وهو عظم الظهر من الكاهل، إلى أسفل الظهر.
(٣) نَصْل السَّيف: شفرته. والى الدَّهر: صادق وناصر.
(٤) التعجرف: التكبُّر.
(٥) أُوافي: أعطي الحق تاماً. أُلْفَى: أُوجد.
(٦) صافيتُ خلّاً: أخلصتُ له. الخِلّ: الصَّديق.
(٧) الصَّبابة: الهوى والشَّوق.
(٨) التألُّف: الاستمالة.

- ٢١٦ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الوافر]

١ - غُلامٌ، فَوْقَ مَا أَصِفُ، كَأَنَّ قَوَامَهُ أَلِفُ[١]
٢ - إذَا مَا مَالَ يُرْعِبُنِي أَخَافُ عَلَيْهِ يَنْقَصِفُ
٣ - وَأُشفِقُ مِنْ تَأوُّدِهِ، أَخَافُ يُذِيبُهُ آلتَّرَفُ[٢]
٤ - سُرُورِي عِنْدَهُ لُمَعٌ، وَدَهْرِي، كُلُّهُ، أَسَفُ[٣]
٥ - وَأَمْرِي، كُلُّهُ، أَمَمٌ؛ وَحُبِّي وَحْدَهُ سَرَفُ[٤]

- ٢١٧ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - وَفِتْيَانِ صِدْقٍ أَمَّلُوا أَنْ أَزُورَهُمْ، وَمَا مِنْهُمُ إلَّا كَرِيمٌ وَمُنْصِفُ
٢ - فَوَافَيْتُهُمْ، وَآللَّيْلُ نَشْوَانُ، زَاحِفٌ، إِلَى سَائِرِ الآفَاقِ، وَآلشَّمْسُ تَطْرِفُ[٥]

- ٢١٨ -

قَالَ آبْنُ خالَوَيْهِ: «وَعُرِضَتْ عَلَى سَيْفِ آلدَّوْلَةِ خُيُولُهُ، وَبَنُو أَخِيهِ، وَبَنُو عَمِّهِ

---

(١) أي: ممشوق القوام.
(٢) التأوُّد: الانثناء، والتمايل.
(٣) لُمَع: أوقات قليلة.
(٤) الأمم: النزر القليل. سَرَف: إسراف.
(٥) وافيتهم: لاقيتهم. تطرف: تغيب.

حُضُورٌ؛ فَكُلٌّ آخْتَارَ مِنْهَا، وَطَلَبَ حَاجَتَهُ؛ وَأَمْسَكَ الأَمِيرُ أَبُو فِرَاسٍ فَعَتَبَ عَلَيْهِ آلأَمِيرُ سَيْفُ آلدَّوْلَةِ، وَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ، وَتَكَلَّمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا فِرَاسَ، فَقَالَ»:

[من الكامل]

١ - غَيْرِي يُغَيِّرُهُ آلْفَعَالُ آلْجَافِي ... وَيَحُولُ عَن شِيَمِ آلْكَرِيمِ آلْوَافِي(١)
٢ - لَا أَرْتَضِي وُدّاً، إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ ... عِنْدَ آلْجَفَاءِ، وَقِلَّةِ آلإِنْصَافِ
٣ - تَعِسَ آلْحَرِيصُ، وَقَلَّ مَا يَأْتِي بِهِ ... عِوَضاً مِنَ الإِلْحَاحِ وَآلإِلْحَافِ(٢)
٤ - إِنَّ آلْغَنِيَّ هُوَ آلْغَنِيّ بِنَفْسِهِ ... وَلَوَ انَّهُ عَارِي آلْمَنَاكِبِ، حَافِ(٣)
٥ - مَا كُلُّ مَا فَوْقَ آلْبَسِيطَةِ كَافِياً، ... فَإِذَا قَنِعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافِ(٤)
٦ - وَتَعَافُ لِي طَمَعَ آلْحَرِيصِ أُبُوَّتِي ... وَمُرُوءَتِي، وَفُتُوَّتِي، وَعَفَافِي(٥)
٧ - مَا كَثْرَةُ آلْخَيْلِ آلْجِيَادِ بِزَائِدِي ... شَرَفاً، وَلَا عَدَدُ آلسَّوَامِ آلضَّافِي(٦)
٨ - خَيْلِي، وإِنْ قَلَّتْ، كَثِيرٌ نَفْعُهَا ... بَيْنَ آلصَّوَارِمِ، وَآلْقَنَا آلرَّعَّافِ
٩ - وَمَكَارِمِي عَدَدُ آلنُّجُومِ؛ وَمَنْزِلِي ... مَأْوَى آلْكِرَامِ، وَمَنْزِلُ الأَضْيَافِ
١٠ - لَا أَقْتَنِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً ... حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَحْلَافِي(٧)
١١ - شِيَمٌ عُرِفْتُ بِهِنَّ، مُذْ أَنَا يَافِعٌ، ... وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي(٨)

---

(١) شِيَم الكريم: فعاله الحميدة.
(٢) الحريص: البخيل، الإلحاف: الإلحاح في السُّؤال والطَّلب.
(٣) المناكب: جمع المنكِب، وهو مجتمع رأس الكتف والعضُد.
(٤) البسيطة: الأرض.
(٥) تعاف: تأبى، ترفض.
(٦) السَّوام: الماشية. الضافي: الكثير. وفي هذا البيت يشير الشاعر إلى رفعته وعفَّته عن قبول ما يوزّعه سيف الدولة من خيل.
(٧) صروف الدهر: مصائبه.
(٨) شِيَم: صفات حميدة. يافع: فتيّ. أسلافي: أجدادي.

- ٢١٩ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرجز]

١ - وَمُرْتَدٍ بِطُرَّةٍ، مُسْبَلَةِ آلرَّفَارِفِ[١]

٢ - كَأَنَّهَا مُرْسَلَةٌ، مِنْ زَرَدٍ مُضَاعَفِ

(١) الطُّرَّة: الثوب. مُسْبَلة: طويلة.

قافية القاف

- ٢٢٠ -

وَكَتَبَ إِلَى غُلَامَيْهِ «صَافٍ» و «مَنْصُورٍ» وَقَالَهَا وَهُوَ فِي ٱلْأَسْرِ:

[من الخفيف]

١ - يَـا خَـلِيـلَيَّ بِـٱلـشَّـامِ، أَفِـيـقَـا!   هَـلْ تُحِسَّـانِ لِي رَفِـيـقـاً رَفِيقَـا؟[١]

٢ - كَثُـرَ ٱلْغَـدْرُ، وَٱلْخِيَـانَـةُ فِي ٱلنَّـا   سِ؛ فَمَـا إِنْ أرى صَدِيقاً، صَدُوقَا!

٣ - قَـلَّ أَهْـلُ ٱلْـوَفَـاءِ، وَٱتَّبَـعَ ٱلنَّـا   سُ مِنَ ٱلْغَـدْرِ وَٱلْجَفَـاءِ طَـرِيقَـا!

٤ - لَا رَعَـى ٱللَّهُ، يَـا خَـلِيـلَيَّ، دَهْـراً   فَـرَّقَـتْـنَـا صُـرُوفُـهُ تَـفْـرِيـقَـا[٢]

٥ - كُـنْتُ مَـوْلَاكُـمَـا؛ وَمَـا كُـنْـتُ إِلَّا   وَالِـداً مُـحْسِـنـاً، وَعَمّـاً شَـفِيقَـا

٦ - فَـٱذْكُـرَانِي! وَكَيْـفَ لَا تَـذْكُـرَانِي   كُلَّمَا ٱسْتَخْوَنَ ٱلصَّدِيقُ ٱلصَّدِيقَـا![٣]

---

(١) ويروى البيت:

هـل تُـحِسـانِ بـي رفيـقـاً رفـيـقـا   يُـخلِصُ الـودَّ أو صـديـقـاً صـديقـا

(٢) صروف الدهر: مصائبه.

(٣) استخون: نسبه إلى الخيانة.

٧ - بِتُّ أُبْكِيكُمَا؛ وَإِنَّ عَجِيباً أَنْ يَبِيتَ الأَسِيرُ يَبْكِي ٱلطَّلِيقَا!

- ٢٢١ -

وَقَالَ فِي بُيُوتِ «بَنِي كِلاَبٍ»:

[من الوافر]

١ - أَتُنْكِرُ أَنَّنِي صَبٌّ، مَشُوقُ؟ وَنَحْنُ مِنَ ٱلْهَوَى لاَ نَسْتَفِيقُ![1]
٢ - وَلِي مَجْمُوعُ دُرٍّ، كُلَّ يَوْمٍ، أُفَرِّقُهُ، إِذَا رَحَلَ ٱلْفَرِيقُ
٣ - وَلِي شَوْقٌ إِلَى «حَلَبٍ» شَدِيدٌ؛ وَقَلْبٌ بَيْنَ أَضْلُعِهِ حَرِيقُ

- ٢٢٢ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - بَعْضُ ٱلْجُفَاةِ إِلَى ٱلْمَجْفُوِّ مُشْتَاقُ، وَدُونَ مَا أَمَّلَ ٱلْمَعْشُوقُ مِعْتَاقُ
٢ - أَعْصِي ٱلْهَوَى، وَأُطِيعُ ٱلرَّأْيَ فِي وَلَدٍ بَعْدَ ٱلنَّصِيحَةِ رَابَتْ مِنْهُ أَخْلاَقُ[2]
٣ - فَمَا نَظَرْتُ بِعَيْنِ ٱلسُّوءِ مُعْتَمِداً إِلَيْهِ إِلَّا وَلِلأَحْشَاءِ إِطْرَاقُ
٤ - وَمَا دَعَانِي إِلَى مَا سَاءَهُ سَخَطٌ إِلَّا ثَنَانِي إِلَى مَا شَاءَ إِشْفَاقُ[3]

- ٢٢٣ -

وَقَالَ، فِي الغَزَلِ:

[من البسيط]

١ - الْحُزْنُ مُجْتَمِعٌ، وَٱلصَّبْرُ مُفْتَرِقُ وَٱلْحُبُّ مُخْتَلِفٌ، عِنْدِي، وَمُتَّفِقُ

---

(١) الصَّبّ: العاشق.
(٢) رابت: أوقعت في الرِّيبة.
(٣) السُّخط: الغضب.

٢ - وَلِي، إِذَا كُلُّ عَينٍ نَامَ صَاحِبُهَا، عَيْنٌ تَحَالَفَ فِيهَا ٱلدَّمْعُ وَٱلأَرَقُ
٣ - لَوْلَاكِ يَا ظَبْيَةَ الإِنْسِ، ٱلَّتِي نَظَرَتْ، لَمَا وَصَلْنَ إِلى مَكْرُوهِيَ ٱلْحَدَقُ
٤ - لَكِن نَظَرْتِ، وَقَدْ سَارَ الْخَلِيطُ ضُحى، بِنَاظِرٍ كُلُّ حُسْنٍ مِنْهُ مُسْتَرَقُ[(١)]

- ٢٢٤ -

وَقَالَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - مُتَغَزِّلاً:

[من الرجز]

١ - أَشَاقَكَ ٱلطَّيْفُ أَلَمَّ طَارِقُهْ[(٢)]
٢ - آخِرَ لَيْلٍ، لَمْ يَنَمْهُ عَاشِقُهْ؟
٣ - وَٱلصُّبْحُ فِي أَعْقَابِهِ يُسَاوِقُهْ[(٣)]
٤ - طَالِبُ ثَأْرٍ مِنْ ظَلَامٍ لَاحِقُهْ
٥ - مُزَّقَ مِنْ ضَبَابِهِ سُرَادِقُهْ[(٤)]
٦ - وَٱنْجَابَ عَنْ ثَوْبِ ٱلظَّلَامِ غَاسِقُهْ[(٥)]
٧ - مِنْ بَعْدِ مَا سَرَّ مَشُوقاً شَائِقُهْ[(٦)]
٨ - أَمِ ٱلْخَلِيطُ رَحَلَتْ خَرَائِقُهْ؟[(٧)]
٩ - أَجَدَّ حَادِيهِ، وَحَثَّ سَائِقُهْ[(٨)]

(١) الخليط: العشير، المحبوب. مُسْتَرَق: مسروق.
(٢) الطَّيف: الخيال. ألمَّ: زار. الطارق: الزائر ليلاً.
(٣) ويروى «يسارقه» مكان «يساوقُه». يساوقه: يتابعه.
(٤) السرادق: الخيمة، وبيت من شعر يُمَدّ فوق ساحة الدار.
(٥) انجاب: انكشف. الغاسق: المُظلم.
(٦) الشائق: مُثير الشَّوق.
(٧) ويروى «حدائقه» مكان «خرائقه». الخليط: العشير، الحبيب. الخرائق: جمع الخريقة، وهي هنا المطيَّة.
(٨) الحادي: السائق.

١٠ -وَنَـعَـقَـتْ بِـبَـيْـنِـهِ نَـوَاعِـقُـهْ[١]
١١ -أَبْقَى عَلَيْـهِ، مِنْ جَـوًى مُفَـارِقُهْ[٢]
١٢ -رَسِيسَ حُبٍّ، عَلِقَتْ عَلاَئِـقُهْ[٣]
١٣ -وَفَيْضَ دَمْعٍ، شَـرِقَتْ مَـدَافِقُهْ[٤]
١٤ -مِـزَاجُـهُ مِنْ «أَجَـإٍ» مُشَـارِقُـهْ[٥]
١٥ -قَـدْ ضَمِنَتْ خِـذْرَافَـهُ أَبَـارِقُـهْ[٦]
١٦ -رَعَتْ بَقَـايَـا حَمْضِـهِ أَيَـانِقُـهْ[٧]
١٧ -حَتَّى تَقَضَّى عَـاذِلٌ فَتَـايِـقُـهْ
١٨ -وَافَقَ مِنْ «مِلْحَـانَ» مَـا يُـوَافِقُـهْ[٨]
١٩ -ثُـمَّ ٱطَّبَـاهُ ضَـارِجٌ فَـبَـارِقُـهْ[٩]
٢٠ -إِلَى مُلِثٍّ لَـمْ يَـكُـنْ يُـفَـارِقُـهْ[١٠]
٢١ -مِنْ أَنفِ ٱلْوَسْمِيِّ نَوْءٌ صَـادِقُـهْ[١١]
٢٢ -مُـنْـبَـجِسٌ مُرْتَـجِسٌ صَـوَاعِـقُـهْ[١٢]
٢٣ -إِذَا ٱدْلَـهَـمَّ أَوْ أَضَـاءَ بَـارِقُـهْ[١٣]

---

(١) نعقت: صاحت. النواعق: الغربان.

(٢) الجوى: الحبّ المخفيّ.

(٣) الرسيس: الثّابت.

(٤) مدافقه: مواضع اندفاقه.

(٥) المشارق: لعلّ معناه الشديد الحمرة.

(٦) الخِذْراف: نبات ربيعي. الأبارق: أراض غلاظ فيها حجارة ورمل وطين.

(٧) الأيانق: النوق.

(٨) ملحان: اسم موضع.

(٩) اطّباه: دعاه. خارج: اسم مكان.

(١٠) الملِثّ: المطر الدائم.

(١١) الوسميّ: أوّل مطر الربيع.

(١٢) منبجس: منفجر. مرتجس: ذو صوت.

(١٣) ادلهمّ: أظلم. البارق: البرق.

٢٤ ـ وَهَـدَرَتْ عَلَى آلثَّرَى شَقَـاشِقُـهْ[(١)]
٢٥ ـ وَآلْـوَحْشُ فِي أَرْجَـائِـهِ تُسَـابِـقُـهْ
٢٦ ـ كَـأَنَّـهَـا مُـجْـفَلَةٌ وَسَـائِـقُـهْ[(٢)]
٢٧ ـ أَهْـدَتْ إِلَـى أَرْبُـعِـهِ وَدَائِـقُـه[(٣)]
٢٨ ـ قَشِيبَ رَوْضٍ دُبِّجَـتْ نَمَـارِقُـهْ[(٤)]
٢٩ ـ وَهَبَّ وَسْنَـانُ آلنَّبَـاتِ لَاحِـقُـهْ[(٥)]
٣٠ ـ إِذَا بَـكَـاهُ ضَـحِـكَـتْ بَـوَارِقُـهْ[(٦)]
٣١ ـ يَفُـوحُ كَـالمِسْـكِ آنْتَشَاهُ نَـاشِقُـهْ
٣٢ ـ كَـأَنَّمَـا قَـدْ ضُمِّنَتْ مَهَـارِقُـهْ
٣٣ ـ وَلَـبِـسَـتْ مِـنْ زَهْـرِهِ حَـدَائِـقُـهْ
٣٤ ـ سُمُـوطَ حَلْيٍ، فُصِّلَتْ عَقَـائِقُـهُ[(٧)]
٣٥ ـ وَعَبِـثَـتْ بِنَـظْمِـهِ عَـوَاتِـقُـهْ[(٨)]
٣٦ ـ تَـأْوِي إِلَى غُـدْرَانِـهِ سُـرَادِقُـهْ[(٩)]
٣٧ ـ تَكْثُـرُ فِي بُطْنَـانِـهِ عَقَـاعِقُـهْ[(١٠)]
٣٨ ـ تَنْشَقُّ عَنْ صُدُورِهَـا غَـلَافِقُـهْ[(١١)]

---

(١) الشّقاشق: ما يخرجه البعير إذا هاج، ويكون كالرِّئة.
(٢) الوسائق: جماعة الإبل، كالرفقة للناس. واحدتها وسيقة.
(٣) الأربع: جمع الرَّبع، وهو المنزل. الودائق: الأمطار.
(٤) الروض القشيب: الأبيض، والجديد، والمجدّ. دُبِّجت: حيكتْ. النمارق: جمع النمرقة، وهي الوسادة.
(٥) الوسنان: من أخذه النعاس.
(٦) البوارق: جمع البارق، وهو البرق.
(٧) السُّموط: جمع السِّمط، وهو القلادة. العقائق: جمع العقيق، وهو الخَرَز الأحمر.
(٨) العواتق: جمع العاتقة، وهي الجارية.
(٩) السُّرادق: الخيمة، وبيت من شعر يُمدّ فوق ساحة الدّار.
(١٠) البطنان: جمع البطن. العقاعق: جمع العقعق، وهو الغراب.
(١١) الغلافق: الطحالب، واحدها الغلفق.

٣٩ -كَـأَنَّـمَـا وَرَاءَهَـا طَـرَائِـقُـهْ
٤٠ -فَـرْعُ لِـوَاءٍ لِـلرِّيَـاحِ خَـافِـقُـهْ
٤١ -وَجُـرْشُـعٍ عَـالِي ٱلتَّلِيـلِ آفِقُـهْ[١]
٤٢ -خَـاظِي مَجَـالِ ٱلـدَّفَّتَيْنِ نَـاهِقُـهْ[٢]
٤٣ -عَبْـلِ ٱلشَّـوَى، تَقَـارَبَتْ مَـرَافِقُهْ[٣]
٤٤ -أَنْـجَبَـهُ وَجِـيـهُـهُ وَلَاحِـقُـهْ[٤]
٤٥ -ضَـافِي ٱلْقَـرَا عَنَـاقُـهُ عَنَـائِقُهْ[٥]
٤٦ -تَـحْـسَـبُـهُ، إِذَا عَـلَاكَ فَـائِـقُـهْ
٤٧ -يَمْشِي بِجِـزْعٍ مُشْـرِفٍ غَـرَانِقُهْ[٦]
٤٨ -نِعْمَ ٱلْفَتَى يَـوْمَ ٱلْـوَغَى مُـرَافِقُهْ[٧]
٤٩ -إِذَا دَجَـا ٱللَّيْلُ، وَغَـابَ شَـارِقُـهْ،[٨]
٥٠ -وَضَـاقَ عَنْ عَيْنِ ٱلصَّـوَابِ بَـارِقُـهْ[٩]
٥١ -لَـيْـلٌ وَغىً نُـجُومُـهُ يَـلَامِقُـهْ[١٠]
٥٢ -وَأَبْيَضٍ كَٱلصُّبْحِ لَاحَ فَـاتِقُـهْ[١١]
٥٣ -رَيَّـانِ مَتْنِ ٱلـصَّـفْـحَـتَـيْنِ رَائِـقُـهْ
٥٤ -يَـكَـادُ يَـجْـرِي مِـنْ قَـرَاهُ دَافِـقُـهْ

(١) الجرشع: العظيم من الإبل، أو العظيم الصَّدر. التَّليل: العنق. الآفق: الذي يضرب بالآفاق.
(٢) الخاظي: المكتنز اللحم. الدَّفتان: الجنبان. الناهق: عظم ناتيء في وجه الفرس.
(٣) الشَّوى: أطراف الجسم كاليدين والرِّجْلين. عَبْل: ضَخْم.
(٤) الوجيه: الأصيل. اللاحق: الذي يلي.
(٥) الضافي: الطويل. القرا: الظهر. العنائق: جمع العناق، وهي دابّة من السِّباع، أو أنثى الماعز.
(٦) الغرانق: جمع الغُرانق، وهو الشاب الأبيض الناعم الجميل.
(٧) الوغى: الحرب.
(٨) دجا الليل: أظلم.
(٩) البارق: البرق.
(١٠) اليلامق: جمع اليَلْمق، وهو الثّوب المحْشِيّ.
(١١) فاتق الصبح: أوّله.

٥٥ ـيَصْحَبُ مِنْ طُولِ ٱلسُّرَى شَقَاشِقُهْ[١]
٥٦ ـمُعَـوَّدٌ حَمْـلَ ٱلـدِّيَاتِ عَـاتِقُـهْ[٢]
٥٧ ـجَـوَّابُ مَـرْتٍ مُقْفِـرٍ سَمَـالِقُـهْ[٣]
٥٨ ـخَـرْقٌ لِهَـزِّ ٱلْيَعْمَـلَاتِ خَارِقُـهْ[٤]
٥٩ ـبَـكِيٌّ أَمْـوَاهِ ٱلسرَّكِيِّ، طَـارِقُـهْ[٥]
٦٠ ـكَـأَنَّـمَـا تَـحْـمِـلُهُ نَـقَـانِقُـهْ[٦]
٦١ ـلَا أَصْحَبُ ٱلْـخَـوْفَ، وَلَا أُرَافِقُـهْ؛
٦٢ ـوَٱلْمَـوْتُ حَتْمٌ، كُـلُّ حَيٍّ ذَائِـقُـهْ
٦٣ ـيَـا خَـائِفَ ٱلْمَـوْتِ وَأَنْتَ سَـائِقُـهْ
٦٤ ـتَـفُـرُّ مِنْ شَـيءٍ وَأَنْـتَ ذَائِـقُـهْ
٦٥ ـمَـا أَنَـا إِنْ رُمْتُ ٱلنَّجَـاةَ سَـابِقُـهْ
٦٦ ـفِي كُـلِّ يَـوْمٍ صَـاحِبٌ أُفَـارِقُـهْ
٦٧ ـوَصَـاحِـبٌ لَـمْ أَبْـلُهُ أُصَـادِقُـهْ
٦٨ ـهَـذَا زَمَـانٌ شَـرُسَـت خَـلَائِـقُـهْ
٦٩ ـوَخَـبُـثَتْ عَـلَى ٱلْـفَـتَى طَـرَائِـقُـهْ
٧٠ ـأَعْـدَى أَعَـادِيـهِ بِـهِ يُـصَـادِقُـهْ
٧١ ـأَخْـلَصُ مَـنْ يَـوَدُّهُ يُـنَـافِـقُـهْ
٧٢ ـفِي كُـلِّ مَـا يَـسُـوؤُهُ يُـوَافِـقُـهْ
٧٣ ـوَكُـلُّ مَـا يَـسُـرُّهُ يُـفَـارِقُـهْ

---

(١) السُّرى: السَّير في اللَّيل. الشقاشِق: جمع الشقشقة، وهي شيء كالرِّئة يُخرجها الجمل من فمه عند هياجه.
(٢) الديات: جمع الدِّية، وهي ثمن دم القتيل. العاتق: ما بين المنكب والعنق.
(٣) المرت: البرِّيَّة لا نبات فيها. السمالق: جمع السملق، وهو القاع الصفصف.
(٤) الخرق: القفْر. الهزّ: الإسراع. اليعملات: النوق. خارقه: قاطعه.
(٥) البكيّ من الآبار: القليلة الماء. أمواه: مياه. الرَّكيّ: جمع الرَّكيَّة، وهي البئر ذات الماء.
(٦) النقانق: جمع النقنق، وهو ذكر النعام.

٧٤ -إِنْ طَـرَقَـتْ مِـنْ زَمَـنٍ طَـوَارِقُـهْ(١)
٧٥ -أَوْ عَاقَ عَنْ بَعْضِ هَـوَاهُ عَـائِقُـهْ(٢)
٧٦ -أَنْـبَـأَنِـي بِـغِـلِّهِ حَـمَـالِـقُـهْ(٣)
٧٧ -إِنِّـي، عَـلَـى عِـلاَّتِـهِ، أُوَافِـقُـهْ
٧٨ -أُصْـفِـي لَـهُ ٱلْـوِدَّ، وَلاَ أُمَـاذِقُـهْ(٤)
٧٩ -يَـا مُنْيَتِي، وَإِنْ بَـدَتْ، بَـوَائِقُـهْ(٥)
٨٠ -إِنْ أَضْمَـرَ ٱلسُّـوءَ فَحَسْبِي خَـالِقُـهْ

- ٢٢٥ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - يَـا عَسُـوفـاً بِـٱلْمُسْتَهَـامِ ٱلشَّفِيقِ وَعَنِيفـاً عَلَى ٱلـرَّفِيقِ ٱلـرَّفِيقِ(٦)
٢ - لَـوْ تَـرَانِي، إِذَا ٱسْتَهَلَّتْ دُمُـوعِـي فِي صَبُـوحٍ ذَكَـرْتُـهُ أَوْ غَبُـوقِ(٧)
٣ - أَشْـرَبُ ٱلدَّمْـعَ مَـعْ نَـدِيمِي بِكَـأْسِي وَأُحَـلِّي عِقْيَـانَـهَـا بِـٱلْـعَـقِـيقِ(٨)

---

(١) طوارق الزمان: مصائبه.
(٢) عاقه عن العمل: منعه عنه، وشغله، وأخّره.
(٣) الحمالق: جمع الحملاق، وهو ما غطّت الجفون من بياض المُقْلة.
(٤) ماذقه في المودّة: لم يُخلصها له.
(٥) البوائق: جمع البائقة، وهي المصيبة، والشّرّ.
(٦) ويروى:
لي صديق على الصّديق صديقي ورفيق مع الخُطوب رفيقي
العسوف: الظالم. المُسْتهام: المُحِبّ الولهان.
(٧) استهلّتْ: سالت. الصَّبوح: شراب الصباح. الغبوق: شراب المساء.
(٨) العِقْيان: الذهب المتكاثف في مناجمه، خالص ممّا يختلط به من الرّمال والحجارة. العقيق: الخرز الأحمر.

- ٢٢٦ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - يَـا مَنْ وَهَبْتُ لَـهُ رُوحِي تَمَلُّكَهَـا، وَرُمْـتُ تَخْـلِيصَـهَـا مِنْـهُ فَـلَمْ أُطِقِ
٢ - أَدْرِكْ بَقِيَّـةَ رُوحٍ فِيـكَ قَـدْ تَلِفَـتْ قَبْـلَ ٱلْمَمَاتِ، فَهَـذَا آخِرُ ٱلـرَّمَقِ[1]
٣ - وَلَوْ مَضَى ٱلْكُلُّ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ عَجَباً، وَإِنَّمَـا عَجَبِي لِلْبَعْضِ كَـيْفَ بَـقِي!
٤ - قَدْ كُنْتُ عَبْدَكَ قَبْلَ ٱلْعَزْمِ، مُطَّرَحاً، وَعَبْدَ غَيْـرِكَ مَحْمُولاً عَلَى ٱلْحَدَقِ[2]

- ٢٢٧ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - وَلَـمَّـا عَـزَّ دَمْـعُ ٱلْعَيْنِ فَـاضَـتْ دِمَـاءً، عِـنْـدَ تَـرْحَـالِ ٱلْفَـرِيـقِ
٢ - وَقَـدْ نَـظَمَتْ عَلَى خَـدِّي سُمُـوطـاً مِنَ ٱلـدُّرِّ ٱلْمُفَصَّـلِ بِـٱلْـعَقِـيقِ[3]

- ٢٢٨ -

وَقَالَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

[من الوافر]

١ - لَئِـنْ أَلْـفَـيْـتَـنِـي مَـلِكـاً مُـطَاعـاً، فَـإِنَّـكَ وَاجِـدِي عَبْـدَ الصَّـدِيقِ[4]

---

(١) الرَّمق: بقيَّة الرّوح.
(٢) الحَدَق: جمع الحَدَقة، وهي السَّواد المستدير وسط العين.
(٣) السُّموط: جمع السِّمط، وهو القلادة والخيط الذي ينظم الدّرّ. العقيق: الخرز الأحمر.
(٤) ألفيتَني: وجدتني.

٢ - أُقِيمُ عَلَى ٱلـذِّمَـامِ مَـعَ ٱبْنِ أُمِّي؛ وَأَحْمِـلُ لِلصَّـدِيقِ عَلَى ٱلشَّقِيقِ(١)

٣ - أُفَـرِّقُ بَيْـنَ مَـعْـرُوفِـي وَبَيْـنِـي، وَأَجْـمَـعُ بَيْـنَ مَـالِـي وَٱلْـحُـقُـوقِ

٤ - أَخُــو ٱلْغَمَـرَاتِ، فِي جِـدٍّ وَهَـزْلٍ؛ أَخُــو ٱلنَّفَقَــاتِ مِنْ سَعَــةٍ وَضِيقِ(٢)

٥ - جَـرِيءُ فِي ٱلْحُرُوبِ عَلَى ٱلْمَنَـايَـا، جَـبَـانٌ عَنْ مُــلَاحَــاةِ ٱلــرَّفِـيـقِ(٣)

---

(١) الذِّمام: الحرمة، والعهد، والأمان.

(٢) الغَمَرات: جمع الغَمْرة، وهي الشِّدَّة، والمكروه.

(٣) المنايا: جمع المنيّة، وهي الموت.

قافية الكاف

- ٢٢٩ -

وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ «أَبي ٱلْهَيْجَاءِ»:

[من الخفيف]

١ - يَـا أَخِـي، قَـدْ وَهَبْتُ ذَنْبَ زَمَـانٍ　　طَـرَقَتْني صُـرُوفُـهُ بِـالْمَهَـالِـكْ[1]

٢ - لَـمْ يَهَـبْ لِي صُبَـابَـةً مِنْ رُقَـادٍ،　　لَمْ يَجُـدْ لِي فِيهَا بِطَيْفِ خَيَالِـكْ[2]

٣ - قَـدْ قَنِعْـنَـا بِـذَلِـكَ ٱلنَّـزْرِ مِنْـهُ　　وَغَفَـرْنَـا لَـهُ ٱلـذُّنُـوبَ لِـذَلِـكْ[3]

- ٢٣٠ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - يَـا غُـلَامِي، بَـلْ سَيِّـدِي، لَنْ أَمَلَّكْ　　هَبْ لِمَـوْلَاكَ - لَا عَدِمْتُـكَ - عَـدْلَـكْ

(١) صروف الزمان: مصائبه.

(٢) الصُّبابة: البقيَّة. الرُّقاد: النوم.

(٣) النَّزْر: الشَّيء القليل.

٢ - خَوْفَ أَنْ يَصْطَفِيكَ غَيْرِيَ بَعْدِي لَا أَرَى أَنْ أَقُولَ قُدِّمْتُ قَبْلَكْ[١]

- ٢٣١ -

وَقالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - أَنْسِيتَ ذِكْرَ أَحِبَّةٍ، يَنْسُونَ ذِكْراً غَيْرَ ذِكْرِكْ
٢ - وَصَبَرْتَ، عِنْدَ فِرَاقِهِمْ، مَا كَانَ عُذْرُكَ عِنْدَ صَبْرِكْ؟
٣ - ووَفَوْا بِعَهْدِكَ فِي ٱلْهَوَى، فَجَزَيْتَهُمْ ظُلْماً بِهَجْرِكْ!
٤ - وَعَصَيْتَهُمْ، وَلَطَالَمَا كَانُوا، خِلَافَكَ، طَوْعَ أَمْرِكْ!

- ٢٣٢ -

وَكَتَبَ إِلَيْهِ «سَيْفُ الدَّوْلَةِ»، يَعْتَذِرُ مِن تَأْخِيرِ أَمْرِهِ، وَتَسْوِيفِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - بِٱلْكُرْهِ مِنِّي وَٱخْتِيَارِكْ، أَنْ لَا أَكُونَ حَلِيفَ دَارِكْ
٢ - يَا تَارِكِي، إِنِّي لِذِكْـ ـرِكَ، مَا حَيِيتُ، لَغَيْرُ تَارِكْ!
٣ - كُنْ كَيْفَ شِئْتَ، فَإِنَّنِي ذَاكَ ٱلْمُوَاسِي وَٱلْمُشَارِكْ[٣]

- ٢٣٣ -

وَكَتَبَ إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»، إِلَى أَرْضِ ٱلشَّامِ، يَتَشَوَّقُهُ، وَيَعْتُبُ فِي تَأَخُّرِهِ:

[من السريع]

١ - إِلَيْكَ أَشْكُو مِنْكَ، يَا ظَالِمِي، إِذْ لَيْسَ، فِي ٱلْعَالَمِ، مُعْدٍ عَلَيْكَ[٤]

(١) يصطفيك: يختارك.
(٢) جزيتهم: عاقبتهم.
(٣) المُواسي: المُؤاسي، المعزِّي والمُسَلِّي.
(٤) ويروى «عون» مكان «مُعْدٍ».

٢ - أَعَـانَـكَ ٱلـلَّهُ بِـخَـيْـرٍ! - أَعِـنْ   مَنْ لَيْسَ يَشْكُو مِنْكَ إِلَّا إِلَيْـكَ![1]

- ٢٣٤ -

وَقَالَ، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ أَعْجَبَهُ:

[من الخفيف]

١ - قَـالَ لِي مَنْ أُحِبُّ: «قَـدْ رَقَّ مَـوْلَا   يَ» فَقُـلْ لِي: مَوْلَايَ، مَنْ مَـوْلَاكَا؟
٢ - إِنَّ عَـبْـداً عَـبِـيـدُهُ فَـوْقَ مَـوْلَا   كَ، وَمَـوْلَاكَ لَـيْسَ يُـنْـكِـرُ ذَاكَـا

(١) أَعِنْ: ساعِدْ.

قافية اللام

- ٢٣٥ -

وَقَالَ:

[من المتقارب]

١ - أَيَا سَافِراً! وَرِدَاءُ ٱلْخَجَلْ ... مُقِيمٌ بِوَجْنَتِهِ، لَمْ يَزَلْ!(١)
٢ - بِعَيْشِكَ، رُدَّ عَلَيْكَ ٱللِّثَامَ! ... أَخَافُ عَلَيْكَ جِرَاحَ ٱلْمُقَلْ(٢)
٣ - فَمَا حَقُّ حُسْنِكَ أَنْ يُجْتَلَى؛ ... وَلَا حَقُّ وَجْهِكَ أَنْ يُبْتَذَلْ(٣)
٤ - أَمِنْتُ عَلَيْكَ صُرُوفَ ٱلزَّمَانِ، ... كَمَا قَدْ أَمِنْتَ عَلَيَّ ٱلْمَلَلْ(٤)

---

(١) السَّافر: الكاشف عن وجهه. الوجنة: أعلى الخدّ.
(٢) المُقَل: جمع المقلة، وهي سواد العين وبياضها.
(٣) يُجتَلى: ينظر إليه. يُبتَذل: يُمْتَهَن.
(٤) صروف الزمان: مصائبه.

- ٢٣٦ -

وَأَسَاءَ بَعْضُ عُمَّالِهِ ٱلْعِشْرَةَ مَعَ رِفَاقِهِ، وَتَنَكَّرَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُقَابِلِ ٱلنِّعْمَةَ بِٱلشُّكْرِ، فَبَطَشَ بِهِ أَحَدُهُمْ، وَسَاعَدَهُ ٱثْنَانِ فَقَتَلُوهُ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى «سَيْفِ الدَّوْلَةِ»، وَقَتَلَ قَاتِلَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

[من المجتث]

١ - مَا زِلْتَ تَسْعَى بِجِدٍّ، بِرَغْمِ شَانِيكَ، مُقْبِلْ![1]
٢ - تَرَى لِنَفْسِكَ أَمْراً، وَمَا يَرَى ٱللَّهُ أَفْضَلْ

- ٢٣٧ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - قَدْ عَذُبَ ٱلْمَوْتُ بِأَفْوَاهِنَا وَٱلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ ٱلذَّلِيلْ
٢ - إِنَّا إِلَى ٱللَّهِ، لِمَا نَابَنَا؛ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ خَيْرِ السَّبِيلْ!

- ٢٣٨ -

وَقَالَ، يَصِفُ أَيَّامَهُ وَمَنَازِلَهُ بِـ«مَنْبِجَ» وكَانَتْ وِلاَيَتُهُ، وَأَقْطَاعُهُ، وَدَارُهُ بِهَا؛ وَيُعَرِّضُ بِقَوْمٍ بَلَغَتْهُ شَمَاتَتُهُمْ، وَهُوَ فِي أَسْرِ الرُّومِ:

[من مجزوء الكامل]

١ - قِفْ فِي رُسُومِ «ٱلْمُسْتَجَا بِ» وَحَيِّ أَكْنَافَ «ٱلْمُصَلَّى»!
٢ - فَـ «ٱلْجَوْسَقِ» ٱلْمَيْمُونِ، فَـ «ٱلسُّـ قْيَا» بِهَا، فَٱلنَّهْرُ أَعْلَى![2]

---

(١) الشانيء: المبغض مع العداوة.

(٢) الجوسق والسُّقيا: موضعان.

٣ـ تِلْكَ آلْمَنَازِلُ، وَآلْمَلاَ عِبُ، لاَ أَرَاهَا آللَّه مَحْلاَ!
٤ـ أُوطِنْتُهَا زَمَنَ آلصِّبَا؛ وَجَعَلْتُ «مَنْبِجَ» لِي مَحَلاَّ(١)
٥ـ حَرُمَ آلْوُقُوفُ بِهَا عَلَيَّ وَكَانَ، قَبْلَ آلْيَوْمِ، حِلاَّ(٢)
٦ـ حَيْثُ آلْتَفَتَّ رَأَيْتَ مَا ءً سَابِحاً، وَسَكَنْتَ ظِلاَّ
٧ـ تَرَ دَارَ «وَادِي عَيْنِ قَا صِرَ» مَنْزِلاً رَحْباً، مُطِلاَّ(٣)
٨ـ وَتَحُلَّ بِـ «آلْجِسْرِ» آلْجِنَا نَ، وَتَسْكُنِ آلْحِصْنَ آلْمُعَلَّى
٩ـ تَجْلُو عَرَائِسُهُ لَنَا هَزَجَ آلذُّبَابِ إِذَا تَجَلَّى(٤)
١٠ـوَإِذَا نَزَلْنَا بِـ «آلسَّوَا جِيرِ» آجْتَنَيْنَا آلْعَيْشَ سَهْلاَ
١١ـوَآلْمَاءُ يَفْصِلُ بَيْنَ زَهْـ ـرِ آلرَّوْضِ، فِي آلشَّطَّيْنِ، فَصْلاَ
١٢ـكَبِسَاطِ وَشْيٍ، جَرَّدَتْ أَيْدِي آلْقُيُونِ عَلَيْهِ نَصْلاَ(٥)
١٣ـمَنْ كَانَ سُرَّ بِمَا عَرَا نِي، فَلْيَمُتْ ضُرًّا وَهَزْلاَ(٦)
١٤ـلَمْ أَخْلُ، فِيمَا نَابَنِي مِنْ أَنْ أُعَزَّ، وَأَنْ أُجَلاَّ
١٥ـرُعْتُ آلْقُلُوبَ، مَهَابَةً، وَمَلأْتُهَا، فَضْلاً وَنُبْلاَ
١٦ـمَا غَضَّ مِنِّي حَادِثٌ؛ وَآلْقَرْمُ قَرْمٌ، حَيْثُ حَلاَّ(٧)
١٧ـأَنَّى حَلَلْتُ فَإِنَّمَا يَدْعُونِيَ آلسَّيْفَ آلْمُحَلَّى
١٨ـفَلَئِنْ خَلَصْتُ فَإِنَّنِي شَرِقُ آلْعِدَا، طِفْلاً وَكَهْلاَ(٨)
١٩ـمَا كُنْتُ إِلاَّ آلسَّيْفَ، زَا دَ عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ صَقْلاَ(٩)

---

(١) أُوطنتها: سكنتها.
(٢) حلّا: حلالاً.
(٣) الرحب: الواسع.
(٤) هزج: صوت.
(٥) الوشي: الزخرفة والتنميق. القُيون: جمع القين، وهو الحدّاد، أو كلّ صاحب صنعة. النَّصْل: شفرة السَّيف ونحوه.
(٦) عراني: أصابني. الضُرّ: الضّرر. الهَزْل: الهُزَال، الضَّعْف.
(٧) غَضَّ: بَخُسَ، حقَّر. القَرْم: السيِّد الكريم النبيل.
(٨) شَرَق: غصَّ. الكهل: من كانتْ سنُّه بين الثلاثين والخمسين تقريباً.
(٩) صروف الدهر: مصائبه. صَقْلا: جَلْياً.

٢٠ -وَلَئِنْ قُتِلْتُ، فَإِنَّمَا مَوْتُ ٱلْكِرَامِ ٱلصِّيدِ قَتْلاَ[1]
٢١ -لاَ يَشْمَتَنَّ بِمَوْتِنَا إِلاَّ فَتًى يَفْنَى وَيَبْلَى
٢٢ -فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ فِي إِثْرِنَا، رَحْلاً فَرَحْلا
٢٣ -فَلْيَلْهُ عَن ذَاكَ ٱلسُّرُو رِ؛ فَإِنَّمَا يَبْلَى وَنَبْلَى
٢٤ -يَغْتَرُّ بِٱلدُّنْيَا ٱلْجَهُو لُ؛ وَلَيْسَ فِي ٱلدُّنْيَا مُمَلاًّ!

- ٢٣٩ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرمل]

١ - أَجْمِلِي يَا «أُمَّ عَمْرٍو»، - زَادَكِ ٱللَّهُ جَمَالاَ -
٢ - لا تَبِيعِينِي بِرُخْصٍ؛ إِنَّ فِي مِثْلِي يُغَالَى!
٣ - أَنَا، إِنْ جُدْتِ بِوَصْلٍ، أَحْسَنُ ٱلْعَالَمِ حَالاَ!

- ٢٤٠ -

وَكَتَبَ إِلَى «أَبِي ٱلْعَشَائِرِ ٱلْحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ»، عِنْدَ أَسْرِهِ، إِلَى بَلَدِ ٱلرُّومِ، يَقُولُ:

[من الكامل]

١ - أَ «أَبَا ٱلْعَشَائِرِ»، إِنْ أُسِرْتَ فَطَالَمَا أَسَرَتْ لَكَ ٱلْبِيضُ ٱلْخِفَافُ رِجَالاَ![2]
٢ - لَمَّا أَجَلْتَ ٱلْمُهْرَ، فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، نَسَجَتْ لَهُ حُمْرُ ٱلشُّعُورِ عِقَالاَ
٣ - يَا مَنْ، إِذَا حَمَلَ ٱلْحِصَانَ عَلَى ٱلْوَجَى، قَالَ: ٱتَّخِذْ حُبُكَ ٱلتَّرِيكِ نِعَالاَ[3]

---

(١) الصِّيد: جمع الأصْيَد، وهو الشجاع.
(٢) البيض: السُّيوف.
(٣) الوَجَى: الحَفا. التريك: جمع التريكة، وهي بيضة الحديد التي يضعها المقاتل على رأسه.

٤ - مَـا كُنْتَ نُهْـزَةَ آخِـذٍ، يَـوْمَ ٱلْـوَغَى، لَـوْ كُنْتَ أُوجَدْتَ ٱلْكُمَيْتَ مَجَـالاَ(١)
٥ - حَـمَـلَتْـكَ نَـفْسٌ حُـرَّةٌ وَعَـزَائِمٌ، قَصَّـرْنَ مِنْ قُلَلِ ٱلْجِبَالِ طِـوَالاَ(٢)
٦ - وَأَرَيْنَ بَـطْنَ ٱلْعَيْـرِ ظَهْـرَ عُـرَاعِـرٍ، وَٱلـرُّومَ وَحْشـاً، وَٱلْجِبَـالَ رِمَـالاَ(٣)
٧ - أَخَـذُوكَ فِي كَبِـدِ ٱلْمَضَـائِقِ، غِيلَةً، مِثْـلَ ٱلنِّسَـاءِ، تُـرَبِّبُ ٱلـرِّئْبَـالاَ(٤)
٨ - أَلاَّ دَعَـوْتَ أَخَـاكَ، وَهْـوَ مُصَـاقِبٌ، يَكْفِي ٱلْعَـظِيمَ، وَيَدْفَـعُ الأَهْوَالاَ؟(٥)
٩ - أَلاَّ دَعَـوْتَ «أَبَـا فِـرَاسٍ»؛ إِنَّـهُ مِـمَّـنْ إِذَا طَـلَبَ ٱلْـمُـمَـنَّـعَ نَـالاَ؟
١٠ - وَرَدَتْ، بُعَيْدَ ٱلْفَوْتِ، أَرْضَكَ خَيْلُهُ، سَـرْعَى، كَـأَمْثَالِ ٱلْقَـطَا إِرْسَـالاَ(٦)
١١ - زَلَـلٌ مِـنَ الأَيَّـامِ فِـيـكَ، يُـقِيـلُهُ مَـلِكٌ إِذَا عَـثَـرَ ٱلـزَّمَـانُ أَقَـالاَ(٧)
١٢ - مَا زَالَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْقَرْمَ، ٱلَّـذِي يَلْقَى ٱلْجَسِيمَ، وَيَحْمِـلُ الأَثْقَـالاَ(٨)
١٣ - بِٱلْخَيْلِ ضُمْـراً، وَٱلسُّيُوفِ قَـوَاضِباً، وَٱلسُّـمْـرِ لُدْنـاً، وَٱلرِّجَـالِ عِجَـالاَ(٩)
١٤ - وَمُـعَـوَّدٍ فَـكَّ ٱلْـعُـنَـاةِ، مُـعَـاوِدٍ قَتْلَ ٱلْعُدَاةِ، إِذَا ٱسْتَغَـارَ أَطَـالاَ(١٠)
١٥ - صِفْنَـا «بِخَـرْشَنَـةٍ» وَقَطَّعْنَـا ٱلشِّتَـا، وَبَنُـو ٱلْبَـوَادِي فِي «قُمَيْـرَ» حِـلاَلاَ
١٦ - وَسَمَتْ بِهِمْ هِـمَمٌ إِلَـيْـكَ مُنِيفَـةٌ، لَـكِـنَّـهُ حَـجَـرَ ٱلْـخَـلِيـجَ وَجَـالاَ
١٧ - وَغَـداً تَـزُورُكَ بِـٱلْفِكَـاكِ خُيُـولُـهُ، مُـتَـثَـاقِـلاَتٍ، تَـنْـقُـلُ ٱلأَبْـطَالاَ
١٨ - إِنَّ ٱبْنَ عَمِّـكَ لَـيْسَ يَغْـفُـلُ، إِنَّـهُ مَلَكَ ٱلْمُلُوكَ، وَفَكَّكَ الأَغْـلاَلاَ!(١١)

---

(١) النهزة: التناول باليد. الوغى: الحرب. الكميت: الفرس الذي لونه بين الأسود والأحمر.
(٢) القلل: جمع القلّة، وهي أعلى الجبل.
(٣) العَيْر: الحمار الوحشيّ. عُراعر: اسم موضع.
(٤) غيلةً: اغتيالاً وغدراً. تربِّب: تربِّي. الرِّئبال: الأسد.
(٥) مصاقب: مقارب. الأهوال: الأمور المُخيفة.
(٦) القطا: طيور صحراويَّة بحجم الحمام.
(٧) يقيله: ينهضه من عثرته.
(٨) القَرْم: السَّيِّد النبيل الحَسَن الفِعال.
(٩) ضُمْراً: ضَامِرَةً. قواضب: قاطعة. السُّمْر: الرماح. لُدْن: ليِّنة.
(١٠) العناة: جمع العاني، وهو الأسير. استغار: شَنَّ غارةً.
(١١) الأغلال: القيود. ويروى البيت:
إِنَّ ابـنَ عَـمِّـكَ لـيسَ عَـمَّ الأَخْـطَلِ اجْـ تَـاحَ الـمـلوكَ، وفـكَّـكَ الأَغْـلالا

- ٢٤١ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - فِـي ٱلنَّـاسِ إِنْ فَـتَّشْـتَـهُـمْ، مَـنْ لَا يُـعِـزُّكَ أَوْ تُـذِلَّـهْ[١]
٢ - فَـٱتْـرُكْ مُـجَـامَـلَةَ ٱلـلَّئِيـ ـمِ فَـإِنَّ فِـيـهَـا ٱلْـعَـجْـزَ كُـلَّهْ

- ٢٤٢ -

وَقَالَ، وَقَدْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ خَيْلُ «بَنِي قُشَيْرٍ»، وَهُوَ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ فَارِساً. وَقَدْ كَانَ أَطْمَعَهَا مَا جَرَى لَهَا، وَمَعَهَا طَرَائِدُ، وَقَلَائِعُ، قَدْ أَخَذَتْهَا مِنْ «شَدَّادٍ ٱلْقُشَيْرِيِّ»، فَشَدَّ عَلَيْهِمْ، فَٱنْتَزَعَ مَا مَعَهُمْ، فَقَالَ:

[من الوافر]

١ - أَيَـا عَـجَبـاً لِأَمْـرِ «بَـنِي قُـشَيْـرٍ»! أَرَاعُـونَـا؛ وَقَـالُـوا: ٱلْقَـوْمُ قُـلُّ
٢ - وَكَـانُـوا ٱلْكُـثْـرَ، يَـوْمَئِـذٍ؛ وَلَكِنْ كَـثُـرْنَـا، إِذْ تَـعَـارَكْـنَـا، وَقَـلُّوا
٣ - وَقَـالَ ٱلْـهَـامُ لِـلْأَجْسَـادِ: هَـذَا يُـفَـرِّقُ بَيْـنَنَـا إِنْ لَـمْ تُـوَلُّـوا!
٤ - فَـوَلَّـوا، لِـلْقَنَـا وَٱلْـبِيضِ فِـيـهِـمْ وَفِـي جِـيـرَانِـهِـمْ نَـهَـلٌ وَعَـلُّ
٥ - وَرُحْنَـا بِـٱلْقَـلَائِـعِ، كُـلُّ نَـهْـدٍ مُـطِلٍّ، فَـوْقَـهُ نَـهْـدٌ مُـطِلُّ

---

(١) قوله «أو تُذِلَّهْ» معناه إلى أن تُذِلَّهْ.
(٢) ويروى «خلّوا» مكان «قُلُّ». وقُلُّ: قِلَّة.
(٣) الهام: جمع الهامة، وهي أعلى الرأس. تُولّوا: تهربوا.
(٤) القنا: الرماح. البيض: السيوف. نَهَل: شرب. عَلّ: شُرْب بعد شُرْب.
(٥) القلائع: جمع القلوع، وهي الناقة العظيمة. النَّهْد: الفرس الحَسَن الجميل المرتفع.

- ٢٤٣ -

وَكَتَبَ، مِنَ الأَسْرِ، إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» يُعَزِّيهِ بِٱبْنِهِ «أَبِي ٱلْمَكَارِمِ»:

[من البسيط]

١ - يَا عُمَرَ ٱللَّهُ «سَيْفَ ٱلدِّينِ»، مُغْتَبِطاً ... فَكُلُّ حَادِثَةٍ يُرْمَى بِهَا جَلَلُ[١]
٢ - مَنْ كَانَ، عَنْ كُلِّ مَفْقُودٍ، لَنَا بَدَلاً ... فَلَيْسَ مِنْهُ عَلَى حَالاَتِهِ بَدَلُ
٣ - يَبْكِي ٱلرِّجَالُ، وَ «سَيْفُ الدِّينِ» مُبْتَسِمٌ، ... حَتَّى عَنِ ٱبْنِكَ تُعْطَى ٱلصَّبْرَ، يَا جَبَلُ!
٤ - لَمْ يَجْعَلِ ٱلْقَوْمُ مِنْهُ فَضْلَ مَا عَرَفُوا ... لَكِنْ عَرَفْتَ مِنَ ٱلتَّسْلِيمِ مَا جَهِلُوا
٥ - هَلْ تَبْلُغُ ٱلْقَمَرَ ٱلْمَدْفُونَ رَائِعَةٌ ... مِنَ ٱلْمَقَالِ، عَلَيْهَا لِلأَسَى حُلَلُ؟[٢]
٦ - مَا بَعْدَ فَقْدِكَ، فِي أَهْلٍ، وَلاَ وَلَدٍ، ... وَلاَ حَيَاةٍ، وَلاَ دُنْيَا، لَنَا أَمَلُ
٧ - يَا مَنْ أَتَتْهُ ٱلْمَنَايَا، غَيْرَ حَافِلَةٍ! ... أَيْنَ ٱلْعَبِيدُ؟ وَأَيْنَ ٱلْخَيْلُ، وَٱلْخَوَلُ؟[٣]
٨ - أَيْنَ ٱللُّيُوثُ، ٱلَّتِي حَوْلَيْكَ، رَابِضَةً؟ ... أَيْنَ ٱلصَّنَائِعُ؟ أَيْنَ الأَهْلُ؟ مَا فَعَلُوا؟[٤]
٩ - أَيْنَ ٱلسُّيُوفُ ٱلَّتِي يَحْمِيكَ أَقْطَعُهَا؟ ... أَيْنَ ٱلسَّوَابِقُ؟ أَيْنَ ٱلْبِيضُ، وَالأَسَلُ؟[٥]
١٠ - يَا وَيْحَ خَالِكَ! بَلْ يَا وَيْحَ كُلِّ فَتًى! ... أَكُلَّ هَذَا تَخَطَّى، نَحْوَكَ الأَجَلُ؟

- ٢٤٤ -

قَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى ٱلْقَاضِي «أَبِي ٱلْحُصَيْنِ»، وَقَدْ أُسِرَ ٱبْنُهُ «أَبُو ٱلْهَيْثَمِ»، مِنْ «حِمْصَ»، وَكَانَ قَدْ أُصِيبَ بِٱبْنِهِ «أَبِي ٱلْحَسَنِ»، مُنْذُ أَيَّامٍ:

[من السريع]

١ - يَا قَرْحُ، لَمْ يَنْدَمِلِ الأَوَّلُ! ... فَهَلْ بِقَلْبِي لَكُمَا مَحْمَلُ؟[٦]

---

(١) مغتبطاً: مسروراً. الحادثة: المصيبة، والنكبة. جَلَل: عظيمة.
(٢) رائعة من المقال: كناية عن القصيدة. الأسَى: الحزن. الحُلَل: جمع الحُلَّة، وهي الثوب ونحوه.
(٣) المنايا: جمع المنيَّة، وهي الموت. الخَوَل: الحاشية من العبيد والخدم وغيرهم.
(٤) اللُّيوث: جمع اللَّيث، وهو الأسد. رابضة: جاثمة.
(٥) السوابق: الخيول. البيض: السيوف. الأَسَل: الرماح.
(٦) القرْح: الجرح.

٢ - جُرْحَانِ، فِي جِسْمٍ ضَعِيفِ ٱلْقُوَى، حَيْثُ أَصَابَا فَهُوَ ٱلْمَقْتَلُ!
٣ - تَقَاسَمُ الأَيَّامُ أَحْبَابَنَا، وَقِسْمُهَا الأَفْضَلُ وَالأَجْمَلُ
٤ - وَلَيْتَهَا، إِذْ أَخَذَتْ قِسْمَهَا، عَنْ قِسْمِنَا تُغْمِضُ أَوْ تَغْفَلُ!!
٥ - وُقِيتَ فِي الآخِرِ مِنْ صَرْفِهَا ٱلْـ ـجَائِرِ، مَا جَرَّعَكَ الأَوَّلُ[1]
٦ - فَفِدْيَةُ ٱلْمَأْسُورِ مَقْبُولَةٌ، وَفِدْيَةُ ٱلْمَيِّتِ لاَ تُقْبَلُ
٧ - لاَ تَعْدَمَنَّ ٱلصَّبْرَ فِي حَالَةٍ، فَإِنَّهُ لَلْخُلُقُ الأَجْمَلُ
٨ - وَعِشْتَ فِي عِزٍّ وَفِي نِعْمَةٍ، وَجَدُّكَ ٱلْمُقْتَبِلُ ٱلْمُقْبِلُ[2]

- ٢٤٥ -

وَقَالَ يَفْتَخِرُ:

[من الطويل]

١ - نَعَمْ! تِلْكَ، بَيْنَ ٱلْوَادِيَيْنِ، ٱلْخَوَاتِلُ وَذَلِكَ شَاءٌ، دُونَهُنَّ، وَجَامِلُ[3]
٢ - فَمَا كُنْتَ، إِذْ بَانُوا، بِنَفْسِكَ فَاعِلاً فَدُونَكَ مُتْ؛ إِنَّ ٱلْخَلِيطَ لَزَائِلُ[4]
٣ - كَأَنَّ ٱبْنَةَ ٱلْقَيْسِيِّ، فِي أَخَوَاتِهَا، خَذُولٌ، تُرَاعِيهَا ٱلظِّبَاءُ ٱلْخَوَاذِلُ[5]
٤ - قُشَيْرِيَّةٌ، قَتَرِيَّةٌ، بَدَوِيَّةٌ، لَهَا، بَيْنَ أَثْنَاءِ ٱلضُّلُوعِ، مَنَازِلُ[6]
٥ - وَهَبْتُ سُلُوِّي؛ ثُمَّ جِئْتُ أَرُومُهُ وَمِنْ دُونِ مَا رُمْتُ ٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِلُ[7]
٦ - هَوَانَا غَرِيبٌ؛ شُزَّبُ ٱلْخَيْلِ وَٱلْقَنَا لَنَا كُتُبٌ، وَٱلْبَاتِرَاتُ رَسَائِلُ[8]

---

(١) صَرْفها: خطبها، مصيبتها. الجائر: الظالم. جَرَّعك: سقاك.
(٢) ويروى «منعةٍ» مكان «نعمة».
(٣) يروى «الخمائل» مكان «الخواتل». والخواتل: جمع الخوتل، وهو الظريف العاقل. الشّاء: الواحدة من الغنم للذكر والأنثى. الجامل: القطيع من الإبل مع رعاته.
(٤) بانوا: ابتعدوا، وفارقوا. الخليط: العشير، والمحبوب.
(٥) الخذول: المُتَخَلِّفة من الظِّباء.
(٦) قشيريَّة: منسوبة إلى بني قشير. قتريّة: منسوبة إلى بني قترة.
(٧) أرومه: أقصده، أريده. القنا: الرماح. القنابل: الجماعة من الناس أو من الخيل.
(٨) شُزَّب: جمع شازب، وهو من الخَيل الضامر. الباترات: القاطعات، كناية عن السّيوف.

٧ - أغَرْنَ عَلَى قَلْبِي بِخَيْلٍ مِنَ ٱلهَوَى فَطَارَدَ عَنْهُنَّ ٱلْغَزَالُ ٱلْمُغَازِلُ
٨ - بِأَسْهُمِ لَفْظٍ، لَمْ تُرَكَّبْ نِصَالُهَا، وَأَسْيَافِ لحْظٍ، مَا جَلَتْهَا ٱلصَّيَاقِلُ(١)
٩ - وَقَائِعُ قَتْلَى ٱلْحُبِّ فِيهَا كَثِيرَةٌ وَلَمْ يَشْتَهِرْ سَيْفٌ، وَلاَ هُزَّ ذَابِلُ(٢)
١٠ - أَرَامِيَتِي! كُلُّ ٱلسِّهَامِ مُصِيبَةٌ؛ وَأَنْتِ لِيَ ٱلرَّامِي؛ وَكُلِّي مَقَاتِلُ(٣)
١١ - فَلاَ تُتْبِعِينِي إن هَلَكْتُ مَلاَمَةً، فَأَيْسَرُ مَا لاَقَيْتُهُ مِنْكِ قَاتِلُ
١٢ - وَإِنِّي لَمِقْدَامٌ، وَعِنْدَكِ هَائِبٌ، وَفِي ٱلْحَيِّ «سَحْبَانٌ»؛ وَعِنْدَكِ «بَاقِلٌ»!(٤)
١٣ - يَضِلُّ عَلَيَّ ٱلْقَوْلُ، إِنْ زُرْتُ دَارَهَا، وَيَعْزُبُ عَنِّي وَجْهُ مَا أَنَا فَاعِلُ(٥)
١٤ - وَحُجَّتُهَا ٱلْعُلْيَا، عَلَى كُلِّ حَالَةٍ، فَبَاطِلُهَا حَقٌّ، وَحَقِّي بَاطِلُ
١٥ - وَمِنْ جَوْرِ هَذَا ٱلْحُبِّ ظَنِّي جَائِرٌ قَضَى، بِخِلاَفِ ٱلْحَقِّ، أَنَّكَ عَادِلُ(٦)
١٦ - أَيَا لاَهِياً، وَٱلْبَيْنُ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ أَأَنْتَ خَلِيُّ ٱلْقَلْبِ، أَمْ أَنْتَ غَافِلُ؟(٧)
١٧ - وَعَيْشِكَ، لَوْلاَ رِحْلَةُ ٱلْحَيِّ لَمْ يَرُحْ عَلَى أَهْلِهِ شَاءٌ غَزِيرٌ وَجَامِلُ(٨)
١٨ - أَلاَ مَا لِهَذَا ٱلدَّهْرِ عَنِّي غَافِلٌ؟ أَذَنْبِي إِلَى ٱلأَيَّامِ أَنِّي فَاضِلُ؟
١٩ - أَرَى سِلْعَةً لِلْمَجْدِ فِي غَيْرِ سُوقِهَا، وَحِلْيَةَ فَخْرٍ عُطِّلَتْ فَهْيَ عَاطِلُ(٩)
٢٠ - تُطَالِبُنِي بِيضُ ٱلصَّوَارِمِ وَٱلْقَنَا بِمَا وَعَدَتْ جَدِّيَ فِيَّ ٱلْمَخَايِلُ(١٠)
٢١ - وَلاَ ذَنْبَ لِي؛ إِنَّ ٱلْفُؤَادَ لَصَارِمٌ، وَإِنَّ ٱلْحُسَامَ ٱلْمَشْرَفِيَّ لَفَاصِلُ(١١)

---

(١) نصال السهم: شفرته. جلتها: سنّنتها. الصَّياقل: الذين يصقلون السُّيوف ونحوها.
(٢) الذّابل من الرماح: الدقيق.
(٣) مقاتل: جمع مَقْتَل، وهو موضع القتل.
(٤) سحبان: رجل عربيّ يُضرب المثل به في الفصاحة. باقل: رجل عربيّ يضرب المثل به في العيّ (عدم الفصاحة).
(٥) يعزب: يبعد، يغيب.
(٦) جائر: ظالم.
(٧) البين: البعد والفراق.
(٨) الشّاء والجامل: تقدّم تفسيرهما في مطلع القصيدة.
(٩) العاطل: التي ليس عليها حليّ.
(١٠) البيض: السيوف. الصوارم: القواطع. القنا: الرماح. المخايل: جمع المخيلة، وهي توسُّم النجابة.
(١١) الحُسام: السَّيف.

٢٢ -وَإِنَّ ٱلْحِصَـانَ ٱلْـوَالِقِيَّ لَضَـامِـرٌ، وَإِنَّ الأَصَمَّ ٱلسَّمْهَـرِيَّ لَعَاسِـلُ(١)
٢٣ -وَلَـكِنَّ دَهْـراً دَافَـعَتْنِي خُـطُوبُـهُ، كَمَا دَفَعَ ٱلـدَّيْنَ ٱلْغَرِيمُ ٱلْمُمَـاطِلُ(٢)
٢٤ -وَأَخْـلاَفُ أَيَّامٍ، إِذَا مَـا ٱنْتَجَعْتُهَـا، حَـلَبْتُ بَـلِيَّـاتٍ، وَهُنَّ حَـوَافِـلُ(٣)
٢٥ -وَلَـوْ نِيلَتِ ٱلـدُّنْيَا بِفَضْـلٍ مَنَحْتُهَـا، فَضَـائِلَ تَحْـوِيهَـا وَتَبْقَى فَضَـائِلُ
٢٦ -عَلَيَّ ضِـرَابُ ٱلْهَامِ حَتَّى أَنَـالَهَـا، مَنَالَ كِـرَامٍ، أَوْ تَغُـولَ ٱلْغَـوَائِـلُ(٤)
٢٧ -أَنَـاهِيَتِي؛ بُخْلاً لِمِثْلِي عَلَى ٱلرَّدَى، أَجَـلْ فَكَأَنِّي، إِنْ أَطَعْتُـكِ، زَائِـلُ(٥)
٢٨ -أَرِيـنِي خَـلْقـاً، زَائِـلاً عَنْ مَـنِيَّـةٍ! أَرِينِي نَفْسـاً، أَحْرَزَتْهَـا ٱلْمَعَـاقِـلُ(٦)
٢٩ -وَمَـا أَنَـا إِلَّا بَعْضُ مَنْ قَـدْ فَقَـدْتُـهُ؛ لَيَـالِيَّ بَعْـدَ ٱلـظَّاعِنِينَ قَـلائِـلُ(٧)
٣٠ -لَنَـا ٱلْعِزَّةُ ٱلْقَعْسَـاءُ، وَٱلْشَرَفُ ٱلَّـذِي أَحَـاطَ بِـرُكْنَيْـهِ «تَمِيمٌ» وَ «وَائِـلُ»(٨)
٣١ -كَـرِيمَـانِ، إِنْ تُنْهِضْهُمَـا لِـمُلِمَّـةٍ فَلاَ ٱلْعَمُّ مَذْمُـومٌ، وَلاَ الخَالُ خَاذِلُ(٩)
٣٢ -وَلَكِنَّهُمَا الأَيَّامُ، تَجْـرِي بِمَا جَـرَتْ، فَيَسْفُـلُ أَعْـلاهَـا، وَيَعْلُو الأَسَـافِـلُ
٣٣ -لَقَدْ قَلَّ أَنْ تَلْقَى مِنَ ٱلنَّاسِ مُجْمِلاً، وَأَخْشَى، قَرِيباً، أَنْ يَقِلَّ ٱلْمُجَامِلُ(١٠)
٣٤ -وَمَـا ٱلنَّـاسُ إِلَّا قِـطْعَـةٌ مِنْ زَمَـانِهِمْ، لَهُمْ وَلَـهُ، تَحْتَ ٱلتُّرَابِ، حَبَـائِـلُ
٣٥ -حَـرِيُّـونَ أَلَّا يَعْـرِفُـوا طُـرُقَ ٱلْعُـلاَ، وَلَكِنَّ طُـرْقَ ٱللُّوْمِ فِيهَا شَـوَامِـلُ(١١)

---

(١) الوالقيّ: نسبة إلى والق، وهو حصان مشهور ينسَب إليه. الأَصَمّ: الصلب من الرماح. السمهري: نوع من الرماح. عاسِل: الذي يشتار ويتَّخذ العسل من موضعه.
(٢) خطوبه: مصائبه. الغريم: الدائن. المُماطل: المُسَوِّف، وقد تقدّم هذا البيت.
(٣) البكيّات: جمع البكيَّة، وهي الناقة القليلة اللَّبن. الحوافل: جمع الحافلة، وهي الممتلئة الضروع باللَّبن.
(٤) الهام: جمع الهامة، وهي أعلى الرأس. تغول: تُهلك. الغوائل: المُهلِكات، المصائب.
(٥) الرَّدى: الموت.
(٦) المنيَّة: الموت. أحرزتها: حمتها. المعاقل: الحصون. والمعنى: لا بدَّ للإنسان من الموت.
(٧) الظاعنون: المفارقون، الراحلون، كناية عن المحبوب.
(٨) القَعْساء: الثابتة.
(٩) المُلِمّة: المصيبة الشديدة.
(١٠) ويروى «قليلاً» مكان «قريباً». المُجملِ: المُحْسِن.
(١١) شوامل: شاملة.

٣٦ ـ فَـإِمَّـا عَـدُوٌّ لِـلزَّمَـانِ وَأَهْـلِهِ، وَإِمَّا جَبَانٌ ـ لاَ أَبَـا لَـكَ ـ بَـاخِـلُ
٣٧ ـ رَمَى وَرَمَـوْني، عَنْ يَـدٍ، وَكَـأَنَّمَـا لَـهُ وَلَهُمْ، عِنْدَ ٱلْكِـرَامِ، طَـوَائِـلُ[1]
٣٨ ـ وَلَسْتُ بِجَهْمِ ٱلْوَجْهِ فِي وَجْهِ صَاحِبِي، وَلاَ قَائِلاً لِلضَّيْفِ: «هَلْ أَنْتَ رَاحِلُ؟»
٣٩ ـ وَلَكِنْ قِـرَاهُ مَـا تَـشَهَّـى، وَرِفْـدُهُ، وَلَـوْ سَأَلَ الأَعْمَارَ مَا هُـوَ سَـائِلُ[2]
٤٠ ـ يَنَالُ ٱخْتِيَارَ ٱلصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ لَـهُ عِنْـدَنَـا مَـا لاَ تَنَـالُ ٱلْـوَسَـائِـلُ
٤١ ـ لَنَـا عَقِبُ الأَمْرِ، ٱلَّـذِي فِي صُـدُورِهِ تَـطَاوَلُ أَعْنَاقُ ٱلْعِـدَا، وَٱلْكَـوَاهِـلُ[3]
٤٢ ـ أَصَـاغِرُنَـا، فِي ٱلْمَكْرُمَـاتِ، أَكَـابِـرٌ أَوَاخِـرُنَا، فِي ٱلْمَـأْثُـرَاتِ، أَوَائِـلُ[4]
٤٣ ـ إِذَا صُلْتُ، يَوْماً، لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلاً؛ وَإِنْ قُلْتُ، يَوْماً، لَمْ أَجِدْ مَنْ يُقَاوِلُ![5]

ـ ٢٤٦ ـ

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ ـ يَـا مَنْ أَتَانَـا، بِظَهْـرِ ٱلْغَيْبِ، قَـوْلُهُمُ لَـوْ شِئْتُ، غَـاظَتْكُمُ مِنَّـا الأَقَـاوِيـلُ
٢ ـ لَكِنْ أَرَى أَنَّ فِي الأَقْـوَالِ مَنْقَصَـةً مَـا لَمْ تَسُـدَّ الأَقَـاوِيـلَ الأَفَـاعِيـلُ

ـ ٢٤٧ ـ

قَالَ «أَبُو فِرَاس»: رَجَعَتْ «بَنُو كَعْبٍ» وَمَنْ ضَافَهُمْ مِنْ عَشِيرَتِهِمْ، ٱلْمَعْرُوفِينَ بِـ «ٱلْقَرَامِطَة»، فَأَكْثَرُوا ٱلْغَارَاتِ عَلَى «نُمَيْرٍ» وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ، فَأَنْهَضَنِي «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ»

---

(١) الطوائل: جمع الطائلة، وهي الفضل والغنى والسَّعة.
(٢) قراه: ضيافته. رفده: عطاؤه. ويروى صدر البيت: «ولكن قرى ما يشتهيه ورفده».
(٣) الكواهل: جمع الكاهل، وهو مقدم أعلى الظهر ممّا يلي العنق.
(٤) المأثرات: الأفعال الحميدة.
(٥) المصاول: النظير في القتال. قلتُ: غلبتُ، أو تكلّمت. يقاوِل: يُغالِب، أو يجادل.

لِمُعَاوَنَتِهِم، فَلَمَّا نَزَلتُ بَيْنَهُمْ آنْكَشَفَتْ «بَنُو كَعْبٍ»، وَتَفَسَّحَتْ «بَنُو كِلَابٍ»، فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ:

[من البسيط]

١ - أَحِلُّ بِٱلْأَرْضِ يَخْشَى ٱلنَّاسُ جَانِبَهَا؛ وَلَا أُسَائِلُ أَنَّى يَسْرَحُ ٱلْمَالُ
٢ - وَهَيْبَتِي فِي طِرَادِ ٱلْخَيْلِ، وَاقِعَةٌ وَٱلنَّاسُ فَوْضَى، وَمَالُ ٱلْحَيِّ إِهْمَالُ!
٣ - كَذَاكَ نَحْنُ؛ إِذَا مَا أَزْمَةٌ طَرَقَتْ حَيًّا، بِحَيْثُ يَخَافُ ٱلنَّاسُ، حُلَّالُ!

- ٢٤٨ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - أَزَعَمْتَ أَنَّكَ صَابِرٌ لِصُدُودِهِ! هَيْهَاتَ! صَبْرُ ٱلْعَاشِقِينَ قَلِيلُ!(١)
٢ - مَا لِلْمُحِبِّ عَلَى ٱلصُّدُودِ جِلَادَةٌ! مَا لِلْمَشُوقِ إِلَى ٱلْعَزَاءِ سَبِيلُ!(٢)
٣ - فَدَعِ ٱلتَّعَزُّزَ، إِنْ عَزَمْتَ عَلَى ٱلْهَوى إِنَّ ٱلْعَزِيزَ، إِذَا أَحَبَّ، ذَلِيلُ

- ٢٤٩ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - صُدُودٌ، مَا يَبِيدُ، وَلَا يَحُولُ! وَوَصْلٌ، مِثْلُ مَا يَهَبُ ٱلْبَخِيلُ(٣)
٢ - وَظَبْيٌ، ذُو لِحَاظٍ فَاتِرَاتٍ بِهَا يَزْهُو، عَلَيَّ، وَيَسْتَطِيلُ(٤)

(١) الصُّدود: الإعراض والنفور.

(٢) جلادة: صبر.

(٣) الصُّدود: الإعراض والجفاء. يبيد ويحول: يفنى. وقوله «ووصل مثل ما يهب البخيل» يعني وصلاً بخيلاً.

(٤) قوله «وظبي» كناية عن حسناء. يزهو ويستطيل يُعجب بنفسه، ويتكبَّر عليّ.

٣ ـ كَـأَنَّ سَـقَـامَ جَفْـنَـيْـهِ سَـقَـامِـي؛ وَرِقَّـةَ خَصْـرِهِ جِسْمِي ٱلنحِيـلُ(١)

ـ ٢٥٠ ـ

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ ـ لَيْتَ حَـظِّي مِنَ ٱلْحَبِيبِ جَـزِيـلُ، مِثْلَمَـا حَـظُّهُ لَـدَيَّ جَـزِيـلُ!(٢)
٢ ـ إِنْ يَكُنْ خَـصْـرُهُ يَـزِيـدُ نُحُـولاً، فَبِجِسْمِي عَلَيْـهِ، أَيْضـاً، نُحُـولُ(٣)
٣ ـ وَإِذَا مَـا مَـدَدْتُ طَـرْفِـي إِلَـيْـهِ عَـادَ طَـرْفِي إِلَيَّ، وَهْـوَ كَلِيـلُ!(٤)
٤ ـ قَـالَ لِي، إِذْ شَكَـوْتُ مَـا بِي إِلَيْـهِ: «كُـلُّ مَا تَشْتَكِيـهِ، عِنْـدِي، قَلِيـلُ!»

ـ ٢٥١ ـ

وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ «أَبُو ٱلْفَضْلِ» عَنْ تَقْصِيرٍ، فَأَجَابَهُ:

[من البسيط]

١ ـ أَلْعُذْرُ مِنْكَ، عَلَى ٱلْحَالاَتِ، مَقْبُولُ؛ وَٱلْعَتْبُ مِنْكَ، عَلَى ٱلْعِلاَّتِ، مَحْمُولُ!
٢ ـ لَـوْلاَ ٱشْتِيَـاقِيَ لَمْ أَقْلَقْ لِبُعْـدِكُمُ، وَلاَ غَـدَا فِي زَمَانِي، بَعْـدَكُمْ، طُـولُ
٣ ـ وَكُـلُّ مُـنْتَـظَرٍ، إِلاَّكَ، مُـحْـتَـقَـرُ؛ وَكُـلُّ شَيْءٍ، سِـوَى لُقْيَـاكَ، مَمْلُولُ!

ـ ٢٥٢ ـ

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: لَمَّا مَاتَ «سَيْفُ الدَّوْلَةِ» ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ـ عَزَمَ «أَبُو فِرَاسٍ»

---

(١) السَّقام: المرض. النّحيل: الهزيل.
(٢) جزيل: كريم.
(٣) النُّحول: الضّعف، والهُزال.
(٤) كليل: مُتْعَب.

عَلَى ٱلتَّغَلُّبِ عَلَى «حِمْصَ» فَٱتَّصَلَ خَبَرُهُ بِـ«أَبِي ٱلْمَعَالِي ٱبْنِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»، وَغُلامِ أَبِيهِ: «قَرْغَوَيْهِ»، وَكَانَ صَاحِبَ «حَلَبَ» فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ قَاتَلَهُ؛ فَأُخِذَ، وَقَدْ ضُرِبَ ضَرَبَاتٍ، فَمَاتَ فِي ٱلطَّرِيقِ فَقَالَ، قَبْلَ مَوْتِهِ:

[من الطويل]

١ - إِذَا لَمْ يُعِنْكَ ٱللَّهُ فِيمَا تُرِيدُهُ ... فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ إِلَيْهِ سَبِيلُ
٢ - وَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْصُرْكَ لَمْ تَلْقَ نَاصِراً ... وَإِنْ عَزَّ أَنْصَارٌ وَجَلَّ قَبِيلُ(١)
٣ - وَإِنْ هُوَ لَمْ يُرْشِدْكَ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ ... ضَلَلْتَ، وَلَوْ أَنَّ ٱلسِّمَاكَ دَلِيلُ!(٢)

- ٢٥٣ -

وَقَالَ، وَقَدْ ثَقُلَ مِنَ ٱلْجِرَاحِ، ٱلَّتِي نَالَتْهُ، وَهُوَ أَسِيرٌ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى وَالِدَتِهِ، يُعَزِّيهَا:

[من الطويل]

١ - مُصَابِي جَلِيلٌ، وَٱلْعَزَاءُ جَمِيلُ، ... وَظَنِّي بِأَنَّ ٱللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ(٣)
٢ - جِرَاحٌ وَأَسْرٌ، وَٱشْتِيَاقٌ، وَغُرْبَةٌ ... أُحَمَّلُ! إِنِّي، بَعْدَهَا، لَحَمُولُ!
٣ - وَإِنِّي، فِي هَذَا ٱلصَّبَاحِ، لَصَالِحٌ؛ ... وَلَكِنَّ خَطْبِي فِي ٱلظَّلَامِ جَلِيلُ!(٤)
٤ - وَمَا نَالَ مِنِّي ٱلأَسْرُ مَا تَرَيَانِهِ؛ ... وَلَكِنَّنِي دَامِي ٱلْجِرَاحِ، عَلِيلُ(٥)
٥ - جِرَاحٌ، تَحَامَاهَا ٱلأُسَاةُ، مَخُوفَةٌ؛ ... وَسُقْمَانِ: بَادٍ، مِنْهُمَا، وَدَخِيلُ(٦)
٦ - وَأَسْرٌ أُقَاسِيهِ، وَلَيْلٌ نُجُومُهُ، ... أَرَى كُلَّ شَيْءٍ، غَيْرَهُنَّ، يَزُولُ

(١) الأنصار: الموالون. جَلَّ: عَظُم. قبيل: قبيلة.

(٢) السِّماكان: نجمان نيِّران، أحدهما في الشمال ويعرف بـ«الرامح»، والثاني في الجنوب، ويعرف بـ«الأعزل».

(٣) جليل: عظيم. يُديل: يبدِّل الأحوال.

(٤) خطبي: مصيبتي.

(٥) عليل: مريض.

(٦) تحاماها: تجنّبها. الأساة: جمع الآسي، وهو الطبيب. سقمان: مثنى سُقْم، وهو المرض. دخيل: في داخل الجسم، غير ظاهر.

٧ ـ تَطُولُ بِي آلسَّاعَاتُ، وَهْيَ قَصِيرَةٌ؛ وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسُرُّكَ طُولُ!
٨ ـ تَنَاسَانِيَ الأَصْحَابُ، إلَّا عُصَيْبَةً سَتَلْحَقُ بِٱلأُخْرَى، غداً، وَتحُولُ!(١)
٩ ـ وَمَنْ ذَا آلَّذِي يَبْقَى عَلَى آلْعَهْدِ؟ إِنَّهُمْ، وَإِنْ كَثُرَتْ دَعْوَاهُمُ، لَقَلِيلُ!
١٠ ـ أُقَلِّبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ، يَمِيلُ مَعَ آلنَّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ(٢)
١١ ـ وَصِرْنَا نَرَى: أَنَّ آلْمُتَارِكَ مُحْسِنٌ؛ وَأَنَّ صَدِيقاً لَا يُضِرُّ خَلِيلُ(٣)
١٢ ـ وَلَيْسَ زَمَانِي غَادِرٌ بِيَ وَحْدَهُ، وَلَا صَاحِبِي، دُونَ آلرِّجَالِ، مَلُولُ!
١٣ ـ تَصَفَّحْتُ أَقْوَالَ آلرِّجَالِ فَلَمْ يَكُنْ، إِلَى غَيْرِ شَاكٍ فِي آلزَّمَانِ، وُصُولُ!
١٤ ـ فَكُلُّ خَلِيلٍ، هَكَذَا، غَيْرُ مُنْصِفٍ! وَكُلُّ زَمَانٍ بِٱلْكِرَامِ بَخِيلُ!
١٥ ـ نعَمْ، دَعَتِ آلدُّنْيَا إِلَى آلْغَدْرِ دَعْوَةً، أَجَابَ إِلَيْهَا عَالِمٌ، وَجَهُولُ
١٦ ـ وَقَبْلِيَ كَانَ آلْغَدْرُ فِي آلنَّاسِ شِيمَةً؛ وَذُمَّ زَمَانٌ، وَآسْتَلَامَ خَلِيلُ(٤)
١٧ ـ وَفَارَقَ «عَمْرو بْنُ آلزُّبَيْرِ» شَقِيقَهُ، وَخَلَّى «أَمِيرَ آلْمُؤْمِنِينَ» «عَقِيلُ»!
١٨ ـ فَيَا حَسْرَتِي، مَنْ لِي بِخِلٍّ مُوَافِقٍ، أَقُولُ بِشَجْوِي، مَرَّةً، وَيَقُولُ؟!(٥)
١٩ ـ وَإِنَّ، وَرَاءَ آلسِّتْرِ، أُمًّا بُكَاؤُهَا عَلَيَّ، وَإِنْ طَالَ آلزَّمَانُ، طَوِيلُ!
٢٠ ـ فَيَا أُمَّتَا، لَا تَعْدَمِي آلصَّبْرَ، إِنَّهُ إِلَى آلْخَيْرِ وَآلنُّجْحِ آلْقَرِيبِ رَسُولُ!(٦)
٢١ ـ وَيَا أُمَّتَا، لَا تُحْبِطِي الأَجْرَ! إِنَّهُ عَلَى قَدَرِ آلصَّبْرِ آلْجَمِيلِ جَزِيلُ!(٧)
٢٢ ـ وَيَا أُمَّتَا، صَبْراً! فَكُلُّ مُلِمَّةٍ تَجَلَّى عَلَى عِلَّاتِهَا وَتَزُولُ!(٨)

---

(١) العصيبة: تصغير عُصبة، وهي الجماعة. تحول: تتبدَّل، تتغيَّر.
(٢) طرفي: نظري. النَّعْماء: العطاء، والإحسان.
(٣) المتارك: الذي يتركك ويتجنّبك. الخليل: الصديق الخالص.
(٤) استلام: استحقَّ اللّوم.
(٥) شقيق عمرو بن الزُّبير هو عبد الله، وكان عمرو مع بني أميَّة على أخيه، وحاربه، لكن مصعب بن الزبير قاتله، فأسره، فقتله عبد الله سنة ٦٠ هـ. وأمير المؤمنين هو الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وكان أخوه عقيل قد فارقه في خلافته.
(٦) لا تعدمي: لا تفقدي.
(٧) لا تُحبطِي الأجر: لا تفسديه، فيذهب سدى. جزيل: عظيم.
(٨) الملِمَّة: المصيبة.

٢٣ - أَمَا لَكِ فِي «ذَاتِ ٱلنِّطَاقَيْنِ» أُسْوَةٌ، بِـ «مَكَّةَ»، وَٱلْحَرْبُ ٱلْعَوَانُ تَجُولُ؟(١)
٢٤ - أَرَادَ ٱبْنُهَا أَخْذَ الأَمَانِ فَلَمْ تُجِبْ وَتَعْلَمُ، عِلْماً، أَنَّهُ لَقَتِيلُ!
٢٥ - تَأَسَّيْ! كَفَاكِ ٱللَّهُ مَا تَحْذَرِينَهُ، فَقَدْ غَالَ هَذَا ٱلنَّاسَ، قَبْلَكِ، غُولُ!(٢)
٢٦ - وَكُونِي كَمَا كَانَتْ بِـ «أُحُدٍ» «صَفِيَّةٌ» وَلَمْ يُشْفَ مِنْهَا بِٱلْبُكَاءِ غَلِيلُ!(٣)
٢٧ - وَلَوْ رَدَّ، يَوْماً، «حَمْزَةَ ٱلْخَيْرِ» حُزْنُهَا إِذاً مَا عَلَتْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ(٤)
٢٨ - وَمَا أَثْرِي، يَوْمَ ٱللِّقَاءِ، مُذَمَّمٌ! وَلَا مَوْقِفِي، عِنْدَ ٱلإِسَارِ، ذَلِيلُ!(٥)
٢٩ - لَقِيتُ نُجُومَ الأُفْقِ وَهْيَ صَوَارِمٌ، وَخُضْتُ سَوَادَ ٱللَّيْلِ، وَهْوَ خُيُولُ
٣٠ - وَلَمْ أَرْعَ لِلنَّفْسِ ٱلْكَرِيمَةِ خِلَّةً، عَشِيَّةَ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ خَلِيلُ
٣١ - وَلَكِنْ لَقِيتُ ٱلْمَوْتَ، حَتَّى تَرَكْتُهَا، وَفِيهَا وَفِي حَدِّ ٱلْحُسَامِ فُلُولُ(٦)
٣٢ - وَمَنْ لَمْ يُوَقِّ ٱللَّهُ فَهْوَ مُمَزَّقٌ! وَمَنْ لَمْ يُعِزِّ ٱللَّهُ، فَهْوَ ذَلِيلُ!(٧)
٣٣ - وَمَنْ لَمْ يُرِدْهُ ٱللَّهُ، فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ إِلَيْهِ سَبِيلُ
٣٤ - وَإِنْ هُوَ لَمْ يَدْلُلْكَ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ ضَلَلْتَ وَلَوْ أَنَّ ٱلسِّمَاكَ دَلِيلُ(٨)
٣٥ - إِذَا مَا وَقَاكَ ٱللَّهُ أَمْراً تَخَافُهُ فَمَا لَكَ مِمَّا تَتَّقِيهِ مُقِيلُ(٩)
٣٦ - وَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْصُرْكَ لَمْ تَلْقَ نَاصِراً، وَإِنْ جَلَّ أَنْصَارٌ وَعَزَّ قَبِيلُ(١٠)

---

(١) ذات النِّطاقين هي أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق، والدة عبد الله بن الزُّبير. الأُسْوَة: ما يُتعزَّى أو يُقتدى به. العوان: الشديدة.

(٢) غال: أهلك.

(٣) أُحُد: معركة مشهورة وقعت بين المسلمين والمشركين. صفيَّة: عمَّة النبي محمد ﷺ، وأخت حمزة الآتي ذكره.

(٤) الرَّنَّة: الصوت الحزين، والصَّيحة الشَّديدة. العويل: البكاء مع صوت.

(٥) الإسار: الأَسْر.

(٦) الحسام: السَّيف. الفلول: جميع الفلّ، وهو الانكسار في حدّ السَّيف.

(٧) في هذا البيت حكمة رائعة.

(٨) السّماكان: نجمان نيِّران، أحدهما في الشمال، ويعرف بـ «الرامح»، والثاني في الجنوب، ويعرف بـ «الأعزل». وهذا البيت مع سابقه، والبيت السادس والثلاثون، مكرَّرة في شعر أبي فراس.

(٩) المقيل: مُعين، مُنهِض من السقوط.

(١٠) جلَّ: عظم. قبيل: قبيلة.

٣٧ ـ وَإِنَّ رَجَائِيهِ وَظَنّي بِفَضْلِهِ، عَلَى قُبْحِ مَا قَدَّمْتُهُ، لَجَمِيلُ
٣٨ ـ وَمَا دَامَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْقَرْمُ، بَاقِياً فَظِلُّكِ فَيَّاحُ ٱلْجَنَابِ، ظَلِيلُ
٣٩ ـ عَسَاهُ، وَقَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِفَضْلِهِ، يَجُودُ بِتَخْلِيصِي لَكُمْ وَيُنِيلُ!
٤٠ ـ فَإِمَّا حَيَاةٌ فِي فِنَاهُ عَزِيزَةٌ، وَإِمَّا مَمَاتٌ فِي ذُرَاهُ جَمِيلُ![1]

ـ ٢٥٤ ـ

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ ـ وَمُغْض، لِلْمَهَابَةِ، عَنْ جَوَابِي! وَإِنَّ لِسَانَهُ ٱلْعَضْبُ ٱلصَّقِيلُ
٢ ـ أَطَلْتُ عِتَابَهُ، عَنَتاً وَظُلْماً، فَجَمْجَمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَما تَقُولُ!»

وَقَالَ:

[من مجزوء الخفيف]

١ ـ حَسَرَاتٌ قَوَاتِلُ، وَدُمُوعٌ هَوَامِلُ![4]
٢ ـ وَحَبِيبٌ مُقَاطِعٌ، وَسَقَامٌ مُوَاصِلُ![5]
٣ ـ كَيْفَ أَنْجُو مِنَ ٱلْهَوَى، وَهْوَ فِي ٱلْقَلْبِ دَاخِلُ؟
٤ ـ لَسْتُ أَشْكُوكَ؛ فِي ٱلْحَشَا مِنْ جَوَى ٱلْحُبِّ شَاغِلُ!
٥ ـ لَكَ خَصْرٌ، كَأَنَّهُ مِنْ ضَنَا ٱلسُّقْمِ نَاحِلُ![6]

---

(١) فناه: ساحاته أمام البيوت.
(٢) العضب: السَّيف. الصَّقيل: الحادّ.
(٣) العَنَت: الظلم. جمجم: ردَّد كلاماً غير مفهوم.
(٤) هوامِل: جارية.
(٥) سقام: مرض.
(٦) الضَّنى: الهُزال، وسوء الحال. السُّقم: المرض. ناحل: ضعيف.

- ٢٥٦ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - وَمَــا لِيَ لَا أُثْنِي عَلَيْكَ، وَطَــالَمَــا ... وَفَيْتَ بِعَهْـدِي، وَٱلْـوَفَـاءُ قَلِيـلُ؟

٢ - وَأَوْعَـدْتَـنِي حَـتَّى إِذَا مَـا مَـلَكْتَـنِي ... صَفَحْتَ، وَصَفْحُ ٱلْمَالِكِينَ جَمِيلُ!

- ٢٥٧ -

وَقَالَ يَرْثِي «أَبَا ٱلْمُرَجَّى جَابِرَ بْنَ نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ» - رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَى:

[من المتقارب]

١ - بِـقَلْبِي، عَلَى «جَـابِـرٍ»، حَسْـرَةٌ ... تَـزُولُ ٱلْجِبَـالُ، وَلَـيْسَـتْ تَـزُولُ!

٢ - لَـهُ، مَـا بَقِيتُ، طَـوِيـلُ ٱلْبُكَـاءِ ... وَحُـسْـنُ ٱلـثَّـنَـاءِ؛ وَهَـذَا قَـلِيـلُ

- ٢٥٨ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - ٱلـدَّهْـرُ يَـوْمَـانِ: ذَا ثَبْتٌ، وَذَا زَلَـلُ ... وَٱلْعَيْشُ طَعْمَانِ: ذَا صَابٌ، وَذَا عَسَلُ(١)

٢ - كَـذَا ٱلـزَّمَـانُ؛ فَمَـا فِي نِعْمَـةٍ بَـطَرٌ ... لِلْعَـارِفِيـنَ؛ وَلَا فِي نِـقْمَـةٍ فَـشَـلُ

٣ - سَعَادَةُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلسـرَّاءِ إِنْ رَجَحَتْ ... وَٱلْعَدْلُ أَنْ يَتَسَاوَى ٱلْهَمُّ وَٱلْجَـذَلُ(٢)

٤ - وَمَـا ٱلْهُمُومُ، وَإِنْ حَـاذَرْتَ، ثَـابِتَـةٌ؛ ... وَلَا ٱلسُّـرُورُ، وَإِنْ أَمَّلْتَ، يَتَّـصِـلُ

٥ - فَمَـا الأَسَى لِهُمُـومٍ، لَا بَقَـاءَ لَهَـا، ... وَمَـا السُّرُورُ بِنُعْمَى، سَـوْفَ تَنْتَقِلُ(٣)

---

(١) الزلل: الخطأ. الصّاب: شجر مرّ.

(٢) الجذل: الفرح.

(٣) الأسى: الحزن.

٦ ـ لَكِنَّ فِي ٱلنَّـاسِ مَغْـرُوراً بِنِعْمَتِـهِ، مَـا جَاءَهُ ٱلْيَـأْسُ حَتَّى جَـاءَهُ الأَجَـلُ
٧ ـ وَٱلْمَـرْءُ يَفْنَى وَمَـا يَنْفَـكُّ ذَا شَـرَهٍ، تَشِبُّ فِيـهِ ٱثْنَتَانِ: ٱلْحِـرْصُ وَٱلأَمَـلُ

ـ ٢٥٩ ـ

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ ـ وَعَـطَّافٍ عَلَى ٱلْغَمَـرَاتِ نَحْـوِي، تَـحُفُّ بِـهِ ٱلْـمُـثَـقَّـفَـةُ الـطِّوَالُ(١)
٢ ـ تَـرَكْتُ ٱلـرُّمْحَ، يَخْـطُرُ فِي حَشَـاهُ، لَـهُ، مَـا بَـيْـنَ أَضْـلُعِـهِ، مَـجَـالُ
٣ ـ يَقُـولُ، وَقَـدْ تَعَـدَّلَ فِيـهِ رُمْحِي: «لأَمْـرٍ مَـا تَحَـامَـاكَ ٱلـرِّجَـالُ!»(٢)

ـ ٢٦٠ ـ

وَلَهُ، وَقَدْ هَرَبَتْ «بَنُو كِلاَبٍ» عَنْ «دُلُوكِ» مِنْ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»:

[من البسيط]

١ ـ قَدْ ضَجَّ جَيْشُكَ، مِنْ طُولِ ٱلْقِتَالِ بِهِ، وَقَـدْ شَكَتْـكَ إِلَيْنَـا ٱلْخَيْـلُ وَٱلإِبِـلُ!
٢ ـ وَقَدْ دَرَى ٱلرُّومُ، مُذْ جَاوَرْتَ أَرْضَهُمُ، أَنْ لَيْسَ يَعْصِمُهُمْ سَهْلٌ، وَلاَ جَبَلُ(٣)
٣ ـ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَـزُورُ ٱلثَّغْرَ، لاَ ضَجَـرٌ يَثْنِيـكَ عَنْـهُ، وَلاَ شُغْـلٌ وَلاَ مَلَلُ(٤)
٤ ـ فَـٱلنَّفْسُ جَاهِـدَةٌ، وَٱلْعَيْنُ سَـاهِـدَةٌ، وَٱلْجَيْشُ مُنْهَمِـكٌ، وَٱلْمَالُ مُبْتَـذَلُ(٥)
٥ ـ تَـوَهَّمَتْكَ «كِـلاَبٌ» غَيْـرَ قَـاصِـدِهَـا، وَقَـدْ تَكَنَّفَـكَ الأَعْـدَاءُ وَٱلشُّغُـلُ(٦)

---

(١) الغمرات: الشّدائد. تحفّ: تحيط. المثقّفة الطوال: الرماح المسنّنة. ويروى «ورائي الخيل» مكان «الغمرات».
(٢) تحاماك: تجنّبك.
(٣) يعصمهم: يقيهم، يحميهم.
(٤) الثّغر: المدينة المحصّنة على الحدود. يثنيك عنه: يميلك عنه.
(٥) ساهدة: ساهرة. مبْتَذَل: مبذول.
(٦) كلاب: قبيلة عربيّة من أعداء سيف الدولة. تكنّفك: أحاط بك.

٦ - حَتَّى رَأَوْكَ، أَمَامَ ٱلْجَيْشِ ، تَقْدُمُهُ   وَقَدْ طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ، دُونَ مَا أَمِلُوا
٧ - فَٱسْتَقْبَلُوكَ بِفُرْسَانٍ، أَسِنَّتُهَا   سُودُ البَرَاقِعِ ، وَٱلْأَكْوَارُ، وَٱلْكِلَلُ(١)
٨ - فَكُنْتَ أَكْرَمَ مَسْؤولٍ وَأَفْضَلَهُ،   إِذَا وَهَبْتَ فَلاَ مَنٌّ وَلاَ بُخُلُ

- ٢٦١ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - وَيَقُولُ فِيَّ ٱلْحَاسِدُونَ، تَكَذُّباً،   وَيُقَالُ فِي ٱلْمَحْسُودِ مَا لاَ يَفْعَلُ
٢ - يَتَطَلَّبُونَ إِسَاءَتي لاَ ذَمَّتي،   إِنَّ ٱلْحَسُودَ، بِمَا يَسُوءُ، مُوَكَّلُ

- ٢٦٢ -

وَقَالَ، أَيْضاً، يَفْتَخِرُ:

[من الطويل]

١ - أَقِلّي، فَأَيَّامُ ٱلْمُحِبِّ قَلاَئِلُ،   وَفِي قَلْبِهِ شُغْلٌ، عَنِ ٱللَّوْمِ ، شَاغِلُ
٢ - وَلِعْتِ بِعَذْلِ ٱلْمُسْتَهَامِ عَلَى ٱلْهَوى،   وَأَوْلَعُ شَيْءٍ بِٱلْمحِبِّ ٱلْعَوَاذِلُ(٢)
٣ - أَرَيْتَكِ، هَلْ لِي مِنْ جَوَى ٱلْحُبِّ مَخْلَصٌ،   وَقَدْ نَشِبَتْ، لِلْحُبِّ فِيَّ، حَبَائِلُ؟(٣)
٤ - وَبَيْنَ بَنَيَّاتِ ٱلْخُدُورِ وَبَيْنَنَا   حُرُوبٌ، تَلَظَّى نَارُهَا وَتَطَاوَلُ(٤)
٥ - أَغَرْنَ عَلَى قَلْبِي بِجَيْشٍ مِنَ ٱلْهَوَى   وَطَارَدَ عَنْهُنَّ ٱلْغَزَالُ ٱلْمُغَازِلُ
٦ - تَعَمَّدَ بِٱلسَّهْمِ ٱلْمُصِيبِ مَقَاتِلي،   أَلا كُلُّ أَعْضَائِي، لَدَيْهِ، مَقَاتِلُ(٥)

(١) أسنّتها: رماحها. البراقع: جمع البرقع، وهوقناع للدوابّ، وما تضعه المرأة على رأسها. الأكوار: جمع الكور، وهو الرَّحل، أي ما يُجعل على ظهر الجمل كالسرج.الكلل: جمع الكلّة، وهي السِّتْر الرَّقيق.
(٢) ويروى «غويت» مكان «ولعت». عَذْل: لَوْم. المستهام: الهائم القلب. العواذل: اللائمون.
(٣) أريتَك: أَخْبِرْني. الجوى: الحرقة من عشق أو حزن.
(٤) الخُدور: جمع الخِدْر، وهو ستر يُمَدّ للمرأة في ناحية البيت. تلظّى: تستعر. تطاول: تتطاول، تطول.
(٥) مقاتِل: جمع مَقْتَل، وهو موضع القتل.

٧ ـ وَوَٱللَّهِ، مَا قَصَّرتُ فِي طَلَبِ ٱلْعُلاَ؛ وَلَكِنْ كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ عَنِّي غَافِلُ
٨ ـ مَوَاعِيدُ آمَالٍ، تُمَاطِلُنِي بِهَا مُدَارَاةُ أَيَّامٍ، وَدَهْرٌ مُجَامِلُ![1]
٩ ـ تُدافِعُنِي الأَيَّامُ عَمَّا أُرِيدُهُ، كَمَا دَفَعَ ٱلدَّيْنَ ٱلْغَرِيمُ ٱلْمُمَاطِلُ[2]
١٠ ـ خَلِيلَيَّ، أَغْرَاضِي بَعِيدٌ مَنَالُهَا! فَهَلْ فِيكُمَا عَوْنٌ عَلَى مَا أُحَاوِلُ؟
١١ ـ خَلِيلَيَّ، شُدَّا لِي عَلَى نَاقَتَيْكُمَا! إِذَا مَا بَدَا شَيْبٌ مِنَ ٱلْعَجْزِ نَاصِلُ[3]
١٢ ـ وَخُوضَا بِنَا بَحْرَ الدَّيَاجِي، تَعَسُّفاً، إِذَا هَابَ عَنْهُ ٱلْعَاجِزُ ٱلْمُتَثَاقِلُ[4]
١٣ ـ فَمِثْلِيَ مَنْ نَالَ ٱلْمَعَالِي بِسَيْفِهِ، وَرُبَّتَمَا غَالَتْهُ، عَنْهَا، ٱلْغَوَائِلُ[5]
١٤ ـ وَمَا كُلُّ طَلاَّبٍ، مِنَ ٱلنَّاسِ، بَالِغٌ! وَلاَ كُلُّ سَيَّارٍ، إِلَى ٱلْمَجْدِ، وَاصِلُ!
١٥ ـ وَإِنَّ مُقِيماً مَنْهَجَ العَجْزِ خَائِبٌ؛ وَإِنَّ مُرِيغاً، خَائِبَ ٱلْجُهْدِ، نَائِلُ[6]
١٦ ـ وَمَا ٱلْمَرْءُ إِلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ، وَإِنِّي لَهَا، فَوْقَ ٱلسِّمَاكَيْنِ، جَاعِلُ[7]
١٧ ـ وَلِلْوَفْرِ مِتْلاَفٌ، وَلِلْحَمْدِ جَامِعٌ، وَلِلشَّرِّ تَرَّاكٌ، وَلِلْخَيْرِ فَاعِلُ[8]
١٨ ـ وَمَا لِيَ لاَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ، فِي يَدِي، كَرَائِمُ أَمْوَالِ ٱلرِّجَالِ ٱلْعَقَائِلُ؟[9]
١٩ ـ أُحَكِّمُ فِي ٱلأَعْدَاءِ مِنْهَا صَوَارِماً أُحَكِّمُهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ[10]
٢٠ ـ وَمَا نَالَ مَحْمِيُّ ٱلرَّغَائِبِ، عَنْوَةً، سِوَى مَا أَقَلَّتْ فِي ٱلْجُفُونِ ٱلْحَمائِلُ[11]

---

(١) تماطل: تسوِّف.
(٢) الغريم: الدائن.
(٣) نصل: خرج. ناصِل: خارج.
(٤) الدَّياجي: الظُّلُمات.
(٥) ويروى «الأعادي» مكان «المعالي». ربّتما: ربَّما، والتاء لتأنيث اللفظ. غالته: أهلكته. الغوائل: المُهلِكات، المصائب.
(٦) المُريغ: المُخادع.
(٧) السِّماكان: نجمان نيِّران، أحدهما في الشَّمال ويعرف بـ «الرامح»، والثاني في الجنوب، ويُعرف بـ «الأعزل».
(٨) الوَفْر: المال. مِتلاف: مبذِّر. كناية عن كرمه.
(٩) العقائل: جمع العقيلة، وهي من كلّ شيء أكرمه.
(١٠) الصوارم: القواطع، كناية عن السيوف.
(١١) الجفون: جمع الجفْن، وهو جراب السَّيف. ويروى الصّدر: «وما زال محميّ الحمائل عنوةً».

- ٢٦٣ -

وَكَانَ «أَبو فِراس»، يَوْماً، بَيْنَ يَدَيْهِ فِي نَفَرٍ مِن نُدَمَائِهِ، فَقَالَ لَهُمْ «سَيْفُ آلدَّوْلَةِ»: أَيُّكُمْ يُجيزُ قَوْلِي، وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا سَيِّدي يَعْنِي «أَبَا فِرَاسٍ»:

١ - لَـكَ جِسْمِي تُعِلُّهُ، فَدَمِي لِمْ تُحِلُّهُ؟
٢ - لَكَ مِنْ قَلْبِيَ آلْمَكَانُ فَلِمْ لاَ تَحُلُّهُ؟

فَارْتَجَلَ «أَبُو فِراسٍ»، وَقَالَ:

[من مجزوء الخفيف]

١ - أَنَا إِنْ كُنْتُ مَالِكاً فَلِيَ الأَمْرُ كُلُّهُ!

فَاسْتَحْسَنَهُ، وَأَعْطَاهُ ضَيْعَةً بِـ«مَنْبِجَ» تَغُلُّ أَلْفَي دِينارٍ في كُلِّ سَنَةٍ (عن يتيمة الدهر للثعالبي ص ١٥ مصر، والنجوم الزاهرة الجزء الثاني ص ٣٩١.

- ٢٦٤ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لاَ مِنْ مُدَامَتِهِ، وَمَالَ بِآلنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَايُلُهُ(١)
٢ - وَمَا آلسُّلاَفُ دَهَتْنِي بَلْ سَوَالِفُهُ، وَلاَ آلشَّمُولُ آزْدَهَتْنِي بَلْ شَمَائِلُهُ(٢)
٣ - أَلْوَى بِعَزْمِيَ أَصْدَاغٌ، لُوِينَ لَهُ، وَغَالَ قَلْبِيَ مَا تَحْوِي غَلاَئِلُهُ(٣)
٤ - فَبِتُّ لَيْلِيَ، مَسْرُوراً بِرُؤْيَتِهِ، وَنِلْتُ مِنْهُ آلَّذِي كَمْ كُنْتُ آمُلُهُ!

---

(١) مدامته: خمرته.

(٢) السُّلاف: الخمرة. الشَّمول: الخمرة الباردة. ازدهتني: استخفَّتني. شمائله: خصائله وصفاته. وفي البيت جناس غير تامّ.

(٣) أَلوى بالشيء: أهلكه. الأَصْداغ: جمع الصُّدغ، وهو ما بين العين والأذن من جانب الوجه. غال: سرق. الغلائل: جمع الغليل، وهو الخيانة.

- ٢٦٥ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - لِحُبِّكَ مِنْ قَلْبِي حِمًى لَا يَحُلُّهُ ... سِوَاكَ، وَعَقْدٌ لَيْسَ خَلْقٌ يَحُلُّهُ[1]
٢ - وَقَدْ كُنْتَ أَطْلَقْتَ ٱلْمُنَى لِي بِمَوْعِدٍ، ... وَقَدَّرْتَ لِي وَقْتاً، وَهَذَا مَحَلُّهُ!
٣ - فَفِي أَيِّ حُكْمٍ؟ أَوْ عَلَى أَيِّ مَذْهَبٍ ... تُحِلُّ دَمِي؟ وَٱللَّهُ لَيْسَ يُحِلُّهُ!

- ٢٦٦ -

«وَلَهُ، وَقَدْ تَبِعَ «ٱلضِّبَابَ» مِنْ «بَنِي كِلَابٍ»، وَمَعَهُ «بَنُو عَدِيٍّ» مِنْ «كَلْبٍ» فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِمْ رَأَى شَمَاتَةَ «ٱبْنِ عُلَيَّانَ»، فَصَفَحَ عَنْهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ جَمِيعَ مَا أَخَذَهُ، مِنَ ٱلْجَيْشِ لَهُمْ، تَكَرُّماً فِيهِمْ:

[من المتقارب]

١ - أَفِرُّ مِنَ ٱلسُّوءِ لَا أَفْعَلُهْ ... وَمِنْ مَوْقِفِ ٱلضَّيْمِ لَا أَقْبَلُهْ[2]
٢ - وَقُرْبَى ٱلْقَرَابَةِ أَرْعَى لَهَا، ... وَفَضْلُ أَخِي ٱلْفَضْلِ لَا أَجْعَلُهْ
٣ - وَأَبْذُلُ عَدْلِيَ لِلأَضْعَفِينَ؛ ... وَلِلشَّامِخِ ٱلأَنْفِ لَا أَبْذُلُهْ[3]
٤ - وَأَحْسَنُ مَا كُنْتَ بُقْيَا إِذَا ... أَنَالَنِيَ ٱللَّهُ مَا آمُلُهْ
٥ - وَقَدْ عَلِمَ ٱلْحَيُّ، حَيُّ «ٱلضِّبَابِ»، ... وَأَصْدَقُ قِيلِ ٱلْفَتَى أَفْضَلُهْ[4]
٦ - بِأَنِّي كَفَفْتُ، وَأَنِّي عَفَفْتُ، ... وَإِنْ كَرِهَ ٱلْجَيْشُ مَا أَفْعَلُهْ

---

(١) الخَلَق: البلى.
(٢) ويروى «الظّلم» مكان «الضَّيم» وهما بمعنى واحد.
(٣) الشّامخ الأنف: المتكبِّر.
(٤) الضِّباب: بنو ضباب، وهم قوم من بني كلاب، كان سيف الدولة، قد انتصر عليهم، ثمَّ عفا عنهم لمّا رأى شماتة ابن عليَّان بهم.

٧ - وَقَـدْ أُرْهِـقَ آلْحَيُّ، مِـنْ خَلْفِـهِ، وَأُوقِـفَ، خَـوْفَ آلـرَّدَى، أَوَّلُـهْ[1]
٨ - فَعَـادَتْ «عَـدِيٌّ» بِـأَحْقَـادِهَـا، وَقَـدْ عَـقَـلَ الأَمْـرَ مَنْ يَـعْقِـلُهْ[2]
٩ - وَذَلِـكَ أَنِّـي شَـدِيـدُ آلإِبَـا ءِ، آكُـلُ لَـحْمِـي وَلاَ أُوكِـلُهْ![3]

- ٢٦٧ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - ضَمَّنْتُ حَـالِي قِصَّـةً فَـرَفَعْتُهَـا؛ فَـأَتَـانِيَ آلتَّـوْقِيـعُ: يَخْـرُجُ حَـالُـهُ
٢ - فَـأَتَيْتُ دِيوانَ آلْهَـوَى، فَلِكَثْـرَةِ آلْـ ـعُشَّـاقِ لَم يَـتَهَـيَّ لِي إِيصَـالُـهُ
٣ - حَـتَّـى إِذَا أَوْصَـلْتُـهُ نَـظَرُوا إِلَـى جِسْمٍ، تَبَقَّى فِي آلْعُيُـونِ خَيَالُـهُ[4]
٤ - فَعَـرَضْتُ ثَمَّـةَ: وَقِّعُـوا هَـذَا فَتىً وُجِـدَ آسْمُـهُ لَمْ يُـوجَـدِ آسْتِقْبَـالُـهُ
٥ - فَـأَجَـابَ: هَـذَا خَـطُّهُ، وَلَـو انَّـهُ صَـبٌّ تَـمَـكَّـنَ وَجْـدُهُ وَخَـيَـالُـهُ
٦ - لَمْ يَحْمِـلِ آلْقَلَمَ آلـدَّقِيقَ يَمِينُـهُ، وَتُقِـلَّ قِـرطَـاسَ آلْكِتَـابِ شِمَـالُـهُ[5]

- ٢٦٨ -

وَقَالَ: وَلَمَّا طَالَ آلأَمْرُ عَلَى وَالِدَتِهِ، خَرَجَتْ مِنْ «مَنْبِجَ» إِلَى «حَلَبَ»؛ وَرَاسَلَتْ «سَيْفَ آلـدَّوْلَةِ»؛ وَوَافَقَ ذَلِـكَ أَنَّ آلْبَطَارِقَـةَ قُيِّدُوا بِـ«حَلَبَ»؛ فَقُيِّـدَ «أَبُـو فِـرَاسٍ»

---

(١) الرَّدى: الموت.

(٢) عديّ: بنو عديّ، وهم قوم ناصروا سيف الدولة، لكنّهم تضايقوا من عفوه عن بني ضباب. عقل الأمر: أدرك حقيقته.

(٣) الإباء: الأنفة والعزّة. أوكله: أُطعمه.

(٤) كناية عن شدّة هُزاله.

(٥) القرطاس: الصَّحيفة التي يُكتب فيها.

بـ «خَرْشَنَةَ»؛ وَرَأَتِ ٱلْأَمْرَ قَدْ عَظُمَ، فَٱعْتَلَّتْ مِنَ الحَسْرَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ «أَبَا فِرَاسٍ» فَكَتَبَ إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» بِهَذَا:

[من المنسرح]

١ ـ يَا حَسْرَةً مَا أَكَادُ أَحْمِلُهَا، آخِرُهَا مُزْعِجٌ، وَأَوَّلُهَا!
٢ ـ عَلِيلَةٌ، بِٱلشَّامِ مُفْرَدَةٌ، بَاتَ، بِأَيْدِي ٱلعِدَا، مُعَلِّلُهَا[1]
٣ ـ تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا، عَلَى حُرَقٍ تُطْفِئُهَا، وَٱلْهُمُومُ تُشْعِلُهَا![2]
٤ ـ إِذَا ٱطْمَأَنَّتْ ـ وَأَيْنَ؟ ـ أَوْ هَدَأَتْ؛ عَنَّتْ لَهَا ذِكْرَةٌ تُقَلْقِلُهَا[3]
٥ ـ تَسْأَلُ عَنَّا ٱلرُّكْبَانَ، جَاهِدَةً بِأَدْمُعٍ مَا تَكَادُ تُمْهِلُهَا:[4]
٦ ـ «يَا مَنْ رَأَى لِي، بِحِصْنِ «خَرْشَنَةٍ» أُسْدَ شَرًى، فِي ٱلْقُيُودِ أَرْجُلُهَا!»[5]
٧ ـ «يَا مَنْ رَأَى لِي ٱلدُّرُوبَ، شَامِخَةً دُونَ لِقَاءِ ٱلْحَبِيبِ أَطْوَلُهَا»[6]
٨ ـ يَا مَنْ رَأَى لِي ٱلْقُيُودَ، مُوثَقَةً، عَلَى حَبِيبِ ٱلْفُؤَادِ أَثْقَلُهَا!»
٩ ـ يَا أَيُّهَا ٱلرَّاكِبَانِ، هَلْ لَكُمَا، فِي حَمْلِ نَجْوَى، يَخِفُّ مَحْمَلُهَا؟!
١٠ ـ قُولَا لَهَا، إِنْ وَعَتْ مَقَالَكُمَا، وَإِنَّ ذِكْرِي لَهَا لَيُذْهِلُهَا:
١١ ـ «يَا أُمَّتَا، هَذِهِ مَنَازِلُنَا نَتْرُكُهَا تَارَةً، وَنَنْزِلُهَا!»[7]
١٢ ـ «يَا أُمَّتَا، هَذِهِ مَوَارِدُنَا نَعُلُّهَا تَارَةً، وَنَنْهَلُهَا!»[8]
١٣ ـ «أَسْلَمَنَا قَوْمُنَا إِلَى نُوَبٍ أَيْسَرُهَا فِي ٱلْقُلُوبِ أَقْتَلُهَا»[9]

---

(١) عليلة: مريضة، يعني أمه. معلّلها: مؤمّلها، وهو ابنها.
(٢) الأحشاء: ما انضمّت عليه الضلوع. الحرق: الحرارة.
(٣) عَنَّتْ: ظهرت. تقلقلها: تجعلها مضطربة وقوله: «وأين» اعتراض موفّق للدلالة على أنَّ والدته لا تطمئنّ.
(٤) الركبان: المسافرون.
(٥) الشّرى: مكان قرب الفرات اشتهر بأسوده. وقوله «في القيود أرجلها» كناية عن أسره.
(٦) الدروب: الطريق إلى بلاد الروم.
(٧) يقول: إن الحياة لا تستقرّ على حال.
(٨) الموارد: المياه.نعلّها: نشربها المرَّة بعد الأخرى. ننهلها: نشرب منها قليلاً.
(٩) نُوَب: مصائب.

١٤ -«وَٱسْتَبْدَلُوا، بَعْدَنَا، رِجَالَ وَغًى يَوَدُّ أَدْنَى عُلَايَ أَمْثَلُهَا»[١]
١٥ -يَا سَيِّداً، مَا تُعَدُّ مَكْرُمَةٌ، إِلَّا وَفِي رَاحَتَيْهِ أَكْمَلُهَا[٢]
١٦ -لَيْسَتْ تَنَالُ ٱلْقُيُودُ مِنْ قَدَمِي، وَفِي ٱتِّبَاعِي رِضَاكَ، أَحْمِلُهَا
١٧ -لَا تَتَيَمَّمْ، وَٱلْمَاءُ تُدْرِكُهُ! غَيْرُكَ يَرْضَى ٱلصُّغْرَى وَيَقْبَلُهَا[٣]
١٨ -إِنَّ بَنِي ٱلْعَمِّ لَسْتَ تَخْلُفُهُم؛ إِنْ عَادَتِ ٱلأُسْدُ عَادَ أَشْبُلُهَا![٤]
١٩ -أَنْتَ سَمَاءٌ، وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا؛ أَنْتَ بِلَادٌ، وَنَحْنُ أَجْبُلُهَا!
٢٠ -أَنْتَ سَحَابٌ، وَنَحْنُ وَابِلُهُ أَنْتَ يَمِينٌ، وَنَحْنُ أَنْمُلُهَا![٥]
٢١ -بِأَيِّ عُذْرٍ، رَدَدْتَ وَالِهَةً، عَلَيْكَ، دُونَ ٱلْوَرَى مُعَوَّلُهَا؟[٦]
٢٢ -جَاءَتْكَ، تَمْتَاحُ رَدَّ وَاحِدِهَا، يَنْتَظِرُ ٱلنَّاسُ كَيْفَ تُقْفِلُهَا![٧]
٢٣ -سَمَحْتُ مِنِّي بِمُهْجَةٍ كَرُمَتْ أَنْتَ، عَلَى يَأْسِهَا، مُؤَمَّلُهَا[٨]
٢٤ -إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْذُلِ ٱلْفِدَاءَ لَهَا! فَلَمْ أَزَلْ، فِي رِضَاكَ، أَبْذُلُهَا
٢٥ -تِلْكَ ٱلْمَوَدَّاتُ، كَيْفَ تُهْمِلُهَا؟ تِلْكَ ٱلْمَوَاعِيدُ، كَيْفَ تُغْفِلُهَا؟[٩]
٢٦ -تِلْكَ ٱلْعُقُودُ، ٱلَّتِي عَقَدْتَ لَنَا، كَيْفَ - وَقَدْ أُحْكِمَتْ - تُحَلِّلُهَا؟
٢٧ -أَرْحَامُنَا مِنْكَ؛ لِمْ تُقَطِّعُهَا؟ وَلَمْ تَزَلْ، دَائِماً، تُوَصِّلُهَا[١٠]

---

(١) الوغى: الحرب. أمثلها: أفضلها. والمعنى أنَّ أفضلهم يتمنَّى أن يصل إلى أدنى درجة من همَّتي ومجدي.

(٢) قوله: «يا سيِّداً»، يخاطب ابن عمّه سيف الدولة.

(٣) التيمّم هو مسْحُ الوجه واليدين بالتّراب قبل الصَّلاة. فإنْ وُجد الماء بطل التيمُّم.

(٤) تخلفهم: تكون خلفاً لهم.

(٥) الوابل: المطر الشّديد. الأنمل: رؤوس الأصابع.

(٦) الوالهة: الحزينة حزناً شديداً. الورى: الناس. هنا يعاتب سيف الدولة على ردّ أمّه خائبةً عندما طلبت إليه أن يفتدي ولدها.

(٧) تمتاح: تطلب. تقفلها: تردّها.

(٨) المُهْجَة: الروح.

(٩) المواعيد: العهود. هنا يذكِّره بماضيه معه.

(١٠) لِمْ: لِمَ.

٢٨ - أَيْنَ ٱلْمَعَالِي، ٱلَّتِي عُرِفْتَ بِهَا، تَقُولُهَا، دَائِماً، وَتَفْعَلُهَا؟[١]

٢٩ - يَا وَاسِعَ ٱلدَّارِ؛ كَيْفَ تُوسِعُهَا؟ وَنَحْنُ فِي صَخْرَةٍ نُزَلْزِلُهَا![٢]

٣٠ - يَا نَاعِمَ ٱلثَّوْبِ! كَيْفَ تُبْدِلُهُ؟ ثِيَابُنَا ٱلصُّوفُ مَا نُبَدِّلُهَا!

٣١ - يَا رَاكِبَ ٱلْخَيْلِ! لَوْ بَصُرْتَ بِنَا، نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا، وَنَنْقُلُهَا!

٣٢ - رَأَيْتَ، فِي ٱلضُّرِّ، أَوْجُهاً كَرُمَتْ فَارَقَ فِيكَ ٱلْجَمَالَ أَجْمَلُهَا![٣]

٣٣ - قَدْ أَثَّرَ ٱلدَّهْرُ فِي مَحَاسِنِهَا، تَعْرِفُهَا، تَارَةً، وَتَجْهَلُهَا

٣٤ - فَلَا تَكِلْنَا، فِيهَا، إِلَى أَحَدٍ مُعِلُّهَا مُحْسِنٌ يُعَلِّلُهَا[٤]

٣٥ - لَا يَفْتَحُ ٱلنَّاسُ بَابَ مَكْرُمَةٍ صَاحِبُهَا ٱلْمُسْتَغَاثُ يُقْفِلُهَا

٣٦ - أَيَنْبَرِي، دُونَكَ، ٱلْكِرَامُ لَهَا وَأَنْتَ قَمْقَامُهَا، وَأَحْمَلُهَا![٥]

٣٧ - وَأَنْتَ، إِنْ عَنَّ حَادِثٌ جَلَلٌ، قُلَّبُهَا ٱلْمُرْتَجَى، وَحُوَّلُهَا![٦]

٣٨ - مِنْكَ تَرَدَّى بِٱلْفَضْلِ أَفْضَلُهَا؛ مِنْكَ أَفَادَ ٱلنَّوَالَ أَنْوَلُهَا[٧]

٣٩ - فَإِنْ سَأَلْنَا سِوَاكَ عَارِفَةً، فَبَعْدَ قَطْعِ ٱلرَّجَاءِ نَسْأَلُهَا

٤٠ - إِذَا رَأَيْنَا أَوْلَى ٱلْكِرَامِ بِهَا يُضِيعُهَا، جَاهِداً، وَيُهْمِلُهَا

٤١ - لَمْ يَبْقَ، فِي ٱلنَّاسِ، أُمَّةٌ عُرِفَتْ إِلَّا وَفَضْلُ «ٱلْأَمِيرِ» يَشْمَلُهَا

٤٢ - نَحْنُ أَحَقُّ ٱلْوَرَى بِرَأْفَتِهِ، فَأَيْنَ عَنَّا؟ وَأَيْنَ مَعْدِلُهَا؟[٨]

٤٣ - يَا مُنْفِقَ ٱلْمَالِ، لَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا ٱلْمَعَالِي ٱلَّتِي يُؤَثِّلُهَا،[٩]

---

(١) المعالي: الفِعال والأقوال الحميدة.

(٢) يشير الشاعر في هذا البيت إلى الأشغال الشّاقة التي أجبره الناس بها في أسره.

(٣) فارق فيك: فارق في سبيلك. يشير إلى ما فعله أذى الأسر في وجوههم، حتى اختفى الجمال من هذه الوجوه التي كانت تعيش في الترف والنعيم.

(٤) فلا تكِلْنا: فلا تُسلِّمْنا: المُعِلّ: المُمْرِض.

(٥) القمقام: السَّيِّد الفاضل.

(٦) عنَّ: ظهر. جلل: عظيم. الضمير في «قُلَّبها» و «حُوَّلها» يعود على الناس. والمعنى أنّك حكيم. متبصِّر تعرف تدبير الأمور وتصريفها.

(٧) النوال: العطاء.

(٨) الورى: الناس. معدلها: مصرفها.

(٩) يؤثّلها: يؤصِّلها.

٤٤ ـ أَصْبَحْتَ تَشْرِي مَكَارِماً فُضُلاً فِدَاؤُنَا، قَدْ عَلِمْتَ، أَفْضَلُهَا![1]
٤٥ ـ لاَ يَقْبَلُ آللَّهُ، قَبْلَ فَرْضِكَ ذَا، نَافِلَةً عِنْدَهُ تُنَفِّلُهَا![2]

- ٢٦٩ -

وَقَالَ:

[من المنسرح]

١ ـ أَنَا الَّذِي لاَ تَكَادُ تَلْحَظُهُ مُقْلَةُ دَهْرٍ إِلاَّ عَلَى وَجَلِ[3]
٢ ـ وَمَا ركبْتُ الكُمَيْتَ فِي رَهَجٍ إِلاَّ لَدَى السُّيُوفِ والأَسَلِ[4]

- ٢٧٠ -

وَقَالَ يَرْثِي «أَبَا وَائِلٍ تَغْلِبَ بْنَ دَاوُدَ» ـ رَحِمَهُ آللَّهُ تَعَالَى:

[من السريع]

١ ـ أَيُّ آصْطِبَارٍ لَيْسَ بِآلزَّائِلِ؟ وَأَيُّ دَمْعٍ لَيْسَ بِآلْهَامِلِ؟[5]
٢ ـ إِنَّا فُجِعْنَا بِفَتَى «وَائِلٍ» لَمَّا فُجِعْنَا «بِأَبِي وَائِلِ»
٣ ـ آلْمُشْتَرِي آلْحَمْدَ بِأَمْوَالِهِ، وَآلْبَائِعِ آلنَّائِلَ بِآلنَّائِلِ[6]
٤ ـ مَاذَا أَرَادَتْ سَطَوَاتُ آلرَّدَى بِآلأَسَدِ آبْنِ آلأَسَدِ، آلْبَاسِلِ؟[7]

---

(١) تشري: تشتري. فُضُلاً: زيادة.
(٢) النافلة: ما زاد عن الغرض. تنفلها: تزيدها. والمعنى أنَّ اللّه لا يقبل منك عملاً قبل هذا الغرض، وهو افتداؤه.
(٣) مقلة: عين. الوَجَل: الخوف.
(٤) الكميت: الفرس الذي لونه بين الأسود والأحمر. الرَّهج: الغبار. الأسل: الرِّماح.
(٥) ويروى «بالهاطل» مكان «بالهامل» وهما بمعنى واحد.
(٦) النائل: العطيَّة.
(٧) الرَّدى: الموت. الباسل: الشّجاع.

٥ ـ ٱلسَّيِّدِ ٱبْنِ ٱلسَّيِّدِ، ٱلْمُرْتَجَى، وَٱلْعَالِمِ ٱبْنِ ٱلْعَالِمِ، ٱلْفَاضِلِ!
٦ ـ أَقْسَمْتُ: لَوْ لَمْ يَحْكِهِ ذِكْرُهُ رَجَعْنَ عَنْهُ بِشَبَا ثَاكِلِ (١)
٧ ـ كَأَنَّمَا دَمْعِيَ، مِنْ بَعْدِهِ، صَوْبُ سَحَابٍ وَاكِفٍ، وَابِلِ (٢)
٨ ـ مَا أَنَا أَبْكِيهِ؛ وَلَكِنَّمَا تَبْكِيهِ أَطْرَافُ ٱلْقَنَا ٱلذَّابِلِ (٣)
٩ ـ مَا كَانَ إِلَّا حَدَثاً نَازِلاً، مُوَكَّلاً بِٱلْحَدَثِ ٱلنَّازِلِ
١٠ ـ دَانٍ إِلَى سُبْلِ ٱلنَّدَى وَٱلْعُلا، نَاءٍ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْبَاطِلِ (٤)
١١ ـ أَرَى ٱلْمَعَالِي، إِذْ قَضَى نَحْبَهُ، تَبْكِي بُكَاءَ ٱلْوَالِهِ، ٱلثَّاكِلِ (٥)
١٢ ـ ٱلأَسَدُ ٱلْبَاسِلُ، وَٱلْعَارِضُ ٱلْـ ـهَاطِلُ، عِنْدَ ٱلزَّمَنِ ٱلْمَاحِلِ (٦)
١٣ ـ لَوْ كَانَ يَفْدِي مَعْشَرٌ هَالِكاً فَدَاهُ مِنْ حَافٍ، وَمِنْ نَاعِلِ (٧)
١٤ ـ فَكَمْ حَثَا قَبْرَكَ مِنْ رَاغِبٍ! وَكَمْ حَثَا تُرْبَكَ مِنْ آمِلِ! (٨)
١٥ ـ سَقَى ثَرًى، ضَمَّ «أَبَا وَائِلٍ»، صَوْبُ عَطَايَا كَفِّهِ ٱلْهَاطِلِ!
١٦ ـ لَا دَرَّ دَرُّ ٱلدَّهْرِ ـ مَا بَالُهُ حَمَّلَنِي مَا لَسْتُ بِٱلْحَامِلِ؟
١٧ ـ كَانَ ٱبْنُ عَمِّي، إِنْ عَرَا حَادِثٌ، كَاللَّيْثِ، أَوْ كَالصَّارِمِ ٱلصَّاقِلِ (٩)
١٨ ـ كَانَ ٱبْنُ عَمِّي عَالِماً، فَاضِلاً؛ وَٱلدَّهْرُ لَا يُبْقِي عَلَى فَاضِلِ
١٩ ـ كَانَ ٱبْنُ عَمِّي بَحْرَ جُودٍ طَمَى، لَكِنَّهُ بَحْرٌ بِلَا سَاحِلِ (١٠)
٢٠ ـ مَنْ كَانَ أَمْسَى قَلْبُهُ خَالِياً فَإِنَّنِي فِي شُغُلٍ شَاغِلِ

---

(١) الشَّبا: جمع الشَّباة، وهي من كلّ شيء حدّه. الثاكِل: الذي فقد ولده.
(٢) الصوب: المطر. الواكف: الغزير، وكذلك الوابل.
(٣) القنا: الرماح. الذابل من الرماح: دقيقها.
(٤) دانٍ: قريب. سُبُل: طرق. النّدى: الكرم. ناءٍ: بعيد.
(٥) قضى نحبه: مات. الواله: الشديد الحزن.
(٦) الباسل: الشجاع. العارض الهاطل: الكريم. الماحل: المُجدِب.
(٧) الناعل: الذي يلبس الحذاء، وضدّه الحافي.
(٨) حثا القَبْرَ: صبَّ عليه التراب.
(٩) عرا حادِث: ألمَّتْ مصيبة. اللَّيث: الأسد. الصارم: السيف. الصاقل: المصقول، القاطع.
(١٠) طمى البحر: امتلأ.

٢١ -عمْـرِي، لَقَـدْ وَكَّـلَنِي فَـقْـدُهُ بِـاْلحُزْنِ، فِي اْلعَـاجِلِ وَاْلآجِـلِ

- ٢٧١ -

قَالَ آبْنُ خالَوَيْهِ: «قَالَ آلأَمِيرُ «أَبو فِراسٍ»: لَمَّا كَثُرَتْ وَقَائِعُ «سَيْفِ الـدَّوْلَةِ» «بِآلدُّمُسْتُقِ» وَعَسَاكِرِ آلرُّومِ؛ وَآتَّصَلَتْ غَزَوَاتُهُ؛ وَأَبى آلْهُدْنَةَ إلاَّ بِشُرُوطٍ، قَدْ بَعُدَ عَهْدُ آلرُّومِ بِمِثْلِهَا؛ هَادَنَ «قُسْطَنْطِينُ بْنُ لاَوُنَ»، مَلِكُ آلرُّومِ صَاحِبَ آلْغَرْبِ، وَصَادَقَ مَنْ كَـانَ فِي جِهَتِهِ؛ وَهَـادَنَ مَلِكَ آلْبُلْغَارِ، وَآلـرُّوسِ، وَآلتُّـرْكِ، وَآلأَفْـرَنْـجِ، وَسَـائِـرَ آلأَجْنَاسِ، وَآسْتَنْجَدَهُمْ، وَأَنْهَضَ «آلْبَارَ كِمُومِنْسَ»، وَهُوَ أَخُو آلْمَلِكَةِ، زَوْجَتِهِ، وَآبْنُ «رُومَانُوسَ» آلْمَلِكِ قَبْلَهُ؛ وَأَنْفَقَ مِنَ الأَمْوَالِ، مَا يَعْظُمُ قَدْرُهُ، فَيُقَالُ إِنَّهُ خَرَجَ مَعَهُ آثْنَا عَشَرَ أَلفِ فَاعِلٍ لِحَفْرِ آلْخَنْدَقِ، حَوْلَ عَسْكَرِهِ؛ سَارَتْ بِمَسِيرِهِ، وَسَارَ مُتَوَجِّهاً إِلَى «دِيارِبَكْرٍ».

وَبلَغَ «سَيْفَ آلدَّوْلَةِ» خَبَرُهُ، فَجَهَّزَ آلْعَسَاكِرَ إِلَى «الدِّيار»؛ وَأَقَامَ فِي غِلْمَانِهِ؛ وَمَدَّ «آلْفُـرَاتَ»، فَمَنَعَ «آلْبَـارَكِمُـومِنْس» مِنَ آلْعُبُـورِ؛ فَعَـدَلَ إِلَى آلشَّـامِ، وَنَـزَلَ عَلَى «سُمَيْسَـاطَ»، فَآفْتَتَحَهَـا فِي بَعْضِ يَوْمٍ، وَنَـزَلَ عَلَى «رَعْبَـانَ»؛ وَنَفَـرَ إِلَيْـهِ «سَيْفُ آلدَّوْلَةِ»، فِيمَنْ بَقِيَ مَعَهُ، وَأَمَرَ «أَبَا فِرَاسٍ» بِآلتَّقَدُّمِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى آلرَّحِيلِ إِلَى آلرُّومِ، هَاجَمَ آلرُّومَ وَسَائِرَ الأَلْسُنِ؛ وَثَبَتَ يُقَاتِلُ حَتَّى آسْتَحَرَّ آلْقَتْلُ، وَكَثُرَ الأَسْرُ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ آنْصَرَفَ بَاقِيهِمْ، حَتَّى خَلَّصَهُمْ.

وَكَانَ «أَبُو فِرَاسٍ»، أَوَّلَ مَنْ لَحِقَ آلْعَسْكَرَ، وَأَحْسَنَ آلْبَلاَءَ؛ وَدَقَّ رُمْحَيْنِ فِي «تُرْنِيقَ آلْخَزَرِيِّ»، رَئِيسِ آلْخَزَرِيَّةِ.

وَأَسَرَ «تُرْنِيقُ» بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَأَرَاهُ آلْجِرَاحَ، وَقَالَ لَهُ: «آكْتُبْ إِلَى صَاحِبِكَ، وَقُلْ لَهُ: مِثْلُكَ لاَ يَتَسَمَّى فِي مِثْلِ ذَلِكَ آلْيَوْمِ، وَيُعرِّفُ آلنَّـاسَ نَفْسَهُ. فَقَـالَ «أَبُو فِرَاسٍ»، فِي ذَلِكَ، هَذَيْنِ آلْبَيْتَيْنِ:

يَـعِيـبُ عَلَيَّ، إِذْ سَـمَّيْـتُ نَفْـسِي، وَقَـدْ أَخَـذَ آلْـقَنَـا مِـنْـهُـمْ وَمِـنَّـا

فقُــلْ لِلْعِلْجِ: لَــوْ لَمْ أسْمِ نَفْسِي ... لَـسَمَّـانِـي آلسِّنَـانُ لَـهُـمْ، وَكَنَّـا

وَقَالَ «أبو فِرَاسٍ» يَصِفُ آلْحَالَ وَأَثَرَهُ فِيهَا؛ وَيَذْكُرُ أَسْرَ إِخْوَتِهِ، وَمَا جَرَى فِيهَا:

[من الوافر]

١ - ضَـلَالٌ مَـا رَأَيْتُ مِنَ آلـضَّـلَالِ ... مُعَـاتَبَـةُ آلْكَرِيـمِ عَلَى آلنَّـوَالِ[١]

٢ - وَإِنَّ مَسَـامِعِي، عَنْ كُـلِّ عَـذْلٍ، ... لَفِي شُغْـلٍ بِحَـمْـدٍ أَوْ سُـؤَالِ[٢]

٣ - وَلَا وَآللَّهِ، مَـا بَخِـلَتْ يَمِينِي، ... وَلَا أَصْبَحْتُ أَشْقَـاكُمْ بِمَـا لِي

٤ - وَلَا أُمْسِي يُحَكَّمُ فِيهِ بَعْدِي ... قَلِيـلُ آلْحَمْدِ، مَـذْمُـومُ آلْفِعَـالِ

٥ - وَلَـكِـنِّـي سَأُفْـنِـيـهِ، وَأَقْـنِـي ... ذَخَـائِـرَ مِنْ ثَـوَابٍ أَوْ جَمَـالِ[٣]

٦ - وَلِـلْوُرَّاثِ إِرْثُ أَبِـي وَجَـدِّي، ... جِيَادُ آلْخَيْـلِ وَآلْأَسَـلِ آلـطِّوَالِ[٤]

٧ - وَمَـا تَجْنِي سَـرَاةُ بَنِي أَبِـيـنَـا ... سِـوَى ثَمَرَاتِ أَطْـرَافِ آلْعَـوَالِي[٥]

٨ - مَمَـالِكُـنَـا مَكَـاسِـبُـنَـا، إِذَا مَـا ... تَـوَارَثَـهَـا رِجَـالٌ عَـنْ رِجَـالِ

٩ - إِذَا لَـمْ تُـمْسِ لِـي نَـارٌ فَـإِنِّـي ... أَبِيتُ، لِنَـارِ غَيْـرِي، غَيْـرَ صَـالِ

١٠ - أَوَيْنَـا، بَيْنَ أَطْنَـابِ آلأَعَـادِي، ... إِلَى بَلَدٍ، مِنَ آلنُّصَّـارِ خَـالِ[٦]

١١ - نَـمُـدُّ بُيُـوتَـنَـا، فِي كُـلِّ فَـجٍّ، ... بِـهِ بَيْـنَ آلأَرَاقِـمِ وَآلـصِّـلَالِ[٧]

١٢ - وَمَنْ عَـرَفَ آلْخُـطُوبَ وَمَـارَسَتْـهُ ... أَطَـابَ آلنَّفْسَ بِآلْحَـرْبِ آلسِّجَالِ[٨]

١٣ - وَذَا آلْـوِرْدُ آلْـمُـكَـدَّرُ جَـانِـبَـاهُ ... بِـمَـا أَوْرَدْتُ مِـنْ عَـذْبٍ زُلَالِ[٩]

---

(١) النوال: العطاء.

(٢) العَذْل: اللّوم.

(٣) أقني: أقتني، أتَّخذ.

(٤) الأسل: الرماح.

(٥) سراة: أشراف. العوالي: الرماح.

(٦) الأطناب: جمع الطنب، وهو الناحية.

(٧) الفجّ: الطريق الواضح الواسع بين جبلين. الأراقم: جمع الأرقم، وهو الحيَّة الخبيثة. الصِّلال: جمع الصِّلّ، وهو الحيَّة الخبيثة أيضاً.

(٨) الخطوب: المصائب. الحرب السِّجال: هي التي تكون على أحد المتحاربين حيناً وعلى الثاني حيناً آخر.

(٩) ذا: هذا. الورد: الماء. العذب الزّلال: الماء الصافي.

١٤ - نَعَافُ قُطُونَهُ، وَنَمَلُّ مِنْهُ،   وَيَمْنَعُنَا ٱلإِبَاءُ مِنَ ٱلزِّيَالِ (١)

١٥ - مَخَافَةَ أَنْ يُقَالَ، بِكُلِّ أَرْضٍ:   «بَنُو حَمْدَانَ» كَفُّوا عَنْ قِتَالِ!

١٦ - أَ «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلْمَأْمُولَ، إِنِّي   عَنِ ٱلدُّنْيَا، إِذَا مَا عِشْتَ، سَالِ (٢)

١٧ - وَمَنْ وَرَدَ ٱلْمَهَالِكَ لَمْ تَرُعْهُ   رَزَايَا ٱلدَّهْرِ فِي أَهْلٍ وَمَالِ (٣)

١٨ - فَإِنْ يَكُ إِخْوَتِي وَرَدُوا شِبَاهاً   فَأَكْرَمُ مَوْقِفٍ، وَأَجَلُّ حَالِ

١٩ - إِذَا قُضِيَ ٱلْحِمَامُ عَلَيَّ، يَوْماً   فَفِي نَصْرِ ٱلْهُدَى بِيَدِ ٱلضَّلَالِ (٤)

٢٠ - إِذَا مَا لَمْ تَخُنْكَ يَدٌ وَقَلْبٌ   فَلَيْسَ عَلَيْكَ خَائِنَةُ ٱللَّيَالِي

٢١ - وَأَنْتَ أَشَدُّ هَذَا ٱلنَّاسِ بَأْساً،   وَأَصْبَرُهُمْ عَلَى نُوَبِ ٱلْقِتَالِ (٥)

٢٢ - وَأَهْجَمُهُمْ على جَيْشٍ كَثِيفٍ   وأَغْوَرُهُمْ على حَيٍّ حِلَالِ (٦)

٢٣ - وأَنْتَ أَرَيْتَنِي خَوْضَ ٱلْمَنَايَا   وَضَرْبِي تَحْتَ هَبْوَاتِ القِتَالِ

٢٤ - فَضَرْبِي مِنْ قِتَالِكَ لَا قِتَالِي   وَخَوْضِي مِنْ فَعَالِكَ لَا فَعَالِي (٧)

٢٥ - وَفِي إِرْضَاكَ إِغْضَابُ ٱلْعَوَالِي   وَإِكْرَاهُ ٱلْمَنَاصِلِ وَٱلنِّصَالِ (٨)

٢٦ - ضَرَبْتَ فَلَمْ تَدَعْ لِلسَّيْفِ حَدّاً   وَجُلْتَ بِحَيْثُ ضَاقَ عَنِ ٱلْمَجَالِ

٢٧ - فَقُلْتَ، وَقَدْ أَظَلَّ ٱلْمَوْتُ: صَبْراً!   وَإِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ سِوَاكَ غَالِ

٢٨ - أَلَا هَلْ مُنْكِرٌ يَا ابْنَيْ «نِزَارٍ»،   مَقَامِي، يَوْمَ ذَلِكَ، أَوْ مَقَالِي؟

٢٩ - أَلَمْ أَثْبُتْ لَهَا، وَٱلْخَيْلُ فَوْضَى،   بِحَيْثُ تَخِفُّ أَحْلَامُ ٱلرِّجَالِ؟ (٩)

٣٠ - تَرَكْتُ ذَوَابِلَ ٱلْمُرَّانِ فِيهَا   مُخَضَّبَةً، مُحَطَّمَةَ الأَعَالِي (١٠)

---

(١) نعاف: نكره. قطونه: الإقامة فيه. الزّيال: الابتعاد والهجران.

(٢) السَّالي: الناسي.

(٣) ورد: قصد. لم ترعه: لم تُخفه. رزايا الدهر: مصائبه.

(٤) الحِمام: الموت.

(٥) النُّوَب: المصائب.

(٦) أغورهم: أشدّهم غارةً.

(٧) الفَعال: الأعمال الحسنة.

(٨) العوالي: القنا. المناصل: جمع المُنْصُل، وهو السَّيف. النِّصال: جمع النَّصل، وهو شفرة السَّيف ونحوه.

(٩) أحلام الرجال: عقولها.

(١٠) ذوابل المرّان: أطراف الرماح الصَّلبة اللَّدنة.

٣١ - وَعُدْتُ أَجُرُّ رُمْحِي عَنْ مَقَامٍ، تُحَدِّثُ عَنْهُ رَبَّاتُ ٱلْحِجَالِ (١)
٣٢ - فَقَائِلَة تَقُولُ: جُزِيتَ خَيْراً لَقَدْ حَامَيْتَ عَنْ حَرَمِ ٱلْمَعَالِي! (٢)
٣٣ - وَمُهْرِي لَا يَمَسُّ الأَرْضَ، زَهْواً، كَأَنَّ تُرَابَهَا قُطْبُ ٱلنِّبَالِ (٣)
٣٤ - كَأَنَّ ٱلْخَيْلَ تَعْرِفُ مَنْ عَلَيْهَا، فَفِي بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ تُعَالِي
٣٥ - عَلَيْنَا أَنْ يُعَاوِدَ كُلَّ يَوْمٍ، رَخِيصٌ عِنْدَهُ ٱلْمُهَجُ ٱلْغَوَالِي (٤)
٣٦ - فَإِنْ عِشْنَا ذَخَرْنَاهَا لأُخرَى، وَإِنْ مُتْنَا فَمَوْتَاتُ ٱلرِّجَالِ (٥)

- ٢٧٢ -

وَقَالَ، وَقَدْ قَتَل «زَيْدَ بْن مَنِيعٍ»، سَيِّد بَنِي «كِلَابِ بْنِ جَعْفَرٍ»، وَرَجَاهُ ٱلنِّسَاءُ بِأَنْفُسِهِنَّ؛ فَأَطْلَقَ لَهُنَّ الأَمْوَالَ وَٱلأَسْرَى:

[من الطويل]

١ - إِبَاءٌ إِبَاءُ ٱلْبِكْرِ، غَيْرُ مُذَلَّلِ؛ وَعَزْمٌ كَحَدِّ ٱلسَّيْفِ، غَيْرُ مُفَلَّلِ (٦)
٢ - أَأُغْضِي عَلَى الأَمْرِ، ٱلَّذِي لَا أُرِيدُهُ، وَلَمَّا يَقُمْ بِٱلْعُذْرِ رُمْحِي وَمُنْصَلِي (٧)
٣ - أَبَى ٱللَّهُ، وَٱلْمُهْرُ ٱلْمَنِيعِيُّ، وَٱلْقَنَا، وَأَبْيَض وَقَّاعٌ عَلَى كُلِّ مَفْصِلِ، (٨)
٤ - وَفِتْيَانُ صِدْقٍ مِنْ غَطَارِيفِ «وَائِلٍ» إِذَا قِيلَ رَكْبُ ٱلْمَوْتِ قَالُوا لَهُ: ٱنْزِلِ! (٩)
٥ - يَسُوسُهُمُ بِٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ مَاجِدٌ، جَرُورٌ لأَذْيَالِ ٱلْخَمِيسِ ٱلْمُذَيَّلِ (١٠)

---

(١) ربّات الحجال: النساء.
(٢) جُزيت: كوفئْتَ.
(٣) زَهْواً: كبرياءً.
(٤) المُهَج: النفوس.
(٥) ذخرناها: جعلناها ذخيرةً، ادّخرناها.
(٦) البِكر: الفتيّ من الإبل: غير مفلَّل: غير مكسور الحدّ.
(٧) أُغضي: أغضّ النظر. المُنصُل: السَّيف.
(٨) القنا: الرماح.
(٩) الغطاريف: جمع الغطروف، وهو الشابّ الحسن الظريف.
(١٠) يسوسهم: يقودهم، يتولّى أمرهم. ماجد: ذو مجد. الخميس: الجيش المُؤلَّف من خمسة فرق.

٦ - لَهُ بَطْشُ قَاسٍ ، تَحْتَهُ قَلْبُ رَاحِمٍ ، وَمَنْعُ بَخِيلٍ ، بَعْدَهُ بَذْلُ مُفْضِلِ (١)
٧ - وَعَزْمَةُ خَرَّاجٍ مِنَ آلضَّيْمِ ، فَاتِكٍ ، وَفِيٍّ ، أَبِيٍّ ، تأخُذُ الأَمْرَ مِنْ عَلِ (٢)
٨ - عَزُوفٌ، أَنُوفٌ، لَيْسَ يَقْرَعُ سِنَّهُ، جَرِيءُ، مَتَى يَعْزِمْ عَلَى الأَمْرِ يَفْعَلِ (٣)
٩ - شَدِيدٌ عَلَى طَيِّ آلْمَنَازِلِ صَبْرُهُ، إِذَا هُوَ لَمْ يَظْفَرْ بِأَكْرَمِ مَنْزِلِ
١٠ -بِكُلِّ مُحَلَّاةِ آلسَّرَاةِ بِضَيْغَمٍ ، وَكُلِّ مُعَلَّاةِ آلرِّحَالِ بِأَحْدَلِ (٤)
١١ -لَعُوبُ بِرِجْلَيْهَا، إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ، قَرِيبَةُ حَاجِ آلْمُدْلِجِ ، آلْمُتَعَجِّلِ (٥)
١٢ -كَأَنَّ أَعَالِي رَأْسِهَا وَسَنَامِهَا مَنَارَةُ قِسِّيسٍ ، قُبَالَةَ هَيْكَلِ
١٣ -سَرَيْتُ بِهَا، مِنْ سَاحِلِ آلْبَحْرِ، أَغْتَدِي عَلَى «كَفْرِ طَابٍ»، صَوْبُهَا لَمْ يُحَوَّلِ
١٤ -وَقَدَّمْتُ نُذْرِي أَنْ يَقُولُوا: غَدَرْتَنَا! وَأَقْبَلْتُ، لَمْ أُرْهِقْ، وَلَمْ أَتَحَيَّلِ
١٥ -إِلَى عَرَبٍ، لَا تَخْتَشِي غَلْبَ غَالِبٍ، ذُؤَابَةِ حَيَّيْ «عَامِرٍ» وَ «آلْمُحَجَّلِ»
١٦ - تَوَاصَتْ بِمُرِّ آلصَّبْرِ، دُونَ حَرِيمِهَا، فَلَمَّا رَأَتْنَا أَجْفَلَتْ كُلَّ مُجْفَلِ
١٧ -فَبَيْنَ قَتِيلٍ بِآلدِّمَاءِ، مُضَرَّجٍ وَبَيْنَ أَسِيرٍ، فِي آلْحَدِيدِ مُكَبَّلِ
١٨ -وَلَمَّا أَطَعْتُ آلْجَهْلَ وَآلْغَيْظَ، سَاعَةً، دَعَوْتُ بِحِلْمِي : أَيُّهَا آلْحِلْمُ، أَقْبِلِ!
١٩ -بُنَيَّاتُ عَمِّي هُنَّ، لَيْسَ يَرَيْنَنِي: بَعِيدَ آلتَّصَافِي ، أَوْ قَلِيلَ آلتَّفَضُّلِ
٢٠ -شَفِيعُ آلنِّزَارِيَّاتِ، غَيْرُ مُخَيَّبٍ وَدَاعِي آلنِّزَارِيَّاتِ، غَيْرُ مُخَذَّلِ
٢١ -رَدَدْتُ، بِرَغْمِ آلْجَيْشِ ، مَا حَازَ كُلَّهُ؛ وَكَلَّفْتُ مَالِي غُرْمَ كُلِّ مُضَلَّلِ
٢٢ -فَأَصْبَحْتُ، فِي آلأَعْدَاءِ، أَيَّ مُمَدَّحٍ وَإِنْ كُنْتُ فِي الأَصْحَابِ، أَيَّ مُعَذَّلِ (٧)
٢٣ -مَضَى فَارِسُ آلْحَيَّيْنِ «زَيْدُ بْنُ مَنْعَةٍ»؛ وَمَنْ يَدْنُ مِنْ نَارِ آلْوَقِيعَةِ يَصْطَلِ

---

(١) المُفضل: الكريم.
(٢) الضَّيم: الذلّ، والظّلم.
(٣) عزوف: يتجنّب الأمور الدنيئة.
(٤) محلّاة: مزدانة. السَّراة: الظهر. الضَّيغم: الأسد. الأحدل: الظالم.
(٥) حاج: جمع حاجة. المُدلج: الذي سار اللّيل كلّه أو في آخره.
(٦) ذؤابة الحيّ: المتقدِّم فيه.
(٧) مُعذَّل: ملوم.

٢٤ -وقَرْمَا «بَنِي ٱلْبَنَّـا: تَمِيمِ بْنِ غَـالِبٍ» هُمامَانِ، طَعَّانَانِ فِي كُلِّ جَحْفَلِ[١]
٢٥ -ولَـوْ لَمْ تَفُتْنِي سَـوْرَةُ ٱلْحَـرْبِ فِيهِمَـا جَـرَيْتُ عَلَى رَسْمٍ مِنَ ٱلصَّفْحِ أَوَّلِ
٢٦ -وَعُدْتُ، كَرِيمَ ٱلْبَطْشِ، وَٱلْعَفْوِ، ظَافِراً، أُحـدِّثُ عَنْ يَـوْمٍ أَغَـرَّ، مُحَجَّـلِ[٢]
٢٧ -وَمَنْ كَانَ أَضْحَى بِٱلـدَّنَاءَةِ، رَاضِياً، فَـإِنِّي، عَنِ ٱلأَمْـرِ ٱلـدَّنِيءِ بِمَعْـزَلِ

- ٢٧٣ -

قَالَ، وكَتَبَ إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» مِنَ «ٱلدَّرْبِ»، وَقَدْ ٱشْتَدَّتْ عَلَيْهِ عِلَّتُهُ:

[من مجزوء الكامل]

١ - هَـلْ تَـعْـطِفَـانِ عَـلَى ٱلْعَـلِيـلِ؟ لَا بِـاَلأَسِـيـرِ، وَلَا ٱلْـقَـتِـيـلِ!
٢ - بَـاتَـتْ تُـقَـلِّبُـهُ الأَكُـ فُّ، سَحَـابَةَ ٱللَّيْـلِ ٱلـطَّوِيـلِ
٣ - يَـرْعَـى ٱلـنُّجُـومَ ٱلـسَّـائِـرَا تِ مِـنَ ٱلـطُّلُوعِ إِلَـى ٱلأُفُـولِ[٣]
٤ - فَـقَـدَ ٱلـضُّـيُـوفُ مَـكَـانَـهُ، وَبَـكَـاهُ أَبْـنَـاءُ ٱلـسَّـبِـيـلِ[٤]
٥ - وَٱسْـتَـوْحَـشَـتْ لِـفِـرَاقِـهِ، يَـوْمَ ٱلْـوَغَى، سِـرْبُ ٱلْخُيُـولِ[٥]
٦ - وَتَـعَـطَّلَتْ سُـمْـرُ ٱلـرِّمَـا حِ، وَأُغْمِـدَتْ بِيضُ ٱلـنُّصُـولِ[٦]
٧ - يَـا فَـارِجَ ٱلْـكَـرْبِ ٱلْـعَـظِيـ مِ، وَكَـاشِفَ ٱلْخَـطْبِ ٱلْجَلِيـلِ[٧]
٨ - كُـنْ، يَـا قَـوِيُّ، لِـذَا ٱلـضَّـعِيـ فِ، وَيَـا عَزِيزُ، لِـذَا ٱلـذَّلِيـلِ![٨]

---

(١) القرْم: السَّيِّد الشَّريف. الهمام: القويّ الشجاع. يشير إلى بعض من قُتل في المعركة.
(٢) أغرّ: مشهور، وكذلك مُحجَّل.
(٣) كناية عن أرقه.
(٤) أبناء السَّبيل: السَّائرون في الطرق.
(٥) الوغى: الحرب.
(٦) بيض النّصول: السُّيوف اللامعة.
(٧) الكرب العظيم، والخطب الجليل: المصيبة الكبرى. والمعنى: يا مخفِّف الأحزان، والمساعِد في الملمَّات.
(٨) ذا: هذا. والمعنى: كنْ خيرَ مساعد لي.

٩ - قَـرَّبْـهُ مِـنْ «سَيْـفِ آلْـهُـدَى»، فِـي ظِـلِّ دَوْلَـتِـهِ آلـظَّلِيـلِ !(١)
١٠ - أَوَمَـا كَـشَـفْـتَ عَـن «آبْـنِ دَا وُدٍ» ثَـقِـيـلاتِ آلْـكُـبُـولِ ؟!(٢)
١١ - لَـمْ أُرْوَ مِـنْـهُ وَلا شَـفَـيْـتُ بِـطُولِ خِـدْمَـتِـهِ، غَـلِيـلِي
١٢ - أَلـلَّـهُ يَـعْـلَـمُ: أَنَّـهُ أَمَـلِي مِـنَ آلـدُّنْـيَـا وَسُـولِي(٣)
١٣ - وَلَئِـنْ حَـنَـنْـتُ إِلَـى ذُرَا هُ لَـقَـدْ حَـنَـنْـتُ إِلَـى وُصُـولِ
١٤ - لا بِـآلْـغَـضُـوبِ، وَلا آلْـكَـذُو بِ، وَلا آلْـقَـطُوبِ، وَلا آلْـمَـلُولِ
١٥ - يَـا عُـدَّتِـي فِـي آلـنَّـائِـبَـا تِ، وَظُلَّتِي عِـنْـدَ آلْـمَـقِيـلِ !(٤)
١٦ - أَيْـنَ آلْـمَـحَـبَّـةُ، وَآلـذِّمَـا مُ وَمَـا وَعَـدْتَ مِنَ آلْجَمِيـلِ ؟!(٥)
١٧ - أَجْـمِـلْ عَـلَى آلـنَّفْسِ آلْـكَـرِيـمَـةِ فِـيَّ، وَآلْـقَـلْـبِ آلْـحَـمُـولِ !
١٨ - أَمَّـا آلْـمُـحِـبُّ فَـلَـيْسَ يُـصْـغِـي فِـي هَـوَاهُ إِلَـى عَـذُولِ(٦)
١٩ - يَـمْـضِـي بِـحَـالِ وَفَـائِـهِ، وَيَـصُـدُّ عَـنْ قَـالٍ وَقِـيـلِ !

- ٢٧٤ -

وَقَالَ:

[من الرجز]

١ - أَرَوِّحُ آلْـقَـلْـبَ بِـبَـعْضِ آلْـهَـزْلِ، تَـجَـاهُـلاً مِنِّي، بِغَيْـرِ جَـهْـلِ !
٢ - أَمْـزَحُ فِيـهِ، مَزْحَ أَهْـلِ آلْفَضْـلِ، وَآلْمَـزْحُ، أَحْيَانـاً، جَـلاءُ آلْعَقْـلِ(٧)

---

(١) سيف الهدى: سيف الدولة.
(٢) ابن داود: أحد الرجال الذين افتداهم سيف الدولة. الكبول: القيود.
(٣) سولي: سُؤْلي، حاجتي.
(٤) النائبات: المصائب. المقيل: النوم أو الاستراحة في الظهيرة. والمعنى: يا معيني في شدَّتي.
(٥) الذِّمام: العهد، والأمان، والحرمة.
(٦) العذول: اللائم.
(٧) جلاء العقل: كشفه وتوضيحه.

- ٢٧٥ -

وَقَالَ:

[من المنسرح]

١ - مَا لِنُجُومِ ٱلسَّمَاءِ حَائِرَةً! أَحَالُهَا، فِي بُرُوجِهَا، حَالِي؟
٢ - أَبِيتُ حَتَّى ٱلصَّبَاحِ أَرْقُبُهَا مُهْتَدِيَاتٍ، فِي حَالِ ضُلَّالِ
٣ - أَمَا تَرَاهَا، عَلَيَّ، عَاطِفَةً تَكَادُ، مِنْ رِقَّةٍ، تُبَكَّى لِي؟!

- ٢٧٦ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - قُلْ لأَحْبَابِنَا ٱلْجُفَاةِ: رُوَيْداً! دَرِّجُونَا عَلَى ٱحْتِمَالِ ٱلْمَلَالِ!(١)
٢ - إِنَّ ذَاكَ ٱلصُّدُودَ، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ لَمْ يَدَعْ فِيَّ مَطْمَعاً بِٱلْوِصَالِ(٢)
٣ - أَحْسِنُوا فِي فِعَالِكُمْ أَوْ أَسِيئُوا! لَا عَدِمْنَاكُمْ عَلَى كُلِّ حَالِ!

- ٢٧٧ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - وَبَاخِلَةٍ، أَنَالَتْنِي قَلِيلًا؛ وَقَدْ يُرْضِي ٱلْقَلِيلُ مِنَ ٱلْبَخِيلِ!
٢ - قَنِعْتُ بِهِ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي عَزُوفُ ٱلنَّفْسِ عَنْ نَيْلٍ قَلِيلِ،
٣ - وَلَكِنِّي وَجَدْتُ ٱلْحُبَّ يَكْسُو عَزِيزَ ٱلْقَوْمِ أَثْوَابَ ٱلذَّلِيلِ

---

(١) الملال: الملل.

(٢) الصُّدود: الإعراض والجفاء. الوصال: القرب والمحبَّة.

- ٢٧٨ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - قَاتِلِي شَادِنٌ، بَدِيعُ ٱلْجَمَالِ، أَعْجَمِيُّ ٱلْهَوَى، فَصِيحُ ٱلدَّلَالِ[١]
٢ - سَلَّ سَيْفَ ٱلْهَوَى عَلَيَّ وَنَادَى: «يَا لَثَأْرِ الأَعْمَامِ وَٱلأَخْوَالِ!»
٣ - كَيْفَ أَرْجُو مِمَّنْ يَرَى ٱلثَّأْرَ عِنْدِي خُلُقاً مِنْ تَعَطُّفٍ وَوِصَالِ؟
٤ - بَعْدَمَا كَرَّتِ ٱلسِّنُونَ، وَحَالَتْ دُونَ «ذِي قَارٍ» ٱلدُّهُورُ ٱلْخَوَالِي[٢]
٥ - مَا دَرَتْ أُسْرَتِي بِـ «ذِي قَارَ» أَنِّي بَعْضُ مَنْ جَنْدَلُوا مِنَ الأَبْطَالِ![٣]
٦ - أَيُّهَا ٱلْمُلْزِمِي جَرَائِرَ قَوْمِي، بَعْدَمَا قَدْ مَضَتْ عَلَيْهَا ٱللَّيَالِي![٤]
٧ - لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ ٱللَّهُ، وَإِنِّي لِحَرِّهَا، ٱلْيَوم، صَالِ![٥]

- ٢٧٩ -

وَقَالَ، أَيْضاً، يَرْثِيهِ [أي يرثي جابر بن ناصر الدولة] وَقَدْ تُوُفِّيَ «بِٱلرَّحْبَةِ»:

[من الكامل]

١ - ٱلْفِكْرُ فِيكَ مُقَصِّرُ الآمَالِ، وَٱلْحِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ ٱلْجُهَّالِ
٢ - لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِٱلْفَضَائِلِ فَاضِلٌ وُصِلَتْ لَكَ ٱلآجَالُ بِٱلآجَالِ!
٣ - أَوْ كُنْتَ تُفْدَى لافْتَدَتْكَ سَرَاتُنَا بِنَفَائِسِ الأَرْوَاحِ وَٱلأَمْوَالِ[٦]

---

(١) الشادن: ولد الغزالة، والمقصود المحبوب.

(٢) ذو قار: اسم معركة شهيرة في التاريخ العربيّ انتصر فيها العرب على الفرس. الدهور الخوالي: الأزمنة الغابرة.

(٣) جندلوا: قتلوا.

(٤) جرائر: ذنوب، وجنايات.

(٥) الصالي: المصطلي.

(٦) سراة القوم: أشرافهم.

٤ ـ أَوْ كَانَ يُدْفَعُ عَنْكَ بَأْسٌ أَقْبَلَتْ، سَرْعَى، تُكَدَّسُ بِٱلْقَنَا ٱلْعَسَّالِ[(١)]
٥ ـ أَعْزِزْ، عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ، أَنْ تَرَى فَوْقَ ٱلْفِرَاشِ، مُقَلَّبَ ٱلأَوْصَالِ
٦ ـ وَٱلسُّمْرُ عِنْدَكَ لَمْ تُدَقَّ صُدُورُهَا، وَٱلْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى ٱلأَطْوَالِ[(٢)]
٧ ـ وَٱلسَّابِغَاتُ مَصُونَةٌ، لَمْ تُبْتَذَلْ، وَٱلْبِيضُ سَالِمَةٌ مَعَ ٱلأَبْطَالِ[(٣)]
٨ ـ وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَثْنِهَا حِرْصُ ٱلْحَرِيصِ، وَحِيلَةُ ٱلْمُحْتَالِ[(٤)]
٩ ـ مَا لِلْخُطُوبِ؟ وَمَا لأَحْدَاثِ ٱلنَّوَى أَعْجَلْنَ «جَابِرَ» غَايَةَ ٱلإِعْجَالِ؟
١٠ ـ وَفَجَعْنَ بِٱلدُّرِّ ٱلثَّمِينِ، ٱلْمُنْتَقَى، وَفَتَكْنَ بِٱلْعِلْقِ ٱلنَّفِيسِ، ٱلْغَالِي
١١ ـ لَمَّا تَسَرْبَلَ بِٱلْفَضَائِلِ، وَٱرْتَدَى بُرْدَ ٱلْعُلاَ، وَٱعْتَمَّ بِٱلإِقْبَالِ[(٥)]
١٢ ـ وَتَشَاهَدَتْ صِيدُ ٱلْمُلُوكِ بِفَضْلِهِ، وَأَرَى ٱلْمَكَارِمَ، مِنْ مَكَانٍ عَالِ[(٦)]
١٣ ـ أَ «أَبَا ٱلْمُرَجَّى»! غَيْرُ حُزْنِي دَارِسٌ، أَبَداً عَلَيْكَ، وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ[(٧)]
١٤ ـ وَلَئِنْ هَلَكْتَ فَمَا ٱلْوَفَاءُ بِهَالِكٍ، وَلَئِنْ بَلِيتَ فَمَا ٱلْوِدَادُ بِبَالِ
١٥ ـ لاَ زِلْتَ مَغْدُوَّ ٱلثَّرَى، مَطْرُوقَهُ، بِسَحَابَةٍ مَجْرُورَةِ ٱلأَذْيَالِ[(٨)]
١٦ ـ وَحُجِبْنَ عَنْكَ ٱلسَّيِّئَاتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ ٱلأَعْمَالِ!

ـ ٢٨٠ ـ

وَقَالَ، أَيْضاً، وَقَدْ ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ، مِنْهُمْ «كَثِيرُ بْنُ عَوْسَجَةَ»

---

(١) القنا: الرماح. العسّال: الشّديدة الاهتزاز. كناية عن صلابتها وجودتها.
(٢) السُّمْر: السُّيوف. الأطوال: جمع الطول، وهو الحبل. والمعنى أنَّ الخيول موثَّقة بالحبال.
(٣) السَّابغات: جمع السَّابغة. بمعنى الطويلة. والمقصود الدروع. البِيض: السُّيوف.
(٤) المنيَّة: الموت.
(٥) تسربل: ارتدى. اعتمَّ: لبس العمامة.
(٦) الصِّيد: جمع الأَصْيد، وهو الذي يرفع رأسه تكبُّراً.
(٧) دارس: ممحيّ. السَّالي: الناسي.
(٨) مغدوّ الثّرى: مسْقى بغادية، وهي مطرة الغداة. مجرورة الأذيال. كبيرة. يدعو له بسقيا القبر، وهي عادة جاهليَّة.

وَ «جُمْهانَ بْنُ عَرْفَجَةَ» وَغَيْرُهُمَا فَقَاتَلَهُمْ وَقَتَلَهُمْ، فَقَالَ:

[من الوافر]

١ - سَلِي عَنَّا سَرَاةَ «بَنِي كِلَابٍ» ... بِـ «بَالِسَ» عِنْدَ مُشْتَجَرِ ٱلْعَوَالِي!(١)

٢ - لَقِينَاهُمْ بِأَسْيَافٍ قِصَارٍ، ... كَفَيْنَ مُؤُونَةَ ٱلْأَسَلِ ٱلطِّوَالِ(٢)

٣ - وَوَلَّى بِـ «ٱبْنِ عَوْسَجَةٍ كَثِيرٍ» ... وَسَاعُ ٱلْخَطْوِ فِي ضَنْكِ ٱلْمَجَالِ(٣)

٤ - يَرَى «ٱلْبَرْغُوثَ»، إِذْ نَجَّاهُ مِنَّا، ... أَجَلَّ عَقِيلَةٍ، وَأَحَبَّ مَالِ(٤)

٥ - تَدُورُ بِهِ إِمَاءٌ مِنْ «قُرَيْظٍ»؛ ... وَتَسْأَلُهُ ٱلنِّسَاءُ عَنِ ٱلرِّجَالِ!

٦ - يَقُلْنَ لَهُ: ٱلسَّلَامَةُ خَيْرُ غُنْمٍ! ... وَإِنَّ ٱلذُّلَّ فِي ذَاكَ ٱلْمَقَالِ

٧ - وَ «جُمْهَانٌ» تَجَافَتْ عَنْهُ بِيضٌ، ... عَدَلْنَ عَنِ ٱلصَّرِيحِ إِلَى ٱلْمَوَالِي(٥)

٨ - وَعَادُوا، سَامِعِينَ لَنَا، فَعُدْنَا ... إِلَى ٱلْمَعْهُودِ مِنْ شَرَفِ ٱلْفِعَالِ

٩ - وَنَحْنُ مَتَى رَضِينَا بَعْدَ سُخْطٍ ... أَسَوْنَا مَا جَرَحْنَا بِٱلنَّوَالِ(٦)

- ٢٨١ -

وَقَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: «أَهْدَى ٱلنَّاسُ إِلَى ٱلأَمِيرِ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»، فِي بَعْضِ ٱلأَعْيَادِ، فَأَكْثَرُوا؛ فَٱسْتَشَارَ «أَبُو فِرَاس» فِيمَا يُهْدِي إِلَيْهِ، فَكُلٌّ أَشَارَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ؛ فَخَالَفَهُمْ وَكَتَبَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - نَفْسِي فِدَاؤُكَ - قَدْ بَعَثْـ ... ـتُ بِعُهْدَتِي بِيَدِ ٱلرَّسُولِ

---

(١) سراة: أشراف. العوالي: الرماح. مشتجر العوالي: القتال.

(٢) الأسل: الرماح.

(٣) كثير: أحد زعماء العرب المعادين لأبي فراس. وساع الخطْو: وصف للخيول. الضَّنْك: الضَّيق.

(٤) البرغوث: اسم فرس.

(٥) جُمْهَان: هو جمهان بن عرفجة أحد الزعماء المعادين لسيف الدولة.

(٦) السُّخط: الغضب. أَسَوْنا: داوينا.

٢ ـ أَهْـديـتُ نَـفْـسِـي؛ إِنَّـمَـا يُهْـدَى ٱلْجَـلِيـلُ إِلَى ٱلْـجَلِيـلِ(١)
٣ ـ وَجَـعَـلْتُ مَـا مَـلَكَـتْ يَـدِي، بُـشْـرَى ٱلْـمُـبَـشِّـرِ بِـاْلْـقَـبُـولِ
٤ ـ لَـمَّـا رَأَيْـتُـكَ فِـي الأَنَـا مِ بِـلاَ مَـثِـيـلٍ أَوْ عَـدِيـلِ!(٢)

- ٢٨٢ -

وَقَالَ:

[من الهزج]

١ ـ غِـنَـى ٱلـنَّـفْسِ، لِـمَـنْ يَـعْـقِـلُ، خَـيْـرٌ مِـنْ غِـنَـى ٱلْـمَـالِ!
٢ ـ وَفَـضْـلُ ٱلـنَّـاسِ، فِـي الأَنْـفُـسِ، لَيْسَ ٱلْفَضْـلُ فِي ٱلْـحَـالِ!

- ٢٨٣ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ ـ وَأَنَـا ٱلَّـذِي فَضَـلَ ٱلأَنَـامَ فَـأَصْبَحُـوا طَـوْعـاً لَـهُ، قَسْـراً بِستِّ فَضَـائِـلِ؛
٢ ـ بِصَـوَاهِـلٍ، وَعَـوَامِـلٍ، وَقَبَـائِـلٍ، وَمَكَـارِمٍ، وَذَوَابِـلٍ، وَمَنَـاصِـلِ!(٣)

- ٢٨٤ -

وَقَالَ، وَقَدْ وَافَى عَسْكَرَ «نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ»، وَفِيهِ إِخْوَتُهُ، وَبَنُو أَخِيهِ، وَقَدْ طَالَ عَهْدُهُ

---

(١) الجليل: العظيم.
(٢) الأنام: الناس. العديل: المُوازي.
(٣) الصواهل: الخيول. العوامل: جمع العاملة، وهي من الرمح أعلاه مِمّا يلي السِّنان بقليل. الذوابل: الرماح. المناصل: السيوف.

بِلِقَائِهِمْ، لأَنَّهُ كَانَ خَلَّفَهُمْ صِبْيَةً، فَعَرَفَهُمْ بالشَّبَهِ:

[من الطويل]

١ - يَلُوحُ بِسِيمَاهُ ٱلْفَتَى مِنْ بَنِي أَبِي؛ وَتَعْرِفُهُ مِنْ غَيْرِهِ بِٱلشَّمَائِلِ(١)
٢ - مُفَدًّى، مُرَدًّى؛ يَكْثُرُ ٱلنَّاسُ حَوْلَهُ طَوِيلُ نِجَادِ ٱلسَّيْفِ،سَبْطُ الأَنَامِلِ(٢)

- ٢٨٥ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - بِأَطْرَافِ ٱلْمُثَقَّفَةِ ٱلطِّوَالِ تَفَرَّدْنَا بِأَوْسَاطِ ٱلْمَعَالِي(٣)
٢ - وَمَا تَحْلُو مَجَانِي ٱلْعِزِّ، يَوْماً، إِذَا لَمْ تَجْنِهَا سُمْرُ ٱلْعَوَالِي
٣ - وَنَلْقَى، دُونَهَا شُعْثَ ٱلْمَنَايَا بِمُرِّ ٱلطَّعْنِ، فِي مُرِّ ٱلْمَجَالِ
٤ - كَذَا دَأْبِي، وَدَأْبُ سَرَاةِ قَوْمِي، عَلَى ٱلْعِلاَّتِ، فِي شَرَفِ ٱلْفَعَالِ(٤)

- ٢٨٦ -

وَقَالَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى - يذكر إيقاعه ببني كلاب، وصفحه عن الحرم:

[من الوافر]

١ - أَلاَ لِلَّهِ، يَوْمُ ٱلدَّارِ، يَوْماً بَعِيدَ ٱلذِّكْرِ، مَحْمُودَ ٱلْمَآلِ!(٥)
٢ - تَرَكْتُ بِهِ نِسَاءَ «بَنِي كِلاَبٍ»، فَوَارِكَ، مَا يُرِغْنَ إِلَى ٱلرِّجَالِ(٦)

---

(١) يلوح: يظهر. سيماه: صفته. الشّمائل: الصّفات الحسنة.
(٢) طويل نجاد السَّيف: كناية عن فروسيَّته، وعلوّ شأنه. سبط الأنامل: كريم.
(٣) المثقّفة هنا: الرماح.
(٤) دأبي: غايتي. سراة قومي: أشرافهم.
(٥) المآل: النتيجة.
(٦) فوارك: جمع فارك، وهي المرأة التي تبغض بعلها. يُرِغْن: يَسْعَيْن.

٣ ـ تَرَكْنَا الشَّيْخَ، شَيْخَ «بَنِي قُرَيْظٍ» ... بِبَطْنِ ٱلْقَاعِ، مَمْنُوعَ ٱلذِّمَالِ
٤ ـ مُقَاطِعَةُ أَحِبَّتُهُ، وَلَكِنْ ... يَبِيتُ مِنَ ٱلْخَوَامِعِ فِي وِصَالِ (١)
٥ ـ تَخِفُّ إِذَا تَطَارَدْنَا «كِلَابٌ»؛ ... فَكَيْفَ بِهَا إِذَا قُلْنَا نَزَالِ! (٢)
٦ ـ تَرَكْنَاهَا، وَلَمْ يُتْرَكْنَ إِلَّا ... لِأَبْنَاءِ ٱلْعُمُومَةِ، وَٱلْخَوَالِي!
٧ ـ فَلَمْ يَنْهَضْنَ عَنْ تِلْكَ ٱلْحَشَايَا؛ ... وَلَمْ يَبْرُزْنَ مِنْ تِلْكَ ٱلْحِجَالِ

- ٢٨٧ -

وَقَالَ ـ تَغَمَّدَهُ ٱللَّهُ بِرَحْمَتِهِ:

[من الطويل]

١ ـ إِذَا كَانَ فَضْلِي لَا أُسَوِّغُ نَفْعَهُ ... فَأَفْضَلُ عِنْدِي أَنْ أُرَى غَيْرَ فَاضِلِ!
٢ ـ وَمِنْ أَضْيَعِ ٱلْأَشْيَاءِ مُهْجَةُ عَاقِلٍ، ... يَجُوزُ عَلَى حَوْبَائِهَا حُكْمُ جَاهِلِ! (٣)

- ٢٨٨ -

وَقَالَ:

[من المتقارب]

١ ـ هَوَاكَ هَوَايَ، عَلَى كُلِّ حَالِ ... وَإِنْ مَسَّنِي فِيكَ بَعْضُ ٱلْمَلَالِ (٤)
٢ ـ وَإِنِّي لَأَرْضَى بِمَا تَرْتَضِيهِ، ... رِضَاءَ ٱلْعَبِيدِ بِحُكْمِ ٱلْمَوَالِي (٥)
٣ ـ وَكَمْ لَكَ عِنْدِيَ مِنْ غَدْرَةٍ، ... وَقَوْلٍ، تُكَذِّبُهُ بِٱلْفِعَالِ!
٤ ـ وَوَعْدٍ يُعَذَّبُ فِيهِ ٱلْكَرِيمُ ... إِمَّا بِخُلْفٍ، وَإِمَّا مِطَالِ (٦)

---

(١) الخوامع: جمع الخامعة، وهي الضَّبُع، سمِّيت بذلك لأنّها تخمع، أي تعرج، في مشيتها.
(٢) نزالِ: اسم فعل أمر، بمعنى: نازلينا.
(٣) الحوباء: النفس.
(٤) الملال: الملَل، السَّأم.
(٥) الموالي: الأسياد.
(٦) الخُلْف: عدم الوفاء بالوعد. والمِطال: التسويف به.

٥ - صَبَرْنَا لِسُخْطِكَ، صَبْرَ ٱلْكِرَامِ، فَهَذَا رِضَاكَ، فَهَلْ مِنْ نَوَالِ؟[١]
٦ - وَذُقْنَا مَرَارَةَ كَأْسِ ٱلصُّدُودِ فَأَيْنَ حَلَاوَةُ كَأْسِ ٱلْوِصَالِ؟[٢]

- ٢٨٩ -

وَقَالَ، وَقَد سَمِعَ حَمَامَةً، تَنُوحُ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ، وَهُوَ فِي الأَسْرِ:

[من الطويل]

١ - أَقُولُ، وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ: أَيَا جَارَتَا، هَلْ بَاتَ حَالُكَ حَالِي؟[٣]
٢ - مَعَاذَ ٱلْهَوَى! مَا ذُقْتِ طَارِقَةَ ٱلنَّوَى، وَلَا خَطَرَتْ مِنْكِ ٱلْهُمُومُ بِبَالِ![٤]
٣ - أَتَحْمِلُ مَحْزُونَ ٱلْفُؤَادِ قَوَادِمٌ عَلَى غُصُنٍ نَائِي ٱلْمَسَافَةِ عَالِ؟[٥]
٤ - أَيَا جَارَتَا، مَا أَنْصَفَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا! تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ ٱلْهُمُومَ، تَعَالِي!
٥ - تَعَالَيْ تَرَيْ رُوحاً لَدَيَّ ضَعِيفَةً، تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذَّبُ بَالِ![٦]
٦ - أَيَضْحَكُ مَأْسُورٌ، وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ، وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ، وَيَنْدُبُ سَالِ؟[٧]
٧ - لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكِ بِٱلدَّمْعِ مُقْلَةً؛ وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي ٱلْحَوَادِثِ غَالِ![٨]

- ٢٩٠ -

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: قَالَ أَبُو فِرَاسٍ: (لَمَّا حَصَلْتُ بِـ «ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ» أَكْرَمَنِي مَلِكُ

---

(١) السُّخط: الغضب. نوال: عطاء.
(٢) الصُّدود: الإعراض والجفاء.
(٣) المشهور في هذا البيت: «أيا جارتا هل تشعرين بحالي».
(٤) معاذ الهوى: أعصِم الهوى منكِ. النَّوى: الفراق.
(٥) القوادم: كبار الرِّيش في جناح الطائر، واحدتها قادمة. النائي: البعيد.
(٦) تردَّد: تتردّد. البالي: الذي يكاد يفنى.
(٧) السّالي: الذي تطيب نفسه بعد الفراق.
(٨) أَوْلى: أحقّ. العين. الحوادث: المصائب.

آلرُّوم إِكْرَاماً لَمْ يُكْرِمْهُ أَسِيراً، قَبْلِي؛ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ رُسُومِهِمْ: أَنْ لَا يَرْكَبَ أَسِيرٌ، فِي مَدِينَةِ مَلِكِهِمْ، دَابَّةً قَبْلَ لِقَاءِ آلْمَلِكِ؛ وَأَنْ يَمْشِيَ فِي مَلْعَبٍ لَهُمْ، يُعْرَفُ بِـ «آلْبَطُومِ»، مَكْشُوفَ آلرَّأْسِ؛ وَيَسْجُدَ فِيهِ ثَلاثَ سَجَدَاتٍ أَوْ نَحْوَهَا؛ وَيَدُوسُ آلْمَلِكُ رَقَبَتَهُ، فِي مَجْمَعٍ لَهُمْ، يُعْرَفُ بِـ «آلنُّورِي». فَأَعْفَانِي مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ؛ وَنَقَلَنِي لِوَقْتِي إِلَى دَارٍ، وَجَعَلَ لِي «بَرْطَسَاناً» يَخْدُمُنِي، وَأَمَرَ بِإِكْرَامِي؛ وَنَقَلَ إِلَيَّ مَنْ أَرَدْتُهُ مِنْ أُسَارَى آلْمُسْلِمِينَ، وَبَذَلَ لِي آلْمُفَادَاةَ مُفْرَداً. وَأَبَيْتُ، بَعْدَ مَا وَهَبَهُ آللَّهُ لِي مِنَ آلْعَافِيَةِ، وَرَزَقَنِيهِ مِنَ آلْكَرَامَةِ وَآلْجَاهِ، أَنْ أَخْتَارَ نَفْسِي عَلَى آلْمُسْلِمِينَ، وَشَرَعْتُ مَعَ مَلِكِ آلرُّومِ بِآلْفِدَاءِ. وَلَمْ يَكُنْ الأَمِيرُ «سَيْفُ آلدَّوْلَةِ» يَسْتَبْقِي أُسَارَى آلرُّومِ فَكَانَ فِي أَيْدِيهِمْ فَضْلُ ثَلاثَةِ آلافِ أَسِيرٍ، مِمَّنْ أُخِذَ مِنَ آلأَعْمَالِ وَآلدَّسَاكِرِ فَآبْتَعْتُهُمْ بِمِائَتَي أَلْفِ دِينَارٍ رُومِيَّةٍ عَلَى أَنْ يُوقَّعَ آلْفِدَاءُ، وَتُشْتَرَى هَذِهِ آلْفَضِيلَةُ، وَضَمِنْتُ آلْمَالَ وَآلْمُسْلِمِينَ، وَخَرَجْتُ بِهِمْ مِنَ «آلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ»؛ وَتَقَدَّمْتُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى «خَرْشَنَةَ» وَلَمْ يُعْقَدْ قَبْلَهَا قَطُّ فِدَاءٌ، مَعَ أَسِيرٍ وَلا هُدْنَةٌ، فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ شِعْراً):

[من الطويل]

١ ـ وَلِلَّهِ عِنْدِي فِي الإِسَارِ وَغَيْرِهِ ... مَوَاهِبُ، لَمْ يُخْصَصْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي!

٢ ـ حَلَلْتُ عُقُوداً، أَعْجَزَ آلنَّاسَ حَلُّهَا، ... وَمَا زَالَ عَقْدِي لَا يُذَمُّ وَلَا حَلِّي

٣ ـ إِذَا عَايَنَتْنِي آلرُّومُ كَفَّرَ صِيدُهَا، ... كَأَنَّهُمُ أَسْرَى لَدَيَّ وَفِي كَبْلِي[1]

٤ ـ وَأُوسِعُ، أَيَّاماً حَلَلْتُ، كَرَامَةً، ... كَأَنِّيَ مِنْ أَهْلِي نُقِلْتُ إِلَى أَهْلِي

٥ ـ فَقُلْ لِبَنِي عَمِّي، وَأَبْلِغْ بَنِي أَبِي: ... بِأَنِّيَ فِي نَعْمَاءَ يَشْكُرُهَا مِثْلِي

٦ ـ وَمَا شَاءَ رَبِّي غَيْرَ نَشْرِ مَحَاسِنِي ... وَأَنْ يَعْرِفُوا مَا قَدْ عَرَفْتُ مِنَ آلْفَضْلِ

(١) كَفَّر له: طأطأ له رأسه، ووضع يده أو يديه على صدره خضوعاً له وتعظيماً. صيدها: أبطالها. شجعانها: الكَبْل: أعظم ما يكون من القيود.

قافية الميم

- ٢٩١ -

وَكَتَبَ «أَبُو فِرَاسٍ» إِلَى «أَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بْنِ وَرْقَاءَ»، وَجَعَلَهُ حَكَماً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِّهِ «أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ آللَّهِ بْنِ وَرْقَاءَ»:

[من مجزوء الكامل]

١ - إِنَّـا، إِذَا آشْتَـدَّ آلـزَّمَـا ... نُ، وَنَـابَ خَـطْبٌ وَآدْلَـهَـمّْ(١)
٢ - أَلْـفَـيْـتَ، حَـوْلَ بُـيُـوتِـنَـا، ... عُـدَدَ آلشَّـجَـاعَـةِ، وَآلْـكَـرَمْ!(٢)
٣ - لِـلِقَـا آلْـعِـدَا بِـيضُ آلـسُّـيُـو ... فِ، وَلِـلنَّـدَى حُـمْـرُ آلـنَّـعَـمْ(٣)
٤ - هَـذَا وَهَـذَا دَأْبُـنَـا، ... يُـوْدَى دَمٌ، وَيُـرَاقُ دَمْ(٤)

(١) ناب خطب: حلّت مصيبة. ادلهمّ: اشتدّ.
(٢) ألفيتَ: وجدتَ.
(٣) حمر النَّعم: النِّياق الأصيلات.
(٤) يودى دم: تدفع ديته، وهي ثمن دم القتيل. يُراق: يُسْفك.

٥ - قُـلْ لِـ «آبْـنِ وَرْقَـا جَـعْـفَـرٍ»، حَـتَّـى يَـقُـولَ بِـمَـا عَـلِـمْ:
٦ - «إِنِّـي، وَإِنْ شَطَّ آلْـمَـزَا رُ، وَلَـمْ تَـكُـنْ دَارِي أَمَـمْ»[1]
٧ - «أَصْـبُـو إِلَـى تِـلْكَ آلْـخِـلاَ لِ، وَأَصْـطَفِـي تِـلْكَ آلـشِّـيَـمْ»
٨ - «وَأَلُـومُ عَـادِيَـةَ آلْـفِـرَا قِ، وَبَـيْـنَ أَحْـشَـائِـي أَلَـمْ!»
٩ - «وَلَـعَـلَّ دَهْـراً يَـنْـثَـنِي، وَلَـعَـلَّ شَـعْـبـاً يَـلْـتَئِـمْ!»
١٠ -«هَـلْ أَنْـتَ، يَـوْمـاً، مُـنْـصِفِـي مِنْ ظُـلْـمِ عَـمِّـكَ؟ يَـا ابْـنَ عَـمّْ!
١١ -«أَبْـلِـغْـهُ عَـنِّـي مَـا أَقُـو لُ، فَـأَنْـتَ مَـنْ لاَ يُـتَّـهَـمْ!»
١٢ -«أَنِّـي رَضِـيـتُ، وَإِنْ كَـرِهْـ ـتَ، «أَبَـا مُـحَـمَّـدٍ» آلْـحَـكَـمْ»

- ٢٩٢ -

وَقَالَ يُهَنِّىءُ «سَيْفَ آلدَّوْلَةِ» بِآبْنِهِ «أَبِي آلْكَاتِبِ» - رَحِمَهُمَا آللَّهُ تَعَالَى:

[من مجزوء الكامل]

١ - يَـهْـنِـي «آلأَمِـيـرَ» بِـشَـارَةٌ، قَـرَّتْ بِـهَـا عَـيْـنُ آلْـمَـكَـارِمْ[2]
٢ - أَعْـلَى آلْـوَرَى، شَـرَفـاً، وَمَـنْ قَـدْ بَـشَّـرُوهُ بِـخَـيْـرِ قَـادِمْ[3]
٣ - إِنِّـي، وَإِنْ كُـنْـتُ آلْـمُـشَـا رِكَ فِـي آلأُبُـوَّةِ، وَآلْـمُـسَـاهِـمْ،
٤ - لأَقُـولُ قَـوْلاً لاَ يُـرَدُّ؛ وَلاَ يُـرَى لِـي فِـيـهِ لاَئِـمْ:
٥ - لِـ «أَبِـي آلْمَعَـالِي»، فِـي آلْعُـلاَ، وَ «أَبِي آلْمَكَـارِمِ» فِي آلْمَكَـارِمْ،
٦ - بَـيْـتٌ، رَفِـيـعٌ سَـمْـكُـهُ، عَـالِي آلذُّرَى، ثَبْتُ آلـدَّعَـائِمْ[4]

---

(١) شطّ المزار: بعد المكان. أمم: مقصودة.
(٢) قرَّتْ: اطمأنَّتْ.
(٣) الورى: الناس.
(٤) السَّمْك: السَّقْف. وقوله: «رفيع السَّمْك» كناية عن شرفه وسؤدده في قومه.

- ٢٩٣ -

وَقَالَ، فِي «أَبِي ٱلْمَكَارِمِ» وَ «أَبِي ٱلْمَعَالِي» ٱبْنَيْ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» مِنْ أُخْتِ «أَبِي فِرَاسٍ»:

[من الكامل]

١ - إِبْنَانِ، أَمْ شِبْلَانِ ذَانِ؟ فَإِنَّنِي ... لَأَرَى دِمَاءَ ٱلدَّارِعِينَ غِذَاهُمَا[١]

٢ - تُنْبِي ٱلْفِرَاسَةُ: أَنَّ فِي ثَوْبَيْهِمَا ... لَيْثَيْنِ، تَجْتَنِبُ ٱللُّيُوثُ حِمَاهُمَا[٢]

٣ - لِمَ لَا يَفُوقَانِ ٱلْأَنَامَ، مَكَارِماً! ... وَٱلسَّيِّدَانِ، كِلَاهُمَا، جِدَّاهُمَا[٣]

٤ - تَلْقَى «أَبَا ٱلْهَيْجَاءِ» فِي هَيْجَاهُمَا، ... وَيُرِيكَ فَضْلَ «أَبِي ٱلْعَلَاءِ» عُلَاهُمَا

٥ - زِدْنَاهُمَا، شَرَفاً رَفِيعاً سَمْكُهُ، ... ثَبْتَ ٱلدَّعَائِمِ، إِذْ تَخَوَّلْنَاهُمَا[٤]

٦ - مُيِّزْتُ بَيْنَهُمَا فَلَمْ يَتَفَاضَلَا ... كَٱلْفَرْقَدَيْنِ تَشَاكَلَتْ حَالَاهُمَا[٥]

٧ - إِنِّي، وَإِنْ كَانَ ٱلتَّعَصُّبُ شِيمَتِي ... لَا أَدْفَعُ ٱلشَّرَفَ ٱلْمُنِيفَ أَخَاهُمَا![٦]

٨ - أَنَّى يُقَصِّرُ عَنْ مَكَانٍ فِي ٱلْعُلَا ... وَٱلْمَجْدِ، مَنْ أَضْحَى أَبُوهُ أَبَاهُمَا؟!

٩ - لَكِنْ لِـذَيْنِ بِنَا مَكَاناً بَاذِخاً، ... لَا يَدَّعِيهِ، مِنَ ٱلْأَنَامِ، سِوَاهُمَا[٧]

(١) ويروى «علاهما» مكان «غذاهما». الدارعون: لابسو الدروع.

(٢) تنبي: تنبىء، تُخبر. الفراسة: الاستدلال بظاهر الأمور على خفاياها. اللَّيث: الأسد.

(٣) الأنام: الناس.

(٤) السَّمْك: السَّقف. وقوله رفيعاً سمكه، كناية عن مكانتهما الرفيعة بين قومهما. تخوَّلناهما: اتّخذناهما أخوالاً.

(٥) الفرقَد: النجم. تشاكلت: تشابهت شبهاً قويّاً.

(٦) المنيف: الرفيع.

(٧) لذين: لهذين. الباذخ: العالي.

- ٢٩٤ -

وَكَتَبَ إِلَى «أَبِي ٱلْعَشَارِ»:

[من الوافر]

١ - أُسِرْتَ فَلَمْ أَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْماً، وَلَا حَلَّ ٱلطِّعَانُ لَنَا حِزَامَا

٢ - وَسِرْنَا، مُعْلَمِينَ، إِلَيْكَ حَتَّى ضَرَبْنَا، خَلْفَ «خَرْشَنَةَ» ٱلْخِيَامَا!

- ٢٩٥ -

وَقَالَ، وَهُوَ فِي الأَسْرِ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى «أَبِي ٱلْمَكَارِمِ» وَ «أَبِي ٱلْمَعَالِي» ٱبْنَيْ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»:

[من مجزوء الكامل]

١ - يَا سَيِّدَيَّ! أَرَاكُمَا لَا تَذْكُرَانِ أَخَاكُمَا!

٢ - أَوَجَدْتُمَا بَدَلاً بِهِ، يَبْنِي سَمَاءَ عُلَاكُمَا!؟

٣ - أَوَجَدْتُمَا بَدَلاً بِهِ، يَفْرِي نُحُورَ عِدَاكُمَا!؟[1]

٤ - مَا كَانَ بِٱلْفِعْلِ ٱلْجَمِيـ ـلِ، بِمِثْلِهِ، أَوْلَاكُمَا!

٥ - مَنْ ذَا يُعَابُ، بِمَا لَقِيـ ـتُ مِنَ ٱلْوَرَى، إِلَّاكُمَا؟[2]

٦ - لَا تَقْعُدَا بِي، بَعْدَهَا، وَسَلَا «ٱلأَمِيرَ»، أَبَاكُمَا!

٧ - وَخُذَا فِدَايَ، جُعِلْتُ مِنْ رَيْبِ ٱلزَّمَانِ فِدَاكُمَا!

---

(١) يفري: يقطع، يشقّ. النحور: جمع النحر، وهو موضع القلادة من العنق.

(٢) الورى: الناس.

- ٢٩٦ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - وَشَادِنٍ قَالَ لِي، لَمَّا رَأَى سَقَمِي وَضَعْفَ جِسْمِي وَالدَّمْعَ الَّذِي انْسَجَمَا(١)
٢ - أَخَذْتَ دَمْعَكَ مِنْ خَدِّي، وَجِسْمَكَ مِن خَصْرِي، وَسُقْمَكَ مِنْ طَرْفِي الَّذِي سَقُمَا

- ٢٩٧ -

قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: غَدَا «أَبُو فِرَاسٍ» يَتَصَيَّدُ، فَلَمْ يَعْلَمْ حَتَّى أَحْدَقَتْ بِهِ الْخَيْلُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ، حَتَّى كَشَفَهُمْ، وَأَعْتَقَ فَارِسَهُمْ، وَأَسَرَ عِدَّةً مِنْهُمْ، فَقَالَ:

[من الوافر]

١ - أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ سَرَوَاتِ قَوْمِي وَ«سَيْفَ الدَّوْلَةِ» الْمَلِكَ، الْهُمَامَا!(٢)
٢ - بِأَنِّي لَمْ أَدَعْ فَتَيَاتِ قَوْمِي، إِذَا حَدَّثْنَ، جَمْجَمْنَ الْكَلَامَا(٣)
٣ - شَرَيْتُ ثَنَاءَهُنَّ بِبَذْلِ نَفْسِي، وَنَارِ الْحَرْبِ تَضْطَرِمُ اضْطِرَامَا(٤)
٤ - وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ إِلَّا فِرَاراً أَشَدَّ مِنَ الْمَنِيَّةِ أَوْ حِمَامَا(٥)
٥ - حَمَلْتُ، عَلَى وُرُودِ الْمَوْتِ، نَفْسِي وَقُلْتُ لِعُصْبَتِي: «مُوتُوا كِرَامَا!»(٦)
٦ - وَلَمْ أَبْذُلْ، لِخَوْفِهِمُ، مِجَنّاً وَلَمْ أَلْبَسْ حِذَارَ الْمَوْتِ، لَامَا(٧)

---

(١) الشادن: ولد الغزال، والمقصود المحبوب. سقمي: ضعفي ومرضي.
(٢) سروات القوم: أشرافهم. الهُمام: الشّجاع.
(٣) جمجم الكلام: تعثّر في كلامه، وقال قولاً غير مفهوم.
(٤) تضطرم اضطراماً: تشتعل اشتعالاً.
(٥) المنيَّة: الموت. الحِمام: الموت.
(٦) العصبة: الجماعة.
(٧) المجنّ: الترس. اللام: الدرع.

٧ - وَعُـذْتُ بِـصَـارِمٍ ، وَيَـدٍ ، وَقَلْبٍ حَمَـانِي أَنْ أُلاَمَ ، وَأَنْ أُضَـامَـا[١]
٨ - أَلُـفُّـهُـمُ ، وَأَنْـشُـرُهُـمْ كَـأَنِّـي بِهِمْ نَـعَمـاً أُطَـارِدُ ، أَوْ نَـعَـامَـا[٢]
٩ - وَأَنْـتَـقِـدُ ٱلْـفَـوَارِسَ غَيْـرَ أَنِّـي رَأَيْـتُ ٱلـلَّوْمَ أَنْ أُلْـفَـى أُلاَمَـا
١٠ -وَمَـدْعُـوٍّ إِلَـيَّ أَجَـابَ لَـمَّـا رَأَى أَنْ قَـدْ تَـذَمَّـمَ وَٱسْتَـلاَمَـا[٣]
١١ -عَـقَـدْتُ عَـلَى مُـقَـلَّدِهِ يَـمِيـنِـي ، وَأَعْفَيْـتُ ٱلْمُـثَـقَّفَ وَٱلْحُـسَـامَـا[٤]
١٢ -وَهَلْ عُذْرٌ ، وَ «سَيْفُ ٱلـدِّينِ» رُكْنِي ، إِذَا لَمْ أَرْكَبِ ٱلْخُـطَطَ ٱلْعِـظَامَـا؟[٥]
١٣ -وَأَتْـبَـعُ فِـعْـلَهُ ، فِـي كُـلِّ أَمْـرٍ ، وَأَجْـعَـلُ فَـضْـلَهُ ، أَبَـداً ، إِمَـامَـا
١٤ -وَقَـدْ أَصْـبَحْـتُ مُنْـتَسِـبـاً إِلَـيْـهِ ، وَحَـسْـبِـي أَنْ أَكُـونَ لَـهُ غُـلاَمَـا
١٥ -أَرَانِـي كَـيْـفَ أَكْتَسِـبُ ٱلْـمَـعَـالِـي ، وَأَعْـطَانِي ، عَلَى ٱلدَّهْـرِ ٱلـذِّمَـامَا[٦]
١٦ -وَرَبَّـانِـي فَـفُـقْـتُ بِـهِ ٱلْـبَـرَايَـا ، وَأَنْشَـأَنِي فَسُـدْتُ بِـهِ ٱلأَنَـامَـا[٧]
١٧ -فَـعَـمَّـرَهُ الإِلَـهُ لَـنَـا طَـوِيـلاً ، وَزَادَ ٱلـلَّهُ نِـعْـمَـتَـهُ دَوَامَـا!

- ٢٩٨ -

وَقَالَ ، يَمْدَحُ «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ» ، وَيُعرِّضُ بِـ «نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ» ، وَيَذْكُرُ مَسَاوِئَهُ ، لَمَّا حَصَلَ عِنْدَ أَخِيهِ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» بِـ «ٱلشَّامِ» هَارِباً مِنْ «مُعِزِّ ٱلدَّوْلَـةِ» ، وَقَدْ قَصَـدَهُ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ دِيَارِهِ ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ . فَتَوَسَّطَ «سَيفُ ٱلدَّوْلَةِ» بَيْنَهُمَا ، وَحَمَلَ عَنْهُ

(١) عُذْتُ : لجأتُ . الصارم : السيف القاطع . أُضَام : أُظْلَم .
(٢) النَّعَم : الإبل .
(٣) تذمَّم : استحيا . استلام : استحقَّ اللوم .
(٤) المثقَّف : الرمح المسنون . الحُسام : السَّيف .
(٥) سيف الدِّين : سيف الدولة الحمدانيّ .
(٦) الذِّمام : الأمان ، والعهد .
(٧) البرايا والأنام : الناس .

الأَمْوَالَ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَثِمَائَةٍ، مِنْ هِجْرَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

[من البسيط]

١ - لِمِثْلِهَا يَسْتَعِدُّ ٱلبَأْسُ وَٱلْكَرَمُ، ... وَفِي نَظَائِرِهَا تُسْتَنْفَدُ ٱلنِّعَمُ(١)
٢ - هِيَ ٱلرِّئَاسَةُ لَا تُقْنَى جَوَاهِرُهَا، ... حَتَّى يُخَاضَ إِلَيْهَا ٱلْمَوْتُ وَٱلْعَدَمُ
٣ - تَقَاعَسَ ٱلنَّاسُ عَنْهَا فَٱنْتَدَبْتَ لَهَا ... كَالسَّيْفِ، لَا نَكَلٌ فِيهِ وَلَا سَأَمُ(٢)
٤ - مَا زَالَ يَجْحَدُهَا قَوْمٌ، وَيُنْكِرُهَا ... حَتَّى أَقَرُّوا، وَفِي آنَافِهِمْ رَغَمُ(٣)
٥ - شُكْراً فَقَدْ وَفَتِ ٱلأَيَّامُ مَا وَعَدَتْ، ... أَقَرَّ مُمتَنِعٌ؛ وَٱنْقَادَ مُعْتَصِمُ!(٤)
٦ - وَمَا ٱلرِّئَاسَةُ إِلَّا مَا تُقِرُّ بِهِ ... شَمْسُ ٱلْمُلُوكِ، وَتَعْنُو تَحْتَهُ ٱلأُمَمُ(٥)
٧ - مَغَارِمُ ٱلْمُلْكِ يَعْتَدُّ ٱلْمُلُوكُ بِهَا ... مغانماً فِي ٱلْعُلَا، فِي طَيِّهَا نِعَمُ(٦)
٨ - هَذِي شُيُوخُ «بَنِي حَمْدَانَ» قَاطِبَةً، ... لَاذُوا بِدَارِكَ، عِنْدَ ٱلْخَوْفِ، وَٱعْتَصَمُوا
٩ - حَلُّوا بِأَكْرَمِ مَنْ حَلَّ ٱلعِبَادُ بِهِ، ... بِحَيْثُ حَلَّ ٱلنَّدَى، وَٱسْتَوْثَقَ ٱلْكَرَمُ(٧)
١٠ - فَكُنْتَ مِنْهُمْ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ سَيِّدَهُمْ، ... تَوَاضُعُ ٱلْمُلْكِ فِي أَصْحَابِهِ عِظَمُ!
١١ - شَيْخُوخَةٌ سَبَقَتْ، لَا فَضْلَ يَتْبَعُهَا ... وَلَيْسَ يَفْضُلُ فِينَا ٱلْفَاضِلُ ٱلْهَرِمُ
١٢ - وَلَمْ يُفَضِّلْ «عَقِيلاً» فِي وِلَادَتِهِ ... عَلَى «عَلِيٍّ» أَخِيهِ، ٱلسِّنُّ وَٱلقِدَمُ(٨)
١٣ - وَكَيْفَ يَفْضُلُ مَنْ أَزْرَى بِهِ بَخَلٌ ... وَقَعْدَةُ ٱلْيَدِ، وَٱلرِّجْلَيْنِ، وَٱلصَّمَمُ(٩)
١٤ - لَا تُنْكِرُوا، يَا بَنِيهِ، مَا أَقُولُ فَلَنْ ... تُنْسَى ٱلتِرَاتُ، وَلَا إِنْ حَالَ شَيْخُكُمُ(١٠)

---

(١) تُستَنْفَد: تُبْذَل.
(٢) انتدبْتَ لها: هَيَّأتَ لها. النَّكَل: الجُبْن.
(٣) يجحدها: يُنكرها.
(٤) معتصِم: متحصِّن.
(٥) تعنو: تخضع.
(٦) المغارم: جمع المَغْرم، وهي ما يلتزم الإنسان أداءه.
(٧) النَّدى: الكرم. استوثق: تمكَّن.
(٨) عقيل: أخو الإمام عليّ بن أبي طالب كرَّم اللّه وجهه.
(٩) أزرى به: عابه، حطَّ من شأنه. قعدة اليد: عجزها.
(١٠) التِّرات: جمع التِّرة، وهي الثَّأر. حال: تغيَّر، تبدَّل.

١٥ ـ كَـادَتْ مَخَـازِيـهِ تُـرْدِيـهِ فَـأَنْقَـذَهُ مِنْهَـا، بِحُسْنِ دِفَاعٍ عَنْـهُ، عَمُّكُمُ[١]
١٦ ـ أَسْتَـوْدِعُ آللَّهَ قَـوْمـاً، لَا أُفَسِّـرُهُمْ، الـظَّالِمِينَ، وَلَـوْ شِئْنَـا لَمَا ظَلَمُـوا
١٧ ـ الْقَـائِلِينَ، وَنُغْضِي عَنْ جَـوَابِهِـمُ، وَآلْجَائِرِينَ، وَنَرْضَى بِآلَّذِي حَكَمُوا،[٢]
١٨ ـ إِنِّي، عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَسْتُ أَذْكُرُهُمْ؛ إِلَّا وَلِلشَّـوْقِ دَمْعِي وَاكِفٌ، سَجِمُ[٣]
١٩ ـ الأَنْفُسُ آجْتَمَعَتْ يَـوْمـاً، أَوِ آفْتَـرَقَتْ ـ إِذَا تَـأَمَّلْتَ ـ نَفْسٌ، وَآلـدِّمَـاءُ دَمُ
٢٠ ـ رَعَـاهُمُ آللَّهُ ـ مَـا نَـاحَتْ مُـطَوَّقَـةٌ ـ وَحَاطَهُمْ، أَبَداً ـ مَا أَوْرَقَ آلسَّلَمُ ـ![٤]

ـ ٢٩٩ ـ

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ ـ يَقُـولُـونَ لَا تَخْـرُقْ بِحِلْمِكَ هَيْبَـةً وَأَحْسَنُ شَـيْءٍ زَيَّنَ آلْـهَيْبَـةَ آلْحِـلْمُ
٢ ـ فَـلَا تَتْـرُكَنَّ آلْعَفْـوَ عَنْ كُـلِّ زَلَّـةٍ فَمَا آلْعَفْوُ مَذْمُومٌ، وَإِنْ عَظُمَ آلْجُرْمُ!

ـ ٣٠٠ ـ

وَلَهُ يَذْكُرُ أَسْرَ «أَبِي آلْعَشَائِرِ آلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ آلْحُسَيْنِ بنِ حَمْدَانَ»؛ وَيَصِفُ حَالَهُ، وَطَلَبَهُ لَهُ، وَوُصُولَهُ إِلَى «مَرْعَشَ» فِي أَثَرِهِ:

[من الطويل]

١ ـ نَفَى آلنَّـوْمَ عَنْ عَيْنِي خَيَـالُ مُسَلِّمٍ، تَـأَوَّبَ مِنْ «أَسْمَاءَ» وَآلـرَّكْبُ نُـوَّمُ[٥]

---

(١) المخازي: جمع المخزاة، وهي ما يبعث على الخزي والعار والذلّ.
(٢) الجائرون: الظالمون.
(٣) واكف: سائل، جارٍ. سجم: غزير.
(٤) مطوَّقة: حمامة. حاطهم: أحاط بهم. السَّلَم: نوع من الشَّجر.
(٥) تأوّب: عاد، ورجع.

٢ - ظَلِلْتُ وَأَصْحَابِي عَبَادِيدَ فِي ٱلدُّجى ... أَلَــذُّ بِجَوَّالِ ٱلْـوِشَـاحِ ، وَأَنْعَمُ (١)
٣ - وَسَـائِلَةٍ عَنّـي فَقُلْتُ، تَـعَـجُّـبـاً: ... كَـأَنَّـكِ لَا تَـدْرِينَ كَيْفَ ٱلْمُتَيَّمُ؟ (٢)
٤ - أَعِـرْنِي ، أَقِيكَ ٱلسُّـوءَ، نَـظْرَةَ وَامِقٍ ... لَعَلَّكَ تَـرْثِي ، أَوْ لَعَـلَّكَ تَـرْحَمُ! (٣)
٥ - فَمَـا أَنَا إِلَّا عَبْـدُكَ ٱلقِنُّ فِي ٱلْهَوَى، ... وَمَـا أَنْتَ إِلَّا ٱلْمَـالِـكُ، ٱلْمُتَحكِّمُ (٤)
٦ - وَأَرْضَى بِمَا تَرْضَى عَلَى ٱلسُّخْطِ وَٱلرِّضَا ... وَأُغْضِي ، عَلَى عِلْمٍ بِـأَنَّكَ تَـظْلِمُ (٥)
٧ - يَئِسْتُ مِنَ ٱلإِنْصَـافِ بَيْنِي وَبَيْـنَـهُ، ... وَمَنْ لِي بِٱلإِنْصَافِ وَٱلْخَصْمُ يَحْكُمُ؟! (٦)
٨ - وَخَـطْبٍ مِنَ ٱلأَيَّامِ أَنْسَـانِيَ ٱلْهَوَى، ... وَأَحْلَى بِفِيَّ ٱلْمَوْتَ، وَٱلْمَوْتُ عَلْقَمُ (٧)
٩ - وَوَٱلـلَّهِ، مَـا شَبَّبْتُ إِلَّا عُـلالَـةً، ... وَمِنْ نَـارِ غَيْـرِ ٱلْحبِّ قَلْبِيَ يُضْـرَمُ
١٠ - أَلَا مُبْلِغٌ عَنّي «ٱلْحُسَيْنَ» أَلُـوكَـةً، ... تَضَمَّنَهَـا دُرُّ ٱلْكَـلَامِ ٱلْمنَـظَّمُ: (٨)
١١ - لَـذِيـذُ ٱلْكَـرَى، حتَّى أَرَاكَ، مُحَـرَّمٌ ... وَنَـارُ الأَسَى بَيْنَ ٱلْحَشَا تَتَضَـرَّمُ (٩)
١٢ - وَأَتْـرُكُ أَنْ أَبْكِي عَلَيْـكَ، تَـطَيُّـراً، ... وَقَلْبِيَ يَبْكِي ، وَٱلْجَوانِـحُ تَـلْطِمُ (١٠)
١٣ - وَلَا عَبْـرَةٌ إِلَّا وَدَمْـعِـي فَـوْقَـهَـا، ... وَلَا حُـزْنَ إِلَّا مِنْـهُ حُزْنِيَ أَعْـظَمُ (١١)
١٤ - وَإِنَّ جُـفُـونِي ، إِنْ وَنَـتْ لَلَئِيمَـةٌ، ... وَإِنَّ فُـؤَادِي إِنْ سَلَوْتُ لَأَلْأَمُ (١٢)
١٥ - وَأُظْهِـرُ لِـلأَعْـدَاءِ فِيـكَ جَـلَادَةً، ... وَأَكْـتُـمُ مَـا أَلْـقَـاهُ وَٱلـلَّهُ يَـعْـلَمُ

---

(١) عباديدَ: فِرَق. الدُّجى: الظلمة. جوّال الوِشاح: كناية عن ضمور الخصر.
(٢) المتيَّم: العاشِق الولهان.
(٣) الوامق: المحبّ.
(٤) القِنّ: عبد الأرض المورروث.
(٥) السُّخط: الغضب. أُغضي: أسكت وأصبر.
(٦) هذا القول قريب من قول المتنبِّي.
يـا أَعْـدَلَ الـنـاسَ إلَّا فـي مـعـامـلـتـي ... فيـكَ الخِـصَـامُ وأَنْتَ الـخَصْـمُ والحَكَمُ
(٧) خطْب: مصيبة. أَحْلى: جعله حلواً. علقم: شديد المرارة.
(٨) الحسين: يعني أخاه. الألوكة: الرسالة.
(٩) الكرى: النوم. الأسى: الحزن واللَّوعة. تتضرَّم: تستعر.
(١٠) تطيُّراً: تشاؤماً. الجوانح: الضلوع.
(١١) العبرة: الدمعة.
(١٢) ونت: ضعفتْ.

١٦ ـسَأَبْكِيكَ، مَا أَبقى لِيَ ٱلدَّهْـرُ مُقْلَةً   فَـإِنْ عَزَّنِي دَمْـعٌ، فَمَـا عَـزَّنِي دَمُ(١)
١٧ ـوَحُكْمِي بُكَـاءُ ٱلدَّهْـرِ فِيمَـا يَنُـوبُنِي،   وَحُكْمُ «لَبِيـدٍ» فِيـهِ حَـولٌ مُجـرَّمُ(٢)
١٨ ـوَمَـا نَحْنُ إِلاَّ «وَائِـلٌ» وَ«مُهَلْهِـلٌ»   صَفَـاءً، وَإِلاَّ «مَـالِـكٌ» وَ«مُتَمِّمُ»!(٣)
١٩ ـوَإِنِّـي وَإِيَّـاهُ لَـعَـيْـنٌ وَأُخْـتُـهَـا،   وَإِنِّـي وَإِيَّـاهُ لَـكَـفٌّ وَمِـعْـصَـمُ(٤)
٢٠ ـتُصَاحِبُنَا ٱلأَيَّـامُ فِي ثَوْبِ نَـاصِحٍ   وَيَخْتِلُنَا مِنْهَا، عَلَى ٱلأَمْنِ، أَرْقَمُ(٥)
٢١ ـوَمَـا أَغْـرَبَتْ فِيـكَ ٱللَّيَـالِي، وَإِنَّهَـا   لَتَصْـدَعُنَا مِنْ كُـلِّ شعْبٍ وَتَثْلِمُ(٦)
٢٢ ـطَـوَارِقُ خَطْبٍ، مَـا تَغُبُّ وُفُـودُهَـا،   وَأَحْـدَاثُ أَيَّـامٍ تُـغِـذُّ وَتُـتْئِـمُ(٧)
٢٣ ـفَمَـا عَـرَّفَتْنِي غَيْـرَ مَـا أَنَـا عَـارِفٌ   وَلاَ عَـلَّمَـتْنِي غَيْـرَ مَـا كُنْتُ أَعْلَمُ
٢٤ ـمَتَى لَمْ تُصِبْ مِنَّـا ٱللَّيَالِي ٱبْنَ هِمَّـةٍ   يُجَشِّمُهَـا صَـرْفُ ٱلـرَّدَى فَتَجَشَّمُ(٨)
٢٥ ـتُهِينُ عَلَيْنَـا ٱلْحَرْبُ نَفْسـاً عَـزِيـزَةً   إِذَا عَـاضَنَـا عَنْهَـا ٱلثَّنَـاءُ ٱلْمُنَمْنَمُ(٩)
٢٦ ـوَإِنِّـي لَغِـرٌّ إِنْ رَضِيتُ بِـصَـاحِـبٍ   يَـبَشُّ، وَفِيـهِ جَانِبٌ مُتَجَهِّـمُ(١٠)
٢٧ ـوَنَحْنُ أُنَـاسٌ، لاَ تَـزَالُ سَـرَاتُنَـا،   لَهَا مَشْرَبٌ، بَيْنَ ٱلْمَنَايَا، وَمَـطْعَمُ(١١)
٢٨ ـنَـظَرْنَـا إِلَى هَـذَا ٱلـزَّمَـانِ، وَأَهْلِهِ   فَهَـانَ عَلَيْنَـا مَـا يُشِـتُّ وَيَنْـظِمُ(١٢)
٢٩ ـوَنَـدْعُـو كَـرِيماً مَنْ يَجُـودُ بِمَـالِـهِ،   وَمَنْ يَبْـذِلِ ٱلنَّفْسَ ٱلْكَـرِيمَـةَ أَكْرَمُ

---

(١) المقلة: العين. عزَّني: امتنع عليّ.
(٢) ينوبني: يصيبني. لبيد: شاعر جاهليّ بكى أخاه سنة كاملة. الحول: السنة. مجرَّم: كامل.
(٣) وائل: كليب وائل الذي قتله جسّاس بن مرّة، فبكاه أخوه الشاعر المهلهل. كذلك بكى متمِّم بن نويرة أخاه مالكاً.
(٤) كناية عن تضامنهما وإلفتهما.
(٥) يختلنا: يخدعنا، يستتر علينا. الأرقم من الحيَّات: أخبثها.
(٦) تصدع وتثلم: تشقّ. الشِّعب: الشِّق.
(٧) طوارق خطب: نوازل مصيبة. تغبّ: تأتي يوماً، وتترك يوماً. تُغذّ: تُسرع. تُتْئِم: تأتي بالتوائم.
(٨) يجشِّمها: يكلِّفها. الرَّدى: الموت.
(٩) عاضنا عنها: أعطانا إيَّاها عِوَض شيء آخر. المنمنم: المزخرف.
(١٠) غِرّ: قليل الخبرة والتجربة. متجهِّم: عابس.
(١١) سراتنا: أشرافنا. المنايا: جمع المنيَّة، وهي الموت.
(١٢) يشتّ: يفرِّق. ينظم: يجمع.

٣٠ـ وَمَا لِيَ لَا أَمْضِي، حَمِيداً! وَمَطْلَبِي بَعِيدٌ، وَمَا فِعْلِي بِحَالٍ مُذَمَّمُ!
٣١ـ إِذَا لَمْ يَكُنْ يُنْجِي الفِرَارُ مِنَ الرَّدَى، عَلَى حَالَةٍ، فَالصَّبْرُ أَرْجَى وَأَحْزَمُ(١)
٣٢ـ لَكَ اللَّهُ إِنَّا بَيْنَ غَادٍ وَرَائِحٍ نُعِدُّ المَغَازِي، فِي البِلَادِ وَنَغْنَمُ(٢)
٣٣ـ وَأَرْمَاحُنَا فِي كُلِّ لَبَّةِ فَارِسٍ تُثَقِّبُ تَثْقِيبَ الجُمَانِ وَتَنْظِمُ(٣)
٣٤ـ سَنَضْرِبُهُمْ، مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمٌ، وَنَطْعَنُهُمْ، مَا دَامَ لِلرُّمْحِ لَهْذَمُ!(٤)
٣٥ـ وَنَقْفُوهُمُ، خَلْفَ الخَلِيجِ بِضُمَّرٍ تَخُوضُ بِحَاراً بَعْضُ خُلْجَانِهَا دَمُ(٥)
٣٦ـ بِكُلِّ غُلَامٍ مِنْ «نِزَارٍ» وَغَيْرِهَا عَلَيْهِ مِنَ المَاذِيِّ دِرْعٌ مُخَتَّمُ(٦)
٣٧ـ وَنَجْنِبُ مَا أَلْقَى «الوَجِيهُ» وَ «لَاحِقٌ» إِلَى كُلِّ مَا أَبْقَى «الجَدِيلُ» وَ «شَدْقَمُ»(٧)
٣٨ـ وَنَعْتَقِلُ الصُّمَّ العَوَالِيَ إِنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى نَيْلِ المَعَالِي وَسُلَّمُ(٨)
٣٩ـ رَأَيْتُهُمُ يَرْجُونَ ثَأْراً بِسَالِفٍ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَأْخُذُ السَّيْفُ مِنْهُمُ(٩)
٤٠ـ فَقُلْ لِـ «ابنِ فُقَّاسٍ»: دَعِ الحَرْبَ جَانِباً! فَإِنَّكَ رُومِيٌّ، وَخَصْمُكَ مُسْلِمُ(١٠)
٤١ـ فَوَجْهُكَ مَضْرُوبٌ، وَأُمُّكَ ثَاكِلٌ وَسِبْطُكَ مَأْسُورٌ، وَعِرْسُكَ أَيِّمُ!(١١)
٤٢ـ وَلَمْ تَنْبُ عَنْكَ البِيضُ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَلَكِنَّ قَتْلَ الشَّيْخِ فِينَا، مُحَرَّمُ(١٢)

---

(١) الرَّدى: الموت. أَرْجى: أكثر رجاءً.

(٢) غادٍ: ذاهب في الغداة، وهي أوّل النهار. الرائح: الذاهب في الرّواح، وهو العشيَّة. المغازي: الغزوات.

(٣) اللبّة: موضع القلادة من الصَّدر. الجمان: جمع الجمانة. وهي اللؤلؤة. تثقّب: تخرق. تنظم: تجمع في سلك.

(٤) اللهذم: الحادّ القاطع من السيوف والرماح.

(٥) نقفوهم: نتبعهم. ضُمّر: خيول مُضمَّرة.

(٦) الماذيّ: السلاح.

(٧) نجنب: نجنِّب. ألقى: أنتج. الوجيه ولاحق والجديل وشدقم: أسماء أفراس.

(٨) اعتقل الرمح: جعله بين ركابه وساقه. العوالي: الرماح. الصّمّ: الصُّلبة.

(٩) السالِف: الماضي.

(١٠) ابن فقّاس: نقفور فوكاس.

(١١) ثاكِل: فقدت ابنها. السِّبط: ولد الولد. العِرْس: الزوج. الأيِّم: التي فقدت زوجها.

(١٢) البيض: السيوف.

٤٣ ـ إِذَا ضُـرِبَتْ فَـوْقَ ٱلْخَلِيـجِ قِبَـابُنَـا، وَأَمْسَى عَلَيْـكَ ٱلـذُّلُّ، وَهْــوَ مُخَيِّمُ
٤٤ ـ وَأَدَّى إِلَيْنَـا «ٱلْمَلْكُ» جِـزْيَـةَ رَأْسِـهِ، وَفُـكَّ عَنِ ٱلأَسْرَى ٱلْـوِثَــاقُ وَسُلِّمُـوا
٤٥ ـ فَإِنْ تَرْغَبُوا فِي ٱلصُّلْحِ فَٱلصُّلْحُ صَالِحٌ وَإِنْ تَجْنَحُـوا لِلسِّلْمِ ، فَـٱلسِّلْمُ أَسْلَمُ
٤٦ ـ أَعَـادَاتُ «سَيْفِ ٱلدَّوْلَـةِ» ٱلقَـرْمِ إِنَّهَـا لإِحْدَى ٱلَّذِي كَشَّفْتَ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ!(١)
٤٧ ـ وَإِنَّ «لِسَيْفِ ٱلـدَّوْلَـةِ» ٱلْقَــرْمِ عَـادَةً تَــرُومُ عُلُوقَ ٱلْمُعْجِــزَاتِ فَتَــرْأَمُ(٢)
٤٨ ـ وَقِيـلَ لَهَـا «سَيْفُ ٱلْهُـدَى» قُلْتُ إِنَّـهُ لَيَفْعَــلُ خَيْــرُ ٱلْـفَــاعِلِيـنَ وَيُكْــرِمُ
٤٩ ـ أَمَـا ٱنْتَـاشَ مِنْ مَسِّ ٱلْحَـدِيـدِ وَثِقْلِهِ «أَبَا وَائِلٍ »وَٱلْبِيضُ فِي ٱلبِيضِ تَحْكُمُ(٣)
٥٠ ـ تَجُرُّ عَلَيْهِ ٱلْحَرْبُ، مِنْ كُلِّ جَـانِبٍ، فَــلاَ ضَجِــرٌ جَـافٍ، وَلاَ مُـتَبَـرِّمُ
٥١ ـ أَخُــو عَـزَمَـاتٍ فِي ٱلْحُـرُوبِ إِذَا أَتَى أَتَى حَادِثٌ، مِنْ جَانِبِ ٱللَّهِ، مُبْرَمُ(٤)
٥٢ ـ نَخِفُّ، إِذَا ضَـاقَتْ عَلَيْنَـا أُمُــورُنَـا، بِأَبْيَضَ وَجْهِ ٱلرَّأْيِ وَٱلْخَطْبُ مُظْلِمُ(٥)
٥٣ ـ وَنَــرْمِي بِـأَمْــرٍ لاَ نُـطِيقُ ٱحْتِمَــالَــهُ إِلَى قَـرْمِنَـا، وَٱلْقَــرْمُ بِـٱلأَمْــرِ أَقْـوَمُ
٥٤ ـ إِلَى رَجُـلٍ يَلْقَاكَ فِي شَخْصٍ وَاحِـدٍ وَلَكِنَّـهُ فِي ٱلْحَرْبِ جَيْشٌ عَـرَمْـرَمُ(٦)
٥٥ ـ ثَقِيـلٌ عَلَى ٱلأَعْـدَاءِ أَعْقَـابُ وَطْئِـهِ، صَلِيبٌ عَلَى أَفْـوَاهِهَـا حِينَ تُعْجِمُ(٧)
٥٦ ـ وَنُمْسِـكُ عَنْ بَعْضِ ٱلأُمُورِ مَهَـابَـةً، فَيَعْلَمُ مَــا يُخفِي ٱلضَّمِيــرُ، وَيَفْـهَمُ
٥٧ ـ وَنَجْنِي جِنَـايَـاتٍ عَـلَيْـهِ يُقِيلُهَــا، وَنُخْـطِـئُ أَحْيـانـاً إِلَيْـهِ فَيَحْلُمُ(٨)
٥٨ ـ يَسُـومُـونَنَـا فِيـكَ ٱلْفِـدَاءَ، وَإِنَّنَـا لَنَرْجُوكَ قَسْراً وَٱلْمَعَاطِسُ تَـرْغَمُ!(٩)
٥٩ ـ أَتَـرْضَى بِـأَنْ نُعْـطَى ٱلسَّـوَاءَ قَسِيمَنَـا إِذَا ٱلْمَجْدُ بَيْنَ ٱلأَغْلَبِينَ يُقَسَّمُ؟(١٠)

---

(١) القرم: السَّيِّد العظيم. ترأم: تعطف، وتأنس.

(٢) تروم: تقصد. علوق المعجزات: نفائسها. ترأم.

(٣) انتاش: أنْقِذ.

(٤) مُبرَم: مقضيّ.

(٥) الخطْب: المظلم.

(٦) عرمرم: عظيم.

(٧) صليب: شديد. تُعجم: لا تُفصِح.

(٨) يُقيلها: يصفح عنها.

(٩) يسوموننا: يطلبون ابتياعنا ومعرفة ثمننا. المعاطس: الأنوف.

(١٠) القسيم: النصيب.

٦٠ - وَمَا ٱلأَسْرُ غُرْمٌ، وَٱلْبَلاَءُ مُحَمَّدٌ، وَلاَ ٱلنَّصْرُ غُنْمٌ، وَٱلْهَلاَكُ مُذَمَّمُ![1]
٦١ - لَعَمْرِي، لَقَدْ أَعْذَرْتَ إِنْ قَلَّ مُسْعِدٌ وَأَقْدَمْتَ لَوْ أَنَّ ٱلْكَتَائِبَ تُقْدِمُ[2]
٦٢ - دَعَوْتَ خَلُوفاً، حِينَ تَخْتَلِفُ ٱلْقَنَا، وَنَادَيْتَ صُمّاً عَنْكَ، حِينَ تُصَمِّمُ[3]
٦٣ - وَمَا عَابَكَ، ٱبْنَ ٱلسَّابِقِيْنَ إِلَى ٱلْعُلاَ، تَأَخُّرُ أَقْوَامٍ وَأَنْتَ مُقَدَّمُ
٦٤ - وَمَا لَكَ لاَ تَلْقَى بِمُهْجَتِكَ ٱلرَّدَى، وَأَنْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ هُمُ هُمُ!
٦٥ - لَعاً، يَا أَخِي! - لاَ مَسَّكَ ٱلسُّوءُ - إِنَّهُ هُوَ ٱلدَّهْرُ فِي حَالَيْهِ: بُؤْسٌ وَأَنْعُمُ![5]
٦٦ - وَمَا سَاءَنِي أَنِّي مَكَانَكَ، عَانِياً وَأُسْلِمُ نَفْسِي لِلإِسَارِ وَتَسْلَمُ[6]
٦٧ - طَلَبْتُكَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لِي مَطْلَباً، وَأَقْدَمْتُ حَتَّى قَلَّ مَنْ يَتَقَدَّمُ
٦٨ - وَمَا قَعَدَتْ بِي، عَنْ لَحَاقِكَ، عِلَّةٌ وَلَكِنْ قَضَاءٌ؛ فَاتَنِي فِيكَ، مُبْرَمُ!
٦٩ - فَإِنْ جَلَّ هَذَا ٱلأَمْرُ فَٱللَّهُ فَوْقَهُ وَإِنْ عَظُمَ ٱلْمَطْلُوبُ فَٱللَّهُ أَعْظَمُ!
٧٠ - وَإِنِّي لأُخْفِي فِيكَ، مَا لَيْسَ خَافِياً وَأَكْتُمُ وَجْداً، مِثْلُهُ لاَ يُكَتَّمُ،[7]
٧١ - وَلَوْ أَنَّنِي وَفَّيْتُ رُزْءَكَ حَقَّهُ لَمَا خَطَّ لِي كَفٌّ، وَلاَ فَاهَ لِي فَمُ![8]

- ٣٠١ -

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: أَغَارَ «مَرْجُ بْنُ جَحْشٍ»، وَمَعَهُ «نُمَيْرٌ»، وَ «مُطْعِمُ ٱبْنُ عَلِيٍ ٱلضِّبَابِيُّ» فِي خَيْلٍ مِنْ نُمَيْر»، عَلَى «عَيْنِ قَاصِرٍ» فَرَكِبَ «أَبُو فِرَاس» مِنْ «مَنْبِجَ»، وَأَغَذَّ ٱلسَّيْرَ حَتَّى لَحِقَهُمْ أَسْفَلَ «آيْدِينَ» فِي نَفَرٍ، فَأَسَرَ «مَرْجاً»، وَبَارَزَ «مُطْعِماً» وَمَعَهُ

(١) الغُرْم: الغرامة.
(٢) الكتائب: الجيوش.
(٣) الخلوف: المتأخر عن الحرب.
(٤) المهجة: النفس. الرَّدى: الموت. قوله «الذين هُمُ هُمْ»، أي الأشراف السَّادة.
(٥) لَعاً: دعاء له، أقامك من عثرتك.
(٦) عانياً: أسيراً. الإسار: الأَسْر.
(٧) أكتم: أُخبِّىء.
(٨) الرُّزْء: المصيبة.

ٱلسَّيْفُ، وَمَعَ «مُطْعِم» ٱلرُّمحُ، فَكَرَّ حتَّى سَبَقَهُ إِلَى «ٱلفُرَاتِ»؛ وَأَخَذَ ٱلطَّرَائِدَ، وَمَنَعَ «خُوَيْلَفَةَ» مِنَ ٱجْتِيَازِ «ٱلرَّقَّةِ»، فَقَالَ، عِنْدَ ذَلِكَ، «أَبُو فِرَاسٍ»:

[من الوافر]

١ - وَرَاءَكِ يَا «نُمَيْرُ»! فَلاَ أَمَامُ ... فَقَدْ حَرُمَ «ٱلْجَزِيرَةُ» وَ «ٱلشَّآمُ»
٢ - لَنَا ٱلدُّنْيَا، فَمَا شِئْنَا حَلاَلٌ ... لِسَاكِنِهَا، وَمَا شِئْنَا حَرَامُ
٣ - وَيَنْفُذُ أَمْرُنَا، فِي كُلِّ حَيٍّ، ... فَيُدْنِيهِ وَيُقْصِيهِ ٱلْكَلاَمُ
٤ - أَرَاجِيَةً «خُوَيْلَفَةً» ذِمَاماً ... وَرَاءَكِ، لاَ أَمَانَ وَلاَ ذِمَامُ!
٥ - أَلَمْ تُخْبِركِ خَيْلِي عَنْ مَقَامِي ... بِـ «بَالِسَ» يَوْمَ ضَاقَ بِهَا ٱلْمَقَامُ!
٦ - وَوَلَّتْ تَلْتَقِي، بَعْضاً بِبَعْضٍ، ... لَهُمْ - وَٱلأَرْضُ وَاسِعَةٌ - زِحَامُ
٧ - سَرَوا وَٱللَّيْلُ يَجْمَعُنَا، وَلَكِنْ ... يَبُوحُ بِهِمْ، وَيَكْتُمُنَا ٱلظَّلاَمُ(١)
٨ - إِلَى أَنْ صَبَّحَتْهُمْ بِٱلْمَنَايَا ... كَرَائِمُ، فَوْقَ أَظْهُرِهَا كِرَامُ(٢)
٩ - مِنَ ٱلْعَرَشَاتِ تَلْحَقُ مَا رَأَتْهُ، ... إِذَا طَلَبَتْ، وَتُعْطَى مَا تُسَامُ(٣)
١٠ - تَنَازَعُ بِي وَبِٱلْفُرْسَانِ حَوْلِي ... تُجَفِّلُهُمْ، كَمَا جَفَلَ ٱلنَّعَامُ
١١ - بَطَحْنَا مِنْهُمُ «مَرْجَ بْنَ جَحْشٍ» ... فَلَمْ يَقِفُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُحَامُوا(٤)
١٢ - أَقُولُ لِـ «مُطْعِمٍ» لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا ... وَقَدْ وَلَّى وَفِي يَدِيَ ٱلْحُسَامُ:(٥)
١٣ - أَتَجْعَلُ بَيْنَنَا عِشْرِينَ كَعْباً ... وَتَهْرُبُ! سَوْءَةً لَكَ يَا غُلاَمُ!
١٤ - أَحَلَّكُمْ بِدَارِ الضَّيْمِ، قَسْراً، ... هُمَامٌ لاَ يُضَامُ، وَلاَ يُرَامُ!(٦)

(١) سروا: مشوا في اللّيل.
(٢) المنايا: جمع المنيَّة، وهي الموت. الكرائم: الخيل الكريمة.
(٣) العرشات: النوق الضِّخام. أسام الماشية: أخرجها للمرعى، وتركها ترعى.
(٤) لم يُحاموا: لم يدافعوا.
(٥) الحسام: السَّيف.
(٦) الهُمام: الشجاع الكريم. الضَّيم: الذّلّ، والظّلم.

- ٣٠٢ -

وَقالَ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ بْن خالَوَيْهِ»: قالَ «أَبُو فِراسٍ»: عَزَمَ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» عَلَى مُغاوَرَة بَلَدِ «آبْنِ شَمِيشَقَ»، وَآسْتِخْلاَفِي عَلَى «آلشَّامِ»، فَغَلُظَ عَلَيَّ ٱلْقُعُودُ، دَفْعَةً بَعْدَ دَفْعَةٍ، وَتَفَرُّدُهُ بِٱلْوَقَائِعِ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَساكِرِهِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بِهَذِهِ ٱلْمَقْطُوعَةِ:

[من البسيط]

١ - أَشِدَّةٌ، مَا أَرَاهُ مِنْكَ، أَمْ كَرَمُ! ... تَجُودُ بِٱلنَّفْسِ، وَٱلأَرْوَاحُ تُصْطَلَمُ(١)
٢ - يَا بَاذِلَ ٱلنَّفْسِ وَٱلأَمْوَالِ، مُبْتَسِماً، ... أَمَا يَهُولُكَ لاَ مَوْتٌ، وَلاَ عَدَمُ؟!(٢)
٣ - لَقَدْ ظَنَنْتُكَ، بَيْنَ ٱلْجَحْفَلَيْنِ، تَرَى ... أَنَّ ٱلسَّلاَمَةَ، مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا تَصِمُ(٣)
٤ - نَشَدْتُكَ ٱللَّهَ، لاَ تَسْمَحْ بِنَفْسِ عُلاً، ... حَيَاةُ صَاحِبِهَا تَحْيَا بِهَا ٱلأُمَمُ
٥ - هِيَ ٱلشَّجَاعَةُ إِلَّا أَنَّهَا سَرَفٌ، ... وَكُلُّ فَضْلِكَ لاَ قَصْدٌ وَلاَ أَمَمُ(٤)
٦ - إِذَا لَقِيتَ رِقَاقَ ٱلْبِيضِ، مُنْفَرِداً، ... تَحْتَ ٱلْعَجَاجَةِ لَمْ تُسْتَكْثَرِ ٱلْخَدَمُ(٥)
٧ - تَفْدِي بِنَفْسِكَ أَقْوَاماً صَنَعْتَهُمُ ... وَكَانَ حَقُّهُمُ أَنْ يَفْتَدُوكَ هُمُ
٨ - وَمَنْ يُقَاتِلُ مَنْ تَلْقَى ٱلْقِتَالَ بِهِ، ... وَلَيْسَ يَفْضُلُ عَنْكَ ٱلْخَيْلُ وَٱلْبُهُمُ!(٦)
٩ - تَضِنُّ بِٱلْحَرْبِ عَنَّا، ضَنَّ ذِي بَخَلٍ ... وَمِنْكَ، فِي كُلِّ حَالٍ، يُعْرَفُ الكَرَمُ!
١٠ - لاَ تَبْخَلَنَّ عَلَى قَوْمٍ إِذَا قُتِلُوا ... أَثْنَى عَلَيْكَ بَنُو ٱلْهَيْجَاءِ دُونَهُمُ
١١ - أَلْبِسْتَ مَا لَبِسُوا، أُرْكِبْتَ مَا رَكِبُوا ... عُرِّفْتَ مَا عَرَفُوا، عُلِّمْتَ مَا عَلِمُوا
١٢ - كَمَا أُرِيتَ بِبِيضٍ، أَنْتَ وَاهِبُهَا، ... عَلَى خُيُولِكَ خَاضُوا ٱلْبَحْرَ وَهْوَ دَمُ!(٧)

---

(١) تُصْطَلَم: تُسْتَأْصَل.
(٢) يهولك: يخيفك.
(٣) الجَحْفَل: الجيش العظيم. القنا: الرماح. تصِم: تعيب.
(٤) السَرَف: مجاوزة الحدّ.
(٥) البيض: السّيوف. العجاجة: الناقة العظيمة، والازدحام وكثرة الأصوات.
(٦) البُهَم: جمع البهيم، وهو من الخيل الأسود، وما ليس فيه لون يخالف معظم لونه.
(٧) البيض: السيوف.

١٣ - هُمُ ٱلفَوارِسُ، فِي أَيْدِيهِمُ أَسَلٌ، فَإِنْ رَأَوْكَ فَأُسْدٌ، وَٱلْقَنَا أَجَمُ[١]
١٤ - قَالُوا ٱلْمَسِيرُ! فَهَزَّ ٱلرُّمْحَ عَامِلَهُ، وَٱرْتَاحَ فِي جَفْنِهِ ٱلصَّمْصَامَةُ ٱلْخَذِمُ[٢]
١٥ - فَطَالَبَتْنِي بِمَا سَاءَ ٱلْعُدَاةَ، وَقَدْ عَوَّدْتُهَا مَا تَشَاءُ ٱلذِّئْبُ وَٱلرَّخَمُ[٣]
١٦ - حَقاً، لَقَدْ سَاءَنِي أَمْرٌ، ذُكِرْتُ لَهُ، لَوْلَا فِرَاقُكَ لَمْ يُوجَدْ لَهُ أَلَمُ
١٧ - لَا تَشْغَلَنِّي بِأَمْرِ «ٱلشَّامِ» أَحْرُسُهُ إِنَّ «ٱلشَّامَ» عَلَى مَنْ حَلَّهُ حَرَمُ
١٨ - فَإِنَّ لِلثَّغْرِ سُوراً مِنْ مَهَابَتِهِ، صُخُورُهُ مِنْ أَعَادِي أَهْلِهِ قِمَمُ[٤]
١٩ - لَا يَحْرِمَنِّي «سَيْفُ ٱلدِّينِ» صُحْبَتَهُ فَهْيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلَّتِي تَحْيَا بِهَا ٱلنَّسَمُ
٢٠ - وَمَا ٱعْتَرَضْتُ عَلَيْهِ فِي أَوَامِرِهِ لَكِنْ سَأَلْتُ، وَمِنْ عَادَاتِهِ، نَعَمُ!

- ٣٠٣ -

وَكَانَ «مُحَمَّدُ بْنُ سُكَّرَةَ ٱلْهَاشِمِيُّ» عَمِلَ قَصِيدَةً، يُفَاخِرُ فِيهَا وَلَدَ «أَبِي طَالِبٍ» وَيَنْتَقِصُ وَلَدَ «عَلِيٍّ»، وَيَذْكُرُ فِيهَا ٱلتَّحَامُلَ عَلَيْهِمْ، وَأَوَّلُهَا هَذَا ٱلْبَيْتُ:

«بَنِي عَلِيٍّ»! دَعُوا مَقَالَتَكُمْ! لَا يُنْقِصُ ٱلدُّرَّ وَضْعُ مَنْ وَضَعَهْ

فَلَمْ يُجِبْهُ «أَبُو فِرَاسٍ» تَنَزُّهاً عَنْ مُنَاقَضَتِهِ، لِسَفَاهَةِ شِعْرِهِ، وَقَالَ فِي أَهْلِ ٱلْبَيْتِ - عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ:

[من البسيط]

١ - ٱلدِّينُ مُخْتَرَمٌ، وَٱلْحَقُّ مُهْتَضَمُ؛ وَفَيْءُ آلِ «رَسُولِ ٱللَّهِ»، مُقْتَسَمُ[٥]
٢ - وَٱلنَّاسُ عِنْدَكَ لَا نَاسٌ، فَيُحْفِظُهُمْ سَوْمُ ٱلرُّعَاةِ، وَلَا شَاءٌ، وَلَا نَعَمُ[٦]
٣ - إِنِّي أَبِيتُ قَلِيلَ ٱلنَّوْمِ، أَرَّقَنِي قَلْبٌ، تَصَارَعَ فِيهِ ٱلْهَمُّ وَٱلْهِمَمُ!

---

(١) الأسل: الرماح، وكذلك القنا. أجم: مجتمعة.
(٢) الصمصامة: السَّيف القاطع الذي لا يرتدّ. الخَذِم: القاطع أيضاً.
(٣) الرَّخم: طائر من الجوارح يشبه النَّسر، كثير الرِّيش، أبيض اللَّون، مبقَّع بسواد.
(٤) الثَّغر: المدينة المحصَّنة على الحدود.
(٥) مخترم: مخالَف. مُهْتَضَم: مُنْتَقَص. الفَيْء: الخَراج، الغنيمة تُنال بلا قتال.
(٦) أحفظهم: أغضبهم. سَوْم الرِّعاة: إخراجهم الماشية لترعى. الشَّاء: جمع الشَّاة، وهي الواحدة من الغنم. النَّعَم: الإبل.

٤ - وَعَزْمَةٌ، لا يَنَامُ ٱللَّيْلَ صَاحِبُهَا ... إلَّا عَلَى ظَفَرٍ، فِي طَيِّهِ كَرَمُ

٥ - يُصَانُ مُهْرِي لأَمْرٍ، لا أَبُوحُ بِهِ، ... وَٱلدِّرْعُ، وَٱلرُّمْحُ، وَٱلصَّمْصَامَةُ ٱلْخَذِمُ(١)

٦ - وَكُلُّ مَائِرَةِ ٱلضَّبْعَيْنِ، مَسْرَحُهَا ... رِمْثُ ٱلْجَزِيرَةِ، وَٱلخِذْرَافُ وَٱلْغَنَمُ(٢)

٧ - وَفِتْيَةٌ، قَلْبُهُمْ قَلْبٌ إذَا رَكِبُوا، ... يَوْماً؛ وَرَأْيُهُمُ رَأْيٌ إذَا عَزَمُوا

٨ - يَا لَلرِّجَالِ! أَمَا لِلَّهِ مُنْتَصِفٌ ... مِنَ ٱلطُّغَاةِ؟ أَمَا لِلدِّينِ مُنْتَقِمُ؟!(٣)

٩ - «بَنُو عَلِيٍّ» رَعَايَا فِي دِيَارِهِمُ، ... وَٱلأَمْرُ تَمْلِكُهُ ٱلنِّسْوَانُ، وَٱلْخَدَمُ!

١٠ - مُحَلَّؤونَ، فَأَصْفَى شُرْبِهِمْ وَشَلٌ، ... عِنْدَ ٱلْوُرُودِ؛ وَأَوْفَى وِدِّهِمْ لَمَمُ(٤)

١١ - فَٱلأَرْضُ، إلَّا عَلَى مُلَّاكِهَا، سَعَةٌ، ... وَٱلْمَالُ، إلَّا عَلَى أَرْبَابِهِ، دِيَمُ(٥)

١٢ - وَمَا ٱلسَّعِيدُ بِهَا إلَّا ٱلَّذِي ظَلَمُوا، ... وَمَا ٱلْغَنِيُّ بِهَا إلَّا ٱلَّذِي حَرَمُوا

١٣ - لِلْمُتَّقِينَ، مِنَ ٱلدُّنْيَا، عَوَاقِبُهَا ... وَإنْ تَعَجَّلَ مِنْهَا ٱلظَّالِمُ ٱلأَثِمُ(٦)

١٤ - لا يُطْغِيَنَّ «بَنِي ٱلْعَبَّاسِ» مُلْكُهُمُ! ... «بَنُو عَلِيٍّ» مَوَالِيهِمْ وَإنْ زَعَمُوا

١٥ - أَتَفْخَرُونَ عَلَيْهِمْ؟ - لَا أَبَا لَكُمُ - ... حَتَّى كَأَنَّ «رَسُولَ ٱللَّهِ» جَدُّكُمُ

١٦ - وَمَا تَوَازَنَ، يَوْماً، بَيْنَكُمْ شَرَفٌ، ... وَلَا تَسَاوَتْ بِكُمْ، فِي مَوْطِنٍ، قَدَمُ

١٧ - وَلَا لَكُمْ مِثْلُهُمْ، فِي ٱلْمَجْدِ، مُتَّصِلٌ ... وَلَا لَجِدِّكُمُ مِعْشَارُ جَدِّهِمُ

١٨ - وَلَا لِعِرْقِكُمُ مِنْ عِرْقِهِمْ شَبَهٌ، ... وَلَا «نُفَيْلَتُكُمْ» مِنْ أُمِّهِمْ أَمَمُ(٧)

١٩ - قَامَ ٱلنَّبِيُّ بِهَا، «يَوْمَ ٱلْغَدِيرِ»، لَهُمْ ... وَٱللَّهُ يَشْهَدُ، وَٱلأَمْلَاكُ، وَٱلأُمَمُ(٨)

٢٠ - حَتَّى إذَا أَصْبَحَتْ فِي غَيْرِ صَاحِبِهَا ... بَاتَتْ تَنَازَعُهَا ٱلذُّؤْبَانُ وَٱلرَّخَمُ(٩)

---

(١) الصمصامة: السيف القاطع. الخَذِم: الحادّة.

(٢) مائرة: متموِّجة. الضّبعان: العضُدان. الرِّمث والخِذراف والعنم: أنواع من النبات تأكله الإبل.

(٣) الطّغاة: الظالمون.

(٤) محلَّؤون: مبعَدُون. الوَشَل: القليل من الماء. لَمَم: ذنب.

(٥) دِيَم: جمع ديمة، وهي المطر يتساقط بلا رعد.

(٦) الأثِم: الآثِم.

(٧) نفيلة: أم العبّاس، وزوجة عبد المطّلب. وأمّهم هي جدّة النبيّ ﷺ. أمم: مشابهة.

(٨) يوم الغدير: هو اليوم الذي أعلن فيه النبيّ ﷺ: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه».

(٩) الذُّؤبان: الذّئاب. الرَّخَم: طائر من الجوارح يشبه النَّسر، كثير الرِّيش، أبيض اللون، مبقَّع بسواد.

٢١ - وَصُيِّرَتْ بَيْنَهُمْ شُورَى كَأَنَّهُمُ   لَا يَعْرِفُونَ وُلَاةَ ٱلْحَقِّ أَيَّهُمُ!

٢٢ - تَاللَّهِ، مَا جَهِلَ ٱلْأَقْوَامُ مَوْضِعَهَا   لَكِنَّهُمْ سَتَرُوا وَجْهَ ٱلَّذِي عَلِمُوا(١)

٢٣ - ثُمَّ ٱدَّعَاهَا «بَنُو ٱلْعَبَّاسِ» إِرْثَهُمُ،   وَمَا لَهُمْ قَدَمٌ، فِيهَا، وَلَا قِدَمُ

٢٤ - لَا يُذْكَرُونَ، إِذَا مَا مَعْشَرٌ ذُكِرُوا،   وَلَا يُحَكَّمُ، فِي أَمْرٍ، لَهُمْ حَكَمُ

٢٥ - وَلَا رَآهُمْ «أَبُو بَكْرٍ»، وَصَاحِبُهُ   أَهْلًا، لِمَا طَلَبُوا مِنْهَا، وَمَا زَعَمُوا(٢)

٢٦ - فَهَلْ هُمُ مُدَّعُوهَا غَيْرَ وَاجِبَةٍ   أَمْ هَلْ أَئِمَّتُهُمْ فِي أَخْذِهَا ظَلَمُوا؟

٢٧ - أَمَّا «عَلِيٌّ» فَقَدْ أَدْنَى قَرَابَتَكُمْ،   عِنْدَ ٱلْوِلَايَةِ، إِن لَّمْ تُكْفَرِ ٱلنِّعَمُ!

٢٨ - هَلْ جَاحِدٌ، يَا «بَنِي ٱلْعَبَّاسِ» نِعْمَتَهُ!   أَبُوكُمُ، أَمْ «عُبَيْدُ ٱللَّهِ» أَمْ «قُثَمُ!»؟(٣)

٢٩ - بِئْسَ ٱلْجَزَاءُ جَزَيْتُمْ فِي بَنِي «حَسَنٍ»!   أَبُوهُمُ ٱلْعَلَمُ ٱلْهَادِي وَأُمُّهُمُ

٣٠ - لَا بَيْعَةٌ رَدَعَتْكُمْ عَنْ دِمَائِهِمُ،   وَلَا يَمِينٌ، وَلَا قُرْبَى، وَلَا ذِمَمُ(٤)!

٣١ - هَلَّا صَفَحْتُمْ عَنِ ٱلْأَسْرَى بِلَا سَبَبٍ!   لِلصَّافِحِينَ، بِـ «بَدْرٍ» عَنْ أَسِيرِكُمُ؟(٥)

٣٢ - هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنِ «ٱلدِّيبَاجِ» سَوْطَكُمُ؟   وَعَنْ بَنَاتِ «رَسُولِ ٱللَّهِ» شَتْمَكُمُ؟(٦)

٣٣ - مَا نُزِّهَتْ لِـ «رَسُولِ ٱللَّهِ» مُهْجَتُهُ   عَنِ ٱلسِّيَاطِ! فَهَلَّا نُزِّهَ ٱلْحَرَمُ؟

٣٤ - مَا نَالَ مِنْهُمْ «بَنُو حَرْبٍ» وَإِنْ عَظُمَتْ   تِلْكَ ٱلْجَرَائِرُ، إِلَّا دُونَ نَيْلِكُمُ(٧)

٣٥ - كَمْ غَدْرَةٍ لَكُمُ فِي ٱلدِّينِ وَاضِحَةٍ!   وَكَمْ دَمٍ لِـ «رَسُولِ ٱللَّهِ» عِنْدَكُمُ؟!

٣٦ - أَأَنْتُمُ آلُهُ فِيمَا تَرَوْنَ، وَفِي   أَظْفَارِكُمْ، مِن بَنِيهِ ٱلطَّاهِرِينَ، دَمُ؟

٣٧ - هَيْهَاتَ! لَا قَرَّبَتْ قُرْبَى، وَلَا رَحِمٌ،   يَوْماً، إِذَا أَقْصَتِ ٱلْأَخْلَاقُ وَٱلشِّيَمُ!(٨)

---

(١) تالله: بالله. التاء حرف للقسَم.

(٢) أبو بكر: هو أبو بكر الصِّدِّيق أوَّل الخلفاء الرّاشدين.

(٣) عبيد الله وقُثَم: ابنا العبّاس، استعملهما الإمام عليّ في أيّام خلافته، فعيَّن عبيد الله على اليمن، وقُثَم على الحَرَمين.

(٤) في ديوانه الذي نشره الدهان: «ولا نَسَبٌ»!.

(٥) بدر: موقعة بدر التي جرت بين المسلمين والمُشركين.

(٦) الديباج: هو محمد بن عبد الله، ودعِي بالدِّيباج لحُسْنه، وكان المنصور قد أمر بجلده ثمانين جلدةً، وبشتمه.

(٧) الجرائر: الذنوب.

(٨) أقصت: أبعدت. الشِّيم: الأخلاق الحميدة.

٣٨ ـ كَـانَتْ مَـوَدَّةُ «سَلْمَـانٍ» لَـهُ رَحِمـاً، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ «نُـوحٍ» وَٱبْنِهِ رَحِمُ! (١)
٣٩ ـ يَـا جَـاهِـداً فِي مَسَـاوِيهِمْ يُكَتِّمُهَـا! غَدْرُ ٱلرَّشِيدِ «بِـ«يَحْيَى» كَيْفَ يَنْكَتِمُ؟ (٢)
٤٠ ـ لَيْسَ «ٱلرَّشِيدُ» كَـ«مُوسَى» فِي ٱلْقِيَاسِ وَلاَ «مَأْمُونُكُمْ» كَـ«ٱلرِّضَا» إِنْ أَنْصَف
٤١ ـ ذَاقَ «ٱلزُّبَيْرِيُّ» غِبَّ ٱلْحِنْثِ؛ وَٱنْكَشَفَتْ عَنِ «ٱبْنِ فَـاطِمَةَ» ٱلأَقْـوَالُ وَٱلتُّهَمُ
٤٢ ـ بَـاؤوا بِقَتْلِ «ٱلـرِّضَا» مِنْ بَعْـدِ بَيْعَتِهِ وَأَبْصَـرُوا بَعْضَ يَوْمٍ رُشْـدَهُمْ وَعَمُوا
٤٣ ـ يَا عُصْبَةً شَقِيَتْ، مِنْ بَعْدِمَا سَعِدَتْ، وَمَعْشَراً هَلَكُوا مِنْ بَعْـدِمَا سَلِمُـوا! (٥)
٤٤ ـ لَبِئْسَ مَا لَقِيَتْ مِنْهُمْ، وَإِنْ بَلِيَتْ بِجَانِبِ «ٱلطَّفِّ» تِلْكَ ٱلأَعْظُمُ ٱلرِّمَمُ! (٦)
٤٥ ـ لاَ عَنْ «أَبِي مُسْلِمٍ» فِي نُصْحِهِ صَفَحُوا، وَلاَ «ٱلْهُبَيْرِيَّ» نَجَّى ٱلْحِلْفُ وَٱلْقَسَمُ! (٧)
٤٦ ـ وَلاَ ٱلأَمَانُ لأَزْدِ «ٱلْمُوصِلِ» ٱعْتَمَدُوا فِيهِ ٱلْوَفَـاءَ، وَلاَ عَنْ عَمِّهِمْ حَلِمُوا (٨)
٤٧ ـ أَبْلِغْ لَـدَيْكَ «بَنِي ٱلْعَبَّـاسِ» مَأْلُكَـةً: لاَ تَدَّعُوا مُلْكَهَـا! مُلاَّكُهَـا ٱلْعَجَمُ! (٩)
٤٨ ـ أَيُّ ٱلْمَفَـاخِـرِ أَمْسَتْ فِي مَنَـابِـرِكُمْ وَغَـيْـرُكُمْ آمِـرٌ فِـيهِـنَّ، مُحْـتَكِـمُ؟
٤٩ ـ وَهَـلْ يَـزِيـدُكُمْ مِنْ مَفْخَـرٍ عَـلَمٌ وَفِي ٱلْخِلاَفِ، عَلَيْكُمْ يَخْفِقُ ٱلْعَلَمُ؟
٥٠ ـ يَا بَاعَـةَ ٱلْخَمْرِ! كُفُّـوا عَنْ مَفَاخِـرِكُمْ عَنْ فِتْيَـةٍ بَيْعُهُـمْ يَـوْمَ ٱلْهِيَـاجِ دَمُ
٥١ ـ خَلُّوا ٱلْفَخَـارَ لِعَـلاَّمِينَ، إِنْ سُئِلُوا يَـوْمَ ٱلسُّؤَالِ، وَعَمَّـالِينَ إِنْ عَلِمُـوا!
٥٢ ـ لاَ يَغْضَبُـونَ لِغَيْـرِ ٱللَّهِ، إِنْ غَضِبُـوا، وَلاَ يُضِيعُونَ حُكْمَ ٱللَّهِ، إِنْ حَكَمُوا!

---

(١) سلمان: يعني سلمان الفارسيّ، وفي صدر البيت إشارة إلى قول النبيّ ﷺ: «سلمان منّا آلَ البيت». وفي العجز إشارة إلى الآية القرآنيّة: ﴿قال: يا نوحُ، إنّه ليس من أهلك، إنّه عمل غير صالح﴾

(٢) يشير إلى ما فعله هارون الرشيد بيحيى البرمكيّ.

(٣) موسى: هو موسى الكاظم، رضي الله عنه، الإمام السابع عند الشّيعة الاثني عشريَّة. الرِّضا: هو عليّ بن موسى، الإمام الثامن، قُتل مسموماً بطوس (مشهد).

(٤) الزّبيريّ: عبد الله بن الزبير، وكان قد بايع عليّاً بالخلافة، ثمَّ حنث (نكث) في بيعته.

(٥) العُصبة: الجماعة.

(٦) الطّفّ: مكان في كربلاء يضمّ قبر الإمام الحسين بن عليّ.

(٧) أبو مسلم: هو أبو مسلم الخراسانيّ قتله العبّاسيّون. الهبيريّ: هو يزيد بن هبيرة قائد جيش مروان بن محمدآخر الخلفاء الأمويِّين.

(٨) الأزد: قبيلة عربيَّة مُوالية لبني أميَّة.

(٩) المألُكَة: الرسالة.

٥٣ - تَبْدُو آلتِّلاوَةُ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ، أَبَداً، وَفِي بُيُوتِكُمُ آلأَوْتَارُ، وَآلنَّغَمُ
٥٤ - مِنْكُمْ «عُلَيَّةُ» أَمْ مِنهُمْ؟ وَكَانَ لَكُمْ شَيْخُ آلْمُغَنِّينَ «إِبْرَاهِيمُ» أَمْ لَهُمُ؟(١)
٥٥ - أَمْ مَنْ تُشَادُ لَهُ آلأَلْحَانُ، سَائِرَةً، «عَلَيُّهُمْ» ذُو آلْمُعَالِي! أَمْ «عَلِيُّكُمُ»؟(٢)
٥٦ - إِذَا تَلَوْا سُورَةً غَنَّى إِمَامُكُمُ: «قِفْ بِآلدِّيَارِ، آلَّتِي لَمْ يَعْفُهَا آلْقِدَمُ»(٣)
٥٧ - مَا فِي دِيَارِهِمُ لِلْخَمْرِ مُعْتَصَرٌ؛ وَلاَ بُيُوتُهُمُ لِلسُّوءِ مُعْتَصَمُ
٥٨ - وَلاَ تَبِيتُ لَهُمْ خُنْثَى، تُنَادِمُهُمْ؛ وَلاَ يُرَى لَهُمُ قِرْدٌ، لَهُ حَشَمُ(٤)
٥٩ - آلرُّكْنُ، وَآلْبَيْتُ، وَآلأَسْتَارُ مَنْزِلُهُمْ، وَزَمْزَمٌ، وَآلصَّفَا، وَآلْحِجْرُ، وَآلْحَرَمُ
٦٠ - وَلَيْسَ مِنْ قَسَمٍ فِي آلذِّكْرِ نَعْرِفُهُ، إِلاَّ وَهُمْ غَيْرَ شَكٍّ، ذَلِكَ آلْقَسَمُ
٦١ - صَلَّى آلإِلَهُ عَلَيْهِمْ، أَيْنَمَا ذُكِرُوا، لأَنَّهُمْ لِلْوَرَى كَهْفٌ، وَمُعْتَصَمُ(٥)

- ٣٠٤ -

وَقَالَ، أَيْضاً، يُخَاطِبُ «أَبَا مُحَمَّدٍ جَعْفَرَ بْنَ وَرْقَاءَ»:

[من مخلّع البسيط]

١ - أَللَّوْمُ لِلْعَاشِقِينَ لُومُ، لأَنَّ خَطْبَ آلْهَوَى عَظِيمُ(٦)
٢ - فَكَيْفَ تَرْجُونَ لِي سُلُوّاً، وَعِنْدِيَ آلْمُقْعِدُ آلْمُقِيمُ؟
٣ - وَمُقْلَتِي، مِلْؤُهَا دُمُوعٌ؛ وَأَضْلُعِي، حَشْوُهَا كُلُومُ!(٧)
٤ - يَا قَوْمِ! إِنِّي آمْرُؤٌ كَتُومٌ، تَصْحَبُنِي مُقْلَةٌ نَمُومُ(٨)

---

(١) علية وإبراهيم: أخوا الرشيد، كانا حَسَني الصّوت.
(٢) عليكم: عليّ بن العباس المكتفي بالله.
(٣) عجز البيت لزهير بن سُلمى في مطلع قصيدته:
قِفْ بالدِّيارِ التي لم يَعْفُها القِدَمُ   بَلَى، وغَيَّرَها الأَرْواحُ والدِّيَمُ
(٤) الخنثى، من له عُضو الرجال والنِّساء.
(٥) الورى: الناس.
(٦) خطب الهوى: مصيبته.
(٧) مقلتي: عيني. كلوم: جراح.
(٨) نموم: كثيرة الوشاية، وكشف الأسرار.

٥ - أَلـلَّيْـلُ لِلْعَـاشِـقِـيـنَ سِـتْـرٌ، يَـا لَـيْـتَ أَوْقَـاتَـهُ تَـدُومُ!

٦ - نَـدِيـمِيَ آلـنَّجْـمُ، طُـولَ لَـيْـلِي، حَـتَّـى إِذَا غَـارَتِ آلـنُّجُـومُ، (١)

٧ - أَسْـلَمَـنِـي آلـصُّـبْـحُ لِلْبَـلَايَـا، فَـلَا حَـبِـيـبٌ، وَلَا نَـدِيـمُ (٢)

٨ - بِـ «رَمْـلَتَـيْ عَـالِـجٍ» رُسُـومٌ، يَـطُولُ مِـنْ دُونِـهَـا آلـرَّسِـيـمُ! (٣)

٩ - أَنَـخْـتُ فِـيـهِـنَّ يَـعْـمَـلَاتٍ، مَـا عَـهْـدُ إِرْقَـالِـهَـا ذَمِـيـمُ! (٤)

١٠ - آجَـدَهَـا قَـطْـعُ كُـلِّ وَادٍ، أَخْـصَـبَـهُ نَـبْـتُـهُ آلْـعَـمِـيـمُ (٥)

١١ - رَدَّتْ عَلَى آلـدَّهْـرِ، فِي سُـرَاهَـا، مَـا وَهَـبَ آلنَّجْمُ، وَآلـنُّجُـومُ! (٦)

١٢ - تِـلْكَ سَجَـايَـا مِـنَ آلـلَّيَـالِـي، لِـلْبُـؤْسِ مَـا يَـخْلُقُ آلـنَّعِـيـمُ

١٣ - بَـيْـنَ ضُـلُوعِـي، هَـوًى مُـقِـيـمٌ لآلِ «وَرْقَـاءَ» لَا يَـرِيـمُ (٧)

١٤ - يُـغَـيِّـرُ آلـدَّهْـرُ كُـلَّ شَـيْءٍ، وَهْـوَ صَـحِـيـحٌ لَـهُـمْ، سَـلِيـمُ!

١٥ - أَمْـنَـعُ مَـنْ رَامَـهُ سِـوَاهُـمْ مِـنْـهُ، كَـمَـا تُـمْـنَـعُ آلْـحَـرِيـمُ

١٦ - وَهَـلْ يُـسَـاوِيـهِـمُ قَـرِيـبٌ؟ أَمْ هَـلْ يُـدَانِيـهِـمُ حَـمِـيـمُ؟ (٨)

١٧ - وَنَـحْـنُ فِـي عُـصْـبَـةٍ وَأَهْـلٍ، تَـضُـمُّ أَغْـصَـانَـنَـا أَرُومُ (٩)

١٨ - لَـمْ تَـتَـفَـرَّقْ بِـنَـا خُـؤُولٌ، فِـي جِـذْمِ عِـزٍّ، وَلَا عُـمُومُ! (١٠)

١٩ - سَـمَـتْ بِـنَـا «وَائِـلٌ»، وَفَـازَتْ، بِـآلْـعِـزِّ أَخْـوَالُـنَا «تَـمِـيـمُ»! (١١)

---

(١) غارت النجوم: أفلت، غابت.

(٢) البلايا: المصائب.

(٣) رملتي عالج: اسم موضع. رسوم: آثار الديار بعد نزوح أهلها عنها. الرَّسيم: نوع من سير الإبل.

(٤) اليعملات: جمع اليعملة وهي الناقة المطبوعة على العمل. الإرقال: السَّير السَّريع. وأرقل المفازة: قطعها.

(٥) آجدها: جعلها قويّة.

(٦) سُراها: سيرها في اللَّيل.

(٧) يريم: يفارق.

(٨) الحميم: القريب الذي يحبُّك وتُحبّه.

(٩) العُصبة: الجماعة. الأروم: الأصل، والحَسَب.

(١٠) الخُؤول: الأخوال. جِذم: أصل. العُموم: الأعمام.

(١١) وائل وتميم: قبيلتان عربيّتان.

٢٠ ـوِدَادُهُـمْ خَـالِصٌ، صَـحِـيـحٌ، وَعَـهْـدُهـمْ ثَـابِـتٌ، مُـقِـيـمُ!
٢١ ـفَـذَاكَ مِـنْـهُـمْ بِـنَـا حَـدِيـثٌ، وَهْـوَ لآبَـائِـنَـا قَـدِيـمُ
٢٢ ـنَـرْعَـاهُ، مَـا طُـرِقَـتْ بِـحَـمْـلٍ أُنْـثَـى، وَمَـا أَطْـفَـلَـتْ بَـغُـومُ(١)
٢٣ ـنُـدْنِـي بَـنِـي عَـمِّـنَـا إِلَـيْـنَـا، فَـضْـلاً، كَـمَـا يَـفْـعَـلُ ٱلْـكَـرِيـمُ
٢٤ ـأَيْـدٍ لَـهُـمْ، عِـنْـدَ كُـلِّ خَـطْـبٍ، يُـثْـنِـي بِهَـا ٱلْـفَـادِحُ ٱلْـجَـسِيـمُ!(٢)
٢٥ ـوَأَلْـسُـنٌ، دُونَـهُـمْ، حِـدَادٌ لُـدٌّ إِذَا قَـامَـتِ ٱلْـخُـصُـومُ(٣)
٢٦ ـلَـمْ تَـنْـأَ، عَـنَّـا، لَـهُـمْ قُـلُوبٌ، وَإِنْ نَـأَتْ مِـنْـهُـمْ، جُـسُـومُ(٤)
٢٧ ـفَـلاَ عَـدِمْـنَـا لَـهُـمْ ثَـنَـاءً، كَـأَنَّـهُ ٱلـلُّـؤْلُـؤُ ٱلـنَّـظِـيـمُ
٢٨ ـلَـقَـدْ نَـمَـتْـنَـا لَـهُـمْ أُصُـولٌ، مَـا مَـسَّ أَعْـرَاقَـهُـنَّ لُـومُ
٢٩ ـتَـبْـقَـى، وَيَـبْـقَـوْنَ فِـي نَـعِـيـمٍ مَـا بَـقِـيَ ٱلـرُّكْـنُ، وَٱلْـحَـطِـيـمُ!(٥)

- ٣٠٥ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - لَـمَّـا تَـبَـيَّـنْـتُ بِـأَنِّـي لَـهُ أَزْدَادُ حُـبـاً، كُـلَّـمَـا لاَمُـوا،(٦)
٢ - وَدِدْتُ إِذْ ذَاكَ، بِـأَنَّ ٱلْـوَرَى فِـيـكَ، مَدَى ٱلأَيَّامِ، لُـوَّامُ(٧)

(١) طُرِقَتْ بحمل: حملت. أَطْفَلَتْ: وضعت طفلاً. البغوم: الظبية.
(٢) الخطب: المصيبة.
(٣) اللُّدّ: جمعِ الألدّ، وهو الشّديد الخصومة.
(٤) لم تَنْأَ: لم تبتعد.
(٥) الحطيم: بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة.
(٦) تبيَّنتُ: اتَّضح لي.
(٧) الورى: الناس.

- ٣٠٦ -

وَكَتَبَ بِهَا إِلَى «أَبِي زُهَيْر مُهَلْهِلِ بْنِ نَصرِ بْنِ حَمْدَانَ»:

[من الطويل]

١ - هُوَ ٱلطَّلَلُ ٱلْعَافِي، وَهَاتَا مَعَالِمُهْ! ... قُبْحٌ بِهَوَى مَنْ أَنْتَ فِي ٱلْقَلْبِ كاتِمُهْ(١)

٢ - وَقَدْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِمَا يَصْنَعُ ٱلْهَوَى، ... وَمَا جَاهِلٌ شَيْئاً كَمَنْ هُوَ عَالِمُهْ!

٣ - وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ ٱلْحُبِّ مِثْلِي، فَإِنَّهُ ... عَلِيمٌ بِأَنَّ ٱلْحُبَّ مُرٌّ مَطَاعِمُهْ

٤ - وَمَا ٱلْغَادَةُ ٱلْحَسْنَاءُ صِينَتْ وَإِنَّمَا ... أُذِيلَ مِنَ ٱلدَّمْعِ ٱلْمَصُونِ كَرَائِمُهْ

٥ - وَمَا ٱلْعِيسُ سَارَتْ بِٱلْجَآذِرِ، غُدْوَةً ... أَلَا إِنَّمَا صَبْرِي ٱسْتَقَلَّتْ عَزَائِمُهْ(٢)

٦ - وَلَيْسَ بِذِي وَجْدٍ فَتًى كَتَمَ ٱلْهَوَى؛ ... وَلَيْسَ بِصَبٍّ مَنْ ثَنَتْهُ لَوَائِمُهْ

٧ - وَقَفْنَا فَسَقَّيْنَا ٱلْمَنَازِلَ أَدْمُعاً ... هِيَ ٱلْوَبْلُ، وَٱلأَجْفَانُ مِنْهَا غَمَائِمُهْ(٣)

٨ - وَمَا ٱلدَّمْعُ، يَوْماً، نَاقِعاً مِنْ صَبَابَةٍ ... وَلَوْ فَاضَ حَتَّى يَمْلأَ ٱلأَرْضَ سَاجِمُهْ(٤)

٩ - وَكَانَ عَظِيماً عِنْدِيَ ٱلْهَجْرُ مَرَّةً ... فَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْبَيْنَ هَانَتْ عَظَائِمُهْ(٥)

١٠ - وَقَدْ كَانَ تَنْعَابُ ٱلْغُرَابِ مُخَبِّراً ... بِوَشْكِ فِرَاقٍ، أَوْ حَبِيبٍ نُصَارِمُهْ(٦)

١١ - فَمَا لِغُرَابِ ٱلْبَيْنِ - لَا دَرَّ دَرُّهُ! - ... وَلَا حَمَلَتْهُ رِيشُهُ وَقَوَادِمُهْ

١٢ - وَمَا لِجِمَالِ ٱلْحَيِّ، يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... تَوَلَّتْ بِمَنْ زَانَ ٱلْحُلِيَّ مَعَاصِمُهْ(٧)

١٣ - لَقَدْ جَارَتِ ٱلأَيَّامُ فِينَا بِحُكْمِهَا، ... وَمَنْ يُنْصِفُ ٱلْمَظْلُومَ وَٱلْخَصْمُ حَاكِمُه؟

١٤ - وَكَيْفَ تُرَجَّى لِلْكَرِيمِ إِفَاقَةٌ، ... إِذَا مَا غَدَا يَوْماً وَآسِيهِ كَالِمُهْ؟(٨)

---

(١) العافي: الدارس.هاتا: هذه.

(٢) العيس: الإبل البيضاء التي يشوب بياضها شقرة، أو سواد خفيف. الجآذر: جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشيَّة، ويكنَّى به عن المرأة الجميلة الواسعة العينين.

(٣) الوَبل: المطر.

(٤) الصَّبابة: الشَّوق والهوى. ساجمه: سَيَلانه.

(٥) البَيْن: الفراق.

(٦) تنعاب الغراب: صوته المنذِر بالفراق. نصارمه: نقاطعه، نجافيه.

(٧) المعاصم: جمع المعصم، وهو موضع السِّوار من اليد.

(٨) آسيه: طبيبه. كالمه: جارحه.

١٥ -وَمَنْ سَالَمَ الأَيَّامَ وَآنْقَادَ طَوْعَهَا ... فَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ تَلِينَ صَلَادِمُهْ![1]
١٦ -فإِنِّي رَأَيْتُ آلدَّهْرَ أَجْوَرَ حَاكِمٍ، ... سَوَاءٌ مُعَادِيهِ، مَعاً، وَمُسَالِمُهْ[2]
١٧ -سَلِ آلدَّهْرَ عَنِّي: هَلْ خَضَعْتُ لِحُكْمِهِ؟ ... وَهَلْ رَاعَنِي أَصْلَالُهُ وَأَرَاقِمُهْ!؟[3]
١٨ -وَهَلْ مَوْضِعٌ فِي آلبَرِّ مَا جُبْتُ أَرْضَهُ ... وَلَا وَطِئَتْهُ مِنْ بَعِيرِي مَنَاسِمُهْ؟[4]
١٩ -وَلَا شَسَعَتْ لَمَّا وَرَدْتُ نُجُودُهُ، ... وَلَا بَعُدَتْ أَغْوَارُهُ وَتَهَائِمُهْ؟[5]
٢٠ -وَمَا صَحِبَتْنِي، قَطُّ، إِلَّا مَطِيَّتِي، ... وَعَضْبُ حُسَامٍ مِخْذَمُ آلْحَدِّ صَارِمُهْ[6]
٢١ -وَإِنَّ آنْفِرَادَ آلْمَرْءِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ، ... لَخَيْرٌ مِن آسْتِصْحَابِ مَنْ لَا يُلَائِمُهْ
٢٢ -إِذَا نَزَلَ آلْخَطْبُ آلْجَلِيلُ فَإِنَّنَا ... نُصَابِرُهُ حَتَّى تَضِيقَ حَيَازِمُهْ[7]
٢٣ -وَإِنْ جَاءَنَا عَافٍ فَإِنَّا مَعَاشِرٌ ... نُشَاطِرُهُ أَمْوَالَنَا وَنُقَاسِمُهْ[8]
٢٤ -بَنَيْنَا مِنَ آلْعَلْيَاءِ مَجْداً مُشَيَّداً، ... وَمَا شَائِدٌ مَجْداً كَمَنْ هُوَ هَادِمُهْ!
٢٥ -سَلِ آلْمَجْدَ عَنَّا يَعْلَمِ آلْمَجْدُ أَنَّنَا ... بِنَا أُطِّدَتْ أَرْكَانُهُ وَدَعَائِمُهْ
٢٦ -أَخِي، وَآبْنَ عَمِّي «يا ابْنَ نَصْرٍ» نِدَاءَ مَنْ ... أُقِيمَتْ لِطُولِ آلْهَجْرِ مِنْكَ مَآتِمُهْ
٢٧ -أَوَدُّكَ وُدّاً لَا آلزَّمَانُ يُبِيدُهُ، ... وَلَا آلنَّأْيُ يُفْنِيهِ وَلَا آلْهَجْرُ صَارِمُهْ[9]
٢٨ -وَلَوْ رُمْتُ يَوْماً أَنْ تَرِيمَ صَبَابَتِي ... إِلَيْكَ، أَزَالَ آلشَّوْقُ مَا أَنَا رَائِمُهْ[10]

---

(١) الصلادم: جمع الصلدم، وهو الصلب.
(٢) أجور: أظلم.
(٣) راعني: أخافني. الأصلال: جمع الصِّلّ، وهو من الحيّات أخبثها. الأراقم: جمع الأرقم، وهي بمعنى الصّلّ.
(٤) البعير: الجمل. المناسم: جمع المنسم، وهو للجمال كالظُّفْر للإنسان.
(٥) شسعت: بعدتْ. النُجود: جمع النجد، وهو ما ارتفع من الأرض. الأغوار: جمع الغور، وهو ما انخفض من الأرض. التهائم: جمع التّهامة، وهي الأرض المنخفضة، أو ما تصوَّب منها إلى البحر.
(٦) العضْب: القاطع. الحُسام: السَّيف. المِخْذَم: القاطع. الصارم: القاطع أيضاً.
(٧) الخطب: المصيبة. الحيازم: جمع الحيزوم، وهو وسط الصَّدر.
(٨) العافي: الذي يأتي يطلب معروفاً.
(٩) يبيده: يزيله. النأي: البعد. صارمه: قاطعه.
(١٠) رمتُ: أردت. تريم إليك: تبتعد منك.

٢٩ ـ فَوَا عَجَباً لِلسَّيْفِ، لَمَّا ٱنْتَضَيْتَهُ ... مِنَ ٱلْجَفْنِ لَمْ يُوْرِق بِكَفِّكَ قَائِمُهْ! (١)
٣٠ ـ وَوَاعَجَباً لِلطِّرفِ، لَمَّا رَكِبْتَهُ ... غَدَاةَ ٱلْوَغَى كَيْفَ ٱسْتَقَلَّتْ قَوَائِمُهْ! (٢)
٣١ ـ بِلَيْثٍ، إِذَا مَا ٱللَّيْثُ حَادَ عَنِ ٱلْوَغَى ... وَغَيْثٍ، إِذَا مَا ٱلْغَيْثُ أَكْدَتْ سَوَاجِمُهْ! (٣)
٣٢ ـ تَعَلَّمْ ـ أُقِيكَ ٱلسُّوءَ ـ أَنَّ مَدَامِعِي ... لِبُعْدِكَ، مِثْلُ ٱلْعِقْدِ أَوْهَاهُ نَاظِمُهْ (٤)
٣٣ ـ وَأَنِّيَ، مُذْ زُمَّتْ رِكَابُكَ لِلنَّوَى، ... شَدِيدُ ٱشْتِيَاقٍ عَازِبُ ٱلْقَلْبِ هَائِمُهْ (٥)

ـ ٣٠٧ ـ

وَقَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى «أَبِي زُهَيْرٍ»، وَقَد ٱسْتَجْفَاهُ:

[من الطويل]

١ ـ أَمَا إِنَّهُ رَبْعُ ٱلصِّبَا وَمَعَالِمُهْ ... فَلَا عُذْرَ إِنْ لَمْ يُنْفِدِ ٱلدَّمْعَ سَاجِمُهْ (٦)
٢ ـ لَئِنْ بِتَّ تَبْكِيهِ خَلَاءً فَطَالَمَا ... نَعِمْتَ بِهِ، دَهْراً، وَفِيهِ نَوَاعِمُهْ
٣ ـ رِيَاحٌ عَفَتْهُ، وَهْيَ أَنْفَاسُ عَاشِقٍ، ... وَوَبْلٌ سَقَاهُ، وَٱلْجُفُونُ غَمَائِمُهْ (٧)
٤ ـ وَظَلَّامَةٍ، قَلَّدْتُهَا حُكْمَ مُهْجَتِي؛ ... وَمَنْ يُنْصِفُ ٱلْمَظْلُومَ وَٱلْخَصْمُ حَاكِمُهْ؟ (٨)
٥ ـ مَهَاةٌ، لَهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ مَصُونُهُ، ... وَخَوْدٌ، لَهَا مِنْ كُلِّ دَمْعٍ كَرَائِمُهْ (٩)
٦ ـ وَلَيْلٍ كَفَرْعَيْهَا قَطَعْتُ وَصَاحِبِي ... رَقِيقُ غِرَارٍ، مِخْذَمُ ٱلْحَدِّ صَارِمُهْ (١٠)

---

(١) انتضيته من الجَفْن: أخرجته من قرابه.
(٢) الطِّرف: الكريم الأصل من الخيل. الوغى: الحرب.
(٣) أكْدَت سواجمه: قلت مياهه.
(٤) أوهاه: أضعفه.
(٥) زمَّت: شُدَّت بالزِّمام (اللجام). النوى: البعد والفراق.
(٦) الساجم: السائل.
(٧) عفته: محته. الوبل: المطر.
(٨) المهجة: النفس.
(٩) الخَوْد: المرأة الشابّة الناعمة.
(١٠) الغرار: حدّ السَّيف. مخذم الحدّ: قاطعه، وكذلك صارمه.

٧ - تَـغُـذُّ بِـيَ ٱلْقَفْرَ الفضاءَ شِـمِـلَّةٌ سَـوَاءٌ عَلَيْهَـا نَجْـدُهُ وَتَهَـائِمُـهْ[١]

٨ - تُـصَـاحِـبُـنِـي آرامُـهُ وَظِـبَـاؤُهُ، وَتُـؤْنِـسُـنِـي أَصْـلَالُـهُ وَأَرَاقِـمُـهْ[٢]

٩ - وَأَيُّ بِـلَادِ ٱللَّهِ لَمْ أَنْـتَـقِـلْ بِـهَـا! وَلَا وَطِئَتْهَا مِنْ بَعِيرِي مَنَاسِمُهْ![٣]

١٠ -وَنَـحْنُ أُنَـاسٌ، يَـعْلَمُ ٱللَّهُ، أَنَّنَـا، إِذَا جَمَحَ ٱلدَّهْرُ ٱلْغَشُومُ، شَكَائِمُهْ[٤]

١١ -إِذَا وُلِـدَ ٱلْمَـوْلُـودُ مِنَّا فَـإِنَّمَـا ٱلْـ أَسِنَّـةُ، وَٱلْبِيضُ الـرِّقَـاقُ تَمَـائِمُـهْ[٥]

١٢ -أَلَا مُبْلِغٌ عَنِّي، ٱبْنَ عَمِّي، رِسَـالَـةً بَثَثْتُ بِهَا بَعْضَ ٱلَّذِي أَنَـا كَـاتِمُـهْ

١٣ -أَيَا جَـافِيـاً! مَـا كُنْتُ أَخْشَى جَفَاءَهُ وَإِنْ كَثُـرَتْ عُـذَّالُـهُ، وَلَـوَائِمُـهْ[٦]

١٤ -كَـذَلِـكَ حَـظِّي مِنْ زَمَـانِي وَأَهْلِهِ يُصَارِمُنِي ٱلْخِلُّ ٱلَّـذِي لَا أُصَارِمُهْ[٧]

١٥ -وَإِنْ كُنْتُ مُشْتَـاقـاً إِلَيْـكَ فَـإِنَّـهُ لَيَشْتَـاقُ صَبٌّ إِلْفَـهُ، وَهْـوَ ظَـالِمُـهْ

١٦ -أَوَدُّكَ وُدّاً، لَا ٱلـزَّمَـانُ يُـبِـيـدُهُ، وَلَا ٱلنَّأْيُ يُفْنِيهِ، وَلَا ٱلْهَجْرُ ثَالِمُـهْ[٨]

١٧ -وَأَنْـتَ وَفِـيٌّ لَا يُـذَمُّ وَفَـاؤُهُ، وَأَنْتَ كَـرِيمٌ، لَيْسَ تُحْصَى مَكَـارِمُـهْ

١٨ -أُقِيمَ بِـهِ أَصْلُ ٱلْفَخَـارِ وَفَـرْعُـهُ، وَشُـدَّ بِـهِ رُكْنُ ٱلْعُـلَا، وَدَعَـائِمُـهْ

١٩ -أَخُـو ٱلسَّيْفِ تُعْدِيـهِ نَـدَاوَةُ كَفِّـهِ فَيَحْمَـرُّ خَـدَّاهُ، وَيَخْضَـرُّ قَـائِمُـهْ

٢٠ -أَعِنْـدَكَ لِي عُتْبَى فَـأَحْمِـلَ مَـا مَضَى وَأَبْنِي رُوَاقَ ٱلْـوُدِّ، إِذْ أَنْتَ هَادِمُـهْ[٩]

٢١ -فَـلَا تَحْبِسَنْ عَنِّي ٱلْجَوَابَ، مُـوَشَّحاً بِعِقْـدٍ مِنَ ٱلدُّرِ ٱلَّـذِي أَنْتَ نَـاظِمُـهْ!

---

(١) تغذ: تسرع. القفر: المكان الذي لا ناس فيه ولا ماء ولا شجر. الشِّمِلَّة: الناقة السَّريعة الخفيفة. النَّجْد: ما ارتفع عن الأرض. التهائم: جمع التهامة، وهي ما انخفض من الأرض.

(٢) آرامه: غزلانه البيض، جمع الرِّئم. الأصلال: جمع الصِّلّ، وهو من الحيّات أخبثها. الأراقم: جمع الأرقم، وهو بمعنى الصِّلّ.

(٣) المناسم: جمع المنسم، وهي للبعير، كالظفر للإنسان.

(٤) الشكائم: جمع الشكيمة، وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.

(٥) الأسنّة: الرماح. البيض: السّيوف. التمائم: جمع التميمة، وهي خرزة أو نحوها تعلّق في العنق دفعاً للعين.

(٦) العذّال: اللائمون.

(٧) يصارمني: يقاطعني، يجفوني.

(٨) النأي: الفراق، والبعد. ثالمه: مُحدِث فيه شقًّا (صَدْعاً).

(٩) رُواق الود: منزله.

- ٣٠٨ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرمل]

١ - أَيُّهَا ٱلْغَازِي، ٱلَّذِي يَغْـ ـزُو بِجَيْشِ ٱلْحُبِّ جِسْمِي!
٢ - مَا يَقُومُ ٱلأَجْرُ فِي غَزْ وِكَ لِلرُّومِ بِإِثْمِي!

- ٣٠٩ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - هَلاَّ رَثَيْتِ لِمُسْتَهَامٍ، مُغْرَمٍ أَعَلِمْتِ مَا يَلْقَاهُ، أَمْ لَمْ تَعْلَمِي؟(١)
٢ - إِنْ كَانَ أَهْلُكِ خَيَّمُوا بِمُحَجَّرٍ فَعَلَى ٱلرَّوَابِي، دُونَهُنَّ، مُخَيَّمِي(٢)
٣ - وَلَئِنْ غَدَوْتِ، مِنَ ٱلْهُمُومِ سَلِيمَةً فَلَقَدْ عَلِمْتِ بِأَنَّنِي لَمْ أَسْلَمِ
٤ - وَلَئِنْ أَطَعْتِ ٱلْعَاذِلاَتِ فَإِنَّنِي خَالَفْتُ قَوْلَ عَوَاذِلِي، وَٱللُّوَّمِ(٣)
٥ - وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى ٱلدِّيَارِ، غُدَيَّةً إِقْرَا ٱلسَّلاَمَ عَلَى دِيَارِ «ٱلْهَيْثَمِ»
٦ - غَرَّاءُ، تَبْسِمُ عَنْ صَبَاحٍ طَالِعٍ مِنْ ثَغْرِهَا فِي جِنْحِ لَيْلٍ مُظْلِمِ
٧ - تَجْلُو ٱلظَّلاَمَ بِمَبْسِمٍ، يَجْلُو ٱلدُّجَى، بِأَبِي، وَأُمِّي، طِيبُ ذَاكَ ٱلْمَبْسِمِ(٤)
٨ - كَمْ لَيْلَةٍ شَهْبَاءَ، إِذْ بَرَزَتْ لَنَا، كَانَتْ كَيَوْمٍ، إِذْ تَوَلَّتْ، أَدْهَمِ(٥)
٩ - كَتَمَتْ هَوَايَ وَعَاجَلَتْهُ بِهَجْرِهَا سِيَّانِ إِنْ كَتَمَتْ، وَإِنْ لَمْ تَكْتُمِ!

---

(١) المستهام: المُحِبّ.
(٢) المحجَّر: الأرض التي على حدودها الحجارة.
(٣) العاذلات: اللائمات.
(٤) تجلو: تكشف. مبسم: ثغر. الدُّجى: الليل. وقوله بأبي وأمّي، يعني أفديه بأمّي وأبي.
(٥) الشَّهباء: ما كانت لونها الشُّهبة، وهي بياض يخالطها سواد. الأدهم: الشّديد السَّواد.

- ٣١٠ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - أَمَا وَدُمُوعِي بَيْنَ تِلْكَ ٱلْمَعَالِمِ، وَشَوْقِي إِلَى تِلْكَ ٱلْخُدُودِ ٱلنَّوَاعِمِ!
٢ - لَقَدْ أَوْرَثُونِي، يومَ بَانُوا، صَبَابَةً وَنامُوا وَطَرْفِي بَعْدَهُمْ غَيْرُ نَائِمِ (١)
٣ - وَأَنَّى يَنَامُ ٱللَّيْلَ مَنْ بَاتَ هَمُّهُ طِلَابُ ٱلْمَعَالِي فِي شُدُوقِ ٱلأَرَاقِمِ (٢)
٤ - أَدَارَ ٱلأُلَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ ٱلنَّوَى سَقَتْكِ ٱلغَوَادِي مِنْ مُتُونِ ٱلْغَمَائِمِ (٣)
٥ - أَبِينِي لَنَا: أَيْنَ ٱلَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ لَيَالِيَ رَيْبُ ٱلدَّهْرِ لَيْسَ بِظَالِمِ؟!
٦ - كَفَى حَزَناً أَنْ غَالَنِي ٱلدَّهْرُ فِيهِمُ بِرَغْمِي، وَمَا هَذَا ٱلزَّمَانُ بِرَاغِمِ
٧ - غَشُومٌ، فَلَا ذُو ٱلفَضْلِ يُنْجِيهِ فَضْلُهُ لَدَيْهِ، وَلَا ذُو ٱلنَّقْصِ مِنْهُ بِسَالِمِ
٨ - وَإِنِّي، إِذَا مَا غَالَنِي بِصُرُوفِهِ، صَبُورٌ عَلَى رَوْعَاتِهِ غَيْرُ وَاجِمِ! (٤)
٩ - وَإِنَّ امْرأً لَمْ يَجْعَلِ ٱلطِّرْفَ حِصْنَهُ، وَسُمْرَ ٱلْقَنَا إِخْوَانَهُ، غَيْرُ حَازِمِ! (٥)
١٠ - وَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ كَرَّ قَوْمِي فِي ٱلْوَغَى إِذاً فَلْيُشَاهِدْ كَرَّهَا فِي ٱلْمَكَارِمِ (٦)
١١ - مَتَى تَرْمِنِي ٱلأَيَّامُ مِنْهَا بِنَكْبَةٍ تَمُرُّ وَتُسْفِرْ عَنْ زَئِيرِ ضُبَارِمِ (٧)
١٢ - وَيَوْمٍ، تَخَالُ ٱلرَّعْدَ فِي جَنَبَاتِهِ، لِشِدَّةِ أَصْوَاتِ ٱلْقَنَا، وَٱلْهَمَاهِمِ
١٣ - شَفَيْتُ بِعَزْمٍ صَادِقٍ، غَيْرِ كَاذِبٍ، وَرُمْحٍ رُدَيْنِيٍّ، وَأَبْيَضَ صَارِمِ (٨)

---

(١) بانوا: فارقوا. طرفي: عيني.

(٢) شدوق: جمع شدق، وهو فم الحيوان. الأراقم: جمع الأرقم، وهو من الحيّات أخبثها.

(٣) الأُلى: الذين. شطت: بعدت. النوى: الفراق. الغوادي: جمع الغادية، وهي السحابة المُمطرة في الغداة (أوّل النهار).

(٤) غالني: أصابني. الصروف: المصائب. واجم: حزين، عاجز.

(٥) الطِّرف: الكريم الأصل من الخيل. القنا: الرماح.

(٦) الوغى: الحرب. كرُّها: هجومها.

(٧) الضبارم: الأسد الشديد.

(٨) ردينيّ: منسوب إلى ردينة، وهي أمرأة مشهورة بصنع الرماح الجيِّدة. أبيض: سيف. صارم: قاطع.

١٤ ـ وَفِتْيَانِ صِدْقٍ، كَٱلنُّجُومِ طَوَالِعٍ عَلَى شُزَّبٍ جُرْدٍ، كِرَامٍ، سَوَاهِمِ (١)
١٥ ـ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ يَجِدْ فَخْرَ فَاخِرٍ؛ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْطِقْ يَجِدْ نُطْقَ عَالِمِ!

- ٣١١ -

قَالَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ: سَارَ ٱلْأَمِيرُ «سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ» إِلَى ٱلسَّاحِلِ، حَتَّى أَوْقَعَ بِالْأَكْرَادِ، وَفَتَحَ «أَنْطَرْطُوسَ» وَأَقَامَ مُهَاجِراً... سِنِينَ وَقَدْ كَانَ أَجَارَ «بَنِي كَلْبٍ» وَأَدْنَاهَا، وَأَذَمَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ «بَنِي كِلَابٍ» فَاغْتَنَمَتْ «بَنُو كِلَابٍ» بُعْدَهُ، وَأَغَارَتْ عَلَى «بَنِي كَلْبٍ» غَارَةً، نَالَتْ مِنْهَا فِيهَا، فَأَتَاهُ ٱلْخَبَرُ، فَأَسْرَى مِنْ سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ حَتَّى أَوْقَعَ بِـ «ٱلضِّبَابِ» وَ «بَنِي جَعْفَرٍ»، وَهُمْ عَلَى «كَفَرْطَابَ» بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ إِلَيْهِمِ ٱلنُّذُرَ مِنْ «حِمْصَ»، وَأَمَرَهُمْ بِٱلتَّجَنُّبِ، فَوَصَفَ هَذِهِ ٱلْغَزْوَةَ بِقَوْلِهِ:

[من الكامل]

١ ـ لَا عِزَّ إِلَّا بِٱلْحُسَامِ ٱلْمِخْذَمِ، وَضِرَابِ كُلِّ مُدَجَّجٍ، مُسْتَلْئِمِ (٢)
٢ ـ وَقِرَاعِ كُلِّ كَتِيبَةٍ بِكَتِيبَةٍ وَلِقَاءِ كُلِّ عَرَمْرَمٍ بِعَرَمْرَمِ (٣)
٣ ـ وَلَقَدْ رَضَعْتُ مِنَ ٱلزَّمَانِ لِبَانَهُ، وَعَرَفْتُ كُلَّ مُعَوَّجٍ وَمُقَوَّمِ
٤ ـ وَقَطَعْتُ كُلَّ تَنُوفَةٍ لَمْ تَلْقَهَا قَدَمٌ، وَلَمْ تُقْرَعْ بِبَاطِنِ مَنْسِمِ (٤)
٥ ـ وَأَهَنْتُ نَفْسِي لِلرِّمَاحِ وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَهُنْ بَيْنَ ٱلْقَنَا لَمْ يَكْرُمِ (٥)
٦ ـ وَرَأَيْتُ عُمْرِي، لَا يَزِيدُ تَأَخُّرِي فِيهِ، وَلَا يُغْنِيهِ فَضْلُ تَقَدُّمِي

---

(١) شُزَّب: ضوامر، جمع شازب. جرد: جمع الأجرد، وهو القصير الشَّعر من الخيل وغيرها. وهذه الصِّفة تُستحبّ في الخيول. السَّواهم: جمع السَّاهمة، وهي من النوق الضَّامرة الضَّعيفة.

(٢) الحُسام: السَّيف. المِخْذَم: القاطع. مدجَّج: لابس السِّلاح. المستلئم: اللابس اللأمة، وهي الدرع.

(٣) الكتيبة: الجيش. العرمرم: الجيش العظيم.

(٤) التنوفة: الأرض الواسعة لا ماء فيها ولا بشر ـ القَرْم: السَّيِّد العظيم. المنسِم للبعير كالظفر للإنسان.

(٥) القنا: الرماح.

٧ - وَلِقَـوْمِيَ ٱلشَّـرَفُ ٱلْمَنِيـعُ مَـحَلُّهُ، فَـوْقَ ٱلْمَجَرَّةِ، وَٱلسِّمَـاكِ ٱلْمِرْزَمِ [١]
٨ - وَرِثُـوا ٱلـرِّئَـاسَـةَ كَـابِـراً عَنْ كَـابِـرٍ، مِنْ عَهْدِ «عَادٍ» فِي ٱلزَّمَانِ وَ «جُرْهُمٍ» [٢]
٩ - ظَفِـرُوا بِهَـا بِـٱلسَّيْفِ، أَوَّلَ مَـرَّةٍ، وَبَقَـاؤُهَـا بِـٱلسَّيْفِ أَصْبَـحَ فِيـهِمِ
١٠ - نَحْنُ ٱلْبِحَـارُ، بَـلِ ٱلْبِحَـارُ مِيَـاهُهَـا مِلْحٌ، وَمَـوْرِدُنَـا لَـذِيـذُ ٱلْمَـطْعَمِ
١١ - لَمَّـا بَـرَزْنَـا «لِلدُّمُـسْتُـقِ»، مَـرَّةً، وَرَأَى بَـوَادِرَ خَيْلِنَـا كَـٱلأَسْـهُمِ [٣]
١٢ - طَلَبَ ٱلنَّجَـاءَ بِنَفْسِـهِ، فَتَحَـكَّمَـتْ فِي جَيْشِـهِ ٱلأَسْيَـافُ أَيَّ تَـحَكُّـمِ
١٣ - مَـا كَـانَ بَعْضُ قُلُوبِنَـا فِي جِسْمِـهِ فَيَكُونَ أَثْبَتَ مِنْ هِضَابِ «يَلَمْلَمٍ» [٤]
١٤ - لَـوْلاَ ٱلْجَـوَادُ ٱلأَدْهَمُ ٱلنَّـاجِي بِـهِ أَضْحَتْ قَـوَائِمُ رِجْلِهِ فِي ٱلأَدْهَمِ [٥]
١٥ - وَلَئِنْ نَجَـا؛ فَرِجَـالُهُ، وَحُمَـاتُـهُ مَـا بَيْنَ مَصْفُـودٍ، وَبَـيْنَ مُـكَلَّمِ [٦]
١٦ - لَبِسُـوا ٱلْحَـدِيـدَ بِـرَغْمِهِمْ؛ وَبِـوُدِّهِمْ أَنْ لَـمْ يَكُـنْ ذَاكَ ٱلْحُـلِيُّ عَـلَيْـهِمِ
١٧ - قُدْنَا «ٱلْبُرُطْسِيسَ» ٱللَّعِينَ، وَجِيءَ بِآ «لْـ ـعِشْنِيطِ» مَخْضُوبَ ٱلْجَوَانِبِ بِٱلدَّمِ [٧]
١٨ - وَغَـدَا ٱلْبَـطَارِقُ، وَٱلـزَّرَاوِرُ حُسَّـراً، فِي أَسْرِ مَيْمُونِ ٱلنَّقِيبَـةِ خِضْـرِمِ [٨]
١٩ - سَـلْ أَهْلَ «خَـرْشَنَةٍ» تُجِبْكَ نِسَاؤُهُم كَمْ ثَـاكِلٍ مِنْهَـا، وَكَمْ مِنْ أَيِّمِ؟! [٩]
٢٠ - عَهْـدِي بِهَـا، وَٱلنَّـارُ فِي جَنَبَـاتِهَـا، وَكَـأَنَّهَـا صَـدْرُ ٱلْمَشُـوقِ، ٱلْمُغْـرَمِ
٢١ - كَمْ ذَاتِ حَجْلٍ، مَا رَآهَا ٱلنَّاسُ، قَدْ بَـرَزَتْ لأَعْيُنِهِمْ، بِـأَنْفِ مُـرْغَمِ! [١٠]

---

(١) المجرَّة: نجوم كثيرة في السماء لا تُدرك بالبصر، وإنّما يُرى ضوؤها. السِّماكان: نجمان نيِّران، واحد في الشمال ويعرف بـ «الرامح»، والثاني في الجنوب ويُعرف بـ «الأعزل». المرزم: من نجوم المطر.
(٢) عاد وجرهم: قبيلتان عربيَّتان يُضرب المثل بهما في القِدَم.
(٣) الدمستق: قائد جيش الروم.
(٤) يلملم: اسم موضع.
(٥) الأدهم: الجواد الأسود.
(٦) مصفود: مكبَّل. مكلَّم: كثير الجراح.
(٧) البرطسيس والعِشْنيط: من قوّاد الروم.
(٨) البطارق والزراور: من رُتَب الروم. النقيبة: الطبيعة. خضرم: كريم.
(٩) الثّاكِل: التي فقدت ولدها. الأيِّم: التي فقدت زوجها.
(١٠) الحَجْل: الخلخال. وذات الحجل: كناية عن المرأة.

٢٢ - خُطِبَتْ بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ حَتَّى زُوِّجَتْ، كَرْهاً، وَكَانَ صِدَاقُهَا فِي ٱلْمَقسَمِ[1]
٢٣ - بَانَتْ، وَصَاحِبُهَا بِعُرْسٍ حَاضِرٌ، يُرْضِي ٱلإلٰهَ، وَأَهْلُهَا فِي مَأْتَمِ
٢٤ - يَا ابْنَ ٱلذَّوائِبِ مِنْ «نِزَارٍ»، وَٱلأُلَى شَادُوا بُيُوتَ مَنَاقِبٍ لَمْ تُهْدَمِ!
٢٥ - عِزُّ ٱلأَنَامِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا إِنْ يَنَالُ ٱلْعِزَّ مَنْ لَمْ يَعْزِمِ[2]
٢٦ - وَأَزَرْتَ «صَارِخَةَ» ٱلْخُيولَ! فَيَا لَهَا مِنْ زَوْرَةٍ، طَلَعَتْ بِطَيْرٍ أَشْأَمِ[3]
٢٧ - أَحْرَقْتَ أَهْلِيهَا بِهَا فَتَرَكْتَهُمْ فِي جَمْرِهَا ٱلْمُتَلَهِّبِ ٱلْمُتَضَرِّمِ[4]
٢٨ - فَكَأَنَّمَا عَجَّلْتَ مَا قَدْ أُوعِدُوا، يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمِ
٢٩ - وَمَلَكْتَ «حِصْنَ عُيُونِ جَيْحَانٍ» وَقَدْ أَعْيَا ٱلْوَرَى فِي دَهْرِهِ ٱلْمُتَقَدِّمِ[5]
٣٠ - وَأَخَذْتَهُ فَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ مِنْ سُورِهِ ٱلْمُتَهَتِّكِ، ٱلْمُتَهَدِّمِ
٣١ - فَكَأَنَّمَا ٱمْتَدَّتْ يَمِينُكَ صَاعِداً فِي ٱلْجَوِّ، حَتَّى حُزْتَ بَعْضَ ٱلأَنْجُمِ
٣٢ - حَتَّى إِذَا مَا آبَ جَيْشُكَ، قَافِلاً، ضَلَّ ٱلدَّلِيلُ عَنِ ٱلدَّلِيلِ ٱلأَقْوَمِ[6]
٣٣ - فَتَطَرَّقُوا بَعْضَ ٱلسَّوَادِ، تَلَصُّقاً، وَٱللَّيْلُ يَسْتُرُهُمْ بِثَوْبٍ مُظْلِمِ
٣٤ - مَا قَابَلُوكَ! وَلَوْ رَأَوْكَ تِجَاهَهُمْ أَشْبَعْتَ مِنْهُمْ كُلَّ نَسْرٍ قَشْعَمِ[7]
٣٥ - وَٱلْعَوْدُ أَحْمَدُ، وَٱللَّيَالِي بَيْنَنَا، وَغَداً نَرُوحُ، مُعَقِّبِينَ إِلَيْهِمِ
٣٦ - يَا سَيْفُ! «سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ» ٱلماضِي إِذَا نَبَتِ ٱلسُّيُوفُ، وَخَانَ كُلُّ مُصَمِّمِ[8]
٣٧ - إِرْمِ ٱلْكَتَائِبَ بِي! فَإِنَّكَ عَالِمٌ أَنِّي أَخُو ٱلْهَيْجَاءِ، غَيْرُ مُذَمَّمِ[9]
٣٨ - وَعَلَامَ لَا أَلْقَى ٱلْفَوارِسَ مُعْلَماً، وَعُلُوُّ جَدِّكَ عُدَّتِي وَعَرَمْرَمِي![10]

(١) الصِّداق: مهر المرأة. المَقْسَم: مكان تقسيم الغنائم.
(٢) الأنام: الناس.
(٣) صارخة: اسم موضع غزاه سيف الدولة.
(٤) المتضرِّم: المُشتَعِل، المُسْتَعِر.
(٥) أعيا: أعجز. الورى: الناس.
(٦) آب: عاد.
(٧) القَشْعَم: المُسِنّ.
(٨) نبت السُّيوف: لم تُصب.
(٩) الكتائب: الجيوش. مذمَّم: مذموم.
(١٠) العرمرم: الجيش الكثير العدد.

٣٩ - أَنا سَيْفُكَ ٱلْمَاضِي؛ وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ سَيْفٌ إِذَا مَا لَمْ يُشَدَّ بِمِعْصَمِ
٤٠ - قُلْ لِـ «ٱبْنِ عَمَّارِ بْنِ دَاوُدٍ»، وَمَا قَوْلُ ٱلْعَلِيمِ كَقَوْلِ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ:
٤١ - إِنْ بِتَّ تَرْسُفُ فِي ٱلْحَدِيدِ فَطَالَمَا أَمْسَيْتَ تَوْضَعُ فِي ٱلْحَدِيدِ إِلَى ٱلْكَمِي (١)
٤٢ - وَلَئِنْ أُصِبْتَ لَقَدْ أَصَبْتَ مِنَ ٱلْعِدَا، عَدَدَ ٱلْحَصَى، وَعَفَوْتَ عَفْوَ ٱلْمُنْعِمِ
٤٣ - قَالُوا ٱلْفِدَاءُ! وَلَا فِدَاءُ بَيْنَنَا إِلَّا بِحُكْمِ ٱلْمَشْرَفِيِّ ٱلْمِخْذَمِ (٢)
٤٤ - هَيْهَاتَ لَا صُلْحٌ، وَقَدْ بَقِيَتْ لَنَا بِيضٌ، رَقِيقَاتُ ٱلظُّبَى، لَمْ تُثْلَمِ (٣)
٤٥ - عَزْماً بِنَا! إِنَّ ٱلْحُسَامَ لَكَافِلٌ بِنُفُوسِهِمْ، وَشَبَا ٱلْأَصَمِّ ٱللَّهْذَمِ (٤)
٤٦ - لَأُصَارِمَنَّ ٱلْجَيْشَ، مَا لَمْ أَسْتَمِعْ وَقْعَ ٱلصَّوَارِمِ، وَٱلْقَنَا ٱلْمُتَحَطِّمِ (٥)
٤٧ - صَبْراً! «أَبَا ٱلْعَبَّاسِ»! إِنَّا مَعْشَرٌ، صَبَرُوا عَلَى صَرْفِ ٱلزَّمَانِ ٱلْمُجْرِمِ
٤٨ - صَبْراً! فَإِنَّكَ فِي كَفَالَةِ سَيِّدٍ، مَاضِي ٱلْعَزِيمَةِ، كَٱلْهِزَبْرِ ٱلضَّيْغَمِ (٦)
٤٩ - أَرَأَيْتَ عَمَّكَ مُرْحَباً، مِنْ بَعْدِمَا جَعَلُوهُ فِي حَلَقِ ٱلْحَدِيدِ ٱلْمُحْكَمِ
٥٠ - يَا «سَيْفَ دِينِ ٱللَّهِ» غَيْرَ مُدَافَعٍ إِغْضَبْ لِدِينِ ٱللَّهِ رَبِّكَ وَٱعْزِمِ
٥١ - فَإِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ سَالِمٌ، وَإِذَا بَقِيتَ فَإِنَّنَا فِي أَنْعُمِ
٥٢ - أَعْطَيْتَ مَنْ غَنِمَ ٱلْغَنِيمَةَ غُنْمَهُ، وَجَعَلْتَ مَالَكَ مَالَ مَنْ لَمْ يَغْنَمِ

- ٣١٢ -

وَقَالَ، فِي ٱبْنتِه زَوْجَةِ، «أَبِي ٱلْعَشَائِرِ»:

[من الكامل]

١ - وَأَدِيبَةٍ إِخْتَرْتَهَا عَرَبِيَّةً تُعْزَى إِلَى ٱلْجَدِّ ٱلْكَرِيمِ، وَتَنْتَمِي

(١) ترسف في القيد: تمشي ببطء. توضع: تُسرع. الكمي: لابس السّلاح.
(٢) المشرفيّ: السّيف. المِخْذَم: القاطع.
(٣) البيض: السُّيوف. الظُّبى: جمع الظبية، وهي حدّ السّيف. تُثلَم: تصاب بالثَّلْم، وهو انكسار الحدّ.
(٤) الحسام: السيف. الشَّبا: جمع الشّباة، . وهي الحدّ الأمّ: الصّلب. اللهذم: الحادّ، القاطع.
(٥) أصارم: أقاطع. الصوارم: السيوف القاطعة. القنا: الرماح.
(٦) الهِزَبر: الأسد. الضيغَم: الشّديد الافتراس.

٢ ـ مَحْجُوبَةٌ لَمْ تَبْتَذِلْ، أَمَّارَةٌ لَمْ تَأْتَمِرْ، مَخْدُومَةٌ لَمْ تَخْدِمِ[١]
٣ ـ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي فِيكِ إلَّا أَنَّنِي بِكِ قَدْ غُنِيتُ عَنِ ٱرْتِكَابِ ٱلْمَحْرَمِ[٢]
٤ ـ وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ ٱلْمُحِبِّ ٱلْمُكْرَمِ

ـ ٣١٣ ـ

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ ـ تَسَمَّعْ، فِي بُيُوتِ «بَنِي كِلَابٍ»، «بَنِي ٱلْبَنَّا» تَنُوحُ عَلَى «تَمِيمِ»
٢ ـ بِكُرْهِي إنْ حَمَلْتُ بَنِي أَبِيهِ، وَأُسْرَتَهُ عَلَى ٱلنَّأْيِ ٱلْعَظِيمِ
٣ ـ رَجَعْتُ، وَقَدْ مَلَكْتُهُمُ جَمِيعاً، إلَى ٱلأَعْرَاقِ، وَٱلأَصْلِ ٱلْكَرِيمِ[٣]

ـ ٣١٤ ـ

وَقَالَ، يَذْكُرُ أَسْرَهُ، وَمُنَاظَرَةً جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ «ٱلدُّمُسْتُقِ» فِي ٱلدِّينِ، فَعَرَّضَ بِذَلِكَ:

[من الوافر]

١ ـ يَعِزُّ عَلَى ٱلأَحِبَّةِ، بِـ«ٱلشَّآمِ»، حَبِيبٌ، بَاتَ مَمْنُوعَ ٱلْمَنَامِ
٢ ـ تَبِيتُ هُمُومُهُ، وَٱللَّيْلُ دَاجٍ، تُقَلِّبُهُ عَلَى وَخْزِ ٱلسِّهَامِ[٤]
٣ ـ يَؤُولُ بِهِ ٱلصَّبَاحُ إلَى صَبَاحٍ، وَيُسْلِمُهُ ٱلظَّلَامُ إلَى ظَلَامِ[٥]
٤ ـ وَإنِّي لَلصَّبُورُ عَلَى ٱلرَّزَايَا، وَلَكِنَّ ٱلْكِلَامَ عَلَى ٱلْكِلَامِ[٦]

---

(١) لم تبتَذِل: لم تترك الاحتشام.
(٢) المحرَم: الحرام.
(٣) الأعراق: الأصل.
(٤) داجٍ: مظلم.
(٥) يؤول: يقود.
(٦) الرّزايا: المصائب. الكِلام: الجروح.

٥- جُـرُوحٌ لَا يَـزَلْـنَ يَـرِدْنَ مِـنّـي   عَلَى جُرْحٍ قَـرِيبِ آلْعَهْـدِ، دَامِ (١)
٦- وَلَـمْ يَبْـقَ آلـرَّمِـيُّ، وَإِنْ تَـرَاخَـتْ   لَـيَـالِيـهِ عَـلَى مَـرِّ آلـسِّـهَـامِ
٧- وَبِـآلـلَّهِ آلـدِّفَـاعُ، وَأَيُّ سَـهْـمٍ   أُحَـاوِلُ دَفْـعَـهُ، وَآلـلَّهُ رَامٍ؟
٨- تَـأَمَّـلَنِي «آلـدُّمُـسْتُـقُ»، إِذْ رَآنِـي،   فَـأَبْصَرَ صِيغَـةَ آللَّيْثِ، آلْهُمَـامِ (٢)
٩- أَتُـنْكِـرُنِـي كَـأَنَّـكَ لَسْتَ تَـدْرِي   بِـأَنِّي ذَلِـكَ آلْبَـطَلُ، آلْـمُحَـامِي
١٠ -وَأَنِّـي إِذْ نَـزَلْتُ عَـلَى «دُلُـوكٍ»،   تَـرَكْتُكَ غَيْـرَ مُتَّصِـلِ آلنِّـظَامِ (٣)
١١ -وَلَـمَّـا أَنْ عَـقَـدْتُ صَـلِيبَ رَأْيِـي   تَـحَلَّلَ عِـقْـدُ رَأْيِـكَ فِي آلْـمَقَـامِ
١٢ -وَكُـنْتَ تَـرَى آلْأَنَـاةَ، وَتَـدَّعِـيهَـا   فَـأَعْجَلَكَ آلـطِّعَـانُ عَنِ آلْكَـلَامِ (٤)
١٣ -وَبِـتَّ مُؤَرَّقَـاً، مِـنْ غَيْـرِ سُـهْـدٍ،   حَمَى جَفْنَيْـكَ طِيبَ آلنَّـوْمِ حَـامٍ (٥)
١٤ -وَلَا أَرْضَى آلْفَتَى مَـا لَـمْ يُكَـمِّـلْ،   بِـرَأْيِ آلْكَهْـلِ، إِقْـدَامَ آلْغُـلَامِ
١٥ -فَـلَا هُـنِّئْتَـهَـا نُـعْـمَى بِـأَسْـرِي   وَلَا وُصِلَتْ سُعُـودُكَ بِـآلـتَّمَـامِ
١٦ -أَمَـا مِـنْ أَعْجَـبِ آلْأَشْـيَـاءِ عِلْجٌ،   يُعَـرِّفُنِي آلْحَـلَالَ مِنَ آلْحَـرَامِ (٦)
١٧ -وَتَـكْـنُـفُـهُ بِـطَارِقَـةٌ تُـيُـوسٌ،   تُبَـارِي بِـآلْعَثَـانِينِ آلضِّخَـامِ (٧)
١٨ -لَـهُمْ خِـلَقُ آلْحَمِيـرِ فَـلَسْتَ تَـلْقَى   فَتَى مِـنْهُـمْ يَسِيـرُ بِـلَا حِـزَامِ
١٩ -يُـرِيغُـونَ آلْعُيُـوبَ، وَأَعْجَـزَتْـهُمْ   وَأَيُّ آلْعَيْبِ يُـوجَدُ فِي آلْحُسَـامِ!؟ (٨)
٢٠ -وَأَصْـعَـبُ خُـطَّةٍ، وَأَجَـلُّ أَمْـرٍ   مُجَـالَسَـةُ آللِّئَـامِ عَلَى آلْكِـرَامِ (٩)
٢١ -أُنَـاجِي كُـلَّ طَبْـلٍ هَـرْثَـمِيٍّ،   عَرِيضِ آلذَّقْنِ، بَـزَّاقِ آلْكَـلَامِ (١٠)

---

(١) الدامي: الذي ينزف الدّم.
(٢) الدُّمُستُق: قائد جيش الروم. اللّيث: الأسد. الهُمام: الشّجاع.
(٣) دلوك: اسم بلدة.
(٤) الأناة: الحلم.
(٥) المؤرَّق: الذي لا يستطيع النوم.
(٦) العِلْج: الرجل الشّديد الغليظ.
(٧) تكنفه: تحيط به. البطارقة: من رُتَب جيش الروم. العثانين: جمع العثنون، وهو اللحية.
(٨) يريغون: يسعون طالبين. الحُسام: السَّيف.
(٩) أجلّ: أعظم.
(١٠) الهرثم: الأسد.

٢٢ ـ أَبِيتُ، مُبَرَّأً، مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَأُصْبِحُ، سَالِماً مِنْ كُلِّ ذَامِ (١)
٢٣ ـ إِذَا ظَفِرَتْ يَدَاكَ ظَفِرْتَ مِنْهُ بِلَا نَابِي ٱلْعَزَاءِ وَلَا كَهَامِ (٢)
٢٤ ـ وَمَنْ لَقِيَ ٱلَّذِي لَاقَيْتُ هَانَتْ عَلَيْهِ مَوَارِدُ ٱلْمَوْتِ ٱلزُّؤَامِ (٣)
٢٥ ـ ثَنَاءٌ طَيِّبٌ، لَا خُلْفَ فِيهِ، وَآثَارٌ كَآثَارِ ٱلْغَمَامِ
٢٦ ـ وَعِلْمُ فَوَارِسِ ٱلْحَيَّيْنِ أَنِّي قَلِيلٌ مَنْ يَقُومُ لَهُمْ مَقَامِي
٢٧ ـ وَفِي طَلَبِ ٱلثَّنَاءِ مَضَى «بُجَيْرٌ» وَجَادَ بِنَفْسِهِ «كَعْبُ بْنُ مَامِ» (٤)
٢٨ ـ أَلَامُ عَلَى ٱلتَّعَرُّضِ لِلْمَنَايَا، وَلِي سَمْعٌ أَصَمُّ عَنِ ٱلْمَلَامِ
٢٩ ـ وَلَوْ أَنِّي رَجَوْتُ بِهِ بَقَاءً لَمَكَّنْتُ ٱلْعَوَاذِلَ مِنْ زِمَامِي (٥)
٣٠ ـ وَلَوْ كَانُوا وَكُنْتُ إِلَى حِمَامٍ لَقِيتُ بِمُهْجَتِي حَرَّ ٱلْحِمَامِ (٦)
٣١ ـ بَنُو ٱلدُّنْيَا إِذَا مَاتُوا سَوَاءٌ وَلَوْ عَمَرَ ٱلْمُعَمَّرُ أَلْفَ عَامِ
٣٢ ـ أَلَا يَا صَاحِبَيَّ، تَذَكَّرَانِي، إِذَا مَا شِمْتُمَا ٱلْبَرْقَ ٱلشَّآمِي! (٧)
٣٣ ـ إِذَا مَا لَاحَ لِي لَمَعَانُ بَرْقٍ بَعَثْتُ إِلَى ٱلْأَحِبَّةِ بِٱلسَّلَامِ

ـ ٣١٥ ـ

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ ـ لَسْتُ بِٱلْمُسْتَضِيمِ مَنْ هُوَ دُونِي، إِعْتِدَاءً، وَلَسْتُ بِٱلْمُسْتَضَامِ (٨)
٢ ـ أَبْذُلُ ٱلْحَقَّ لِلْخُصُومِ، إِذَا مَا عَجَزَتْ عَنْهُ قُدْرَةُ ٱلْحُكَّامِ

---

(١) ذام: عيب.
(٢) الكهام: الكليل، البطيء.
(٣) الزّؤام: السّريع.
(٤) هو بجير بن الحارث بن عباد، وكعب بن مامة الإياديّ الذي يُضرب المثل بكرمه.
(٥) العواذل: اللائمون.
(٦) الحِمام: الموت.
(٧) شام البرق: نظر إليه ليرى أين سيمطر.
(٨) المستضيم: الظالِم، المغتصب حقّ الآخرين. المُسْتَضام: المظلوم، المُغتَصَب الحقّ.

٣ - لَا تَخَطَّى إِلَى ٱلْمَظَالِمِ كَفِّي، حَذَراً مِنْ أَصَابِعِ ٱلْأَيْتَامِ

- ٣١٦ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - وَدَّعُوا: خَشْيَةَ ٱلرَّقِيبِ، بِإِيما ءٍ، فَوَدَّعْتُ، خَشْيَةَ ٱللُّوَّامِ،
٢ - لَمْ أُبِحْ بِٱلْوَدَاعِ، جَهْراً وَلَكِنْ كَانَ جَفْنِي فَمِي، وَدَمْعِي كَلَامِي!

- ٣١٧ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - أَيَا مُعَافَى مِنْ رَسِيسِ ٱلْهَوَى! يَهْنِيكَ حَالُ ٱلسَّالِمِ ٱلْغَانِمِ (١)
٢ - أَعَانَكَ ٱللَّهُ بِخَيْرٍ، أَمَا تَكُونُ لِي عَوْناً عَلَى ٱلظَّالِمِ؟!

- ٣١٨ -

وَقَالَ، يَصِفُ السَّبْيَ:

[من الكامل]

١ - وَخَرِيدَةٍ، كَرُمَتْ عَلَى آبَائِهَا؛ وَعَلَى بَوَادِرِ خَيْلِنَا لَمْ تُكْرَمِ (٢)
٢ - خُطِبَتْ بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ حَتَّى زُوِّجَتْ، كُرْهاً، وَكَانَ صِدَاقُهَا لِلْمُقْسِمِ (٣)
٣ - رَاحَتْ، وَصَاحِبُهَا بِعُرْسٍ حَاضِرٌ، يُرْضِي ٱلإِلَهَ، وَأَهْلُهَا فِي مَأْتَمِ

---

(١) رسيس الهوى: أوّله.

(٢) الخريدة: الفتاة العذراء. وهذه الأبيات مكرّرة في ديوانه.

(٣) الصّداق: مهر المرأة.

- ٣١٩ -

وَقَالَ، يَفْتَخِرُ:

[من الوافر]

١ - لَنَا بَيْتٌ، عَلَى عُنُقِ ٱلثُّرَيَّا، بَعِيدُ مَذَاهِبِ ٱلأَطْنَابِ، سَامِ[1]
٢ - تُظَلِّلُهُ ٱلْفَوَارِسُ بِٱلْعَوَالِي، وَتَفْرِشُهُ ٱلْوَلَائِدُ بِٱلطَّعَامِ[2]

- ٣٢٠ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - عُلُوجَ «بَنِي كَعْبٍ!» بِأَيِّ مَشِيئَةٍ تَرُومُونَ، يَا حُمْرَ الأُنُوفِ! مَقَامِي؟[3]
٢ - نَفَيْتُكُمُ عَنْ جَانِبِ «ٱلشَّامِ»، عَنْوَةً بِتَدْبِيرِ كَهْلٍ، فِي طِعَانِ غُلَامِ
٣ - وَفِتْيَانِ صِدْقٍ مِن غَطَارِيفِ «وَائِلٍ»، خِفَافِ ٱللِّحى، شُمِّ ٱلأُنُوفِ، كِرَامِ[4]

- ٣٢١ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - يَا مَنْ رَضِيتُ بِفَرْطِ ظُلْمِهْ، وَدَخَلْتُ، طَوْعاً، تَحْتَ حُكْمِهْ
٢ - أَللَّهُ يَعْلَمُ مَا لَقِيـ ـتُ مِنَ ٱلْهَوى، وَكَفَى بِعِلْمِهْ!
٣ - هَبْ لِلْمُقِرِّ بِذَنْبِهِ! وَٱصْفَحْ لَهُ عَنْ عُظْمِ جُرْمِهْ!

---

(١) الثُّرَيَّا: مجموعة من الكواكب.
(٢) العوالي: الرماح. الولائد: جمع الولودة، وهي المرأة الكثيرة الأولاد.
(٣) العلوج: جمع العِلْج، وهو الرجل الخشن. ترومون: تبغون.
(٤) الغطاريف: جمع الغطروف، وهو الشابّ الحسن الظريف.

٤ - إنّـي أُعِـيـذُكَ أَنْ تَـبُـو ءَ بِقَتْلِهِ، وَبِحَـمْـلِ إِثْـمِـهْ[1]

- ٣٢٢ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - هَبْهُ أَسَاءَ، كَمَا زَعَمْتَ، فَهَبْ لَهُ وَآرْحَمْ تَضَرُّعَهُ، وَذُلَّ مَقَامِهِ!

٢ - بِـآللّهِ، رَبِّكَ، لِمْ فَتَكْتَ بِصَبْرِهِ، وَنَصَرْتَ بِٱلْهِجْرَانِ جَيْشَ سَقَامِهِ؟[2]

٣ - فَرَّقْتَ بَيْنَ جُفُونِهِ وَمَنَامِهِ وَجَمَعْتَ بَيْنَ نُحُولِهِ وَعِظَامِهِ[3]

- ٣٢٣ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - وَقَّعَ لِي: يُخْرَجُ لِي حَالُهُ فَزَادَ بِي عِلْماً إِلَى عِلْمِهِ

٢ - فَأَخْرَجَ ٱلْكَاتِبُ: هَذَا فَتًى دِيوَانُنَا مُفْتَتَحٌ بِآسْمِهِ

٣ - قَدْ بَيَّنَ ٱلْحُبُّ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَثَّرَ ٱلْهِجْرَانُ فِي جِسْمِهِ

٤ - حَتَّى إِذَا أَوْصَلْتُ خَرْجِي، وَقَدْ أَمِنْتُ أَنْ يَبْقَى عَلى ظُلْمِهِ

٥ - وَقَّعَ لِي، بَيْنَ تَضَاعِيفِهِ: يُجْرَى مِنَ ٱلْهَجْرِ عَلَى رَسْمِهِ

---

(١) تبوء بقتله. تُقتَل به، وأنت كفء له.

(٢) السَّقام: المرض.

(٣) نحوله: هزاله.

قافية النون

- ٣٢٤ -

وَقَالَ يَفْتَخِرُ:

[من البسيط]

١ - إِذَا مَرَرْتَ بِوَادٍ، جَاشَ غَارِبُهُ ... فَاعْقِلْ قَلُوصَكَ وَآنْزِلْ؛ ذَاكَ وَادِينَا!(١)

٢ - وَإِنْ عَبَرْتَ بِنَادٍ لَا تُطِيفُ بِهِ ... أَهْلُ آلسَّفَاهَةِ، فَآجْلِسْ ذَاكَ نَادِينَا!(٢)

٣ - نُغِيرُ فِي آلْهَجْمَةِ آلْغَرَّاءِ نَنْحَرُهَا ... حَتَّى لَيَعْطَشُ، فِي الْأَحْيَاءِ، رَاعِينَا(٣)

٤ - وَتَجْفَلُ آلشَّوْلُ بَعْدَ آلْخِمْسِ صَادِيَةً ... إِذَا سَمِعْنَ عَلَى الْأَمْوَاهِ حَادِينَا(٤)

---

(١) جاش: فاضَ. الغارب من المياه: أعلاه، موجه. القلوص: الناقة الشابّة. اعقِلْ: اربطها بالعقال.

(٢) تطيف به: تحيط به.

(٣) الهجمة من النوق: القطعة التي يزيد عددها على الأربعين وينقص عن المئة.

(٤) الشُّول: جمع الشائلة، وهي الناقة التي تشول (ترفع) بذنبها للِّقاح. الخمس: الأيام الخمسة بعد الشُّرب. صادية: عطشى. الحادي: الذي يسوق الجمال بالغناء.

٥ - وَنَفْتَـدِي ٱلْكُومَ أَشْتَـاتاً مُـرَوَّعَـةً　　لَا تَأْمَنُ ٱلـدَّهْرَ إِلَّا مِنْ أَعَـادِينَـا[١]
٦ - وَيُصْبِـحُ ٱلضَّيْفُ أَوْلَانَـا بِمَنْـزِلِنَـا　　نَـرْضَى بِـذَاكَ، وَيَمْضِي حُكْمُـهُ فِينَـا

- ٣٢٥ -

وَلَهُ، وَقَدْ بَعَثَ رَسُولاً، فِي بَعْضِ مَنْ يَخُصُّهُ بِجَفَاء، فَرَجَعَ ٱلرَّسُولُ وَهَابَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِجَفَائِهِ، وَٱمْتِنَاعِ جَوَابِهِ؛ فَكُلَّمَا سَأَلَهُ سَكَتَ فَقَالَ:

[من الكامل]

١ - وَكَنَى ٱلـرَّسُولُ عَنِ ٱلْجَوَابِ تَـظَرُّفـاً　　وَلَئِنْ كَنَى، فَلَقَـدْ عَلِمْنَـا مَـا عَنَى[٢]
٢ - قُـلْ يَـا رَسُـولُ، وَلَا تُحَـاشِ! فَـإِنَّـهُ　　لَا بُـدَّ مِنْـهُ، أَسَـاءَ بِي أَمْ أَحْسَنـا!
٣ - أَلـذَّنْـبُ لِي فِـيمَـا جَنَـاهُ، لِأَنَّنِي　　مَـكَّنْتُـهُ مِنْ مُـهْجَتِي فَـتَمَـكَّنَـا[٣]

- ٣٢٦ -

وَقَالَ، وَقَدْ بَلَغَهُ غَيْبَةٌ مِنْ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ:

[من الطويل]

١ - وَيَغْتَـابُنِي مَـنْ لَـوْ كَفَـانِي غَيْبَـهُ　　لَكُنْتُ لَـهُ ٱلْعَيْنَ ٱلْبَصِيـرَةَ وَٱلْأُذْنَـا[٤]
٢ - وَعِنْـدِي مِنَ ٱلْأَخْبَـارِ مَـا لَـوْ ذَكَـرْتُـهُ　　إِذاً قَـرَعَ ٱلْمُغْتَـابُ مِنْ نَـدَمٍ سِنَّـا

- ٣٢٧ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الرَّمل]

١ - إِطْـرَحُـوا ٱلْأَمْـرَ إِلَـيْـنَـا،　　وَٱحْـمِـلُوا ٱلْـكُـلَّ عَـلَـيْـنَـا

---

(١) الكوم: القطعة من الإبل.
(٢) كَنَى بالشَّيء عن كذا: ذكره ليستدلّ به على غيره.
(٣) مهجتي: نفسي.
(٤) يغتابني: يعيبني من ورائي ويذكّر بما فيَّ من العيوب.

٢ - إِنَّنَا قَوْمٌ، إِذَا مَا صَعُبَ ٱلأَمْرُ، كَفَيْنَا
٣ - وَإِذَا مَا رِيمَ مِنَّا مَوْطِنُ ٱلذُّلِّ أَبَيْنَا[١]
٤ - وَإِذَا مَا هَدَمَ ٱلْـ ـعِزَّ بَنُو ٱلْعِزِّ بَنَيْنَا

- ٣٢٨ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - مَا كُنْتَ تَصْبِرُ فِي ٱلْقَدِيـ ـمِ، فَلِمْ صَبَرْتَ ٱلْيَوْمَ عَنَّا؟[٢]
٢ - أَتَزِيدُ بُعْداً كُلَّمَا زِدْنَا مُحَافَظَةً وَضَنَّا؟![٣]
٣ - يَا لَيْتَ شِعْرِي! مَا ٱلَّذِي عُوِّضْتَ بِٱلْقُرْبَانِ مِنَّا؟
٤ - وَلَقَدْ أَسَأْتُ بِكَ ٱلظُّنُو نَ، لأَنَّهُ مَنْ ضَنَّ ظَنَّا!

- ٣٢٩ -

وَقَالَ: [انظر القصيدة ٢٣٠]

[من الوافر]

١ - يَعِيبُ عَلَيَّ أَنْ سَمَّيْتُ نَفْسِي وَقَدْ أَخَذَ ٱلْقَنَا مِنْهُمْ وَمِنَّا[٤]
٢ - فَقُلْ لِلْعِلْجِ: لَوْ لَمْ أُسْمِ نَفْسِي لَسَمَّانِي ٱلسِّنَانُ لَهُمْ وَكَنَّى[٥]

---

(١) ريمَ: قُصِدَ.
(٢) فَلِمْ: فَلِمَ.
(٣) الضَّنّ: الحرص.
(٤) ويروى «أسميت» مكان «سمَّيت». القنا: الرماح.
(٥) العِلْج: الرجل الشَّديد الغليظ. السِّنان: الرمح. كَنَّى: سَمَّى بالكنية.

- ٣٣٠ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ - قَـدْ أَعَـانَـتْنِي ٱلْـحَمِيَّـةُ لَـمَّـا	لَـمْ أَجِـدْ مِنْ عَشِيـرَتِي أَعْـوَانَـا
٢ - لَا أُحِبُّ ٱلْجَمِيـلَ مِـنْ سِـرِّ مَـوْلًى	لَـمْ يَـدَعْ مَـا كَـرِهْـتُـهُ إِعْـلَانَـا
٣ - إِنْ يَـكُـنْ صَـادِقَ ٱلْـوِدَادِ فَـهَــلَّا	تَـرَكَ ٱلْهَجْـرُ لِلْوِصَالِ مَكَانَـا!؟(١)

- ٣٣١ -

وَقَالَ يَفْتَخِرُ:

[من الوافر]

١ - سَلِي فَتَيَـاتِ هَـذَا ٱلْحَيِّ عَنِّي	يَقُلْنَ بِمَـا رَأَيْنَ وَمَـا سَمِعْنَـهْ
٢ - أَلَسْتُ أَمَـدَّهُـمْ، لِـذَوِيَّ، ظِـلًّا،	أَلَسْتُ أَعَـدَّهُمْ، لِلْقَوْمِ، جَفْنَـهْ(٢)
٣ - أَلَسْتُ أَقَـرَّهُـمْ بِـٱلْضَّيْفِ، عَيْنـاً	أَلَسْتُ أَمَرَّهُمْ، فِي ٱلْحَرْبِ لُهْنَـهْ(٣)
٤ - وَأَثْبَتَهُمْ، لَـدَى ٱلْحَدَثَـانِ، جَأْشـاً	وَأَسْرَعَهُمْ، إِلَى ٱلْفُرْسَـانِ، طَعْنَـهْ(٤)
٥ - رَضِيتُ ٱلْعَـاذِلَاتِ، وَمَـا يَقُلْنَـهْ	وَإِنْ أَصْبَحْتُ عَصَّـاءً لَهُنَّـهْ(٥)
٦ - وَكَـمْ فَجْـرٍ سَبَقْنَ إِلَى مَـلَامِي	فَعُـدْتُ ضُحًى وَلَمْ أَحْفِـلْ بِهِنَّـهْ
٧ - وَرَاجِـعَـةٍ إِلَـيَّ، تَـقُـولُ سِـرًّا:	أَعُـودُ إِلَـى نَـصِـيحَـتِـهِ لَعَنَّـهْ
٨ - فَـلَمَّـا لَمْ تَـجِـدْ طَمَعـاً تَـوَلَّتْ،	وَقَـالَـتْ فِيَّ، عَـاتِـبَـةً وَقُـلْنَـهْ
٩ - أَرَيْتَـكَ مَـا تَقُـولُ بَنَـاتُ عَمِّي	إِذَا وَصَـفَ ٱلنِّسَـاءُ رِجَـالَـهُنَّـهْ!

---

(١) الوِصال: مبادلة الحبّ.

(٢) الجفنة: القصعة، الصَّحفة من خشَب تُتَّخذ للأكل.

(٣) اللُّهنة: الطعام.

(٤) الحَدَثان: المصائب. الجَأش: القلب، الصدر.

(٥) العاذلات: اللاّئمات. عصّاء: كثير العصيان.

١٠ ـ أَمَا وَٱللَّهِ لا يُمْسِينَ، حَسْرَى، يُلَفِّقْنَ ٱلْكَلامَ، وَيَعْتَذِرْنَهْ[١]
١١ ـ وَلَكِنْ سَوْفَ أُوجِدُهُنَّ وَصْفاً وَأَبْسُطُ فِي ٱلْمَدِيحِ كَلامَهُنَّهْ
١٢ ـ مَتَى مَا يَدْنُ مِنْ أَجَلٍ كِتَابِي أَمُتْ، بَيْنَ ٱلأَعِنَّةِ وَٱلأَسِنَّهْ[٢]

- ٣٣٢ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ ـ بَكَرْنَ يَلُمْنَنِي، وَرَأَيْنَ جُودِي عَلَى ٱلأَرْمَاحِ بِٱلنَّفْسِ ٱلْمَضَنَّهْ
٢ ـ فَقُلْتُ لَهُنَّ: هَلْ فِيكُنَّ بَاقٍ، عَلَى نُوَبِ ٱلزَّمَانِ، إِذَا طَرَقْنَهْ؟[٣]
٣ ـ وَإِنْ يَكُنِ ٱلْحِذَارُ مِنَ ٱلْمَنَايَا سَبِيلاً لِلْحَيَاةِ، فَلِمْ تَمُتْنَهْ؟[٤]
٤ ـ سَأُشْهِدُهَا، عَلَى مَا كَانَ مِنِّي بِبَسْطِي فِي ٱلنَّدَى، بِكَلامِهِنَّهْ[٥]
٥ ـ وَأَجْعَلُكُنَّ أَصْدَقَ فِيَّ قَوْلاً إِذَا وَصَفَ ٱلنِّسَاءُ رِجَالَهُنَّهْ[٦]
٦ ـ فَإِنْ أَهْلَكْ فَعَنْ أَجَلٍ مُسَمَّى سَيَأْتِينِي، وَلَوْ مَا بَيْنَكُنَّهْ!
٧ ـ وَإِنْ أَسْلَمْ فَقَرْضٌ، سَوْفَ يُوفَى، وَأَتْبَعُكُنَّ إِنْ قَدَّمْتُكُنَّهْ
٨ ـ فَلا يَأْمُرْنَنِي بِمَقَامِ ذُلٍّ فَمَا أَنَا بِٱلْمُطِيعِ إِذَا أَمَرْنَهْ!
٩ ـ وَمَوْتٌ فِي مَقَامِ ٱلْعِزِّ أَشْهَى، إِلَى ٱلْفُرْسَانِ، مِنْ عَيْشٍ بِمَهْنَهْ![٧]

---

(١) يُلَفِّقْنَ الكلام: يزوِّرنه، ويزخرفنه.
(٢) يدنو: يقترب. الأعنّة: جمع العنان، وهو لجام الفرس. الأسنّة: الرماح.
(٣) نُوَب الزمان: مصائبه. طَرَقْن: حَلَلْنَ.
(٤) المنايا: جمع المنيَّة، وهي الموت. . فلِمْ: فلِمَ.
(٥) الندى: الكرم.
(٦) هذا البيت موجود في القصيدة السابقة.
(٧) المهنة: المهانة، والعبوديَّة.

- ٣٣٣ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - يَا مَنْ رَجَعْتُ إِلَى كُرْهٍ، بِطَاعَتِهِ، ... قَدْ خَالَفَ ٱلْقَلْبُ لَمَّا طَاوَعَ ٱلْبَدَنُ

٢ - وَكُلُّ مَا شِئْتَ مِنْ أَمْرٍ رَضِيتُ بِهِ، ... وَكُلُّ مَا ٱخْتَرْتَهُ، عِنْدِي هُوَ ٱلْحَسَنُ

٣ - وَكُلَّمَا سَرَّنِي أَوْ سَاءَنِي سَبَبٌ ... فَأَنْتَ فِيهِ عَلَيَّ، ٱلدَّهْرَ، مُؤْتَمَنُ

- ٣٣٤ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - وَإِنِّي لأَنْوِي هَجْرَهُ فَيَرُدُّنِي ... هَوًى، بَيْنَ أَثْنَاءِ ٱلضُّلُوعِ، دَفِينُ

٢ - فَيَغْلُظُ قَلْبِي، سَاعَةً، ثُمَّ يَنْثَنِي ... وَأَقْسُو عَلَيْهِ، تَارَةً، وَيَلِينُ

٣ - وَقَدْ كَانَ لِي عَنْ وُدِّهِ كُلُّ مَذْهَبٍ ... وَلَكِنَّ مِثْلِي بِٱلإِخَاءِ ضَنِينُ(١)

٤ - وَلاَ غَرْوَ أَنْ أَعْنُو لَهُ، بَعْدَ عِزَّةٍ، ... فَقَدْرِيَ، فِي عِزِّ ٱلْحَبِيبِ، يَهُونُ!(٢)

- ٣٣٥ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - بَخِلْتُ بِنَفْسِي أَنْ يُقَالَ مُبَخَّلٌ ... وَأَقْدَمْتُ جُبْناً أَنْ يُقَالَ جَبَانُ

٢ - وَمُلْكِي بَقَايَا مَا وَهَبْتُ: مُفَاضَةٌ، ... وَرُمْحٌ، وَسَيْفٌ صَارِمٌ، وَسِنَانُ(٣)

---

(١) ضنين: حريص.

(٢) لا غرو: لا عجب. أعنو: أخضع.

(٣) المفاضة: الدرع الواسعة. صارم: قاطع.

- ٣٣٦ -

وَقَالَ، وَقَدْ أَرْسَلَ بِهَا إِلَى ٱلْقَاضِي «أَبِي ٱلْحُصَيْنِ»، عِنْدَ أَسْرِ ٱبْنِهِ «أَبِي ٱلْهَيْثَمِ»:

[من الطويل]

١ - أَيَا رَاكِباً، نَحْوَ ٱلْجَزِيرَةِ، جَسْرَةً ... عُذَافِرَةً، إِنَّ ٱلْحَدِيثَ شُجُونُ!(١)
٢ - مِنَ ٱلْمُوخَدَاتِ ٱلضُّمَّرِ ٱللاَّءِ وَخْدُهَا ... كَفِيلٌ بِحَاجَاتِ ٱلرِّجَالِ ضَمِينُ(٢)
٣ - تَحَمَّلْ إِلَى «ٱلْقَاضِي» سَلاَمِي وَقُلْ لَهُ: ... أَلاَ إِنَّ قَلْبِي، مُذْ حَزِنْتَ، حَزِينُ
٤ - وَإِنَّ فُؤَادِي، لاَفْتِقَادِ أَسِيرِهِ، ... أَسِيرٌ، بِأَيْدِي ٱلْحَادِثَاتِ، رَهِينُ(٣)
٥ - أُحَاوِلُ كِتْمَانَ ٱلَّذِي بِي مِنَ ٱلأَسَى ... وَتَأْبَى غُرُوبٌ ثَرَّةٌ وَشُؤونُ(٤)
٦ - بِمَنْ أَنَا فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلسِّرِّ وَاثِقٌ، ... وَطَرْفِي نَمُومٌ، وَٱلدُّمُوعُ تَخُونُ(٥)
٧ - يَضِنُّ زَمَانِي بِٱلثِّقَاتِ؛ وَإِنَّنِي ... بِسِرِّي، عَلَى غَيْرِ ٱلثِّقَاتِ، ضَنِينُ(٦)
٨ - لَعَلَّ زَمَاناً بِٱلْمَسَرَّةِ يَنْثَنِي؛ ... وَعَطْفَةَ دَهْرٍ بِٱللِّقَاءِ تَكُونُ
٩ - أَلاَ لاَ يَرَى ٱلأَعْدَاءُ فِيكَ غَضَاضَةً ... فَلِلدَّهْرِ بُؤْسٌ، قَدْ عَلِمْتَ، وَلِينُ(٧)
١٠ - وَأَعْظَمُ مَا كَانَتْ هُمُومُكَ تَنْجَلِي، ... وَأَصْعَبُ مَا كَانَ ٱلزَّمَانُ يَهُونُ
١١ - أَلاَ لَيتَ شِعْرِي - هَلْ أَنَا ٱلدَّهْرَ، وَاجِدٌ - ... قَرِيناً، لَهُ حُسْنُ ٱلْوَفَاءِ قَرِينُ؟
١٢ - فَأَشْكُو وَيَشْكُو مَا بِقَلْبِي وَقَلْبِهِ، ... كِلاَنَا، عَلَى نَجْوَى أَخِيهِ، أَمِينُ
١٣ - وَفِي بَعْضِ مَنْ يُلْقِي إِلَيْكَ مَوَدَّةً ... عَدُوٌّ، إِذَا كَشَّفْتَ عَنْهُ، مُبِينُ

---

(١) الجَسْرة: الناقة القويَّة، وكذلك العُذافرة.

(٢) الموخدات: مسرِعات. اللّاءِ: اللواتي. الوَخْد: ضَرْب من السَّير السَّريع. ضمين: كفيل.

(٣) الحادثات: المصائب. رهين: مرهون.

(٤) الأسى: الحزن واللوعة. الغُروب: جمع الغَرْب، وهو مسيل الدمع. ثَرَّة: فيّاضة. الشؤون: عروق الدموع.

(٥) الطرف: العين. نموم: واشٍ، كاشف للسِّرّ.

(٦) ضنين: حريص.

(٧) الغضاضة: العيب، والمنقصة.

١٤ -إذَا غَيَّرَ ٱلْبُعْدُ ٱلْهَوَى فَهَوَى «أَبي حُصَيْنٍ» مَنِيعٌ، فِي ٱلْفُؤَادِ حَصِينُ
١٥ -فَلاَ بَرِحَتْ بِٱلْحَاسِدِينَ كَآبَةٌ، وَلاَ هَجَعَتْ لِلشَّامِتِينَ عُيُونُ(١)

- ٣٣٧ -

وَكَتَبَ إلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ»، وَقَدْ عَتَبَ عَلَيْهِ ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُ:

[من الوافر]

١ - وَلِي مَوْلًى، أَسَأْتُ إلَيْهِ جُهْدِي فَحَمَّلَ حِلْمَهُ مَا رَابَ مِنّي(٢)
٢ - وَأَكْثَرَ فِي ٱلْعِتَابِ عَلَى ذُنُوبِي فَيَطْلُبُ عِلَّةً لِلصَّفْحِ عَنِّي
٣ - وَأَبْطَلَ كُلَّ ظَنٍّ بِي قَبِيحٍ لِحُسَّادِي، وَحَقَّقَ حُسْنَ ظَنِّي
٤ - فَإنْ أَحْوَجْتُ عَتْباً، بَعْدَ هَذَا، فَلاَ خُلِّصْتُ مِن عَتْبِ ٱلتَجَنِّي!(٣)

- ٣٣٨ -

وَلَهُ مُلْغِزاً، وَقَدْ قَالَ فِي مَعْنَاهُ، فِي قَافِيَةِ ٱلْهَاء:

[من السريع]

١ - مَا ٱسْمٌ ظَرِيفٌ فِيهِ فِعْلاَنِ هُمَا، إذَا مَيَّزْتَ، ضِدَّانِ
٢ - وَفِيهِ مِنْ بَعْدِهِمَا ٱسْمٌ ثُلاَ ثِيٌّ، وَلَكِنْ فِيهِ حَرْفَانِ
٣ - إسْمٌ وَفِعْلٌ لَكَ فِيهِ، إذَا كَانَ مِنَ الأَفْعَالِ، وَجْهَانِ
٤ - إقْلِبْهُ تَعْلَمْ مُوقِناً أَنَّهُ، عَلَى لِسَانِ ٱلْعَالَمِ، ٱثْنَانِ

---

(١) هجعتْ: نامتْ.
(٢) راب: أوقع في الرِّيبة (الشّكّ والتحيُّر).
(٣) التجنّي: رماية الآخر بجناية لم يقترفها.

- ٣٣٩ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - أَشْفَقْتَ مِنْ هَجْرِي فَغَلْـ ـبَتَ ٱلظُّنُونَ عَلَى ٱلْيَقِينِ
٢ - وَظَنَنْتَ بِي، فَضَنَنْتَ بِي؛ وَٱلظَّنُّ مِنْ شِيَمِ ٱلضَّنِينِ!(١)

- ٣٤٠ -

وَقَالَ:

[من مخلع البسيط]

١ - لِطَيْرَتي بِٱلصُّدَاعِ نَالَتْ فَوْقَ مَنَالِ ٱلصُّدَاعِ مِنِّي(٢)
٢ - وَجَدْتُ فِيهِ ٱتِّفَاقَ سُوءٍ صَدَّعَنِي مِثْلُ صَدَّ عَنِّي(٣)

- ٣٤١ -

وَقَالَ:

[من الهزج]

١ - وَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلدَّمْعُ، وَقَدْ بَاحَ بِكِتْمَانِ
٢ - وَلِلنَّاسِ، عَلَى سِرِّ يَ، مِنْ عَيْنَيَّ عَيْنَانِ
٣ - تَسَامَحْتُ فَلَا أَكْتُمُ إِلَّا بَعْضَ أَشْجَانِي
٤ - وَبِٱلدَّارَيْنِ إِنْسَانٌ لَهُ، فِي ٱلْقَلْبِ، دَارَانِ

---

(١) ضننت بي: بخلت وحرصت. وفي البيت جناس غير تامّ بين «ظننت» و «ضننت».

(٢) الطِّيرة: ما يُتشاءم منه. الصُّداع: ألم الرأس.

(٣) صَدَّعني: بالغ في شَقِّي، أصابني بالصُّداع. وفي البيت جناس تامّ، بين «صَدَّعني» وَ «صَدَّ عَنِّي». والصنعة ظاهرة في هذين البيتين.

٥ - إذَا مَـا مَـاسَ فِـي ٱلْـقُـرْطَـقِ يَـسْـعَـى بَـيْـنَ أَخْـدَانِ[١]
٦ - رَأَيْـتَ ٱلـبَـدْرَ قَـدْ بَـانَ عَـلَى غُـصْـنٍ مِـنَ ٱلْـبَـانِ[٢]
٧ - وَخَـدًّا يُـجْـتَـنَـى ٱلـوَرْدُ بِـهِ، فِـي كُـلِّ إبَّـانِ[٣]
٨ - أَلاَ يَـا صَـاحِـبَـيْ رَحْـلِـيَ بِـآلـلَّهِ أَجِـيـبَـانِـي
٩ - تُـرَى مَـنْ لَـسْـتُ أَنْـسَـاهُ عَـلَـى ٱلْـحَـالاَتِ يَـنْـسَـانِـي؟
١٠ - فَـإِنِّـي مِـنْـهُ فِـي هَـمٍّ، يُـضَـاهِـي كُـلَّ أَحْـزَانِـي

- ٣٤٢ -

وَلَهُ، يَرْثِي غُلَاماً لَهُ:

[من الكامل]

١ - أَعْـزِزْ عَلَيَّ بِـأَنْ يَبِيتَ مُـوَسَّـدا، وَأَبِـيـتُ أَنْـدُبُـهُ مَـعَ ٱلإخْـوَانِ
٢ - وَلَقَـدْ وَدِدْتُ بِـأَنْ أَكُـونَ مَكَـانَـهُ، تَحْتَ ٱلتُّـرَابِ، وَأَنْ يَكُـونَ مَكَـانِي

- ٣٤٣ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - ٱلْـبَيْـنُ بَيَّـنَ مَـا يُـجِـنُّ جَـنَـانِـي، وَٱلْـوَجْـدُ جَـدَّدَ بَعْـدَكُمْ أَحْـزَانِي[٤]
٢ - وَبِلَى ٱلرُّسُومِ ٱلدَّارِسَاتِ بِذِي ٱلْغضَا أَغْـرَى بِيَ ٱلْكَمَـدَ ٱلَّـذِي أَبْـلاَنِي[٥]

---

(١) القُرطق: نوع من اللباس، معرَّب كرته. الأخدان: جمع الخِدْن، وهو الصَّديق.
(٢) بانَ: ظهر. البان: نوع من الشجر، وفي البيت جناس تامّ بين «بان» «والبان».
(٣) ابّـان: وقت.
(٤) البين: الفراق. يُجِنّ: يستر. الجنان: القلب. الوَجْد: الحبّ.
(٥) الرسوم: آثار الديار بعد نزوح أهلها عنها. الدارسات: الممحيّات. ذو الغضا: اسم مكان. الكمد: الحزن الشديد.

٣ـ لَـوْ أَنَّهَـا غَنِيَتْ بِـأُنْسِ قَـطِينِهَـا غَنِيَتْ مَـدَامِعُـهَـا عَنِ ٱلْـهَمَـلَانِ(١)
٤ـ قُـلْ لِلدِّيَـارِ، بِجَـانِبِ «ٱلصَّمَّـانِ» بِـلِسَـانِ دَمْـعٍ ، لَا بِلَفْظِ لِسَـانِ:
٥ـ آسَى بِـأَنْ أَبْكَيْتَ عَـيْنِي لَا بَكَـتْ عَيْنٌ عَلَيْـكِ بِغَيْـرِ دَمْـعٍ قَـانِ(٢)
٦ـ أَوَمَـا رَأَيْتِ، غَـدَاةَ مَحْنِيَـةِ ٱللِّوَى مَـا بِي مِنَ ٱلْبُـرَحَـاءِ وَٱلْأَشْجَـانِ؟(٣)
٧ـ أَلْوَى ٱللِّوَى بِجَمِيلِ صَبْرِيَ فِي ٱلْهَوَى وَدَعَـا حَنِيـنِي أَبْـرَقَ ٱلْـحَنَّـانِ
٨ـ وَلَقَـدْ سَـأَلْتُ ٱلـرَّبْعَ عَنْ سُكَّـانِـهِ لَـوْ كَـانَ يُخْبِـرُنِي عَنِ ٱلسُّكَّـانِ(٤)
٩ـ وَسُؤَالُ مَـا لَا يَسْتَـطِيـعُ إِجَـابَـةً لِمُسَائِـلٍ ، ضَـرْبٌ مِنَ ٱلْهَـذَيَـانِ(٥)
١٠ـمَـا بُحْتُ بِـٱلْكِتْمَـانِ حَتَّى عَـزَّنِي فَيْضُ ٱلـدُّمُوعِ ، فَبُحْتُ بِـٱلْكِتْمَانِ(٦)
١١ـفَعَـلَامَ أَكْتُـمُ، أَوْ أُسِـرُّ صَبَـابَتِي؟ وَعَـلَيَّ مِنْ عَـيْـنَـيَّ لِي عَـيْـنَـانِ(٧)
١٢ـإِنَّ ٱلْغَـوَانِي، يَـوْمَ «مُنْعَـرَجِ ٱللِّوَى» شَـرَّدْنَ طِيبَ ٱلنَّـوْمِ عَنْ أَجْفَـانِي(٨)
١٣ـبِيضٌ، كَـأَمْثَالِ ٱلـدُّمَى ، فِي حُسْنِهَا أَقْـمَـارُ لَـيْـلٍ فِـي ذُرَا أَغْـصَـانِ
١٤ـخَـالَفْتُ قَوْلَ ٱلْعَـاذِلِينَ عَلَى ٱلْهَوَى، وَنَهَى غَـرَامَ ٱلْحُبِّ مَنْ يَنْهَـانِي(٩)
١٥ـمَـا لُمْتُ ذَا شَجَنٍ بَكَى أَوْطَـانَـهُ، مُذْ أَقْفَـرَتْ فَبَكَيْتُهَـا أَوْطَـانِـي(١٠)
١٦ـوَلَئِنْ سَلَوْتُ عَـنِ ٱلْأَحِبَّـةِ نَـائِيـاً، مَـا غَرَّدَ ٱلْقُمْـرِيُّ فِي ٱلْأَفْنَـانِ(١١)
١٧ـفَهَـرَاقَ فِيـكَ دَمِي حُسَـامُ مُكَـذِّبٍ عَنْ قِـرْنِهِ، وَشَبَـا سِنَانِ جَبَـانِ(١٢)

---

(١) قطينها: ساكنها. الهملان: السَّيلان.
(٢) القاني: الأحمر. كناية عن شدّة البكاء والحزن.
(٣) البرحاء: الشِّدَّة. الأشجان: الأحزان.
(٤) الربع: المنزل.
(٥) الهَذَيان: التكلّم بغير معقول لمرض أو لغيره.
(٦) عزَّني: عصاني.
(٧) الصَّبابة: الشّوق والهوى.
(٨) الغواني: الحسناوات. شَرَّدْنَ: أبعدنَ.
(٩) العاذلون: اللائمون.
(١٠) الشَّجن: الحزن والهمّ.
(١١) سلوت عن الأحبَّة: نسيتهم. نائياً: بعيداً. القمريّ: نوع من الحمام الحسن الصَّوت. الأفنان: الأغصان.
(١٢) هراقَ: أراق. الحسام: السَّيف. القِرْن: النظير. شبَا: جمع شباة، وهي الحدّ. السِّنان: الرُّمح.

١٨ -وَتَنُوفَةٍ قَذَفٍ يَحَارُ بِهَا ٱلْقَطَا ... جَاوَزْتُهَا بِجُلاَلَةٍ، مِذْعَانِ[١]

١٩ -تَطْوِي ٱلْفَلاَةَ بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ ... وَتَبُذُّ شَأْوَ ٱلرِّيحِ بِٱلذَّمَلاَنِ[٢]

٢٠ -هَذا، وَكَمْ مِنْ غَمَّةٍ كَشَّفْتُهَا ... بِشَبَا ٱلظُّبَى، وَتَوَقُّدِ ٱلْخِرْصَانِ[٣]

٢١ -مُتَجَرِّداً، فَرْداً بِغَيْرِ مُسَاعِدٍ، ... غَيْرِ ٱلْجَوَادِ، وَمُرْهَفٍ، وَسِنَانِ[٤]

٢٢ -فَإِذَا بَطَشْتُ بَطَشْتُ لَيْثاً بَاسِلاً، ... وَإِذَا نَطَقْتُ نَطَقْتُ عَنْ تِبْيَانِ[٥]

٢٣ -وَإِذَا قَصَدْتُ لِحَاجَةٍ، لَمْ يَثْنِنِي ... خَوْفُ ٱلرَّدَى، وَتَصَرُّفُ ٱلأَزْمَانِ[٦]

٢٤ -وَإِذَا فَخَرْتُ فَخَرْتُ بِٱلشُّمِّ، ٱلأُولَى ... شَادُوا ٱلْمَكَارِمَ، مِنْ «بَنِي حَمْدَانِ»[٧]

٢٥ -نَحْنُ ٱلْمُلُوكُ بَنُو ٱلْمُلُوكِ أُولِي ٱلْعُلاَ، ... وَمَعَادِنُ ٱلسَّادَاتِ مِنْ «عَدْنَانِ»

٢٦ -وَٱلْمَجْدُ يَعْلَمُ أَنَّنَا أَرْكَانُهُ؛ ... وَٱلْبَيْتُ مُعْتَمِدٌ عَلَى ٱلأَرْكَانِ

٢٧ -قَوْمِي، مَتَى تَخْبُرْهُمُ، لَمْ يُحْسِنُوا ... غَيْرَ ٱصْطِنَاعِ ٱلْعُرْفِ وَٱلإِحْسَانِ

٢٨ -كَمْ مُعْدَمٍ أَغْنَوا بِفَضْلِ سَمَاحِهِمْ ... كَرَماً، وَفَكُّوا عَنْ أَسِيرٍ عَانِ[٨]

٢٩ -وَهُمُ أَحَقُّ بِبَيْتِ شِعْرٍ قَدْ مَضَى ... فِي ٱلنَّاسِ، مِمَّنْ ضَمَّهُ ٱلثَّقَلاَنِ:[٩]

٣٠ -«وَإِذَا دَعَوْتَهُمُ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ... سَدُّوا شُعَاعَ ٱلشَّمْسِ بِٱلْمُرَّانِ»[١٠]

---

(١) التنوفة: الأرض الواسعة لا ماء فيها ولا شجر. القطا: طيور صحراوية بحجم الحمام. الجلالة: الناقة العظيمة. مِذْعان: خضوعة مُذلَّلة.

(٢) تبذُّ: تفوق. الشأو: الغاية. الذَّملان: السَّير اللَّيِّن.

(٣) شبا الظُّبى: حدّ السيوف. الخرصان: الرِّماح.

(٤) المرهف: السيف القاطع. السِّنان: الرماح.

(٥) اللَّيث: الأسد. الباسل: الشجاع.

(٦) الرَّدى: الموت.

(٧) الشّمّ: جمع الأشمّ، السَّيِّد الأبيّ الكريم.

(٨) العاني: الخاضع، المعذَّب.

(٩) الثَّقلان: الإنس والجنّ.

(١٠) الكريهة: الحرب. المُرّان: الرماح اللَّدنة في صلابة، واحدتها المُرّانة.

- ٣٤٤ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - ٱلْحُـرُّ يَصْبِـرُ، مَـا أَطَـاقَ تَصَبُّـراً فِـي كُـلِّ آوِنَـةٍ وَكُـلِّ زَمَـانِ
٢ - وَيَـرَى مُسَاعَـدَةَ ٱلْكِرَامِ مُـرُوءَةً، مَـا سَالَمَتْـهُ نَـوَائِبُ ٱلْحَـدَثَـانِ[1]
٣ - وَيَـذُوبُ بِـٱلْـكِـتْـمَـانِ إِلَّا أَنَّـهُ أَحْـوَالُـهُ تُـنْبِي عَنِ ٱلْكِتْمَـانِ[2]
٤ - فَـإِذَا تَكَشَّفَ، وَٱضْمَحَلَّتْ حَـالُـهُ أَلْـفَيْتَـهُ يَشْكُـو بِكُـلِّ لِسَـانِ[3]
٥ - «مَـا كُـلِّفَ ٱلإِنْسَـانُ إِلَّا وُسْعَـهُ» وَٱللَّهُ نَصَّ بِـذَاكَ فِي «ٱلْقُـرْآنِ»[4]
٦ - وَإِذَا نَـبَـا بِـي مَـنْـزِلٌ فَـارَقْـتُـهُ، وَٱلـلَّهُ يَلْطُفُ بِـي بِكُـلِّ مَكَـانِ[5]
٧ - وَإِذَا تَـغَيَّـرَ صَـاحِبٌ صَـارَمْـتُـهُ، وَصَـرَفْتُ عَنْهُ عِنْـدَ ذَاكَ عِنَـانِي[6]

- ٣٤٥ -

وَقَالَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[من الكامل]

١ - رُمْحِي أَخِي، وَمُعَـاوِنِي فِي شِـدَّتِي نِعْمَ ٱلْمُعَـاوِنُ لِلشُّجَـاعِ ٱلْمُحْسِنِ!
٢ - وَحَمَلْتُـهُ لِلطَّعْنِ، فِي يَـوْمِ ٱلْـوَغَى وَعَـلَامَ أَحْـمِـلُهُ إِذَا لَـمْ أَطْـعَـنِ![7]

---

(١) نوائب الحَدَثان: مصائب الدهر.
(٢) تُنبي: تُخبر.
(٣) اضمحلّت: هزلتْ. ألفَيْتَه: وجدتَه.
(٤) في قوله ﴿لا يكلِّف ٱللَّهُ نفساً إلاّ وسعها﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقوله ﴿ولا نكلّف نفساً إلاّ وسعها﴾ (المؤمنون: ٦٢)..
(٥) نبا بي منزل: جفاني.
(٦) صارمته: بادلته الصَّرم (القطيعة)، عِنان الفرس: لِجامه.
(٧) الوغى: الحرب.

- ٣٤٦ -

وَقَالَ - غفرَ آللَّهُ لَهُ - :

[من مجزوء الكامل]

١ - لَا غَـرْوَ إنْ فَـتَـنَـتْـكَ بِـآلْـ ـلَحَـظَاتِ فَـاتِـرَةُ آلْـجُـفُـونِ[١]
٢ - فَـمَـصَـارِعُ آلْـعُـشَّـاقِ مَـا بَـيْـنَ آلْـفُـتُـورِ إلَـى آلْـفُـتُـونِ
٣ - إصْـبِـرْ! فَـمِـنْ سُـنَـنِ آلْـهَـوَى صَـبْـرُ آلـظَّنِيـنِ على آلـضَّنِيـنِ[٢]

- ٣٤٧ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - عَـلَيَّ مِـنْ عَـيْـنَـيَّ عَـيْـنَـانِ تَـبُـوحُ لِـلنَّـاسِ بِـكِـتْـمَـانِ
٢ - يَـا ظَـالِمِي، لِلشُّـرْبِ سُكْـرٌ؛ وَلِي مِـنْ غَـنْـجِ أَلْحَـاظِـكَ سُكْـرَانِ
٣ - وَجْـهُـكَ وَآلْـبَـدْرُ، إِذَا أُبْـرِزَا، لأَعْـيُـنِ آلْـعَـالَـمِ، بَـدرَانِ

- ٣٤٨ -

وَقَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى سَيْفِ آلدَّوْلَةِ:

[من المتقارب]

١ - أُنَـافِسُ فِـيـكَ بِـعِـلْقٍ ثَـمِـيـنِ، وَيَـغْلِبُـنِي فِـيـكَ ظَـنُّ آلـظَّنِيـنِ[٣]
٢ - وَلَـمَّـا شَكَـكْـتُ وَوَافَـى آلْـكِـتَـابُ أَنَـافَ عَلَى آلشَّـكِّ حُسْنُ آلْـيَقِـينِ
٣ - وَكُـنْـتُ حَـلَفْـتُ عَـلَى غَـضْـبَـةٍ فَـعُـدْتُ، وَكَفَّـرْتُ عَـنْهَـا يَـمِـيـنِي

---

(١) لا غرو: لا عجب.

(٢) الظنين: الذي يظنّ بغيره سوءاً. الضَّنين: الحريص. وفي البيت جناس غير تامّ.

(٣) العِلْق: المحِبّ والمتمسّك بالآخر.

- ٣٤٩ -

وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ «أَبِي ٱلْهَيْجَاءِ حَرْبِ بْنِ سَعِيدٍ»:

[من المتقارب]

١ - حَلَلْتَ مِنَ ٱلْمَجْدِ أَعْلَى مَكَانٍ، وَبَلَّغَكَ ٱللَّهُ أَقْصَى ٱلْأَمَانِي
٢ - فَإِنَّكَ - لَا عَدِمَتْكَ ٱلْعُلَا - أَخٌ لَا كَإِخْوَةِ هَذَا ٱلزَّمَانِ
٣ - صَفَاؤُكَ فِي ٱلْبُعْدِ مِثْلُ ٱلدُّنُوِّ وَوُدُّكَ فِي ٱلْقَلْبِ مِثْلُ ٱللِّسَانِ
٤ - كَسَوْنَا أُخُوَّتَنَا بِٱلصَّفَاءِ كَمَا كُسِيَتْ بِٱلْكَلَامِ ٱلْمَعَانِي

- ٣٥٠ -

وَقَالَ، فِي أَهْلِ ٱلْبَيْتِ - عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ:

[من الخفيف]

١ - شَافِعِي «أَحْمَدُ» ٱلنَّبِيُّ، وَمَوْلَا يَ «عَلِيٌّ» وَ «ٱلْبِنْتُ» وَ «ٱلسِّبْطَانِ»(١)
٢ - وَ «عَلِيٌّ» وَ «بَاقِرُ ٱلْعِلْمِ» وَ «ٱلصَّا دِقُ»، ثُمَّ «ٱلْأَمِينُ» ذُو ٱلتِّبْيَانِ(٢)
٣ - وَ «عَلِيٌّ»، وَ «مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ»، وَ «عَلِيٌّ» وَ «ٱلْعَسْكَرِيُّ» ٱلدَّانِي(٣)
٤ - وَٱلْإِمَامُ «ٱلْمَهْدِيُّ» فِي يَوْمِ لَا يَنْـ ـفَعُ إِلَّا غُفْرَانُ ذِي ٱلْغُفْرَانِ(٤)

---

(١) البنت: فاطمة بنت الرسول ﷺ. الإماماان: الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٢) عليّ هو زين العابدين بن الحسين الإمام الرابع. باقر العلم هو محمد الباقر بن زين العابدين، الإمام الخامس. الصّادق: جعفر بن محمد الباقر الإمام السادس. الأمين: موسى الكاظم بن جعفر الصادق، الإمام السابع.

(٣) علي: هو الرِّضا عليّ بن موسى الكاظم، الإمام الثامن. محمد بن عليّ الرِّضا، الإمام التاسع. علّي هو عليّ بن محمد، الإمام العاشر. العسكري: هو حسن بن عليّ، الإمام الحادي عشر.

(٤) المهدي: هو أبو القاسم محمد المهدي بن العسكري، الإمام الثاني عشر، رضي الله عنهم أجمعين.

- ٣٥١ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - مَا كُنْتُ مُذْ كُنْتُ، إلاَّ طَوْعَ خُلاَّنِي ... لَيْسَتْ مُؤَاخَذَةُ الإخْوَانِ مِنْ شَانِي(١)

٢ - يَجْنِي ٱلْخَلِيلُ فَأَسْتَحْلِي جِنَايَتَهُ ... حَتَّى أَدُلَّ عَلَى عَفْوِي وَإحْسَانِي(٢)

٣ - وَيُتْبِعُ ٱلذَّنْبَ ذَنْباً حِينَ يَعْرِفُنِي ... عَمْداً، وَأُتْبِعُ غُفْرَاناً بِغُفْرَانِ

٤ - يَجْنِي عَلَيَّ وَأَحْنُو، صَافِحاً أَبَداً، ... لاَ شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ حَانٍ عَلَى جَانِ

- ٣٥٢ -

وَقَالَ، فِي «مُصْعَبِ ٱلطَّائِيِّ»، حَلِيفِ «بَنِي زُرَارَةَ» وَ «عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ»، مِنْ «كِلاَبٍ»؛ وَرَكِبَ مَعَهُ... وَأَخَذُوهُ غَصْباً، وَبِهَا حَازَ أَمْوَالَ «بَنِي كَعْبٍ» فَسَأَلَتْهُ «أُمُّ بَسَّامٍ»، فَصَفَحَ عَنِ ٱلأَمْوَالِ، وَخَلَّى لَهَا «مُصْعَباً»، فَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ:

[من البسيط]

١ - «بَنِي زُرَارَةَ»! لَوْ صَحَّتْ طَرَائِقُكُمْ ... لَكُنْتُمُ عِنْدَنَا فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلدَّانِي

٢ - لَكِنْ جَهِلْتُمْ لَدَيْنَا حَقَّ أَنْفُسِكُمْ، ... وَبَاعَ بَائِعُكُمْ رِبْحاً بِخُسْرَانِ

٣ - فَإِنْ تَكُونُوا بَرَاءً، مِنْ جِنَايَتِهِ؛ ... فَإِنَّ مَنْ رَفَدَ ٱلْجَانِي هُوَ ٱلْجَانِي(٣)

٤ - مَا بَالُكُمْ! يَا أَقَلَّ ٱللَّهُ خَيْرَكُمُ ... لاَ تَغْضَبُونَ لِهَذا ٱلْمُوثَقِ ٱلْعَانِي؟(٤)

٥ - جَارٌ نَزَعْنَاهُ قَسْراً فِي بُيُوتِكُمُ، ... وَٱلْخَيْلُ تَعْصِبُ فُرْسَاناً بِفُرْسَانِ

٦ - إذْ لاَ تَرُدُّونَ عَنْ أَكْنَافِ أَهْلِكُمُ ... شَوَازِبَ ٱلْخَيْلِ مِنْ مَثْنَى وَوِحْدَانِ(٥)

---

(١) الخُلاّن: الأصدقاء. شاني: شأني.

(٢) يجني: يرتكب الجناية.

(٣) رفَد: أعانَ. الجاني: الذي ارتكب الجناية.

(٤) يقصد بالعاني مصعباً الطّائيّ.

(٥) الشوازب: جمع الشازب، وهو الضامر.

٧ ـ بـ «ٱلْمَرْجِ»، إِذْ «أُمُّ بَسَّامٍ» تُنَاشِدُنِي: بَنَاتُ عَمِّكَ! يَا «حَارِ بْنَ حَمْدَانِ»[1]
٨ ـ فَظَلْتُ أَثْنِي صُدُورَ ٱلْخَيْلِ سَاهِمَةً بِكُلِّ مُضْطَغِنٍ بِٱلْحِقْدِ، مَلآنِ[2]
٩ ـ وَنَحْنُ قَوْمٌ، إِذَا عُدْنَا بِسَيِّئَةٍ عَلَى ٱلْعَشِيرَةِ، أَعْقَبْنَا بِإِحْسَانِ

ـ ٣٥٣ ـ

قَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى «سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ» مِنَ ٱلأَسْرِ، فِي بَلَدِ ٱلرُّومِ يُعَرِّفُهُ بِخُرُوجِ «ٱلدُّمُسْتُقِ» إِلَى «الشَّامِ» وَيُحَرِّضُهُ عَلَى ٱلاسْتِعْدَادِ، وَيَسْأَلُهُ تَقْدِيمَ ٱلْفِدَاءِ:

[من الكامل]

١ ـ أَتَعِزُّ أَنْتَ عَلَى رُسُومِ مَغَانِ فَأُقِيمَ لِلْعَبَرَاتِ سُوقَ هَوَانِ[3]
٢ ـ فَرْضٌ عَلَيَّ، لِكُلِّ دَارٍ وَقْفَةٌ تَقْضِي حُقُوقَ ٱلدَّارِ وَٱلأَجْفَانِ
٣ ـ لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْ هَوِيتُ بِـ «حَاجِرٍ» لَمْ أَبْكِ فِيهِ مَوَاقِدَ ٱلنِّيرَانِ[4]
٤ ـ وَلَقَدْ أَرَاهُ، قُبَيْلَ طَارِقَةِ ٱلنَّوَى، مَأْوَى ٱلْحِسَانِ، وَمَنْزِلَ ٱلضِّيفَانِ[5]
٥ ـ وَمَكَانَ كُلِّ مُهَنَّدٍ، وَمَجَرَّ كُـ ـلِّ مُثَقَّفٍ، وَمَجَالَ كُلِّ حِصَانِ[6]
٦ ـ نَشَرَ ٱلزَّمَانُ عَلَيْهِ، بَعْدَ أَنِيسِهِ، حُلَلَ ٱلْفَنَاءِ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ فَانِ!
٧ ـ وَلَقَدْ وَقَفْتُ فَسَرَّنِي مَا سَاءَنِي فِيهِ، وَأَضْحَكَنِي ٱلَّذِي أَبْكَانِي
٨ ـ وَرَأَيْتُ فِي عَرَصَاتِهِ مَجْمُوعَةً أُسْدَ ٱلشَّرَى، وَرَبَائِبَ ٱلْغِزْلَانِ[7]

---

(١) أمّ بسّام: المرأة التي خرجت في نسوة من نساء العرب وناشدته إطلاق الأسرى وأموالهم. يا حارِ: يا حارث: منادى مرخّم.
(٢) مضطغَن: ملتفّ.
(٣) الرسوم: ما بقي من آثار الديار بعد نزوح أهلها عنها. المغاني: المنازل.
(٤) حاجر: اسم موضع.
(٥) النّوى: الفراق. الضِّيفان: الضّيوف.
(٦) المهنّد: السَّيف الهنديّ. المثقَّف: الرمح.
(٧) العرصات: جمع العرصة، وهي ساحة الدار. الشَّرى: اسم مكان مشهور بالأسود. الربائب: جمع الربيبة، وهي التي تُربّى.

٩ - يَـا وَاقِفَانِ، مَعِي، عَلَى آلـدَّارِ آطْلُبَا ... غَيْـرِي لَهَـا، إنْ كُنْتُمَـا تَقِـفَـانِ!
١٠ -مَنَعَ آلْوُقُوفَ، عَلَى آلْمَنَازِلِ، طَـارِقٌ ... أَمَـرَ آلـدُّمُـوعَ بِمُقْلَتِي وَنَهَـانِي(١)
١١ -فَلَهُ، إِذَا وَنَتِ آلْمَـدَامِـعُ أَوْ هَمَتْ، ... عِصْيَـانُ دَمْعِي، فِيهِ، أَوْ عِصْيَـانِي(٢)
١٢ -إِنَّـا لَـيَجْـمَعُنَـا آلْبُكَـاءُ، وَكُـلُّنَـا ... يَبْكِي عَلَى شَجَنٍ مِنَ آلأَشْجَـانِ(٣)
١٣ -وَلَقَـدْ جَعَلْتُ آلْحُبَّ سِتْـرَ مَـدَامِعِي ... وَلِـغَـيْـرِهِ عَـيْـنَـايَ تَـنْـهَـمِـلانِ(٤)
١٤ -أَبْكِي آلأَحِبَّـةَ بِـ «آلشَّـآمِ» وَبَيْنَـنَـا ... قُلَلُ «آلـدُّرُوبِ» وَشَـاطِئَـا «جَيْحَـانِ»
١٥ -وَتُـحِبُّ نَـفْسِـي آلْعَـاشِقِيـنَ لأَنَّهُـمْ ... مِـثْـلِي عَـلَى كَـنَـفٍ مِـنَ آلأَحْـزَانِ
١٦ -فَضَلَتْ لَـدَيَّ مَـدَامِـعٌ فَبَكَيْـتُ لِلْـ ... ـبَـاكِي بِهَـا، وَوَلِـهْـتُ لِلْوَلْـهَـانِ
١٧ -مَـا لِي جَـزِعْتُ مِنَ آلْخُـطُوبِ وَإِنَّمَـا ... أَخَـذَ آلْمُهَيْمِنُ بَعْضَ مَـا أَعْـطَانِي(٥)
١٨ -وَلَقَـدْ سَرَرْتُ كَمَـا غَمَمْتُ عَشَائِـرِي ... زَمَـنـاً، وَهَـنَّـانِـي آلَّـذِي عَـزَّانِـي
١٩ -وَأَسِـرْتُ فِي مَجْرَى خُيُـولِي غَازِيـاً، ... وَحُـبِسْـتُ فِيـمَــا أَشْعَـلَتْ نِـيـرَانِـي
٢٠ -يَـرْمِي بِنَـا، شَـطْرَ آلْبِـلادِ، مُشَيَّـعٌ، ... صَدْقُ آلْكَرِيهَـةِ، فَائِضُ آلإِحْسَـانِ(٦)
٢١ -بَـلَدٌ، لَـعَـمْـرُكَ، لَـم أَزَلْ زَوَّارَهُ ... مَـعَ سَيِّدٍ قَـرْمٍ أَغَـرَّ، هِجَـانِ(٧)
٢٢ -إِنَّـا لَنَلْقَى آلْخَـطْبَ فِيـكَ وَغَيْـرَهُ ... بِمُـوَفَّقٍ، عِنْـدَ آلْخُـطُوبِ، مُعَـانِ
٢٣ -أَصْبَحْتُ مُمْتَنِـعَ آلْحَـرَاكِ، وَطَـالَمَـا ... أَصْبَحْتُ مُمْـتَنِـعـاً عَلَى آلأَقْـرَانِ(٨)
٢٤ -وَلَـطَالَمَـا حَـطَّمْتُ صَـدْرَ مُثَقَّفٍ، ... وَلَـطَالَـمَـا أَرْعَفْـتُ أَنْفَ سِنَـانِ(٩)
٢٥ -وَلَـطَالَمَا قُـدْتُ آلْجِيَـادَ، إِلَى آلْـوَغَى ... قُبَّ آلْبُطُونِ، طَـوِيلَةَ آلأَرْسَـانِ(١٠)

---

(١) مقلتي: عيني.
(٢) ونت: ضعُفَتْ. هَمَت الدموع: جرت.
(٣) الشَّجَن: الهمّ.
(٤) تنهملان: تُجريان الدموع.
(٥) جزعت: خفت. الخطوب: المصائب.
(٦) المُشَيَّع: الباسل، يعني ابن عمّه سيف الدولة.
(٧) القَرْم: السَّيِّد الشَّريف النبيل. أغرّ: مشهور. الهجان: الكريم الحسب.
(٨) الأقران: جمع القِرْن، وهو الشبيه والنظير في القتال وغيره.
(٩) المثقَّف: الرمح. أرعفت: جعلته يرعف، أي يسيل بالدم. السِّنان: نَصْل الرمح.
(١٠) الوغى: الحرب. الأرسان: جمع الرسن، وهو اللِّجام.

٢٦ - وأَنَـا ٱلَّـذِي مَـلأَ ٱلْبَسِيـطَةَ كُلَّهَـا ... نَارِي، وَطَنَّبَ فِي ٱلسَّمَاءِ دُخَانِي[١]

٢٧ - كَـانَ ٱلْقَضَـاءُ فَـلَمْ تَكُـنْ لِيَ حِيلَةٌ ... غَلَبَ ٱلْقَضَـاءُ شَجَاعَـةَ ٱلشُّجْعَانِ

٢٨ - أَعـزِزْ عَلَيَّ بِـأَنْ يُخَـلَّ بِمَـوْقِفِي ... وَيُحَـلَّ بَيْـنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مَكَـانِـي

٢٩ - مَـا زِلْتُ أَكْلأُ كُـلَّ ثَغْرٍ مُـوحِشٍ ... أَبَـداً، بِـمُقْـلَةِ سَاهِـرٍ يَقْـظَانِ

٣٠ - سَـلاَّكِ كُـلِّ عَـظِيمَـةٍ وَرَّادِهَـا، ... ضَرَّابِ هَـامَاتِ ٱلْعِـدَا، طَعَّـانِ[٢]

٣١ - إِنْ يَمْنَـعِ ٱلأَعْـدَاءُ حَـدَّ صَوارِمِي ... لاَ يَمْنَـعِ ٱلأَعْـدَاءُ حَـدَّ لِسَـانِي[٣]

٣٢ - إِنْ لَمْ تَكُنْ طَـالَتْ سِنِيَّ فَـإِنَّ لِي ... رَأْيَ ٱلْكُهُـولِ وَنَجْـدَةَ ٱلشُّبَّـانِ

٣٣ - قَمِنٌ، بِمَـا سَاءَ ٱلأَعَـادِي، مَوْقِفِي ... وَٱلـدَّهْـرُ يَبْـرُزُ لِي مَعَ ٱلأَقْـرَانِ[٤]

٣٤ - يَمْضِي ٱلزَّمَانُ، وَمَا ظَفِرْتُ بِصَاحِبٍ ... إِلَّا ظَـفِـرْتُ بِـصَـاحِـبٍ خَـوَّانِ

٣٥ - يَـا دَهْـرُ! خُنْتَ مَـعَ ٱلأَصَادِقِ خُلَّتِي ... وَغَـدَرْتَ بِي فِي جُـمْلَةِ ٱلإِخْـوَانِ

٣٦ - لَكِنَّ «سَيْفَ ٱلـدَّوْلَةِ» ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي ... لَـمْ أَنْـسَـهُ، وَأَرَاهُ لاَ يَـنْـسَـانِـي

٣٧ - أَيُضِيعُنِـي مَنْ لَمْ يَـزَلْ لِيَ حَـافِـظاً، ... كَـرَمـاً، وَيَخْفِضُنِي ٱلَّـذِي أَعْـلاَنِي!

٣٨ - خِـدْنُ ٱلْـوَفَـاءِ، وَلاَ وَفِـيٌّ غَيْـرَهُ، ... يَـرْضَى أُعَـانِي ضِيقَ حَالَـةِ عَـانِ[٥]

٣٩ - إِنِّـي أُغَـارُ عَـلَى مَكَـانِـي أَنْ أَرَى ... فِـيـهِ رِجَـالاً لاَ تَـسُـدُّ مَـكَـانِـي

٤٠ - أَوْ أَنْ تَـكُـونَ وَقِـيـعَـةٌ أَوْ غَـارَةٌ ... مَـا لِي بِهَـا أَثَـرٌ مَـعَ ٱلْفِتْيَـانِ

٤١ - وَلَقَـدْ عَلِمْتُ، وَإِنْ دَعَـوْتُـكَ، أَنَّنِي ... إِنْ نِمْتُ عَـنْـكَ أَنَـامُ عَنْ يَقْـظَانِ

٤٢ - يَـا رَاكِباً يَـرْمِي «ٱلشَّـآمَ» بِجَسْـرَةٍ ... مَـوَّارَةٍ، شَـدَنِيَّـةٍ، مِـذْعَـانِ![٦]

٤٣ - إِقْـرَا ٱلسَّـلاَمَ، مِنَ ٱلأَسِيـرِ ٱلْعَـانِي ... إِقْـرَا ٱلسَّـلاَمَ عَلَى «بَنِي حَمْـدَانِ!»

٤٤ - إِقْـرَا ٱلسَّـلاَمَ، عَلَى ٱلَّـذِينَ سُيُـوفُهُمْ ... يَـوْمَ ٱلْـوَغَى، مَهْجُـورَةُ ٱلأَجْفَانِ[٧]

---

(١) البسيطة: الأرض.

(٢) ضرّاب: كثير الضّرب. الهامات: جمع الهامة، وهي أعلى الرأس.

(٣) الصّوارم: السيوف القاطعة.

(٤) قَمِن: جدير.

(٥) الخِدْن: الصّديق. العاني: الأسير.

(٦) الجَسْرة: الناقة الجسورة. موّارة: نشيطة. شدنيّة: قويّة. مِذْعان: مذلّلة مروّضة.

(٧) الأجفان: جمع الجفن، وهو جراب السيف. والسيوف المهجورة الأجفان: يعني المسلولة.

٤٥ - إِقْرَا ٱلسَّلَامَ، عَلَى ٱلَّذِينَ بُيُوتُهُمْ مَأْوَى ٱلْكِرَامِ، وَمَنْزِلُ ٱلضِّيفَانِ
٤٦ - أَلصَّافِحِينَ عَنِ ٱلْمُسِيءِ، تَكَرُّماً، وَٱلْمُحْسِنِينَ إِلَى ذَوِي ٱلإِحْسَانِ
٤٧ - «سَيْفَ ٱلْهُدَى»! مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ يُرْتَجَى يَوْمٌ، يُذِلُّ ٱلْكُفْرَ لِلإِيمَانِ
٤٨ - هَذِي ٱلْجُيُوشُ، تَجِيشُ نَحْوَ بِلَادِكُمْ مَحْفُوفَةً بِٱلْكُفْرِ وَٱلصُّلْبَانِ
٤٩ - أَلْبَغْيُ أَكْثَرُ مَا تَقِلُّ خُيُولُهُمْ وَٱلْبَغْيُ شَرُّ مُصَاحِبِ الإِنْسَانِ
٥٠ - لَيْسُوا يَنُونَ، فَلَا تَنُوا فِي أَمْرِكُمْ لَا يَنْهَضُ ٱلْوَانِي لِغَيْرِ ٱلْوَانِي(١)
٥١ - غَضَباً لِدِينِ ٱللَّهِ أَنْ لَا تَغْضَبُوا لَمْ يَشْتَهِرْ فِي نَصْرِهِ سَيْفَانِ
٥٢ - حَتَّى كَأَنَّ ٱلْوَحْيَ فِيكُمْ مُنْزَلٌ وَلَكُمْ تُخَصُّ فَضَائِلُ ٱلْقُرْآنِ(٢)
٥٣ - قَدْ أَغْضَبُوكُمْ فَٱغْضَبُوا، وَتَأَهَّبُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَةَ ثَائِرٍ، غَضْبَانِ
٥٤ - فَـ«بَنُو كِلَابٍ» وَهْيَ قُلٌّ أُغْضِبَتْ فَدَهَتْ قَبَائِلَ «مُسْهِرِ بْنِ قَنَانِ»(٣)
٥٥ - وَ«بَنُو عُبَادٍ»، حِينَ أُحْرِجَ «حَارِثٌ» جَرُّوا ٱلتَّخَالُفَ فِي «بَنِي شَيْبَانِ»(٤)
٥٦ - خَلُّوا «عَدِيّاً»، وَهْوَ صَاحِبُ ثَأْرِهِمْ كَرَماً، وَنَالُوا ٱلثَّأْرَ بِـ«ٱبنِ أَبَانِ»
٥٧ - وَٱلْمُسْلِمُونَ، بِشَاطِىءِ «ٱلْيَرْمُوكِ» لَمْـ ـمَا أُحْرِجُوا، عَطَفُوا عَلَى «بَاهَانِ»(٥)
٥٨ - وَحُمَاةُ «هَاشِمَ» حِينَ أُخْرِجَ صَدْرُهَا جَرُّوا ٱلْبَلَاءَ عَلَى «بَنِي مَرْوَانِ»(٦)
٥٩ - وَٱلتَّغْلَبِيُّونَ ٱحْتَمَوا عَنْ مِثْلِهَا فَعَدَوْا عَلَى ٱلْعَادِينَ بِـ«ٱلسُّلَّانِ»(٧)
٦٠ - وَبَغَى عَلَى «عَبْسٍ» «حُذَيْفَةُ» فَٱشْتَفَتْ مِنْهُ صَوَارِمُهُ وَمِنْ «ذُبْيَانِ»

---

(١) ينون: يفترون ويضعفون.
(٢) ويروى «فرائض» مكان «فضائل».
(٣) قلّ: قلائل. مسهر: من سادات بني الحارث بن كعب. دهتْ: غلبت. وفي البيت إشارة إلى يوم هزمت فيه بنو كلاب بني الحارث.
(٤) إشارة إلى أنَّ بجير بن أبان، ابن أخي الحارث بن عباد، قُتِل به. فتجهَّز الحارث للحرب، وكان يوم التخالف.
(٥) وفي رواية «ماهان» مكان «باهان». وفي البيت إشارة إلى انتصار المسلمين على الروم في اليرموك، ثمَّ على الأرمن، وكان زعيم هؤلاء باهان، أو هامان
(٦) في البيت إشارة إلى انتزاع العبّاسيِّين الخلافة من بني أميَّة.
(٧) السّلّان: وادٍ انتصر فيه العدنانيّون على القحطانيِّين.

٦١ ـوَسَرَاةُ «بَكْرٍ»، بَعْدَ ضِيقٍ فَرَّقُوا جَمْعَ ٱلْأَعَاجِمِ عَنْ «أَنُو شِرْوَانِ»[١]
٦٢ ـأبقتْ «لِبَكْرٍ» مفخراً، وَسَمَا لَهَا، مِنْ دُونِ قَوْمِهِمَا، «يَزِيدُ» وَ «هَانِي»[٢]
٦٣ ـ أَلْمَانِعِينَ ٱلْعَنْقَفِيرَ بِطَعْنِهِمْ، وَٱلثَّائِرِينَ بِمَقْتَلِ «ٱلنُّعْمَانِ»![٣]
٦٤ ـلَا زِلْتَ يَا «سَيْفَ ٱلْهُدَى»! تَلْقَى ٱلْعِدَا بِقِتَالِ مَنْصُورٍ، وَرَأْيِ مُعَانِ

- ٣٥٤ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ ـ مَا صَاحِبِي إِلَّا ٱلَّذِي مِنْ بِشْرِهِ عُنْوَانُهُ فِي وَجْهِهِ، وَلِسَانِهِ
٢ ـ كَمْ صَاحِبٍ لَمْ أَغْنَ عَنْ إِنْصَافِهِ فِي عُسْرِهِ، وَغَنِيتُ عَنْ إِحسَانِهِ

- ٣٥٥ -

وَقَالَ «آبْنُ خَالَوَيْهِ»: وَأَوْقَعَ «أَبُو فِرَاسٍ» بِـ «بَنِي قَيْسٍ» مِنْ «بَنِي كِلَابٍ»، فَحَازَ ٱلْأَمْوَالَ، وَٱسْتَبَاحَ ٱلْحَرِيمَ:

[من الرجز]

١ ـ أَبْلِغْ «بَنِي حَمْدَانَ»، فِي بُلْدَانِهَا،
٢ ـ كُهُولَهَا، وَٱلْغُرَّ مِنْ شُبَّانِهَا
٣ ـ يَوْمَ طَرَدْتُ ٱلْخَيْلَ عَنْ أَظْعَانِهَا[٤]،

(١) في البيت إشارة إلى نجدة هانىء بن قبيصة، وقد أجار النعمان لمّا غضب عليه كسرى، في حين أنَّ بكراً لم تُجره، إلَّا يزيداً وهانئاً، كما سيأتي في البيت التالي.
(٢) يزيد هو يزيد بن أصرم. وهاني هو هانىء بن قبيصة الشّيباني، وكانا انتصرا على الفرس، وانتقما لمقتل النعمان.
(٣) العنقفير: الداهية. والنعمان هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة.
(٤) الأظعان جمع الظعينة، وهي الهودج، والمرأة في الهودج، والراحلة التي يُرتَحل عليها.

٤ - وَسُقْتُ مِنْ «قَيْسٍ» وَمِنْ جِيـرَانِـهَـا

٥ - ذَوِي عُـلاَهَـا وَذَوِي طـعَّـانِـهَـا

٦ - تَـرَكْتُ مَـا صَبَّحْتُ مِنْ فُـرْسَـانِهَـا

٧ - عَـاثِـرَةً، تَـعْثـرُ فِي عِنَـانِهَـا[1]

٨ - وَمُهْـرَةً، تَمْـرَحُ فِـي أَشْـطَانِهَـا[2]

٩ - وَإِبـلاً، تُـنْـزَعُ مِـنْ رُعْـيَـانِـهَـا

١٠ -حَتَّى إِذَا قَـلَّ غَـنَـا شُجْعَـانِـهَـا

١١ -طَـارَدَنِي، عَنْهَـا وَعَنْ غَشْيَـانِـهَـا

١٢ -حَـرَائِـرٌ أَرْغَـبُ فِي صِـيَـانِـهَـا[3]

١٣ -أَسْتَـعْـمِـلُ آلـشِّـدَّةَ فِـي أَوَانِـهَـا

١٤ -وَأَغْـفِـرُ آلـزَّلَّـةَ فِـي إِبَّـانِـهَـا[4]

١٥ -يَـا لَـكِ أَحْيَـاءً، عَلَى عُـدْوَانِهَـا

١٦ -نِسْـوَانُهَـا أَمْنَـعُ مِنْ فُـرْسَـانِهَـا!

---

(١) العِنان: اللِّجام.

(٢) أشطانها: حبالها.

(٣) الحرائر: النساء الحرائر. صيانها: صيانتها.

(٤) إبانها: وقتها.

قافية الهاء

- ٣٥٦ -

وَقَالَ:

[من الطويل]

١ - إِذَا كَـانَ مِـنَّـا وَاحِـدٌ فِـي قَبِيـلَةٍ   عَـلاَهَا، وَإِنْ ضَـاقَ ٱلْخِنَاقُ حَمَـاهَـا
٢ - وَمَـا آشْتَوَرَتْ إِلاَّ وَأَصْبَـحَ شَيْخَهَـا،   وَلاَ أَحْـرَبَـتْ إِلاَّ وَكَـانَ فَتَـاهَـا(١)
٣ - وَلاَ ضُـرِبَتْ بَيْنَ ٱلْقِبَـابِ قِبَـابُـهُ،   وَأَصْبَـحَ مَأْوَى ٱلـطَّارِقِينَ سِوَاهَـا

- ٣٥٧ -

وَقَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى «أَبِي ٱلْمُرَجَّى جَابِرِ بْنِ نَاصِرِ ٱلدَّوْلَةِ»:

[من الكامل]

١ - يَـا نِـعْمَـةً لِـلدَّهْـرِ كَـانَـتْ غَـلْطَةً   لَـوْ كَـانَ وَالآهَـا إِذَا أَوْلاَهَـا

(١) اشتورت: تشاورت. أحربت: هيّجت الحرب.

٢ - لَـوْ لَـمْ تُـقَـلِّدْنِـي ٱلـلَّيَـالِـي مِـنَّـةً إِلَّا مَــوَدَّتَـهُ، إِذاً لَـكَـفَـاهَـا
٣ - جَــرَّبْتُ مِنْــهُ خَــلائِقـاً وَطَـرَائِقـاً لَا يَـطْلُبُ ٱلأَخُ مِنْ أَخِيهِ سِـوَاهَـا
٤ - فَـإِذَا تُخُيِـرَتِ ٱلْجَمَـاعَـةُ، كُلُّهَـا، أَمْسَى وَأَصْبَـحَ شَيْخَهَـا، وَفَتَـاهَـا
٥ - أَثْنِي ٱلضُّلُوعَ عَلَى جَوًى وَشِفَاؤُهَا أَنّي أُفَاوِضُكَ ٱلْحَدِيثَ، شِفَاهَا،(١)
٦ - عَـلَّ ٱلـزَّمَـانَ يَعُـودُ، وَقْتـاً، عَلَّهُ وَعَسَى ٱللَّيَالِي أَنْ تُـدِيلَ عَسَاهَا

- ٣٥٨ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - يَا لَيْلَةً ، لَسْتُ أَنْسَى طِيبَهَا أَبَداً، كَـأَنَّ كُـلَّ سُـرورٍ حَـاضِـرٌ فِيهَـا
٢ - بَـاتَتْ، وَبِتُّ، وَبَـاتَ ٱلـزِّقُّ ثَـالِثَنَـا إِلَى ٱلصَّبَـاحِ تُسَقِّينِي وَأَسْقِيهَـا(٢)
٣ - كَـأَنَّ بِنْتَ حُمَيَّـا مِـنْ مُـدَامَتِـهَـا، أَهْدَتْ سُلَافَتَهَا صِـرْفاً، إِلَى فِيهَا(٣)

- ٣٥٩ -

وَقَالَ، فِي أَهْلِ ٱلْبَيْتِ - عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ

[من الكامل]

١ - يَــوْمٌ بِسَفْـحِ ٱلـدَّيْـرِ لَا أَنْسَـاهُ أَرْعَــى لَـهُ دَهْـرِي ٱلَّـذِي أَوْلَاهُ
٢ - يَــوْمٌ، عَمَـرْتُ ٱلْعُمْـرَ فِيـهِ بِفِتْيَـةٍ مَنْ نُـورِهِمْ أَخَـذَ ٱلـزَّمَـانُ بَهَـاهُ(٤)
٣ - فَـكَـأَنَّ غُـرَّتَهُـمْ ضِيَـاءُ نَـهَـارِهِ، وَكَـأَنَّ أَوْجُـهَـهُـمْ نُـجُـومُ دُجَـاهُ(٥)
٤ - وَمُهَفْهَفٍ كَـٱلْغُصْنِ حُسْـنُ قَـوَامِـهِ وَٱلـظَّبْيُ مِنْـهُ إِذَا رَنَـا عَـيْـنَـاهُ(٦)

---

(١) الجوى: الحبّ المكنون.
(٢) الزِّقّ: وعاء الخمر.
(٣) المُدامة: الخمر. السلافة: الخمر المُصفّاة.
(٤) بهاه: جماله.
(٥) دجاه: ليله.
(٦) المهفهف: الضامر البطن. رنا: نظر بسكون.

٥ - نَـازَعْتُـهُ كَـأْسـاً كَـأَنَّ ضِيَـاءَهَـا لَمَّـا تَبَدَّتْ، فِي آلـظَّلَامِ، ضِيَـاهُ[١]
٦ - فِي لَيْلَةٍ حَسُـنَتْ لَـنَـا بِـوِصَـالِـهِ فَكَـأَنْ غَـدَتْ مِنْ حُـسْنِهَـا إِيَّـاهُ
٧ - وَكَـأَنَّمَا فِيهَـا آلـثُّـرَيَّـا، إِذْ بَـدَتْ كَـفٌّ تُـشِيـرُ إِلَـى آلَّـذِي تَـهْـوَاهُ
٨ - وَآلْبَـدْرُ مُنْتَصِـفُ آلضِّيَـاءِ كَـأَنَّـهُ مُتَبَسِّمٌ بِـآلْـكَـفِّ يَـسْتُـرُ فَـاهُ
٩ - ظَبْيٌ لَـوَ آنَّ آلْبَـدْرَ مَـرَّ بِـخَـدِّهِ مِـنْ دُونِ لَـحْـظَةِ نَـاظِـرٍ أَدْمَـاهُ
١٠ -إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْـوَاهُ أَوْ أَهْـوَى آلـرَّدَى فِي آلْعَـالَمِينَ لِكُـلِّ مَـا يَهْـوَاهُ[٢]
١١ -فَحُـرِمْتُ قُرْبَ آلْـوَصْـلِ مِنْـهُ مِثْلَمَا حُـرِمَ «آلْحُسَيْنُ» آلْمَـاءَ وَهْـوَ يَـرَاهُ[٣]
١٢ -إِذْ قَـالَ: إِسْقُـونِي! فَعُـوِّضَ بِـآلْقَنَـا مِنْ شُـرْبِ عَـذْبِ آلْمَـاءِ مَـا أَرْوَاهُ
١٣ -فَـآحْتُـزَّ رَأْسٌ، طَـالَمَا مِنْ حِجْـرِهِ أَدْنَـتْـهُ كَـفَّـا «جَـدِّهِ» وَيَـدَاهُ[٤]
١٤ -يَـوْمٌ بِعَـيْـنِ آلـلَّهِ كَـانَ، وَإِنَّـمَـا يُمْـلِي لِـظُلْمِ آلـظَّالِـمِيـنَ آللَّهُ
١٥ -وَكَـذَاكَ لَـوْ أَرْدَى عِـدَاةَ «نَـبِـيِّـهِ» ذُو آلْعَـرْشِ مَا عَـرَفَ «آلنَّبِيَّ» عِـدَاهُ
١٦ -يَـوْمٌ عَلَيْـهِ تَغَيَّـرَتْ شَمْسُ آلضُّحَى؛ وَبَـكَـتْ دَماً مِـمَّـا رَأَتْـهُ سَمَـاهُ
١٧ -لَا عُـذْرَ فِيـهِ لِمُهْجَـةٍ لَمْ تَنْفَـطِرْ، أَوْ ذِي بُـكَـاءٍ لَـمْ تَـفِضْ عَيْـنَـاهُ
١٨ -تَـبّـاً لِقَـوْمٍ، تَـابَعُـوا أَهْـوَاءَهُـمْ فِيـمَـا يَسُـوءُهُـمْ غَـداً عُـقْبَـاهُ[٥]
١٩ -أَتُـرَاهُـمُ لَمْ يَـسْمَعُـوا مَـا خَصَّـهُ مِنْـهُ «آلنَّبِيُّ» مِـنَ آلْمَقَـالِ أَبَـاهُ؟
٢٠ -إِذْ قَـالَ يَـوْمَ «غَـدِيـرِ خُمٍّ» مُعْلِنـاً: «مَـنْ كُـنْـتُ مَـوْلَاهُ فَـذَا مَـوْلَاهُ!»
٢١ -هَـذِي وَصِيَّتُـهُ إِلَيْكُمْ! فَـآفْهَمُـوا! يَـا مَنْ يَقُـولُ بِـأَنَّ: مَـا أَوْصَـاهُ!
٢٢ -أَقْـرُوا مِنَ «آلْقُـرْآنِ» مَـا فِي فَضْلِهِ! وَتَـأَمَّـلُوهُ، وَآفْـهَـمُـوا فَـحْـوَاهُ!
٢٣ -لَـوْ لَمْ تُنَزَّلْ فِيـهِ إِلَّا: «هَـلْ أَتَى» مِـنْ دُونِ كُـلِّ مُنَـزَّلٍ، لَـكَفَـاهُ[٦]

---

(١) تبدَّتْ: ظهرتْ.
(٢) الرَّدى: الموت.
(٣) الحسَن هو الحَسَن بن عليّ كرَّم الله وجهه.
(٤) جدّه هو النبيّ ﷺ.
(٥) تبًّا لقومٍ: دعاء عليهم.
(٦) ﴿هل أتى الإنسان حينٌ من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ (الإنسان: ١).

٢٤ -مَنْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَنَى «ٱلْقُرْآنَ» مِنْ ... لَفْظِ ٱلنَّبِيِّ، وَنُطْقِهِ، وَتَلاَهُ؟
٢٥ -مَنْ كَانَ صَاحِبَ فَتْحِ «خَيْبَرَ»؟ مَنْ رَمَى ... بِٱلْكَفِّ مِنْهُ بَابَهُ، وَدَحَاهُ؟(١)
٢٦ -مَنْ عَاضَدَ «ٱلْمُخْتَارَ» مِنْ دُونِ ٱلْوَرَى؟ ... مَنْ آزَرَ المختارَ؟ مَنْ آخاهُ؟
٢٧ -مَنْ بَاتَ فَوْقَ فِرَاشِهِ مُتَنَكِّراً ... لَمَّا أظَلَّ فِرَاشَهُ أعْدَاهُ
٢٨ -مَنْ ذَا أَرَادَ إِلَهُنَا بِمَقَالِهِ: ... «الصَّادِقُونَ ٱلْقَانِتُونَ»، سِوَاهُ؟
٢٩ -مَنْ خَصَّهُ «جِبْرِيلُ» مِنْ رَبِّ ٱلْعُلاَ ... بِتَحِيَّةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَحَبَاهُ؟
٣٠ -أَظَنَنْتُمُ أَنْ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَهُ ... وَيُظِلَّكُمْ، يَوْمَ ٱلْمَعَادِ، لِوَاهُ؟
٣١ -أَوْ تَشْرَبُوا مِنْ حَوْضِهِ بِيَمِينِهِ ... كَأْساً، وَقَدْ شَرِبَ «ٱلْحُسَيْنُ» دِمَاهُ؟
٣٢ -طُوبَى لِمَنْ أَلْفَاهُ يَوْمَ أُوَامِهِ ... فَٱسْتَلَّ مَاءَ حَيَاتِهِ فَسَقَاهُ(٢)
٣٣ -قَدْ قَالَ قَبْلِي، فِي قَرِيْضٍ، قَائِلٌ: ... «وَيْلٌ لِمَنْ شُفَعَاؤُهُ خُصَمَاهُ»؟(٣)
٣٤ -أَنَسِيتُمُ، «يَوْمَ ٱلْكِسَاءِ» وَأَنَّهُ ... مِمَّنْ حَوَاهُ مَعَ «ٱلنَّبِيِّ» كِسَاهُ
٣٥ -يَا رَبِّ! إِنِّي مُهْتَدٍ بِهُدَاهُمُ ... لاَ أَعْتَدِي، يَوْمَ ٱلْهُدَى بِسِوَاهُ
٣٦ -أَهْوَى ٱلَّذِي يَهْوَى «ٱلنَّبِيَّ» وَآلَهُ ... أَبداً، وَأَشْنَأُ كُلَّ مَنْ يَشْنَاهُ(٤)

- ٣٦٠ -

وَقَالَ يَفْتَخِرُ:

[من الوافر]

١ - لَقَدْ عَلِمَتْ سَرَاةُ ٱلْحَيِّ: أَنَّا ... لَنَا ٱلْجَبَلُ ٱلْمُمَنَّعُ جَانِبَاهُ(٥)
٢ - يَفِيءُ ٱلرَّاغِبُونَ إِلَى ذُرَاهُ، ... وَيَأْوِي ٱلْخَائِفُونَ إِلَى حِمَاهُ

---

(١) في البيت إشارة إلى المقام الرفيع للإمام عليّ رضي الله عنه: من إدراك للقرآن الكريم، وقيادة غزوة خيبر، ومُعاضدة النبيّ ﷺ، ونومه في فراشه يوم الهجرة.. دحاه: بسطه.
(٢) الأُوام: العطش.
(٣) القريض: الشِّعر.
(٤) أشنأ: أبغض.
(٥) سراة الحيّ: أشرافهم.

- ٣٦١ -

وَقَالَ:

[من السريع]

١ - أَلْـوَرْدُ مَـا يُـنْـبِـتُ خَـدَّاهُ، وَٱلسِّـحْـرُ مَـا تَـفْـعَـلُ عَـيْـنَـاهُ
٢ - حَـلَّ رِدَاءُ ٱلْحُـسْـنِ فِي وَجْـهِـهِ تَـطْرِيـزُهُ مِـنْـهُ عِـذَارَاهُ(١)

- ٣٦٢ -

وَقَالَ:

[من مخلع البسيط]

١ - قَـدْ كَـانَ لِي فِيـكَ حُسْنُ صَبْـرٍ خَـلَوْتُ، يَـوْمَ ٱلْـفِـرَاقِ، مِـنْـهُ
٢ - مَـا تَـرَكَـتْ لِـي ٱلْـجُـفُـونُ إِلَّا مَـا ٱسْتَنْـزَلَتْنِي ٱلْخُـدُودُ عَـنْـهُ
٣ - قَـدْ طَـالَ يَـا قَـلْبُ مَـا تُـلَاقِي إِنْ مَـاتَ ذُو صَـبْـوَةٍ فَـكُـنْـهُ(٢)

- ٣٦٣ -

وَقَالَ:

[من الكامل]

١ - خَفِّضْ عَلَيْـكَ! وَلَا تَبِتْ قَلِقَ ٱلْحَشَـا مِـمَّـا يَـكُـونُ، وَعَـلَّهُ، وَعَـسَـاهُ
٢ - فَـٱلـدَّهْـرُ أَقْصَـرُ مُـدَّةً مِمَّـا تَـرَى، وَعَسَـاكَ أَنْ تُكْفَى ٱلَّـذِي تَخْشَـاهُ(٣)

---

(١) عِذاراه: خدّاه.
(٢) الصَّبوة: العشق.
(٣) تُكْفى: تُجنَّب.

- ٣٦٤ -

وَقَالَ:

[من الوافر]

١ - يُطَالِعُنَا إِذَا طَلَعَتْ، وَيُغْضِي إِذَا مَا آللَّيْلُ أَسْبَلَ جَانِبَاهُ

٢ - كَفِعْلِ آلإِلْفِ فَارَقَهُ أَلِيفٌ يَغُضُّ جُفُونَهُ حَتَّى يَرَاهُ

- ٣٦٥ -

وَقَالَ مُلِغزاً:[1]

[من السريع]

١ - اسْمُ آلَّذِي أَعْشَقُهُ كُلَّمَا نَادَيْتُهُ كَرَّرْتُ مَعْنَاهُ

٢ - سِتَّةُ أَشْخَاصٍ غَدَا وَاحِداً، وَخَمْسَةٌ، مِنْهُنَّ، أَشْبَاهُ[2]

٣ - أَرْبَعَةٌ، صُورَتُهَا سِتَّةٌ يَعْرِفُ قَوْلِي مَنْ تَهَجَّاهُ

٤ - «إِثْمٌ» إِذَا كَانَ عَلَى حَالِهِ وَآخَرٌ مَا إِنْ حُرِمْنَاهُ[3]

٥ - يُشْبِهُهُ آلْفِعْلُ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِفِعْلٍ - عَلِمَ آللَّهُ -

- ٣٦٦ -

وَلَهُ أَيْضاً(*):

[من السريع]

١ - مَنْ يَتَمَنَّ آلْعُمْرَ فَلْيَدَّرِعْ صَبْراً عَلَى فَقْدِ أَحِبَّائِهِ

٢ - وَمَنْ يُؤَجَّلْ يَلْقَ فِي نَفْسِهِ مَا يَتَمَنَّاهُ لأَعْدَائِهِ

---

(١) حلّ اللغز كلمة «قرقف».

(٢) أشخاص هنا: حروف. وهي ستّة إذا تضعف «قرّ» و «قفّ» الأشباه: كلّ واحد منها له شبه.

(٣) الإثم: من أسماء الخمرة.

(*) البيتان ليسا في رواية ابن خالويه، وهما في النجوم الزاهرة لتغري بردي ج ٢، ص ٣٩٣.

قافية الياء

- ٣٦٧ -

وَقَالَ، مُتَوَسِّلاً إِلَى ٱللَّهِ تَعَالى، بِآلِ «ٱلرَّسُولِ» - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:

[من الخفيف]

١ - لَسْتُ أَرْجُو ٱلنَّجَاةَ، مِنْ كُلِّ مَا أَخْـ ـشَـاهُ، إِلَّا بِـ «أَحْمَـدٍ» وَ «عَلِيٍّ»[1]
٢ - وَبِبِنْتِ ٱلـرَّسُـولِ «فَـاطِمَـةَ» ٱلـطُّهْـ ـرِ، وَ «سِبْطَيْـهِ» وَٱلإِمَـامِ «عَلِيٍّ»[2]
٣ - وَٱلـتَّقِـيِّ ٱلنَّقِيِّ، بَـاقِـرِ عِـلْمِ ٱلـ ـلَّهِ فِـينَـا، «مُـحَـمَّـدِ بْـنِ عَـلِيٍّ»
٤ - وَٱبْنِـهِ «جَعْفَـرٍ» وَ «مُـوسَى» وَمَـوْلَا نَـا «عَلِيٍّ»، أَكْـرِمْ بِـهِ مِنْ عَلِيٍّ![3]
٥ - وَ «أَبِي جَعْفَـرٍ» سَمِـيِّ رَسُـولِ ٱلـ ـلَّهِ، ثُـمَّ ٱبْنِـهِ ٱلـزَّكِـيِّ «عَلِيٍّ»[4]

---

(١) عليّ هنا: الإمام زين العابدين.

(٢) السِّبطان هما الحسن والحسين ولدا الإمام عليّ رضي الله عنهم جميعاً.

(٣) جعفر هو جعفر الصادق. وموسى هو موسى الكاظم، وعليّ هو عليّ الرِّضا.

(٤) أبو جعفر هو محمد الجواد الملقَّب بالتقيّ، وهو الإمام التاسع. وعلي هو أبو الحسن علي الهادي الإمام العاشر.

٦ - وَٱبْنِهِ «ٱلْعَسْكَرِيِّ» وَٱلْقَائِمِ ٱلْمُظْـ ـهِرِ حَقِّي «مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ»[١]
٧ - فِيهِمُ أَرْتَجِي بُلُوغَ ٱلْأَمَانِي يَوْمَ عَرْضِي عَلَى مَلِيكٍ عَلِيِّ[٢]

- ٣٦٨ -

وَقَالَ:

[من البسيط]

١ - لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ قَرْمٍ أَخِي كَرَمٍ لَا يَنْطِقُ ٱلْمَالُ إِلَّا فِي تَشَكِّيهِ[٣]
٢ - فَٱلْخَيْلُ يَمْنَحُهَا، وَٱلْبِيضُ يَثْلِمُهَا، وَٱلسُّمْرُ يَحْطِمُهَا، وَٱلْقِرْنُ يُرْدِيهِ[٤]

- ٣٦٩ -

وَقَالَ:

[من الهزج]

١ - عَرَفْتُ ٱلشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ
٢ - وَمَنْ لَا يَعْرِفِ ٱلشَّرَّ مِنَ ٱلنَّاسِ يَقَعْ فِيهِ

- ٣٧٠ -

وَقَالَ:

[من المجتث]

١ - قَلْبِي يَحِنُّ إِلَيْهِ نَعَمْ، وَيَحْنُو عَلَيْهِ

---

(١) العسكري هو الإمام حسن، الإمام الحادي عشر. ومحمد بن عليّ هو الإمام الثاني عشر الملقب بالمنتظَر.
(٢) ويروى «على الإله العليّ».
(٣) القَرْم: السَّيِّد النبيل الشَّريف الفِعال.
(٤) البيض: السيوف. يثلمها: يكسر حدَّها. السُّمْر: الرماح. القِرْن: الشبيه في القتال. يُرديه: يقتله.

٢ ـ وَمَا جَنَى أَوْ تَجَنَّى إِلَّا ٱعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ
٣ ـ فَكَيْفَ أَمْلِكُ قَلْبِي، وَٱلْقَلْبُ رَهْنٌ لَدَيْهِ؟
٤ ـ وَكَيْفَ أَدْعُوهُ عَبْدِي، وَعُهْدَتِي فِي يَدَيْهِ؟

- ٣٧١ -

وَقَالَ:

[من المجتث]

١ ـ أَلْوَرْدُ فِي وَجْنَتَيْهِ، وَٱلسِّحْرُ فِي مُقْلَتَيهِ!
٢ ـ وَإِنْ عَصَاهُ لِسَانِي فَٱلْقَلْبُ طَوْعُ يَدَيْهِ!
٣ ـ يَا ظَالِماً، لَسْتُ أَدْرِي أَدْعُو لَهُ، أَمْ عَلَيْهِ!
٤ ـ أَقَالَنِي ٱللَّهُ مِمَّا دُفِعْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ!(١)

- ٣٧٢ -

وَقَالَ:

[من الخفيف]

١ ـ سَوْفَ أَجْزِيكَ بِٱلْجَفَاءِ جَفَاءً، لَيْسَ قَدْرُ ٱلْهَوَى ٱلتَّذَلُّلَ فِيهِ
٢ ـ إِحْمِلِ ٱلنَّفْسَ إِنْ أَرَدْتَ لَهَا ٱلْعِزَّ عَلَى تَرْكِ بَعْضِ مَا تَشْتَهِيهِ(٢)

- ٣٧٣ -

وَقَالَ، يَفْتَخِرُ:

[من مجزوء الكامل]

١ ـ لِمَنِ ٱلْجُدُودُ ٱلأَكْرَمُو نَ، مِنَ ٱلْوَرَى، إِلَّا لِيَهْ؟

(١) أقالني: أنهضني من سقوطي.
(٢) في هذا البيت حكمة.

٢ - مَـنْ ذَا يَـعُـدُّ، كَـمَـا أُعُـدُّ؛ مِـنَ آلْـجُـدُودِ آلْـعَـالِـيَـهْ؟
٣ - مَـنْ ذَا يَـقُـومُ لِـغَـيْـرِهِ، بَـيْـنَ آلـصُّـفُـوفِ، مَـقَـامِـيَـهْ!؟
٤ - مَـنْ ذَا يَـرُدُّ صُـدُورَهُـ ـنَّ، إِذَا أَغَـرْنَ عَـلاَنِـيَـهْ؟[1]
٥ - أَحْـمِـي حَـرِيـمِـي أَنْ يُـبَـا حَ، وَلَسْـتُ أَحْـمِـي مَـالِـيَـهْ![2]
٦ - وَتَـخَـافُـنِـي كُـومُ آلـلِّقَـا حِ، وَقَـدْ أَمِـنَّ عِـدَاتِـيَـهْ[3]
٧ - تُـمْـسِـي، إِذَا طَـرَقَ آلـضُّـيُـو فُ، فِـنَـاؤُهَـا بِـفِـنَـائِـيَـهْ
٨ - نَـارِي، عَـلَـى شَـرَفٍ تَـأَجَّـ جُ، لِـلضُّـيُـوفِ آلـسَّـارِيَـهْ[4]
٩ - يَـا نَـارُ، إِنْ لَـمْ تَـجْـلِبِـي ضَـيْـفـاً، فَـلَسْـتِ بِـنَـارِيَـهْ!
١٠ - وَآلْعِزُّ مَضْرُوبُ آلسُّرَا دِقِ وَآلْقِبَابِ لِجَارِيَهْ[5]
١١ - يَـجْـنِـي، وَلاَ يُـجْـنَـى عَـلَيْـ ـهِ، وَيَـتَّـقِـي آلْـجُـلَّى بِـيَـهْ![6]

- ٣٧٤ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الكامل]

١ - اُنْـظُـرْ لِـضَـعْـفِـي، يَـا قَـوِيُّ! وَكُـنْ لِـفَـقْـرِي، يَـا غَـنِـيّ!
٢ - أَحْـسِـنْ إِلَـيَّ؛ فَـإِنَّـنِـي عَـبْـدٌ إِلَى نَـفْـسِـي مُـسِـيّ![7]

---

(١) علانيةً: جهراً.
(٢) أن يباح: أن يُعرَّض للذّلّ والإهانة.
(٣) كوم اللّقاح: الفحل من الخيل والجمال.
(٤) تأجّج: تتأجّج. السارية: التي تمشي في اللّيل.
(٥) السُّرادق: الخيمة، وبيت من شعر يُمَدّ فوق ساحة الدار.
(٦) الجُلّى: الأمور الشديدة.
(٧) مسِيّ: مُسِيء.

- ٣٧٥ -

وَقَال، وَأَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ بِـ «مَنْبِج» مِنَ آلأَسْرِ:

[من مجزوء الكامل]

١ - لَوْلَا آلْعَجُوزُ بِـ «مَنْبِج » مَا خِفْتُ أَسْبَابَ آلْمَنِيَّهْ[١]
٢ - وَلَكَانَ لِي، عَمَّا سَأَلْـ ـتُ مِنَ آلْفِدَا، نَفْسٌ أَبِيَّهْ
٣ - لَكِنْ أَرَدْتُ مُرَادَهَا، وَلَوِ آنْجَذَبْتُ إِلَى آلدَّنِيَّهْ[٢]
٤ - وَأَرَى مُحَامَاتِي عَلَيْـ ـهَا أَنْ تُضَامَ مِنَ آلْحَمِيَّهْ[٣]
٥ - أَمْسَتْ بِـ «مَنْبِج»، حُرَّةً بِـآلْحُزْنِ، مِنْ بَعْدِي، حَرِيَّهْ
٦ - لَوْ كَانَ يُدْفَعُ حَادِثٌ، أَوْ طَارِقٌ بِجَمِيلِ نِيَّهْ
٧ - لَمْ تَطَّرِقْ نُوَبُ آلْحَوا دِثِ أَرْضَ هَاتِيكَ آلتَّقِيَّهْ[٤]
٨ - لَكِنْ قَضَاءُ آللَّهِ، وَآلْـ أَحْكَامُ تَنْفُذُ فِي آلْبَرِيَّهْ[٥]
٩ - وَآلصَّبْرُ يَأْتِي كُلَّ ذِي رُزْءٍ عَلَى قَدْرِ آلرَّزِيَّهْ[٦]
١٠ - لَا زَالَ يَطْرُقُ «مَنْبِجاً»، فِي كُلِّ غَادِيَةٍ، تَحِيَّهْ[٧]
١١ - فِيهَا آلتُّقَى، وَآلدِّينُ مَجْـ ـمُوعَانِ فِي نَفْسٍ زَكِيَّهْ
١٢ - يَا أُمَّتَا! لَا تَحْزَنِي، وَثِقِي بِفَضْلِ آللَّهِ فِيَّهْ!
١٣ - يَا أُمَّتَا! لَا تَيْأَسِي؛ لِلَّهِ أَلْطَافٌ خَفِيَّهْ
١٤ - كَمْ حَادِثٍ عَنَّا جَلَا هُ، وَكَمْ كَفَانَا مِنْ بَلِيَّهْ؟!
١٥ - أُوصِيكِ بِـآلصَّبْرِ آلْجَمِيـ ـلِ! فَإِنَّهُ خَيْرُ آلْوَصِيَّهْ!

---

(١) المنيَّة: الموت.

(٢) الدنيَّة: العمل القبيح.

(٣) تُضام: تُظلم. الحميَّة: الإباء.

(٤) النوب: المصائب.

(٥) البريّة: البشر.

(٦) ذو الرزْء: المُصاب. الرزيّة: المصيبة.

(٧) الغادية: السحابة التي تُمطر في الغداة، أي في أوّل النهار.

مزدوجته الطردية

- ٣٧٦ -

وَقَالَ يَصِفُ ٱلطَّرِدَ:

[من الرَّجز]

١ - مَا ٱلْعُمْرُ مَا طَالَتْ بِهِ ٱلدُّهُورُ؛ ... أَلْعُمْرُ مَا تَمَّ بِهِ ٱلسُّرُورُ!
٢ - أَيَّامُ عِزِّي، وَنَفَاذِ أَمْرِي ... هِيَ ٱلَّتِي أَحْسِبُهَا مِنْ عُمْرِي
٣ - مَا أَجْوَرَ ٱلدَّهْرَ عَلَى بَنِيهِ! ... وَأَغْدَرَ ٱلدَّهْرَ بِمَنْ يُصفِيهِ![1]
٤ - لَوْ شِئتُ مِمَّا قَدْ قَلَلْنَ جِدًّا ... عَدَدْتُ أَيَّامَ ٱلسُّرُورِ عَدًّا
٥ - أَنْعَتُ يَوْماً، مَرَّ لِي بِـ«ٱلشَّامِ»، ... أَلَذَّ مَا مَرَّ مِنَ ٱلأَيَّامِ
٦ - دَعَوْتُ بِٱلصقَّارِ، ذَاتَ يَوْمٍ، ... عِنْدَ ٱنْتِبَاهِي، سَحَراً، مِنْ نَوْمِي[2]
٧ - قُلْتُ لَهُ: ٱخْتَرْ سَبْعَةً كِبَارا ... كُلُّ نَجِيبٌ يَرِدُ ٱلْغُبَارَا

---

(١) أجور: أظلم - يصفيه: يختاره .

(٢) الصقّار: مربّي الصقور للصيد.

٨ - يَكُونُ لِلأَرْنَبِ مِنْهَا ٱثْنَانِ، وَخَمْسَةٌ تُفْرَدُ لِلْغِزْلَانِ
٩ - وَٱجْعَلْ كِلَابَ ٱلصَّيْدِ نَوْبَتَيْنِ تُرْسِلُ مِنْهَا ٱثْنَيْنِ بَعْدَ ٱثْنَيْنِ[1]
١٠ - وَلَا تُؤَخِّرْ أَكْلُبَ ٱلْعِرَاضِ! فَهُنَّ حَتْفٌ لِلظِّبَاءِ قَاضِ[2]
١١ - ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَى ٱلْفَهَّادِ وَٱلْبَازِيَارِينَ بِٱلاسْتِعْدَادِ[3]
١٢ - وَقُلْتُ: إِنَّ خَمْسَةً لَتُقْنِعُ وَٱلزُّرَّقَانِ: ٱلْفَرْخُ وَٱلْمُلَمَّعُ[4]
١٣ - وَأَنْتَ، يَا طَبَّاخُ، لَا تَبَاطَا! عَجِّلْ لَنَا ٱللَّبَّاتِ وَٱلأَوْسَاطَا![5]
١٤ - وَيَا شَرَابِي ٱلْبِلَقْسِيَاتِ تَكُونُ لِلرَّاحِ مُيَسَّرَاتِ
١٥ - بِٱللَّهِ لَا تَسْتَصْحِبُوا ثَقِيلَا! وَٱجْتَنِبُوا ٱلْكَثْرَةَ وَٱلْفُضُولَا!
١٦ - رُدُّوا فُلَاناً، وَخُذُوا فُلَانَا! وَضَمِّنُونِي صَيْدَكُمْ ضَمَانَا!
١٧ - فَٱخْتَرْتُ، لَمَّا وَقَفُوا طَوِيلَا، عِشْرِينَ، أَوْ فُوَيْقَهَا قَلِيلَا[6]
١٨ - عِصَابَةٌ، أَكْرِمْ بِهَا عِصَابَهْ، مَعْرُوفَةٌ بِٱلْفَضْلِ وَٱلنَّجَابَهْ[7]
١٩ - ثُمَّ قَصَدْنَا صَيْدَ «عَيْنِ قَاصِرِ» مَظِنَّةِ ٱلصَّيْدِ لِكُلِّ خَابِرِ[8]
٢٠ - جِئْنَاهُ وَٱلشَّمْسُ، قُبَيْلَ ٱلْمَغْرِبِ، تَخْتَالُ فِي ثَوْبِ ٱلأَصِيلِ ٱلْمُذْهَبِ
٢١ - وَأَخَذَ ٱلدُّرَّاجُ فِي ٱلصِّيَاحِ، مُكْتَنِفاً مِنْ سَائِرِ ٱلنَّوَاحِي،[9]
٢٢ - فِي غَفْلَةٍ عَنَّا وَفِي ضَلَالِ، وَنَحْنُ قَدْ زُرْنَاهُ بِٱلآجَالِ
٢٣ - يَطْرَبُ لِلصُّبْحِ، وَلَيْسَ يَدْرِي أَنَّ ٱلْمَنَايَا فِي طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ[10]
٢٤ - حَتَّى إِذَا أَحْسَسْتُ بِٱلصَّبَاحِ نَادَيْتُهُمْ: «حَيَّ عَلَى ٱلْفَلَاحِ!»

(١) نوبتان: مرحلتان.
(٢) الحتف: الموت.
(٣) الفهّاد: مدرِّب الفهود - البازيار: (فارسية) صاحب الباز، أي الصقر.
(٤) الزرّقان: ج زرق، وهو طائر صيّاد أصغر من الصقر - الملمّع: ذو بقع.
(٥) لا تباطا: أي لا تتباطأ.
(٦) فويق: تصغير فوق.
(٧) النجابة: الفطنة.
(٨) عين قاصر: اسم مكان - الخابر: الخبير.
(٩) الدرّاج: طائر شبيه بالحجل. المكتنف: المحاط.
(١٠) المنايا: ج المنيّة، وهي الموت.

٢٥ ـ نحن نُصَلّي وَٱلْبُزَاةُ تُخْرَجُ مُجَرَّدَاتٍ، وَٱلْخُيولُ تُسْرَجُ
٢٦ ـ فَقُلْتُ لِلْفَهّادِ: فَامْضِ وَٱنْفَرِدْ وَصِحْ بِنَا، إنْ عَنَّ ظَبْيٌ وَٱجْتَهِدْ
٢٧ ـ فَلَمْ يَزَلْ، غَيْرَ بَعِيدٍ عَنّا، إلَيْهِ يَمْضِي مَا يَفِرُّ مِنّا
٢٨ ـ وَسِرْتُ فِي صَفٍّ مِنَ ٱلرِّجَالِ، كَأَنَّمَا نَزْحَفُ لِلْقِتَالِ
٢٩ ـ فَمَا ٱسْتَوَيْنَا كُلُّنَا حَتّى وَقَفْ غُلَيِّمٌ كَانَ قَرِيباً مِنْ شَرَفْ
٣٠ ـ ثُمَّ أَتَانِي عَجِلاً، قَالَ: ٱلسَّبَقْ! فَقُلْتُ: إنْ كَانَ ٱلْعِيَانُ قَدْ صَدَقْ
٣١ ـ سِرْتُ إلَيْهِ فَأَرَانِي جَاثِمَهْ ظَنَنْتُهَا يَقْظَى وَكَانَتْ نَائِمَهْ
٣٢ ـ ثُمَّ أَخَذْتُ نَبْلَةً كَانَتْ مَعِي، وَدُرْتُ دَوْرَيْنِ وَلَمْ أُوَسِّعِ
٣٣ ـ حَتّى تَمَكَّنْتُ، فَلَمْ أُخْطِ ٱلطَّلَبْ، لِكُلِّ حَتْفٍ سَبَبٌ مِنَ ٱلسَّبَبْ
٣٤ ـ وَضَجَّتِ ٱلْكِلَابُ فِي ٱلْمَقَاوِدِ، تَطْلُبُهَا وَهْي بِجُهْدٍ جَاهِدِ
٣٥ ـ وَصِحْتُ بِٱلأَسْوَدِ كَٱلْخُطّافِ لَيْسَ بِأَبْيَضٍ وَلَا غِطْرَافِ[1]
٣٦ ـ ثُمَّ دَعَوْتُ ٱلْقَوْمَ: هَذَا بَازِي! فَأَيُّكُمْ يَنْشَطُ لِلْبِرَازِ؟
٣٧ ـ فَقَالَ مِنْهُمْ رَشَأٌ: «أَنَا، أَنَا!» وَلَوْ دَرَى مَا بِيَدِي لأَذْعَنَا![2]
٣٨ ـ فَقُلْتُ: قَابِلْنِي وَرَاءَ ٱلنَّهْرِ، أَنْتَ لِشَطْرٍ وَأَنَا لِشَطْرِ!
٣٩ ـ طَارَتْ لَهُ دُرّاجَةٌ فَأَرْسَلَا أَحْسَنَ فِيهَا بَازَهُ وَأَجْمَلَا
٤٠ ـ عَلَّقَهَا فَعَطْعَطُوا، وَصَاحُوا؛ وَٱلصَّيْدُ مِنْ آلَتِهِ ٱلصِّيَاحُ![3]
٤١ ـ فَقُلْتُ: مَا هَذَا ٱلصِّيَاحُ وَٱلْقَلَقْ؟ أَكُلُّ هَذَا فَرَحاً بِذَا ٱلطَّلَقْ؟!
٤٢ ـ فَقَالَ: إنَّ ٱلْكَلْبَ يُشْوِي ٱلْبَازَا قَدْ حَرَزَ ٱلْكَلْبُ فَجُزْ وَجَازَا[4]
٤٣ ـ فَلَمْ يَزَلْ يَزْعَقُ: يَا مَوْلَائِي! وَهْوَ كَمِثْلِ ٱلنَّارِ فِي ٱلْحَلْفَاءِ[5]
٤٤ ـ طَارَتْ، فَأَرْسَلْتُ فَكَانَتْ سَلْوَى حَلَّتْ بِهَا قَبْلَ ٱلْعُلُوِّ ٱلْبَلْوَى

---

(١) الغطراف: فرخ البازي.
(٢) الرشأ: ولد الغزالة ـ أذعن: أقرّ وخضع.
(٣) عطعطوا: تتابعت أصواتهم واختلطت.
(٤) يشوي: يخطىء.
(٥) يزعق: يصيح ـ الحلفاء: نبات محدّد الأطراف يُصنع من ورقه الحصر والحبال والقفف...

٤٥ ـ فَمَا رَفَعْتُ ٱلْبَازَ حَتَّى طَارَا   آخَرُ عَوْداً يُحْسِنُ ٱلْفِرَارَا
٤٦ ـ أَسْوَدُ، صَيَّاحٌ، كَرِيمٌ، كُرَّزُ،   مُطَرَّزٌ، مُكَحَّلٌ، مُلَزَّزُ(١)
٤٧ ـ عَلَيْهِ أَلْوَانٌ مِنَ ٱلثِّيَابِ،   مِنْ حُلَلِ ٱلدِّيبَاجِ وَٱلْعُنَّابِ(٢)
٤٨ ـ فَلَمْ يَزَلْ يَعْلُو وَبَازِي يَسْفُلُ،   يُحْرِزُ فَضْلَ ٱلسَّبْقِ لَيْسَ يَغْفُلُ
٤٩ ـ يَرْقُبُهُ مِنْ تَحْتِهِ بِعَيْنِهِ   وَإِنَّمَا يَرْقُبُهُ لِحَيْنِهِ
٥٠ ـ حَتَّى إِذَا قَارَبَ، فِيمَا يَحْسَبُ،   مَعْقِلَهُ؛ وَٱلْمَوْتُ مِنْهُ أَقْرَبُ
٥١ ـ أَرْخَى لَهُ بِنَبْجِهِ رِجْلَيْهِ،   وَٱلْمَوْتُ قَدْ سَابَقَهُ إِلَيْهِ(٣)
٥٢ ـ صِحْتُ وَصَاحَ ٱلْقَوْمُ بِٱلتَّكْبِيرِ،   وَغَيْرُنَا يُضْمِرُ فِي ٱلصُّدُورِ(٤)
٥٣ ـ ثُمَّ تَسَايَرْنَا فَطَارَتْ وَاحِدَهْ   شَيْطَانَةٌ مِنَ ٱلطُّيُورِ مَارِدَهْ
٥٤ ـ مِن قُرُبٍ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا   وَلَمْ تَزَلْ أَعْيُنُهُمْ عَلَيْهَا
٥٥ ـ فَلَمْ يُعَلِّقْ بَازُهُ وَأَدَّى   مِنْ بَعْدِ مَا قَارَبَهَا وَشَدَّا
٥٦ ـ صِحْتُ: أَهَذَا ٱلْبَازُ أَمْ دَجَاجَهْ؟   لَيْتَ جَنَاحَيْهِ عَلَى دُرَّاجَهْ
٥٧ ـ فَاحْمَرَّتِ ٱلأَوْجُهُ وَٱلْعُيُونُ   وَقَالَ: هَذَا مَوْضِعٌ مَلْعُونُ
٥٨ ـ إِنْ لَزَّهَا ٱلْبَازُ أَصَابَتْ نَبَجَا   أَوْ سَقَطَتْ لَمْ تَلْقَ إِلاَّ مَدْرَجَا(٥)
٥٩ ـ إِعْدِلْ بِنَا لِلنَّبَجِ ٱلْخَفِيفِ   وَٱلْمَوْضِعِ ٱلْمُنْفَرِدِ ٱلْمَكْشُوفِ!
٦٠ ـ فَقُلْتُ : هَذِي حُجَّةٌ ضَعِيفَهْ   وَغِرَّةٌ ظَاهِرَةٌ مَعْرُوفَهْ!
٦١ ـ نَحْنُ جَمِيعاً فِي مَكَانٍ وَاحِدِ،   فَلاَ تُعَلِّلْ بِٱلْكَلاَمِ ٱلْبَارِدِ!
٦٢ ـ قُصَّ جَنَاحَيْهِ يَكُنْ فِي ٱلدَّارِ   مَعَ ٱلدَّبَاسِي، وَمَعَ ٱلْقَمَارِي!(٦)
٦٣ ـ وَٱعْمِدْ إِلَى جُلْجِلِهِ ٱلْبَدِيعِ،   فَٱجْعَلْهُ فِي عَنْزٍ مِنَ ٱلْقَطِيعِ!(٧)

---

(١) كُرَّز البازي: تساقط ريشه ـ الملزّر: المجتمع الخلقة.
(٢) الديباج: الحرير ـ العنّاب: شجر حبّته كحبّة الزيتون، أجودة الأحمر، حلو الطعم.
(٣) النبج: النباح، أو الخروج من الحجر.
(٤) يضمر: يخفي.
(٥) لزّ: شدّ.
(٦) الدباسي: نوع من الطيور شبيه بالحمام. القماري: نوع من الحمام حسن الصوت.
(٧) الجلجل: الجرس الصغير.

٦٤ - حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتُهُ، وَقَدْ خَجِلْ، قُلْتُ: أَرَاهُ، فَارِهاً، عَلَى ٱلْحَجلْ[١]
٦٥ - دَعْهُ، وَهَذَا ٱلْبَازُ فَٱطَّرِدْ بِهِ تَفَادِياً مِنْ غَمِّهِ وَعَتْبِهِ!
٦٦ - وَقُلْتُ لِلْخَيْلِ، ٱلَّتِي حَوْلَيْنَا: تَشَاهَدُوا كُلُّكُمُ عَلَيْنَا!
٦٧ - بِأَنَّهُ عَارِيَةٌ مَضْمُونَهْ، يُقِيمُ فِيهَا جَاهَهُ وَدِينَهْ
٦٨ - جِئْتُ بِبَازٍ حَسَنٍ مُبَهْرَجِ دُونَ ٱلْعُقَابِ وَفُوَيْقَ ٱلزُّمَّجِ[٢]
٦٩ - زَيْنٍ لِرَائِيهِ، وَفَوْقَ ٱلزَّيْنِ، يَنْظُرُ مِنْ نَارَيْنِ فِي غَارَيْنِ
٧٠ - كَأَنَّ فَوْقَ صَدْرِهِ وَٱلْهَادِي آثَارَ مَشْيِ ٱلذَّرِّ فِي ٱلرَّمَادِ[٣]
٧١ - ذِي مِنْسَرٍ فَخْمٍ وَعَيْتٍ غَائِرَهْ، وَفَخِذٍ مِلْءَ ٱلْيَمِينِ وَافِرَهْ[٤]
٧٢ - ضَخْمٍ، قَرِيبِ ٱلدَّسْتَبَانِ جِدًّا يَلْقَى ٱلَّذِي يَحْمِلُ مِنْهُ كَدًّا
٧٣ - وَرَاحَةٍ تَغْمُرُ كَفِّي سَبْطَهْ زَادَ عَلَى قَدْرِ ٱلْبُزَاةِ بَسْطَهْ[٥]
٧٤ - سُرَّ، وَقَالَ: «هَاتِ!»؛ قُلْتُ: مَهْلاً! إِحْلِفْ عَلَى ٱلرَّدِّ!» فَقَالَ: «كَلَّا!
٧٥ - أَمَّا يَمِينِي، فَهْيَ عِنْدِي غَالِيَهْ وَكَلْمَتِي مِثْلُ يَمِينِي وَافِيَهْ»
٧٦ - قُلْتُ: «فَخُذْهُ هِبَةً بِقُبْلَهْ!» فَصَدَّ عَنِّي، وَعَلَتْهُ خَجْلَهْ
٧٧ - ثُمَّ نَدِمْتُ غَايَةَ ٱلنَّدَامَهْ وَلُمْتُ نَفْسِي أَكْثَرَ ٱلْمَلَامَهْ
٧٨ - عَلَى مُزَاحِي، وَٱلرِّجَالُ حُضَّرُ وَهْوَ يَزِيدُ خَجَلاً وَيَحْصَرُ
٧٩ - فَلَمْ أَزَلْ أَمْسَحُهُ حَتَّى ٱنْبَسَطْ وَهَشَّ لِلصَّيْدِ قَلِيلاً، وَنَشَطْ[٦]
٨٠ - صِحْتُ بِهِ: ٱرْكَبْ! فَٱسْتَقَلَّ عَنْ يَدِ مُبَادِراً أَسْرَعَ مِنْ قَوْلٍ: قَدِ!
٨١ - وَضَمَّ سَاقَيْهِ وَقَالَ: «قَدْ حَصَلْ!» قُلْتُ لَهُ: «ٱلْغَدْرَةُ مِنْ شَرِّ ٱلْعَمَلْ!»
٨٢ - سِرْتُ، وَسَارَ ٱلْغَادِرُ ٱلْعَيَّارُ لَيْسَ لِطَيْرٍ مَعَنَا مَطَارُ

---

(١) الفاره: النشيط.
(٢) الزمّج: طائر يصطاد به، يميل لونه إلى الحمرة.
(٣) الهادي: العنق ـ الذر: صغار النمل.
(٤) المنسر: الظفر.
(٥) السبط: الشعر المسترسل.
(٦) هشّ: انشرح وابتسم.

٨٣ -ثُمَّ عَـدَلْنَـا نَـحْـوَ نَهْـرِ ٱلْـوَادِي، وَٱلـطَّيْـرُ فيهَا عَـدَدُ ٱلْـجَـرَادِ[(١)]
٨٤ -أَدَرْتُ شَـاهِـيـنَـيْـنِ فِـي مَـكَـانِ لِكَثْـرَةِ ٱلـصَّيْـدِ مَـعَ ٱلإِمْكَـانِ[(٢)]
٨٥ -دَارَا عَـلَيْـنَـا دَوْرَةً وَحَـلَّقَـا، كِـلاهُـمَـا، حَـتَّـى إِذَا تَـعَـلَّقَـا
٨٦ -تَـوَازَيَـا، وَٱطَّـرَدَا ٱطِّـرَادَا كَـالـفَـارِسَيْـنِ ٱلْتَـقَيَـا أَوْ كَـادَا
٨٧ -ثَـمَّـتَ شَـدَّا فَـأَصَـابَـا أَرْبَـعَـا ثَـلاثَـةً خُضْـراً، وَطَيْـراً أَبْقَعَـا[(٣)]
٨٨ -ثُـمَّ ذَبَحْـنَـاهَـا، وَخَـلَّصْـنَـاهُـمَـا وَأَمْكَنَ ٱلـصَّيْـدُ فَـأَرْسَلْنَـاهُـمَـا
٨٩ -فَـجَـدَّلَا خَـمْـساً مِـنَ ٱلـطُّيُـورِ، فَـزَادَنِـي ٱلـرَّحْمَـنُ فِـي سُـرُورِي
٩٠ -أَرْبَـعَـةً مِـنْـهَـا أَنِـيـسِـيَّـانِ وَطَـائِـراً يُـعْـرَفُ بِـٱلْـبَـيْـضَـانِـي
٩١ -خَـيْـلٌ نُنَـاجِـيهِـنَّ كَـيْـفَ شِـيـنَـا طَـيِّـعَـةٌ، وَلُـجْـمُـهَـا أَيْـدِيـنَـا
٩٢ -وَهْـيَ إِذَا مَـا ٱسْتَـصْعَـبَ ٱلْقِـيَـادَهْ صَـرَّفَـهَـا ٱلْـجُـوعُ عَـلَى ٱلإِرَادَهْ
٩٣ -وَكُـلَّمَـا شُـدَّ عَـلَيْـهَـا فِـي طَـلَقْ تَسَـاقَـطَتْ مَـا بَيْنَنَـا مِـنَ الفَـرَقْ
٩٤ -حَـتَّـى أَخَـذْنَـا مَـا أَرَدْنَـا مِـنْـهَـا ثُـمَّ ٱنْصَـرَفْـنَـا رَاغِـبِـيـنَ عَـنْـهَـا
٩٥ -إِلَـى كَـرَاكِـيَّ بِـقُـرْبِ ٱلـنَّـهْـرِ عَشْـراً نَـرَاهَـا، أَوْ فُـوَيْقَ ٱلْعَشْـرِ
٩٦ -لَمَّـا رَآهَـا ٱلْبَـازُ، مِنْ بُعْدٍ، لَصَقْ وَحَـدَّدَ ٱلـطَّرْفَ إِلَـيْـهَـا وَذَرَقْ
٩٧ -فَقُلْتُ: صِـدْنَـاهَـا، وَرَبِّ ٱلْكَعْبَـهْ، وَكُـنَّ فِـي وَادٍ بِـقُـرْبِ «جَـنْـبَـهْ»!
٩٨ -فَـدَارَ حَـتَّـى أَمْـكَـنَـتْ ثُـمَّ نَـزَلْ فَحَطَّ مِنْهَـا أَفْـرَعـاً مِثْـلَ ٱلْجَمَـلْ
٩٩ -مَـا ٱنْـحَطَّ إِلَّا وَأَنَـا إِلَـيْـهِ مُـمَـكِّـنـاً رِجْـلَـيَّ مِـنْ رِجْـلَيْـهِ
١٠٠ -جَـلَسْـتُ كَـيْ أُشْـبِـعَـهُ إِذَا هِـيَـهْ قَـدْ سَقَـطَتْ مِنْ عَنْ يَمِينِ ٱلـرَّابِيَـهْ
١٠١ -قَـتَـلْتُـهُ أَرْغَـبُ فِـي ٱلـزِّيَـادَهْ وَتِـلْكَ لِـلطِّرَادِ شَـرُّ عَـادَهْ
١٠٢ -لَـمْ أَجْـزِهِ بِـحَـسَـنِ ٱلْـبَـلاءِ أَطَـعْتُ حِـرْصِـي، وَعَصَيْتُ دَائِـي
١٠٣ -فَـلَمْ أَزَلْ أَخْـتِـلُهَـا وَتُـخْـتَـتَـلْ، وَإِنَّـمَـا نَـخْـتِـلُهَـا إِلَـى أَجَـلْ
١٠٤ -عَـمَـدْتُ مِـنْـهَـا لِـكَـبِـيـرٍ مُـفْـرَدِ يَمْشِي بِعُنْقٍ كَـٱلـرِّشَـاءِ ٱلْمُحْصَـدِ

---

(١) عدلنا: ملنا.

(٢) الشاهين: طير جارح يشبه الصقر قويّ البنية، شديد على الصيد.

(٣) الأبقع: خالط بياضه سواد.

١٠٥ـطَارَ، وَمَا طَارَ لِيَأْتِيهِ ٱلْقَدَرْ، ... وَهَلْ لِمَا قَدْ حَانَ سَمْعٌ أَوْ بَصَرْ!؟
١٠٦ـحَتَّى إِذَا جَدَّلَهُ كَٱلْعَنْدَلِ، ... أَيْقَنْتُ أَنَّ ٱلْعَظْمَ غَيْرُ ٱلْفِصَلِ
١٠٧ـذَاكَ، عَلَى مَا نِلْتُ مِنْهُ، أَمْرُ ... عَثَرْتُ فِيهِ وَأَقَالَ ٱلدَّهْرُ!
١٠٨ـخَيْرٌ مِنَ ٱلنَّجَاحِ لِلإِنْسَانِ ... إِصَابَةُ ٱلرَّأْيِ مَعَ ٱلْحِرْمَانِ
١٠٩ـصِحْتُ إِلَى ٱلطَّبَّاخِ : مَاذَا تَنْتَظِرْ؟ ... انْزِلْ عَنِ ٱلْمُهْرِ، وَهَاتِ مَا حَضَرْ
١١٠ـجَاءَ بِأَوْسَاطٍ، وَجُرْدٍ تَاجِ ... مِنْ حَجَلِ ٱلصَّيْدِ وَمِنْ دُرَّاجِ
١١١ـفَمَا تَنَازَلْنَا عَنِ ٱلْخُيُولِ، ... يَمْنَعُنَا ٱلْحِرْصُ عَنِ ٱلنُّزُولِ
١١٢ـوَجِيءَ بِٱلْكَأْسِ وَبِٱلشَّرَابِ، ... فَقُلْتُ: وَفِّرْهَا عَلَى أَصْحَابِي!
١١٣ـأَشْبَعَنِي ٱلْيَوْمَ وَرَوَّانِي ٱلْفَرَحْ؛ ... فَقَدْ كَفَانِي بَعْضُ وَسْطٍ وَقَدَحْ
١١٤ـثُمَّ عَدَلْنَا نَطْلُبُ ٱلصَّحْرَاءَ، ... نَلْتَمِسُ ٱلْوُحُوشَ وَٱلظِّبَاءَ
١١٥ـعَنَّ لَنَا سِرْبٌ بِبَطْنِ ٱلْوَادِي ... يَقْدُمُهُ أَفْرَعُ، عَبْلُ ٱلْهَادِي
١١٦ـقَدْ صَدَرَتْ عَنْ مَنْهَلٍ رَوِيِّ ... مِنْ غُبَرِ ٱلْوَسْمِيِّ وَٱلْوَلِيِّ
١١٧ـلَيْسَ بِمَطْرُوقٍ وَلَا بَكِيِّ، ... وَمَرْتَعٍ مُقْتَبَلٍ جَنِيِّ
١١٨ـرَعَيْنَ فِيهِ، غَيْرَ مَذْعُورَاتِ، ... بِقَاعِ وَادٍ، وَافِرِ ٱلنَّبَاتِ
١١٩ـمَرَّ عَلَيْهِ غَدِقُ ٱلسَّحَابِ ... بِوَاكِفٍ، مُتَّصِلِ ٱلرَّبَابِ
١٢٠ـمَا زَالَ فِي خَفْضٍ، وَحُسْنِ حَالِ ... حَتَّى أَصَابَتْهُ بِنَا ٱللَّيَالِي
١٢١ـسِرْبٌ حَمَاهُ ٱلدَّهْرُ مَا حَمَاهُ ... لَمَّا رَآنَا ٱرْتَدَّ مَا أَعْطَاهُ
١٢٢ـبَادَرْتُ بِٱلصَّقَّارِ وَٱلْفَهَّادِ ... حَتَّى سَبَقْنَاهُ إِلَى ٱلْمِيعَادِ
١٢٣ـفَجَدَّلَ ٱلْفَهْدُ ٱلْكَبِيرَ ٱلأَقْرَنَا ... شَدَّ عَلَى مَذْبَحِهِ وَٱسْتَبْطَنَا
١٢٤ـوَجَدَّلَ ٱلآخَرُ عَنْزاً حَائِلاً ... رَعَتْ حِمَى ٱلْغَوْرَيْنِ حَوْلاً كَامِلَا
١٢٥ـثُمَّ رَمَيْنَاهُنَّ بِٱلصُّقُورِ ... فَجِئْنَهَا بِٱلْقَدَرِ ٱلْمَقْدُورِ
١٢٦ـأَفْرَدْنَ مِنْهَا فِي ٱلْقَرَاحِ وَاحِدَهْ ... قَدْ ثَقُلَتْ بِٱلْخَصْرِ وَهْيَ جَاهِدَهْ
١٢٧ـمَرَّتْ بِنَا، وَٱلصَّقْرُ فِي قَذَالِهَا ... يُؤْذِنُهَا بِسَيِّءٍ مِنْ حَالِهَا
١٢٨ـثُمَّ ثَنَاهَا وَأَتَاهَا ٱلْكَلْبُ ... هُمَا، عَلَيْهَا، وَٱلزَّمَانُ إِلْبُ
١٢٩ـفَلَمْ نَزَلْ نَصِيدُهَا وَنَصْرَعُ ... حَتَّى تَبَقَّى فِي ٱلْقَطِيعِ أَرْبَعُ

١٣٠ ـثُمَّ عَـدَلْنَـا عَـدْلَـةً إلَى ٱلْجَبَـلْ، إلَى ٱلأَرَاوِي، وَٱلْكِبَـاشِ وَٱلْحَجَـلْ
١٣١ ـفَلَمْ نَـزَلْ بِـٱلْخَيْـلِ وَٱلْكِـلَابِ نَـحُـوزُهَـا حَـوْزاً، إلَى ٱلْـغِـيَـابِ
١٣٢ ـثُمَّ ٱنْصَـرَفْنَا، وَٱلْبِغَـالُ مُـوقَـرَهْ، فِي لَيْلَةٍ، مِثْـلِ ٱلصَّبَاحِ، مُسْفِـرَهْ
١٣٣ ـحَـتَّى أَتَـيْـنَـا رَحْـلَنَا بِلَيْـلِ، وَقَـدْ سُبِقْـنَـا بِجِيَـادِ ٱلْخَـيْـلِ
١٣٤ ـثُمَّ نَـزَلْنَـا، وَطَـرَحْـنَـا ٱلصَّـيْـدَا حَـتَّـى عَـدَدْنَـا مِئَـةً وَزَيْـدَا
١٣٥ ـفَلَمْ نَـزَلْ نَقْلِي، وَنَشْـوِي، وَنَصُبْ، حَتَّى طَلَبْنَـا صَـاحِيـاً فَلَمْ نُـصِبْ
١٣٦ ـشُـرْبـاً، كَمَـا عَنَّ، مِنَ ٱلـزِّقَـاقِ بِـغَـيْـرِ تَـرْتِـيـبٍ، وَغَـيْـرِ سَـاقِ
١٣٧ ـفَـلَمْ نَـزَلْ سَـبْـعَ لَـيَـالٍ عَـدَدَا أَسْعَـدَ مَنْ رَاحَ، وَأَحْـظَى مَنْ غَـدَا!

شعر نسب
الى ابي فراس الحمداني
والى غيره

- ٣٧٧ -

وَقَالَ:

[من مجزوء الوافر]

١ - أُقَبِّلُهُ، عَلَى جَزَعٍ ، كَفِعْلِ ٱلطَّائِرِ ٱلْفَزِعِ
٢ - رَأَى مَاءً فَأَمْكَنَهُ، وَخَافَ عَوَاقِبَ ٱلطَّمَعِ
٣ - فَصَادَفَ خُلْسَةً فَدَنَا وَلَمْ يَلْتَذَّ بِٱلْجُرَعِ

(رويت لأبي فراس الحمداني في النسخ الآتية:)
(مخطوطة حلب الورقة ٤٧ ظ)
(ومخطوطة حلب الثانية الورقة ١٩)
(ومخطوطة ليبزيغ الورقة ١٧١)
(وقد رويت في اليتيمة لسيف الدولة)

* * *

- ٣٧٨ -

وَرُوِيَتْ لَهُ:

[من الطويل]

١ - وَسَــاقٍ صَبِيحٍ لِلصَّبُــوحِ دَعَــوْتُــهُ فَقَــامَ وَفِي أَجْفَـانِـهِ سِنَــةُ ٱلْغمْضِ

ملحق الديوان

وهو في اليتيمة منسوب إلى سيف الدولة ص ٢٤ ط. مصر

ويروى من شعر ابن الرومي

(انظر ديوانه ص ٤٧٢ ط. مصر)

- ٣٧٩ -

وَقَالَ فِي وَصْفِ سَحَابَةٍ، مِنْ أَبْيَاتٍ:

[من المتقارب]

١ - وَسَــارِيَــةٍ لَا تَــمَــلُّ ٱلْـبُـكَــا جَــرَى دَمْعُهــا فِي خُــدُودِ ٱلثَّــرَى

٢ - سَــرَتْ تَقْــدَحُ ٱلصُّبْــحَ فِي لَـيْلِهَــا بِـبَـارِقِ هِــنْـدِيَّــةٍ تُـنْـتَـضَـى

(وهذا الشعر لابن المعتز ورد في ديوانه ص ٥)

(ونسب في كتاب الإمام العاملي إلى أبي فراس ص ١٥٩)

ملحق
ترجمة ابي فراس الحمداني
من بعض كتب الادب

١ ـ ترجمته من «وفيات الأعيان».

أبو فراس الحارثُ بن أبي العلاء سعيد بن حَمدان بن حَمدون الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابنَيْ حمدان ـ وسيأتي تتمّة نسبه عند ذكرهما إن شاء الله تعالى ؛ قال الثعالبي في وصفه: «كان فَرْدَ، دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسيّة وشجاعة وشعره مشهور سائر، بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رُواء الطبع وسِمَة الظَّرف وعزة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلاَّ في شعر عبد الله بن المعتزّ. وأبو فراس يُعَدُّ أشعر منه عند أهل الصنعة ونقَدَةِ الكلام. وكان الصاحبُ بن عبّاد يقول: بدىء الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس. وكان المتنبّي يشهد له بالتقدّم والتبريز ويتحامى جانبه، فلا ينبري لمباراته، ولا يجترىء على مجاراته، وإنّما لم يمدحه ومدح مَن دونه من آل حمدانَ تهيّباً له وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً. وكان سيف الدولة يُعجَبُ جدّاً بمحاسن أبي فراس، ويُمَيّزه بالإكرام على

سائر قومه، ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله».

وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصلهُ في فخذه، ونقلته إلى خَرْشَنَة، ثم منها إلى قسطنطينيّة، وذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين.

قلت: هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي، وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط، وقالوا: أُسر أبو فراس مرّتين، فالمرة الأولى بمَغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وما تعدّوا به خرشنة، وهي قلعة ببلاد الروم، والفرات يجري من تحتها، وفيها يقال: إنّه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات، والله أعلم. والمرّة الثانية، أسره الروم على مَنْبج في شوال سنة إحدى وخمسين، وحملوه إلى قسطنطينيّة. وأقام في الأسر أربع سنين، وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه. وكانت مدينة منبج إقطاعاً له، ومن شعره:

قـد كنتَ عُـدَّتي التي أسـطو بهـا ... ويَـدي إذا آشْتَـدَّ الـزمـانُ وسـاعـدي
فـرُمِيتُ مِـنْـكَ بضـدِّ مَـا أَمَّـلْتُـهُ ... وَالـمَـرءُ يَشْـرَقُ بـالـزلال البـارِد
فـصبـرْتُ كـالـولـد التقيّ لبـرّه ... أغضى عـلى ألَمٍ لضَـرْبِ الـوالِـد

وله أيضاً:

أَسـاء فـزادتـهُ الإسـاءة حُـظوةً ... حبيـبٌ على مـا كـان منـه حبيبُ
يَـعُـدُّ عَـلَيَّ الـواشـيـانِ ذنـوبـهُ ... ومِـن أينَ لـلوَجـه الجميـل ذنـوبُ

وله أيضاً:

سكـرْتُ منْ لحظِهِ لا منْ مُـدَامَتِـهِ ... ومـالَ بـالنـوْمِ عَنْ عيني تمـايلُهُ
فمـا السُّلاف دَهتني بـلْ سَـوالِفُـهُ ... ولا الشَّمـولُ ازدَهتني بَـلْ شمـائـله
أَلـوَى بعَـزْمي أصـداغٌ لُـوينَ لـهُ ... وغـالَ قلبي بمـا تحـوي غـلائـله

ومحاسن شعره كثيرة.

وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أُسرته في سنة سبع وخمسين وثلثمائة.
ورأيت في ديوانه أنّه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته:

أَبُـنَـيَّـتـي لا تَـجـزَعـي ... كـلُّ الأنـامِ إلـى ذَهَـابِ

نُوحِي عَليّ بحسْرَةٍ من خلف سترِكِ والحجاب
قولي إذا كلَّمتِني فعييتُ عن رَدّ الجواب
زَينُ الشبابِ أبو فِرا سٍ لم يُمَتَّعْ بالشباب

وهذا يدلّ على أنّه لم يُقتل، أو يكون قد جُرح وتأخّر موته، ثم مات مِنَ الجراحة.

[وقيل: إنّ هذا الشعر قاله وهو أسير في أيدي الروم، وكان قد جرح ثمّ أسر ثم خلص من الأسر، فداه سيف الدولة مع من فُدي من أسرى المسلمين].

قال ابن خالويه: لمّا مات سيف الدولة، عزم أبو فراس على التغلّب على حمص، فاتّصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة، وغلام أبيه قَرْغُويه، فأنفذ إليه مَن قاتله، فأخِذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق.

وقرأت في بعض التعاليق: أنّ أبا فراس قتل يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة، في ضيعة تُعرف بصَدد.

وذكر ثابت بن سنان الصابىء في تاريخه، قال: في يوم السبت لليلتين خلَتَا من جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وثلثمائة، جرت حرب بين أبي فراس، وكان مقيماً بحمص، وبين أبي المعالي بن سيف الدولة، واستظهر عليه أبو المعالي، وقتله في الحرب، وأُخذ رأسه، وبقيت جثته مطروحه في البرّية إلى أن جاءه بعضُ الأعراب فكفنه ودفنه.

قال غيره: وكان أبو فراس خالَ أبي المعالي، وقلعت أُمه سخينة عينها لما بلغها وفاته، وقيل: إنّها لطمت وجهها فقلعت عينها. وقيل لمّا قتله قرغويه لم يعلم به أبو المعالي، فلمّا بلغه الخبر شقَّ عليه.

ويقال: إنّ مولده كان في سنة عشرين وثلثمائة، والله أعلم. وقيل سنة إحدى وعشرين.

وقُتِل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة، قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل، عصر مذاكيره حتى مات لقصّة يطول شرحها وحاصلها أنّه شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي بالله، ففعل ذلك سرّاً، ومضى إليها في

خمسين غلاماً، فقبض ناصرُ الدولة عليه حين وصل إليها ثمَّ قتله، فأنكر ذلك الراضي حين بلغه، رحمهم الله تعالى.

وحكى ابن خالويه أيضاً قال: كتب أبو فراس إلى سيف الدولة، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً صدره: كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر وفراً وشكراً، فاستحسن سيف الدولة بلاغته ووصف براعته، وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه:

هل للفصاحة والسما ... حة والعلا عني محيدُ
إذ أنت سيديَ الذي ... ربّيتني وأبي سعيد
في كلِّ يوم أستفيـ ... ـد من العلاء وأستزيد
ويزيد فيَّ إذا رأيـ ... ـتك للندى خلق جديد

وكان سيف الدولة قلّما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش، وملابسة الخطوب، وممارسة الحروب، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد، فتاقت نفسُ أبي فراس إلى سماعها، ولم يرَ أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة، فكتب إليه يستحثّه على استحضارها:

محلُّكَ الجوزاءُ أو أرفعُ ... وصدرك الدهناء أو أوسعُ
وقلبك الرَّحبُ الذي لم يزل ... للجدّ والهزل به موضع
رفّه بقرع العود سيفاً غدا ... قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات الوزير المهلبي، فأمر القيان والقوالين بتحفّظها وتلحينها، وصار لا يشرب إلاّ عليها.

وأهدى الناس إلى سيف الدولة فأكثروا، فكتب إليه أبو فراس:

نفسي فداؤك قد بعثـ ... ـت بعهدتي بيد الرسول
أهديتُ نفسي إنّما يُهْـ ... ـدى الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي ... صلةَ المبشّر بالقبول

وعزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس على الشام، فكتب إليه قصيدة منها:

قالوا: المسير فهزّ الرمح عامله وارتاح في جفنه الصمصامةُ الخذمُ
حقاً لقد ساءني أمر ذكرت له لولا فراقك لم يوجد له ألمُ
لا تشغلنّ بأمر الشام تحرسه إنّ الشآم على من حلّهُ حرمُ
وإنّ للثغر سوراً من مهابته صخوره من أعادي أهله القممُ
لا يحرمنّي سيف الدين صحبتَهُ فهي الحياة التي تحيا بها النسمُ
وما اعترضتُ عليه في أوامره لكن سألت ومن عاداته نعم

وكتب إليه يعزّيه:

لا بدَّ من فقدٍ ومن فاقدِ هيهات ما في الناس من خالدِ
كنِ المعزّى لا المعزّى به إن كان لا بدّ من الواحدِ

وله أيضاً:

المرءُ نصب مصايبٍ ما تنقضي حتى يواري جسمه في رمسه
فمؤجَّلٌ يلقى الردى في أهله ومعجَّل يلقى الردى في نفسه

وله أيضاً وقد سمع حمامةً تنوح بقربه على شجرةٍ عاليةٍ وهو في الأسر، فقال:

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتا هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببالِ
أتحمل محزونَ الفؤاد قوادمٌ على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعاليَ ترَيْ روحاً لديَّ ضعيفةً تردَّدُ في جسمٍ يُعَذَّب بالي
أيضحك مأسورٌ وتبْكي طليقة ويسكت محزونٌ ويندب سالي
لقد كنتُ أولى منك بالدمع مقلةً ولكنَّ دمعي في الحوادث غالي

وخَرْشَنَة ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الشين المثلثة والنون ـ وهي بلدة بالشام على الساحل، وهي للروم.

وقسطنطينية ـ بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ـ من أعظم مدائن الرُّوم بناها قسطنطين، وهو أول من تنصَّر من ملوك الروم.

٢ - ترجمته في «نشوار المحاضرة وأخبار المـذاكرة» أو «جـامع التواريخ» للقاضي التنوخي

كان «سيف الدولة» قلّده «منبج» و «حرّان» وأعمالهما؛ فجاءه خلقٌ من الرّوم، فخرج إليهم في سبعين نفساً من غلمانه وأصحابه، يقاتلهم؛ ففتك فيهم، وقتل. وقدّر أنّ الناس يلحقونه فما اتّبعوه، وحملت الروم بعددها عليه فأسر، فأقـام في أيديهم أسيراً سنين، يكاتب «سيف الدولة» أن يفديه بقوم كانوا عنده من عظماء الروم، منهم البطريق المعروف «باغورج»، وابن أخت الملك، وغيرهم؛ فيأبى «سيف الـدولة» ذلك، مع وجده عليه، ومكانه من قلبه، ويقول: لا أُفدي ابن عمي، خصوصاً، وأدع باقي المسلمين، ولا يكون الفداء إلا عاماً للكافة. والأيام تتدافع إلى أن وقع الفداء، قبيل موت «سيف الدولة» في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، فخرج فيه «أبو فراس» و «محمد بن ناصر الدولة»، لأنّه كان أسيراً أيضاً في أيديهم، والقاضي «أبو الهيثم عبد الرحمن» ابن القاضي «أبي الحصين علي بن عبد الملك»، لأنّهم كانوا أسروه أيضاً من «حرّان»، قبل ذلك بسنتين. وخرج من المسلمين عدد عظيم.

قال: و «لأبي فراس» كلّ شيء حسن من الشعر في معنى أسره؛ فمن ذلك، أنّ كُتُب «سيف الدولة» تأخّرت عنه، وبلغه أنّ بعض الأسراء قال: إن ثقل هذا المال على الأمير «سيف الدولة» كاتبنا فيه صاحب «خراسـان». فاتهم «أبـا فراس» بهـذا القول، لأنّه كان ضمن للروم وقوع الفداء، وأداء ذلك المال العظيم. فقـال سيف الدولة: «ومن أين يعرفه أهل خراسان؟» فكتب إليه قصيدة، أولها:

أَسَـيْـفَ ٱلْـهُـدَى وَقَـرِيـعَ ٱلْـعَـرَبْ إِلَامَ ٱلْـجَـفَـاءُ؟ وَفِـيـمَ ٱلْـغَـضَـبْ؟

٣ - ترجمته في «يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر»

... كان فرد دهـره، وشمس عصره، أدبـاً وفضلاً، وكـرماً ونبـلاً، وبلاغـة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سـائر بين الحسن والجـودة، والسهولـة

والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع، وسمة الظّرف، وعزة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر «عبد الله بن المعتز»، و «أبو فراس» يعدّ أشعر منه، عند أهل الصنعة، ونقدة الكلام.

وكان الصاحب يقول: «بدىء الشعر بملك، وختم بملك» يعني «امرأ القيس» و «أبا فراس». وكان «المتنبي» يشهد له بالتقدّم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا ينبري لمباراته، ولا يجترىء على مجاراته، وإنّما لم يمدحه ومدح من دونه من «آل حمدان»، تهيّباً له وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً. وكان «سيف الدولة» يعجب جداً بمحاسن «أبي فراس»، ويميّزه بالإكرام عن سائر قومه، ويصطنعه لنفسه، ويصطحبه في غزواته، ويستخلفه على أعماله؛ و «أبو فراس» ينثر الدرّ الثمين في مكاتبته إيّاه، ويوفيه حقّ سؤدده، ويجمع بين أدبي السيف والقلم، في خدمته.

ـ الرُّوميّات من غرر «أبي فراس»

لمَّا أدركت «أبَا فراس» حرفة الأدب، وأصابته عين الكمال، أسرته الروم في بعض وقائعها، وهو جريح، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، وحصل متخناً بـ «خرشنة» ثم بـ «قسطنطينيّة»، وتطاولت مدّته بها، لتعذّر المفاداة. وقد قيل: «على كل نجح رقيب من الآفات» وكانت تصدر أشعاره، في الأسر والمرض، واستزاده «سيف الدولة»، وفرط الحنين إلى أهله، وإخوانه، وأحبابه، والتبرّم بحاله ومكانه، عن صدر حرجٍ، وقلب شجٍ، فتزداد رقّة ولطافة، وتبكّي سامعها، وتعلّق بالحفظ لسلاستها..

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن أشعار «أبي فراس»، وما محاسن شيء كلّه حسن؛ وذلك لتناسبها، وعذوبة ألفاظها، ولا سيّما الروميّات التي رمى بها هدف الإحسان، وأصاب شاكلة الصواب، ولعمري إنّها، كما قرأته لبعض البلغاء: «لو سمعته الوحش أنست، أو خوطبت به الخرس نطقت، أو استدعي به الطير نزلت».

ولمّا خرج قمر الفضل من سراره، وأطلق أسد الحرب من إساره، لم تطل أيام فرجته، ولم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته. ودلّت قصيدة، قرأتها «لأبي إسحق

الصابيء» في مرثيته، على أنّه قُتل في وقعة كانت بينه وبين بعض موالي أسرته. وما أحسن وأصدق قول «المتنبي»:

فـلا تـنـلـك الـلـيـالـي إنَّ أيـديـهـا إذا ضـربن كسـرن النبـع بـالغَـرَب
ولا يـعـنّ عـدوّا أنـت قـاهـره فـإنّهنّ يصـدن الصّـقـر بـالخَـرَبِ

اللّهمّ آرحم تلك الرُّوح الشريفة

٤ ـ ترجمته في «العمـدة في صناعـة الشعر ونقـده» لابن رشيق القيرواني

. . . أمّا «أبو الطيب» فلم يذكر معه شاعر إلّا «أبو فراس» وحده؛ ولولا مكانه من السلطان لأخفاه، وكان «الصنوبري» و «الخبزرزي» مقدمين عليه للسنّ، ثم سقطا عنه.

٥ ـ ترجمته في «أعلام الكلام» أو «رسائل الانتقـاد» لابن شرف القيرواني

. . . وأما «أبو فراس بن حمدان» ففارس هذا الميدان، إن شئت ضرباً وطعناً، أو شئت لفظاً ومعنى، ملك زمانـاً وملك أمانـا، وكان أشعـر الناس في المملكـة، وأشعـرهم في ذل الملكـة ، وله الفخـريّات التي لا تعـارض والأسريـات التي لا تناهض.

٦ ـ ترجمته في «أخبار الزمان في تاريخ بني العباس» أو «كتاب الدول المنقطعة» لابن ظافر الأزدي

. . . في سنة إحدى وخمسين وثلثمائة، خرج «ابن أعور» في جيش الرّوم، يريد الغارة على نواحي «منبج» فوافق خروج «أبي فراس الحارث بن سعيد» في عدّة يسيرة من غلمانه، وكان العدوّ في ألف وثلثمائة فارس، وقد استاقوا مواشي من ضيعة

يقال لها «بترك». فهزمهم «أبو فراس»، واستنقذ ما بأيديهم، وتبعهم ثم انصرف عنهم، وقد أجهد خيله وأعطشها فنزل أصحابه وتفرّقوا يسقون، وتبعهم الرّوم فانهزموا، وركب «أبو فراس»، وقصد البلد، إدلالاً بنفسه وفرسه، فسلك غير طريق أصحابه، فأسره الروم.

٧ ـ ترجمته في
«تاريخ الكامل» أو الكامل في التاريخ لابن الأثير

الجزء الثامن ص ٤٠٤ :

سنة إحدى وخمسين وثلثمائة: في هذه السنة. . . في شوال، أسرت الروم «أبا فراس بن سعيد بن حمدان» من «منبج»، وكان متقلّداً لها، وله ديوان شعر جيد. .

الجزء الثامن ص ٤٢٤ :

سنة خمس وخمسين وثلثمائة: . . . وفيها تمَّ الفداء بين «سيف الدولة والرّوم، وسلّم «سيف الدولة» ابن عمه «أبا فراس بن حمدان»، و«أبا الهيثم بن القاضي أبي الحصين». . .

الجزء الثامن ص ٤٣٤ :

سنة سبع وخمسين وثلثمائة: ذكر قتل «أبي فراس بن حمدان» ـ في هذه السنة، في ربيع الآخر، قُتل «أبو فراس بن أبي العلاء سعيد بن حمدان»؛ وسبب ذلك: أنه كان مقيماً بـ «حِمْص» فجرى بينه وبين «أبي المعالي بن سيف الدولة» وحشة، فطلبه «أبو المعالي» فانحاز «أبو فراس» إلى «صدد» ـ وهي قرية في طرق البرّية عند «حمص» ـ فجمع «أبو المعالي» الأعراب من «بني كلاب» وغيرهم، وسيّرهم في طلبه مع «قرغويه»، فأدركه بـ «صدد» فكبسوه فاستأمن من أصحابه، واختلط هو بمن استأمن منهم، فقال «قرغويه» لغلام له: اقتله! فقتله، وأخذ رأسه، وتركت جثّته في البرّية حتى دفنها بعض الأعراب، و«أبو فراس» هو خال «أبي المعالي بن سيف الدولة»؛ ولقد صدق من قال: «إنَّ الملك عقيم!».

* * *

٨ ـ ترجمته في
«زبدة الحلب من تاريخ حلب» لابن العديم

غزا «سيف الدولة» في سنة ثمان ـ وقيل تسع ـ وأربعين وثلثمائة بلاد الرّوم، فقتل وسبى، وعاد غانماً يريد درب «مغارة الكحل»؛ فوجد «ليون بن الفقاس الدمستق» قد سبقه إليها، فتحاربا، فغلب «سيف الدولة» وارتجع الروم ما كان أخذه المسلمون، وأخذوا خزانة «سيف الدولة» وكراعه، وقتل فيها خلق كثير، وأسر «أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان» ونزل «بخرشنة»؛ وأسر «علي بن منقذ بن نصر الكتاني» فلم يوجد له خبر، وأسر «مطر بن البلدي» وقاضي حلب «أبو حصين الرقي» وقيل: إنّ «أبا حصين» قتل في المعركة، فداسه «سيف الدولة» بحصانه...

سنة إحدى وخمسين وثلثمائة... وسار «سيف الدولة» بالبطارقة إلى الفداء، ففدى بهم «أبا فراس» ابن عمه، وجماعة من أهله، وغلامه «رقطاش»، ومن كان بقي من شيوخ الحمصيّين والحلبيّين، ولمّا لم يبق معه من أسرى الرّوم أحد، اشترى بقية المسلمين من العدو، كل رجل باثنين وسبعين ديناراً، حتى نفد ما كان معه من المال، فاشترى الباقين، ورهن عليهم بدنته الجوهر المعدومة المثل.

٩ ـ ترجمته في «تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام «أبي القاسم محمد» إلى الدولة الأتابكية» للشيخ المكين

الصفة ٢٢٣:

سنة ٣٤٨ ـ .... أسر الرّوم «أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان»، وهو ابن عم الأمير «سيف الدولة»، وكان منقطعاً «بمنبج»، فغارت الرّوم على «منبج» في ألف فارس، مقدّمهم «تودوس» ابن أخت ملكهم، فصادفوا الأمير «أبا فراس» يتصيّد في سبعين فارساً، فوثبوا عليهم، وقاتلهم حتى أثخن بالجراح، فأسروه، ومضوا به إلى «القسطنطينية» فبقي أسيراً مدة، ثم أطلق بعد ذلك، وسيرد خبره أخيراً...

الصفحة ٢٤٣:

سنة ٣٥٥ ـ ... تمَّ الفداء بين الرّوم، وبين «سيف الدولة بن حمدان».

١٠ ـ ترجمته في: «المختصر في أخبار البشر» أو «أخبار الإسلام» لأبي الفداء

الجزء الثاني من الطبعة الأوربية ص ٤٧٦:

سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ـ (٨ فبراير ٩٦٢ م)... وفيها فتحت الروم «حصن دلوك» بالسيف، وثلاثة حصون مجاورة له... وفيها في شوال أسرت الرّوم «أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان» من «منبج»، وكان متقلّداً بها.

الجزء الثاني ص ٤٨٦:

سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ـ (٢٧ ديسمبر ٩٦٥ م)... وفيها استفكّ «سيف الدولة بن حمدان» ابن عمه «أبا فراس بن حمدان» من الأسر، وكان بينه وبين الروم الفداء، وخلّص عدّة من المسلمين من الأسر.

الجزء الثاني ص ٤٩٦:

سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ـ (٦ ديسمبر ٩٦٧ م)... ذكر قتل «أبي فراس ابن حمدان»: وفي هذه السنة، في ربيع الآخر، قتل «أبو فراس»، وكان مقيماً «بحمص»، فجرى بينه وبين «أبي المعالي بن سيف الدولة» وحشة، فطلبه «أبو المعالي» فانحاز «أبو فراس» إلى «صدد». فأرسل «أبو المعالي» عسكراً مع «قرغويه» أحد قوّاده، فكبسوا «أبا فراس» في «صدد»، وقتلوه، وكان «أبو فراس» خال «أبي المعالي»، وابن عمه واسم «أبي فراس الحارث بن أبي العلاء. سعيد بن حمدان بن حمدون»، وهو ابن عم «ناصر الدولة» و«سيف الدولة»؛ أسر «بمنبج»، وحمل إلى «القسطنطينية»، وأقام في الأسر أربع سنين. وله في الأسر أشعار كثيرة، وكانت «منبج» إقطاعه.

قال ابن خالويه: «لمّا مات «سيف الدولة» عزم «أبو فراس» على التغلّب على «حمص» فاتّصل خبره «بأبي المعالي بن سيف الدولة» وغلام أبيه «قرغويه»، فأرسل إليه فقاتله، فقتل في «صدد»، وقيل: بقي مجروحاً أياماً، ومات. وكان مولده سنة عشرين وثلثمائة، وفي مقتله في «صدد» يقول بعضهم:

وعلّمني الصَّدّ من بعده ... عن النوم مصرعه في «صدد»

فسقيــاً لهــا، إذ حــوت شـخصــه!   وبعــداً لهــا، حيث فـيهــا ابـتعــد!

١١ ـ ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبيّ

سنة ست وخمسين وثلاثمائة: وفي هذه الأيام أسروا «سرحون ـ لعنه الله ـ، هو الذي كان أسر «أبا فراس بن حمدان» فللَّه الحمد.

سنة سبع وخمسين وثلاثمائة... وفيها مات «ناصر الدولة»، وقتل «أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان» وكان قد طمع في تملك الشام، فجاء إليه خلق من غلمان «سيف الدولة»، وأطمعوه فصار لأهل «حمص» وغيرهم، وقتل قاضيهم «أبا عمار»، وأخذ من داره ستمئة ألف درهم، فلمّا أحسَّ بأنّ «أبا المعالي بن سيف الدولة» يقصده، سار فنزل على «بني كلاب» وخلع عليهم، وأعطاهم الأموال، ونفذ حرمه معهم إلى البريّة، ثم سار «أبو المعالي» و«قرغويه» الحاجب إلى «سلمية» فاستأمن إلى «أبي المعالي» جماعة من «بني عقيل»، وتأخر «أبو فراس» فقال: قد أخليت لهم البلد. ثم سار «قرغويه»، وأحاط به فقاتل أشدّ قتال، وما زال يقاتل، وهم يتبعونه إلى ناحية «جبل سنير» فتقنطر به فرسه، بعد العصر، فقتلوه. وله شعر رائق.

١٢ ـ ترجمته في «تحفة ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب» للصفدي

... ولزم «سيف الدولة» في فداء الأسرى، سنة ٣٥٥ ستمائة ألف دينار، وكان ذلك خاتمة عمله، لأنّه مات بعد ذلك بقليل واشترى كلّ أسير من الضعفاء بثلاثة وثمانين ديناراً رومية. فأمّا الجملة من الأسرى، ففادى بهم أسارى، عنده من الروم، من رؤسائهم. وكان قد ورث من أخته خمسمائة ألف دينار، فصرفها في هذا الوجه..

... قال الببغاء: «ما حفظت عليه جرماً قط إلّا في يوم واحد، فإنّه كان في مجلس خلوة، ونحن قيام بين يديه، فدخل «أبو فراس» وكان بديع الحسن، فقبّل يده، فقال: «فمي أحق من يدي!»».

١ ـ فهرس القوافي

قافية الهمزة

قافية الألف

قافية الدال

قافية الزاي

قافية السين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية الميم

قافية الهاء

قافية الياء

٢ ـ فهرس المعاني

القافية	عدد الأبيات	البحر	الصفحة
١ ـ الغزل والنسيب			
الظباءَ	١٠	الخفيف	١٥ ـ ١٦
ضياءُ	٤	مخلع البسيط	١٧
ناءِ	١١	الكامل	١٨ ـ ٢٠
حبيبي	٣	الوافر	٥٣
حبيبُ	٣	الطويل	٣٩
بمشيبِ	٥	الطويل	٥٢
قلبي	٢	السريع	٥٢
بذنوبهِ	٢	الكامل	٥٦
فأتوبُ	٣	الطويل	٣٩
الرّبيبِ	١٢	الخفيف	٦٠ ـ ٦١
للنوائبِ	٨	الطويل	٥٨ ـ ٥٩
حبيبا	٢	الخفيف	٣٠
أحبابي	٤	السريع من الروميات	٥٧
العتبِ	٥	السريع	٥٦ ـ ٥٧
وجناتِهِ	٢	الكامل	٦٤
خروجُ	٩	الخفيف	٦٩ ـ ٧١
عاجِ	٢	السريع	٧٢
شجا	٣	م. الرجز	٦٩

٣ ـ أخباره مع سيف الدولة

٥ ـ الشكوى والعتاب

٣ ـ فهرس المحتويات